# تاريخ

# العراق بين الاحتلالين العثمانيين

## الأول والثاني

١٥٣٤ - ١٦٣٨م

٩٤١ - ١٠٤٨هـ



دراسة في الأحوال السياسية والاقتصادية

رسالة تقدم بها


حسين محمد القهواتي


الى

مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد وهي جزء

من متطلبات درجة ماجستير آداب في التاريخ الحديث

كانون الثاني - ١٩٧٥

نشهد بأننا أعضاء هيئة المناقشة اطلعنا على هذه الرسالة وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونعتقد بأنها جديرة بالقبول بتقدير ( ) لنيل درجة ماجستير آداب في التاريخ .



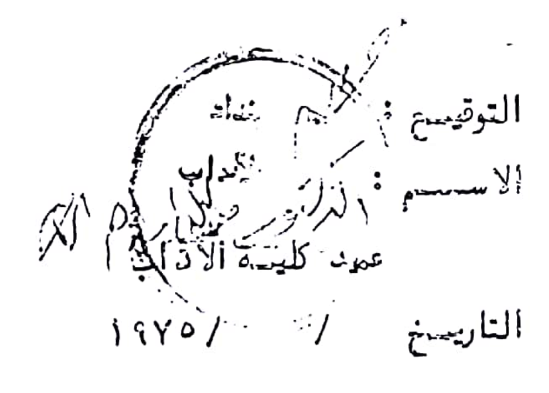
التوقيع :
الاسم : الدكتور عبد الوهاب القيسي
العضو

التوقيع :
الاسم : الدكتور محمد محمد صالح
العضو

التوقيع :
الاسم : الدكتور جعفر حسين خصباك
العضو

التوقيع :
الاسم : الدكتور ياسين عبد الكريم
الرئيس

صدقت لمجلس كلية الآداب .



التوقيع :
الاسم : الدكتور [illegible]
عميد كلية الآداب

التاريخ / / ١٩٧٥

- د -

المحتويـــات

الصفحـة

المقدمـة

الصفحة

الصفحـــة

الصفحـــة

الصفحة

## المقدمة

## نطاق البحث والمصادر

## المقدمة

ان بحثنا هذا يدور حول تاريخ العراق السياسي والاقتصادي بين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني ، اي منذ بدء مراحل احتلاله الاول من قبل العثمانيين في الفترة ( ٩٢١ هـ - ٩٤١ هـ )/ ( ١٥١٥ - ١٥٣٤م ) وحتى اعادة احتلاله من قبل السلطان مراد الرابع عام ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨م بعد ان استحوذ عليه الصفويون ردحا من الزمن .

ولتوضيح فكرة البحث وابعاد الفترة لا بد لنا ان نشير الى ان اصطلاح العراق الذي نعرفه اليوم لم يكن كما هو عند احتلاله من قبل العثمانيين وانما كان اسم العراق العربي (١) ، يطلق على المنطقة الممتدة بين حديثة دجلة شمالا والخليج العربي (٢) جنوبا وبين القادسية غربا وحلوان في الجبال شرقا وبمقدار ما يتعلق الامر ببحثنا كانت تتاخمه اقاليم هي خوزستان (٣) وفارس والعراق العجمي وكردستان والجزيرة والصحراء الشامية ،

---

(١) للاستزادة عن التطورات التي طرأت على هذا الاصطلاح يراجع : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء ( ت ٧٣٢ هـ ) ، كتاب تقويم البلدان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠م ، ص ٢٩٥ .
ابو العباس احمد بن علي القلقشندي ( ت ٨٢١ هـ ) ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، ج ٤ ، القاهرة ، ص ٣٣٦ .
حمد الله مستوفي قزويني ، كتاب نزهة القلوب ، بسعي واهتمام وتصحيح كاى لسترانج ، مطبعة بريل ، ليدن ، هولاند ، ١٣٣١ هـ / ١٩١٣م ص ص ٢٨ - ٤٧ .

(٢) يسمي مؤرخ فارسي مجهول الف كتابه عام ٣٧٢ هـ هذا الخليج باسم ( خليج العراق ) لا الخليج الفارسي ويذكر بان جميع سكان سواحله عرب وانه يشكل حدود العراق العربي من الجنوب . انظر :
دكتور منوچهر ستوده ( محقق ) حدود العالم ، من المشرق الى المغرب ، چابخانه دانشگاه تهران ، تهران - ١٣٤٠ شمس . ص ص ١١ - ١٢ .

(٣) عربستان او الاهواز انظر هامش رقم ٤ ص ٢٦

لذا ستشمل دراستنا من هذه الاقاليم ، العراق العربي برمته بالاضافة الى اجـــزاء
من كردستان ومنطقة ديار ربيعة من الجزيرة وقسم من الصحراء الغربية التي صـــارت
تشكل فيما بعد العراق الحديث واستنادا الى هذا المفهوم فان العثمانيين لـــــم
يسيطروا على كل اقسام العراق في آن واحد ~~كما اصطلح على ذلك معظم المؤرخين~~
~~المحدثين~~ ، وانما بسطوا نفوذهم على شماله في اعقاب معركة جالديران اى عام ٩٢١هـ/
١٥١٥م والحقوا به بغداد وتوابعها عام ٩٤١هـ / ١٥٣٤م في حين تأخر احتلالهم
للبصرة الى عام ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م ورغم تكامل احتلاله في هذا التاريخ الا ان السيطرة
العثمانية لم تكن تامة على كل المقاطعات الآنفة الذكر وانما اقتصرت بعض الاحيان على
حواضر المدن الرئيسة وبعض السناجق المهمة منها لان الاحداث التاريخية تشير الى
أن الصحراء الغربية كانت تحت سيطرة عشائر بدوية على رأسها شيخ من اسرة ابي ريشه ،
كما ان الاراضي الممتدة بين البصرة والكوفة كانت تحت نفوذ آل قشعم اما حكام اردلان في
اقليم شهرزور فانهم تأرجحوا بين الدولتين العثمانية والصفوية طيلة القرن السادس عشر
في حين كانت البطائح وكل اطراف البصرة تحت نفوذ آل عليان وآل مغامس الذين دوّخوا
الحاميات العثمانية هناك حتى اضطر والي البصرة عام ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م الى بيـــع
منصبه الى افراسياب احد الجنود السكبانيين المحليين الذى حاول الاستقلال بولايتـــه
وكان ذلك ايذانا بقيام بعض الحركات المناهضة للدولة العثمانية في بغداد ابتـــداء
بحسن باشا الصوقلي ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م ومرورا بآل الطويل ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م ،
وانتهاء ببكر صوباشي عام ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م ، تلك الحركات هي التي مهدت الســـبيل
للاحتلال الصفوى الثاني للعراق الذى لم يدم بدوره سوى خمسة عشر عاما حيث استـــطاع
السلطان مراد الرابع بعدها اعادة احتلاله من جديد عام ١٦٣٨م .

Scanned by CamScanner

لقد تناولت معظم البحوث التاريخية الحديثة باسهاب تاريخ العراق السياسي بعيد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧م بينما لا زالت فترة سبعة قرون من تاريخه الوسيط والحديث سبقت ذلك تنتظر جهود الباحثين ليسلطوا عليها بعض الاضواء للكشف عما يكتنف احداثها من غموض وهي فترات غنية بالعبر زاخرة بالاحداث الجسام مليئة بالصراعات المريرة بين القوى المحلية والاجنبية ومتخمة بالكوارث والويلات والمحن عانى منها الشعب في العراق كثيرا ولكنه استطاع بصبره واصالة تراثه الذى ميزته اللغة العربية وآدابها ان يتخطاها ويتجاوزها بل يفرض قيمه على الوافدين انفسهم وهي لا تقل روعة عن بطولاته في ايام الازدهار والبناء الحضارى .

ولكن هناك عوائق كانت ولا تزال تقف في وجه الباحثين الراغبين في الخوض في مثل هذه الدراسات ، تأتي في مقدمتها شحة المصادر والموارد التاريخية ، حتى القليل المتوافر منها كتب بلغات اجنبية بسبب افتقار البلاد الى مؤرخين محليين في تلك الفترات لذا لا بدّ للباحث الذى تستهويه مثل هذه المواضيع ان يبذل المزيد من الجهد ويتحلى بالشديد من الصبر ويلمّ بعدد من اللغات الاجنبية ليستطيع الوصول الى غايته العلمية .

يضم بحثنا هذا خمسة فصول :

تناولنا في الفصل الاول منها الاوضاع السياسية في العراق والمناطق المجاورة قبيل الاحتلال العثماني الاول لبغداد اى خلال الفترة ( ١٥٠٠ ـ ١٥٣٤ ) وتطرقنا بشكل خاص الى نشأة الدولة الصفوية وايديولوجيتها واحتلالها للعراق وتزايد نشاطها المذهبي في الاناضول وردود فعل العثمانيين تجاهها وبدء الصراع بينهما الذى سيشكل العراق جزء من مسرحه ، وقد ربما يعتبر هذا الفصل تمهيدا ضروريا لبيان

الاحداث اللاحقة فهو أساسي لما يتعلق بشمال العراق الذى جرى الصراع حولـــه منذ معركة جالديران عام ٩٢٠ هـ / ١٥١٤م وهي بداية الارهاصات الاولى للاحتلال العثماني الاول لاجزاء من العراق الحديث .

وخصصنا الفصل الثاني لولاية بغداد خلال العهد العثماني الاول بـــين ( ٩٤١ – ١٠٣٣ هـ ) / ( ١٥٣٤ – ١٦٢٣م ) ، حيث وضحنا دوافع احتلال بغداد ومسار حملة السلطان سليمان القانوني اليها واعماله ومنجزاته فيها وقارنّا بين موقفه وموقف الصفويين من مزارات المشايخ ومراقد الائمة وتنظيماته الجديدة وتوسعنا في ذكر قضاة بغداد وولاتها .

وجعلنا الفصل الثالث متمماً لاحداث ولاية بغداد خلال فترة حكم بكر صوباشي ( ١٦٢١ – ١٦٢٣ ) والعهد الصفوي الثاني ( ١٦٢٣ – ١٦٣٨ ) لان لها ميزتها واهميتها وتتبعنا مراحل الاحتلال واستمرار حروب الاسترداد التي بدأت بحملــة حافظ احمد وانتهت بدخول جيش السلطان مراد الرابع بغداد عام ١٦٣٨م فاتحـــا اياها من جديد .

وتناولنا في الفصل الرابع الاحداث المهمة في مناطق البصرة والموصل وكردستان بين الاحتلالين العثمانيين حيث تطرقنا فيه الى مراحل احتلال العثمانيين للبصـــرة وبدء صراعهم مع البرتغاليين ومقاومة العشائر العربية في اطرافها للاحتلال الجديـــد لا سيما ثورة آل عليان في البطائح ونجاح آل افراسياب في تأسيس امارة شبه مستقلة في البصرة عام ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م وتتبعنا احداث الموصل ، ومشاكل الحــــدود العثمانية الصفوية بقدر ما يتعلق الامر بالعراق والصراع بين الدولتين المذكورتين على كردستان .

اما الفصل الخامس فقد كرس للحالة الاقتصادية في العراق بين الاحتلالين تناولنا فيه الزراعة وملكيات الارض الزراعية والتجارة وتأثير اكتشاف رأس الرجاء الصالح عليها وطرقها الداخلية والخارجية وما ترتب على ذلك من نظام للضرائب والرسوم وقمنا بدراسة مقارنة للنقود والمكاييل والموازين والمقاييس التي سادت العراق في تلك الفترة .

لقد اعتمدنا في اعداد هذه الرسالة على كثير من السجلات والمصادر الاولية العربية والاجنبية التي يمكننا تصنيفها وتقييمها على الوجه الآتي :ـ

١ـ السجلات العثمانية : واعترافا بالجميل اذكر أن البرفسور برنارد لويس اشار في مقالة كتبها عام ١٩٥٠ في مجلة Journal of the Royal Asiatic Society تحت عنوان :

The Ottoman Archives as a Source for the History of the Arab Lands.

الى ان هناك اكداسا من الوثائق الهامة التي تنتظر انامل الباحثين لاعادة كتابة التاريخ العربي الحديث منذ القرن السادس عشر حتى اوائل القرن العشرين ~~ولكنه اضاف الى ذلك قوله بان العثور على ما يحتاج اليه الباحثون وثائق يعتبر من باب الحظ والصدفة اكثر منه من باب الدراية والتحقيق~~ وقد استطعت الاطلاع على مصورات السجلات العثمانية الخاصة بالولايات العراقية (١) التي اشار اليها البرفسور الآنف الذكر والتي صنفتها الى مجموعتين : الاولى بعنوان ( مفصل والثانية بعنوان اجمال ) .

فالمفصل منها تبدأ بالقانونامه التي وضعها السلطان سليمان القانوني وتشمل تفصيلات عن المقاطعات سواء كانت من نوع خاص وهي للسلطان والولاة أو من نوع زعامات وتيمارات او املاك خاصة واوقاف في مختلف سناجق الولاية وفي

(١) مودعة في مكتبة الدراسات العليا ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ومكتبة المجمع العلمي العراقي .

بعضها تفاصيل عن اسماء الفلاحين ونوع الغلة ومقاديرها بالاضافة الى تطرقها للضرائب والرسوم احياناً .

اما الاجمال فهي سجلات تعطي اجمالية سريعة وتشمل تفصيلات عن خواص السلاطين والولاة وكذلك التيمارات والاملاك الخاصة واراضي الوقف ويشار في هوامشها الى تحول ملكيات بعضها او التزامها من شخص الى آخر مع ذكر سبب ذلك وتاريخه .

ومن الجدير بالذكر ان لغة هذه السجلات هي التركية المشوبة بالفارسية والعربية وبعضها يحمل تاريخا واسما للسلطان القائم والبعض الاخر يفتقر الى ذلك ، والسجلات التي اطلعنا عليها كانت في الاصل موجودة في الولايات العراقية وسناجقها ارسلت بعد تدوين المعلومات فيها الى القسطنطينية .

ويمكن تصنيفها على الشكل التالي (١) :-

مفصل ولاية الموصل دفتر رقم ( ١٩٥ ) عدد لوحات ( ٧٩ ) (٢) تسع وسبعون مؤرخ بين عام ( ٩٤٩ - ٩٥١ هـ ) / ( ١٥٤١ - ١٥٤٤ م )

مفصل آخر لولاية الموصل دفتر رقم ٦٦٠ مؤرخ في عهد السلطان مراد الثالث ( ١٥٧٤ - ١٥٩٥ ) . عدد لوحاته ٢٢٩ .

مفصل ولاية بغداد دفتر رقم ( ٣٨٦ ) ثلثمئة وستة وثمانين عدد لوحاته ( ١٣٢ ) مئة واثنان وثلاثون مؤرخ ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ م .

مفصل آخر لولاية بغداد دفتر رقم ( ١٠٤٩ ) الف وتسعة واربعين عدد لوحاته ( ٥٢ ) اثنان وخمسون مؤرخ عام ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ م .

اجمال سبعة سناجق لولاية بغداد دفتر رقم ( ١٠٢٨ ) الف وثمانية وعشرين عدد لوحاته ( ٦٦ ) (٣) ستة وستون بدون تاريخ .

(١) وقد اعتمدت على مقالة برنارد لويس وعلى مصورات السجلات في التصنيف .
(٢) ذكرها برنارد لويس ٧٥ لوحة .
(٣) ذكرها برنارد لويس ٦٠ لوحة .

مفصل ولاية البصرة دفتر رقم ٢٨٢ عدد لوحاته ١٧٤ مائة واربع وسبعون مؤرخ ٩٥٩ هـ / ١٥٥١م

اجمال ولاية البصرة دفتر رقم ٥٣٤ خمسمئة واربعة وثلاثين عدد لوحاته ( ٢١ ) احدى وعشرون مؤرخ ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤م .

٢ـ الوثائق المنشورة : ومنها :

مجموعة منشآت فريدون بك المتوفى ٩٩١ هـ / ١٥٨٢م في جزئين وهو كتاب وثائقي يضم بين دفتيه عشرات الوثائق الهامة والمراسلات بين السلاطين العثمانيين وشاهات ايران في فترة بحثنا وقد ذيّله ناشر الكتاب وضمّنه وثائق اخرى تعود للفترة بعد عام ٩٩١ هـ / ١٥٨٢م وبين تلك الوثائق رسالة باللغة العربية موجهة من احد السلاطين العثمانيين يحتمل ان يكون السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ـ ١٥٧٤ ) الى علي بن عليان امير الجوازر .

وهناك ثلاثة مجموعات وثائقية هامة جمع محتوياتها وعلّق عليها الدكتور عبد الحسين نوائي من مختلف المخطوطات والسجلات لثلاثة من شاهات ايران في العهد الصفوي في ثلاثة كتب باللغة الفارسية هي :

كتاب شاه اسماعيل صفوي ( ١٥٠١ ـ ١٥٢٤ ) ويحوي مراسلاته مع السلطانين بايزيد الثاني وسليم الاول ويستطيع الباحث بقراءة بعض نصوصه التوصل الى بعض الحقائق المفيدة ويسهل عليه فهم طبيعة الفترة من خلال لهجة تلك الرسائل .

وكتاب شاه طهماسب صفوي ( ١٥٢٤ـ ١٥٧٦ ) وهو خاص بمراسلاته مع السلاطين العثمانيين سليمان القانوني وسليم الثاني ومراد الثالث ومخاطباته مع ولاته وقواده ومتولي الاوقاف وامراء المشعشعين .

واخيرا كتاب شاه عباس صفوى ( ١٥٨٧ ـ ١٦٢٩ ) وهو يضم مراسلاته مع العثمانيين واوامره الى ولاته في ارجاء مملكته وهكذا نجد ان هذه المجموعة الوثائقية تغطي تقريبا فترة دراستنا ونجد بين سطور مراسلات السلاطين العثمانيين والشاهات الصفويين نتفا من اخبار العراق ٠

ومن الوثائق الهامة الاخرى :

رسالة والي بغداد اسكندر باشا ٩٧٤ هـ/ ١٥٦٦م الى علي بن عليان امير الجوازر وجواب الاخير عليها منشورتان في الجزء الثاني من كتاب زهر الربيع لنعمة الله الجزائرى ٠

ونص معاهدة عام ١٠٤٩ هـ / ١٦٣٩م التي عقدت بين السلطان مراد الرابع والشاه صفي صفوى وتخص حدود العراق الشرقية باللغتين الفارسية والتركية منشورة في ذيل تاريخ عالم اراى عباسي لمحمد يوسف ٠

ومن الوثائق المنشورة باللغة الانكليزية :

The English Factories In India

تام بجمعها ونشرها في ثلاثة عشر مجلدا William Foster وهي تحوى مراسلات الوكالات البريطانية بعضها مع البعض الاخر اينما وجدت ٠ منها على سبيل المثال : سورات واحمد آباد ومولي وكميرون ( اى بندر عباس ) بالاضافة على احتوائها على مجموعة رسائل من بعض موظفيها وتجارها في المناطق التي خلت من الوكالات مثل البصرة وفيها اخبار النشاطات التجارية ونوع السلع الداخلة في تجارة العراق عامة والبصرة خاصة واسعارها وانواع العملة السائدة فيها ، وقد استفدنا من الاجزاء الاربعة الاولى منها التي تقع ضمن فترة بحثنا ٠

ومن تلك الوثائق التجارية ايضا :

A clandar of the Court Minutes of the East India Company.

وقد نشرت من قبل Ethel Bruce Sainsbury

وقدم لها William Foster

وهي في عدة مجلدات تضم مدونات شركة الهند الشرقية لا سيما بعد ان اتسعت وكالتها حتى صارت تشمل البحر الاحمر وبلاد فارس من الغرب الى اليابان في الشرق وبعضها منقول من الكتاب الاسود للشركة رقم ( ٢٩ ) والبعض الآخر من مجلدات مختلفة من Rublic Record office : East Indies

ومجلد واحد منها تقع احداثه بين ١٦٢٥ ــ ١٦٣٩ م يمكن الاستفادة منه في حقل معادلة النقود . اما المجلدات الاخرى منها فهي خارجة عن فترة بحثنا .

كما استفدنا من كتاب وثائقي آخر نشر باللغة الانكليزية باسم :

Documents from Islamic chanceries.

تحقيق : S.M. Stern

ويحتوي ثلاث رسائل من الملكة صفية زوجة السلطان مراد الثالث الى الملكة اليزابيث ملكة انكلترا في احداها اشارة الى الجوزير وادعاء الاستيلاء عليها .

وفي الكتاب ايضا ست وثائق صفوية في واحدة منها توجيهات الشاه طهماسب الى متولي الاوقاف .

٣ ــ المخطوطات :

هناك قليل من المخطوطات المدونة باللغة العربية اطلعنا على بعضها بشكل مباشر بينما اطلعنا على نصوص بعضها الآخر وبخاصة ما يتعلق منها بتاريخ العراق على هوامش المراجع الحديثة الا ان معظم هذه المخطوطات تعود لفترات لاحقة لدراستنا

ومعظم نصوصها مستبذلة من قبل الباحثين المحدثين ولا يجد الباحث بين سطورها اكثر مما تناولته المصادر الاولية نذكر منها :

الآثار الجلية في الحوادث الارضية لياسين بن خير الله العمري يؤرخ لغاية ١٢٢٦هـ / ١٨٢١م .

وتاريخ الدر المكنون في مآثر الماضية من القرون - لنفس المؤلف .

وتاريخ عيون أخبار الاعيان لاحمد بن عبد الله الغرابي البغدادي الفه عام ١١٠١هـ .

تحفة الازهار وزلال الانهار في نسب الائمة الاطهار لابن شدقم كان حيا عام ١٠٧٧هـ

المصادر العربية المطبوعة :

اعتمدنا بشكل خاص على كتب التراجم منها وبخاصة تلك المعاصرة او القريبة من فترتنا وهي تضم اخبارا كثيرة لكنها مضطربة لان معظمها كتب بعقلية غير علمية تلقي على مؤلفيها العواطف المشوبة بالمحاباة الا أن الباحث لا يمكنه الاستغناء عنها ابدا حيث نجد بين وريقاتها الكثير من الاخبار النادرة : ومن هذه الكتب :

الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لاحمد عصام الدين ابي الخير بن مصطفى بن خليل طاش كبري زاده المتوفى ٩٦٨هـ / ١٥٦٠م . وهو مدون على هامش الجزء الاول من كتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان .

وتاريخ النور السافر عن اخبار القرن العاشر ، لمحي الدين عبد القادر بن شيخ عبد الله العيدروسي ( من رجال القرن العاشر ) صححه وضبطه الاستاذ محمد رشيد افندي الصفار .

وكتاب العقد المنظوم في ذكر افاضل الروم لعلي بن بالي المتوفى ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤ وهو مدون على هامش الجزء الثاني من كتاب وفيات الاعيان وابناء انباء الزمان لابن خلكان

وكتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، للشيخ قطب الدين محمد بن احمد النهروالي المكي المتوفى ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م .

وتراجم الاعيان من ابناء الزمان للحسن بن محمد ابي الضياء البوريني المتوفى ١٠٢٤ هـ / ١٦١٥م ، وقد ظهر منه جزءان محققان من قبل الدكتور صلاح الدين المنجد .

والكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة للشيخ محمد نجم الدين الغزى المتوفى ١٠٦١ هـ / ١٦٥١م في ثلاثة اجزاء تحقيق الدكتور جبرائيل سليمان جبور .

وشذرات الذهب في اخبار من ذهب لابي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي المتوفى ١٠٨٩ هـ استفدنا من جزئه الثامن .

وكتاب روضات الجنات في احوال العلماء والسادات للميرزا محمد باقر الموسوى الخونسارى المتوفى ١٣١٣ هـ في اربعة اجزاء في مجلد واحد طبعة حجر وقد ظهرت منه طبعة جديدة مفهرسة في ثمانية اجزاء وهو يعتمد على معظم كتب رجال الشيعة قبله .

ومن الكتب العربية الاخرى التي لها اهمية في بحثنا : كتاب معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر ، تأليف الشيخ نعمان بن محمد بن العراق من رجال القرن العاشر حققه الدكتور محمد حميد الله من مجمع البحوث الاسلامية في الباكستان وبذلك قدم خدمة علمية كبيرة بنشره لهذا الكتاب الهام الذى يتناول فترة مجهولة من تاريخ البصرة بل ويصحح اخطاء شائعة عن تاريخها . رغم ان المحقق لم يوفق في العثور على ترجمة حياة المؤلف ، وقد استطعت التوصل الى ترجمة كاملة لاصل ونسب نعمان بن محمد بن العراق والى ثقافة اسرته اشرت الى تفاصيل ذلك في احد هوامش الفصل الثالث من هذا البحث .

وكتاب قلائد الجواهر لمحمد بن يحي الربيعي التاديفي المتوفى ٩٦٣هـ / ١٥٥٥ وتأتي اهمية هذا الكتاب لكونه معاصرا للفترة التي نبحثها رغم ان مؤلفه كان يقيم في حلب

الا انه ذكر احداثا تتعلق بالعراق وبخاصة اخبار مشايخ الطريقة القادرية التي ينتمي اليها المؤلف ، واقواله بشأن المزارات والمراقد تختلف كليا عن اخبار المؤرخين اللاحقين التي اتصفت بالمبالغة والتهويل .

واستفدنا ايضا من كتاب اخبار الدول وآثار الأول لابي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي القرماني المتوفى ١٠١٩ هـ / ١٦٠٩م . حيث ينفرد بذكر اخبار معينة عن العراق .

ومن المصادر الاساسية التي لا يمكن للباحث عن تاريخ البصرة عامة واسرة افراسياب خاصة ان يستغني عنها هي :

كتاب السيرة المرضية في شرح الفرضية لعبد علي بن ناصر الشهير بابن رحمة الحويزي وقد عاصر المؤلف معظم الفترة التي كتب عنها وهي ( ١٠٣٣ — ١٠٥٣ هـ / ١٦٢٣ — ١٦٤٣م ) وقد اقتبس الاستاذ محمد الغال من هذا الكتاب ما يخص اسرة افراسياب واسماه تاريخ الامارة الافراسيابية .

وتوءام الكتاب السالف الذكر هو زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر فيما جرى لحسين باشا ابن افراسياب حاكم البصرة للشيخ فتح الله بن علوان الكعبي الذى ولد ونشأ في القبان وتوفي بعد عام ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩م .

ومن المصادر الهامة المترجمة الى اللغة العربية كتاب الشرفنامة لشرف خان البدليسي المتوفى ١٠١٢ هـ / ١٦٠٣م ويؤرخ الفترة بين ٦٨٨ هـ — ١٠٠٥ هـ / ١٢٨٩ — ١٥٩٦ م ) متناولا السلاطين العثمانيين ومعاصريهم من حكام ايران وآسيا الوسطى وهو يعتمد في الفترات السابقة على خواند مير وكتابه حبيب السير وعلى القاضي احمد غفارى وكتابه جهان آرا ، وقد قدم كتابه هدية الى السلطان العثماني محمد الثالث ( ١٥٩٥ — ١٦٠٣ ) ومما تميز هذا الكتاب بالحياد النسبي لان مؤلفه ترعرع في

بباه بين اسرة الشاه طهماسب الاول ثم نصّب اميرا على الاكراد وعمل مخلصا على اخضاع ولاية جيلان التي عهد بها اليه ثم استدعي الى بلاط الشاه اسماعيل الثاني ( ١٥٧٦ – ١٥٧٧ ) وعيّن حاكما على نخجوان ثم استماله السلطان مراد الثالث ( ١٥٧٤ – ١٥٩٥ ) واجلسه على عرش آبائه في بدليسي وفي عام ١٠٠٥ هـ / ١٥٩٦ تنازل عن الحكم لابنه شمس الدين كي يتم تاريخه عن الكرد الذي الفّه باللغة الفارسية وعنوانه شرفنامة وقد ترجم هذا الاثر الهام جدا الى التركية والفرنسية والعربية واخيرا الى الكردية .

ومن المصادر الهامة الاخرى عن فترة بحثنا كتاب گلشن خلفا لنظمي زادة المترجم الى العربية ويبدأ بذكر احداث بني العباس ويتناول خلفائهم وحالة بغداد حتى سقوطها ثم يذكر احداث العراق في العهد الايلخاني والجلائري وعهد القره قونيلو والآق قونيلو ثم يفصّل في ذكر اخبار الدولة العثمانية في العراق ويؤرخ لغاية عام ١١٣٠ هـ

ومن بين الكتب التي تناولت احداث العراق واعتمدها معظم المؤرخين المعنيين بدراسة تاريخ العراق في العهد العثماني هو كتاب ولاة البصرة ومتسلميها ، بين ( ١٠٤ – ١٢٤٢ ) لابن غملاس وتتمة ذيلة الناشر الى عام ١٣٣٣ أي الى نهاية الحكم العثماني في العراق وقد دونت سالنامات البصرة منذ عام ١٣٠٨ هـ نصوص هذا الكتاب كتاريخ لولاية البصرة وبذلك ساعدت في ترويج معظم اخطاء وتخبطات هذا المؤلف بين الناس .

هذا ولا يمكن أن ننسى مطلقا اهمية بعض المراجع الحديثة التي استأنسنا بآراء مؤلفيها وعللنا مصادرها ورجعنا اليها اخص بالذكر منها ، جميع كتب المرحوم الاستاذ عباس العزاوي المثبتة في قائمة المصادر وحيث يعتبر المؤلف الرائد الاول في ميدان هذه الدراسات ولم ينافسه فيها سوى المرحوم الاستاذ المحقق يعقوب سركيس في بحوثه التي كتبها في مختلف المجلات العراقية والعربية تم جمعها في كتاب مباحث عراقية صدر

قسمين ، ولكتاب اربعة قرون في تاريخ العراق الحديث لستيفن لونكريك رغم شموليته وتسرع كاتبه في اصدار احكامه اهمية خاصة في هذه الدراسة سواء في مناقشة آرائه والاستفادة من قائمة مصادره وبخاصة كتب الرحلات .

وهناك عديد من المراجع العربية التي تتفاوت فائدتها بالنسبة لهذا البحث مثبتة في قائمة المصادر .

٤ـ المصادر التركية المطبوعة :

وهذه المصادر غنية بأخبار العراق وتأتي اهميتها لكون مؤلفي بعضها معاصرين للفترة التي تكتب عنها او قريبين منها وان كانت اخبارها ورواياتها لا تخلو من روح التعصب أحيانا وبخاصة في المجالات التي تتطلب ذلك ، وهي مصادر اساسية لأي باحث يرغب الدخول في مثل دراستنا هذه ، أما أسلوب التدوين فيها فهو متأثر بطريقة تدوين التاريخ الاسلامي وعلى غرار المؤرخين المسلمين كالطبري وابن الاثير وغيرهم . فعلى سبيل المثال أن المؤرخ ابراهيم پچوى المتوفى ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م يغطي في كتابه تاريخ پچوى في جزئين ، اخبار الفترة ٩٢٦ ـ ١٠٤٩ هـ / ١٥٢٠ ـ ١٦٤٠ م ) وكتابه يعتبر من احسن المصادر العثمانية عن تاريخ الفترة الآنفة الذكر وهو يعتمد في تاريخ الحوادث السابقة على الروايات القديمة التي رواها مؤرخون عثمانيون امثال زاده وعالي اما الحوادث التي وقعت في عهده فيرويها اما كشاهد عيان أو نقلا لما سمع . ويتناول الجزء الاول من جملة ما يتناول فتوحات السلطان سليمان القانوني وفتح العراقين وثورة آل عليان وتنتهي احداثه بوفاة السلطان سليم الثاني في الوقت الذي يؤرخ الجزء الثاني احداث السلاطين العثمانيين ابتداء من مراد الثالث ١٥٧٤ ـ ١٥٩٥ ) وانتهاء بمراد الرابع ( ١٦٢٣ ـ ١٦٤٠ م ) .

وعلى غرار هذا الكتاب يؤرخ بقية المؤرخين العثمانيين وان اختلف بعضهم في الجزئيات الا أن لكل منهم ميزته الخاصة ومنهم :

حاجي خليفة المشهور بكاتب جلبي المتوفى عام ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٧م ومن مؤلفاته تقويم التواريخ ( وقد ذيله محمد افندى ) ويسرد فيه المؤلف احداثا قصيرة وسريعة . وكتاب كشف الظنون في جزئين وجهانما وفذلكة كاتب جلبي .

والمؤلف محمد ظلي ابن درويش المعروف باوليا جلبي المتوفى ١٠٩٠ هـ / ١٦٧٩م وكتابه سياحتنامه سي في أربعة أجزاء وقد ترجم الجزآن الاولان منه الى اللغة الانكليزية .

ويضم اخبارا كثيرة عن العراق رغم انه يبالغ في بعضها .

ومصطفى نعيما الحلبي المتوفى ١١٢٨ هـ / ١٧١٦م في كتابه روضة الحسين في خلاصة اخبار الخافقين . استفدنا من ثلاثة أجزاء منه ، يؤرخ الجزء الاول الفترة بين ١٠٠٠ هـ — ١٠١٥ . أما الجزء الثاني فانه يؤرخ الفترة ١٠١٦ — ١٠٣٨ هـ . اما الجزء الثالث فانه يتناول حروب الاسترداد العثمانية ويفصل في حملة السلطان مراد الى العراق ويذكر احداثا كثيرة وهامة عن العراق .

ودرويش احمد بن لطف الله السرلوى المعروف بمنجم باشي المتوفى عام ١١١٣هـ / ١٧٠١م وهو مؤلف كتاب جامع الدولة باللغة العربية وقد ترجم الشاعر نديم افندى وهو من رجال القرن الثامن عشر جزء من هذا الكتاب الى التركية باسم منجم باشي تاريخي بجلد ثالثي اما النص العربي فيوجد منه ثلاث نسخ في اسطنبول أوضحها نسخة طوبقابي وقد كلفت صديقي الاستاذ حسين الداقوقي اثناء وجوده هناك لتصويره الا ان اصرار المشرفين على المكتبة بالتمسك باجراءات معقدة كثيرة منها مبادلته بمصورات

مخطوطات معينة حالت دون ذلك . ولكن الاستاذ قرأ لي مشكورا ما يتعلق ببحثي ولم اجد فيه ما هو جوهري او يختلف عن سائر المؤلفات الاخرى التي تناولت تاريخ العراق .

وقائمة المصادر التركية قد تعوض عن اسماء الكتب الاخرى المهمة التي ساهمت في خلق محتويات هذا البحث .

٦– الكتب الفارسية المطبوعة :

من بين المصادر التاريخية التي دونت بالفارسية طائفة لها علاقة بتاريخ العراق في الفترة التي سبقت الاحتلال الصفوي الاول او خلاله وطائفة اخرى تناولت احداث العراق بمقدار ما يتعلق الامر بالصراع العسكري العثماني الصفوي على مناطق الحدود الذي كان العراق جزءا اساسيا منه ولا يخلو بعضها من روح التحامل والمبالغة حيث تمجد الشاهات الايرانيين وتنسب اليهم الخوارق وتنعت قادتهم بالبطولات الا ان الباحث يستطيع اخضاعها للمنهج العلمي بمقارنتها بمثيلاتها من المصادر التركية ليجردها من التهويلات ويقترب بها الى الحقائق التاريخية التي يسعى اليها ، ومنها :

كتاب روضة الصفا لميرخواند المتوفي ٩٠٣ هـ في سبعة اجزاء قيل أن الجزء (٧) من تأليف حفيده من ابنته غياث الدين بن همام الدين المعروف بخواند مير من الادباء والمؤرخين في القرن العاشر الهجري . وقد ذيله رضا قلي خان المتخلص بهدايت في عهد ناصر الدين شاه القاجاري في ثلاثة مجلدات شملت العهد الصفوي والافشاري والزندي والقاجاري اسماه بروضة الصفا ناصري .

ومن الكتب المهمة الاخرى لفترة الاحتلال الصفوي الاول للعراق كتاب حبيب السير في اخبار افراد بشر ، لغياث الدين بن همام الدين الحسيني المدعو بخواند مير في اربعة اجزاء .

وكتاب لب التواريخ ليحيي بن عبد اللطيف القزويني الذى انتهى من تأليفه عام ٩٤٨ هـ / ١٥٤١م وهو معاصر للاحداث بل شارك في بعضها مثل معركة چالديران .

ومن المصادر المهمة عن فترة حركة ذى الفقار ٩٣٤ — ٩٣٦ هـ في العراق كتاب تذكرة طهماسب على شكل مذكرات على لسان الشاه نفسه .

ومن المؤرخين الايرانيين ممن تناولوا تاريخ العراق القاضي احمد غفارى القزويني المتوفى ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧م ومؤلفه جهان آرا وله كتاب آخر باسم نگارستان وقد صححه وذيله المؤرخ مرتضى گيلاني .

وكتاب احسن التواريخ لحسن روملو الذى يؤرخ الفترة بين ٩٠٠ هـ — ٩٨٥ هـ وهو معاصر لمعظمها وقد اعتقد بعض المؤرخين الاوربيين امثال Bausani بأن الكتاب ذيل لروضة الصفا الذى اعتبره الجزء الحادى عشر والصحيح انه كتاب مستقل يعتبر من المصادر الهامة جدا عن فترتنا لما يحويه من احداث فريدة ودقيقة .

ومن الكتب التي لا يمكن للباحث ان يستغني عنها ابدا كتاب تاريخ عالم آراى عباسى لاسكندر بك ميرزا تركمان المنشي المتوفى عام ١٠٤٣ هـ / ١٦٣٣م والذى شرع بتأليفه عام ١٠٢٥ هـ وانتهى منه عام ١٠٣٨ هـ وأرخ الاحداث السابقة لعصره بنقلها من كتاب روضة الصفا وحبيب السير ولب التواريخ واحسن التواريخ كما يشير المؤرخ الى ذلك أما الفترة المعاصرة له فقد كتبها كشاهد عيان بل كمرافق للشاه عباس في كل حركاته ومنها احتلاله بغداد عام ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣م حيث يكتب عنها بصورة فريدة ومفصلة ، والكتاب يقع في ثلاث اجزاء في مجلدين يبدأ بقيام الدولة الصفوية وينتهي بوفاة الشاه عباس عام ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٩م ثم يؤرخ مرة اخرى تحت تأثير حاشية الشاه صفي لمدة خمس سنوات اخرى حيث وافاه الاجل عام ١٠٤٣ هـ وقد جمع سهيلي خونساري ما كتبه اسكندر تركمان والحق به احداث الفترة بين ١٠٤٣ — ١٠٥٢ هـ لمؤرخ آخر

يسمى محمد يوسف من كتابه خلد برين اينشركتابا باسم ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ويغطي فترة حكم الشاه صفي (١٠٣٨-١٠٥٢ هـ) .

والواقع ان هناك العديد من المصادر الاخرى التي يمكن تقييم اهميتها عند الاطلاع عليها في هوامش هذه الرسالة .

٧- المصادر الاجنبية الاخرى :

ونذكر منها بشكل خاص كتب الرحلات وهي المورد الاخير الهام من موارد بحثنا هذا ما استطعنا الاستفادة من مدوناتها الخاصة بالحالة التجارية في العراق لكون معظمهم تجارا يكتبون بحماس عن حالة السوق وانواع السلع الشائعة . اما معلوماتهم بخصوص الحالة الاجتماعية والسياسية فتنقصها الدقة كما لا تخلو من المبالغة الواضحة . ومن هذه المصادر :

A narrative of Italian Travels in the 15th and 15th Centuries.

Travels of A Merchant in Persia
Travels of Caterino Zeno

والكتاب ترجمة انكليزية لرحلة بعض التجار البنادقة الى بلاد فارس ومقابلة لسلطان الاق قوينلو اوزون حسن تارة ووصف الشاه اسماعيل الصفوى طورا ورغم اهمية الكتاب لكونه معاصرا للاحداث التي يدونها فهو فريد في فترته الا انه يتسم بروح المبالغة والتهويل خاصة في وصف الحروب .

وكتاب : Richard Hakluyt Voyages

المستدعي قدم له : John Masefield

يشمل نصوص رحلات عدد من الاوربيين الى بغداد والبصرة منهم التاجر البندقي قيصر فردريك (١٥٦٣ م) Casar Fredericke .

والتجار البريطانيين :

M. John Newbery ( 1583 )

M. Ralph Fitch ( 1583 )

M. John Eldred ( 1583 )

ومن كتب الرحلات الاخرى التي افادت هذه الدراسة كتاب :

The Travels of John Sanderson in the Levant (1584-1602)

William Foster

وقد حققه ونشره :

كما ان لرحلة السائح البرتغالي تاكسيرا

The Travels of Peter Teixeira from India to Italy by Land.

اهمية خاصة في هذه الدراسة حيث ان السائح مر بالعراق عام ١٦٠٤م واعطى وصفاً دقيقاً لمعالم الحياة فيها .

وقد ترجم المرحوم الاستاذ جعفر خياط هذه الرحلة من الانكليزية بصورة ملخصة وضمنها آراءه الخاصة ونشرها في مجلة الاقلام السنة الاولى ، تلك الترجمة التي لا يستطيع القارئ ان يميز بين آراء المترجم واقوال السائح لذلك على الباحث الرجوع الى النص الانكليزي للوقوف على آراء السائح نفسه .

ومن كتب الرحلات التي لم ترد في قائمة لونكريك :

Travels of Fray Sebastien Manrique (1629-1643). Vol.II.

حيث يصف السائح في الجزء الثاني رحلته من اصفهان الى بغداد ويعطي وصفا ممتعا للطريق ويبين اوضاع التجارة ويصف طريق بغداد ـ دمشق الصحراوي .

اما رحلة ديلا فال :

The Travels of Sig Pietro Della Valle in East India and Arabia Deserta.

فلها شهرة خاصة لان السائح تزوج في العراق من الست معاني التي احبها كثيرا ومر السائح بالعراق مرتين ، الاولى في عام ١٦١٦م والثانية بعد عودته من الشرق عام ١٦٢٥م وقد اطلعنا على ترجمتها الانكليزية المطبوعة عام ١٦٦٥م . وهناك ترجمة لجزء من رحلته نشرت في مجلة الاحد العدد (٥١) عام ١٩٢٢ .

اما رحلة تافرنييه الى العراق في عامي ١٦٣٢م و ١٦٥٢م فقد ترجمت الى اللغة العربية من قبل بشير فرنسيس وكوركيس عواد تناولا فيها الاحداث الخاصة بالعراق .

وللرحلة ترجمة كاملة باللغة الفارسية تحت عنوان : سفر نامه تاورنيه وآثرنا ذكره هنا مع بقية كتب الرحلات .

وبنا حجة اخرى اعتمدنا العديد من المصادر الانكليزية او المترجمة اليها في مجال هذا البحث نذكر بعضها لاهميته الخاصة . مثل :

Don Juan of Persia, A Shiah Catholic(1560-1604)

ترجمة من الاسبانية الى الانكليزية وقدم له جي لسترينج والكتاب طريف جدا ومؤلفه فارسي ارتد عن الدين الاسلامي عندما ارسل في سفارة من قبل الشاه عباس الى اسبانيا حيث اقام فيها وتقبل الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي .

ومن الكتب التاريخية المركزة عن التنظيمات السياسية الاقتصادية في بلاد

تاريخ كتاب : The Persians, from the Earliest days to the twentieth Century.

المؤلف بالايطالية : Alessandro Bausani

وترجمه الى الانكليزية : J.B. Donne

وبنظرة واحدة على قائمة مصادره يتضح مدى اهميته ودقته ، ولا بدّ من الاشارة الى

كتاب : The Ottoma Turks and the Arabs (1511-1574)

Coeorg William Frederick Stripling

وهو اطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة النوى في الولايات المتحدة عام ١٩٤٢م وقد اعتمد عليه معظم من كتب من الباحثين المحدثين عن تاريخ البلاد العربية في العهد العثماني بل نقل معظمهم نصوصا واضحة منه وتمادى بعضهم الآخر في ترديد بعض اخطائه التاريخية الواضحة وقد علقنا عليه في هوامش هذه الرسالة حيثما تطلب الامر التعليق .

وفي مجال دراسة التنظيمات الاقتصادية والقضائية في الدولة العثمانية والاقطار العربية التابعة لها في عهد السلطان سليمان القانوني لا بدّ من الرجوع الى كتاب :

The Government of Ottoman Empire in the Time of Suleiman the Magnificent by Albert Howe Lybyer.

وهو من الكتب الاساسية باللغة الانكليزية لدراسة نظام الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني

اما كتاب : The History of the Growth and Decay of the Ottman Empire.

للامير ملداغيا : Demetrius Cantemir

وقد ترجمه من اللاتينية الى الانكليزية : N. Tindal

فهو هام ويغطي جزء من احداث فترتنا .

ولا بدّ للباحث الرجوع الى كتاب :

Aliterary History of Persia Vol. IV.,
.Edward G. Browne

للاستفادة من مصادره الاولية ومقتبساته الهامة .

وكذلك كتاب :

The History of Persia from the Most Early Period to the Present Time.

John Malcolm Vol. I.

كما اعتمدنا بشكل خاص على مؤلفين باللغة الفرنسية لهما شهرة واسعة واهمية خاصة عند الباحثين عن الفترات العثمانية التي لها علاقة بالعراق وهما :

Histoire de Baghdad, Clement Haurt

Histoire L' Empire Ottoman, De Hammer.

ومن الجدير بالذكر ان اصل كتاب هامر هو باللغة الالمانيه .

ولهذا الكتاب الاخير ترجمة باللغة التركية .

وقد اعتمدنا على عدد من الاطالس التاريخية لتثبيت مواقع المدن وحدود الاقاليم وتقسيمات الولايات في العراق نذكر منها :

An Historical Geography of the Ottoman Empire from Earliest Times to the End of the Sixteenth Century
Donald Edgar Pitcher

وهو اطلس هام ودقيق لكل من يحاول الخوض في بحث ما يتعلق بالدولة العثمانية .

واخيرا اقول اني بذلت كل ما استطعت من وقت وجهد لتقديم صورة متكاملة
عن الفترة التي تناولتها بالبحث ورغم اني حاولت عن طريق تحليل النصوص القليلة
المبعثرة في ثنايا الوريقات الصفر من كتب التاريخ والتراجم ومن خلال حل رموز زخارف
كتب الرحلات الاجنبية التي طبع معظمها بحروف تختلف اشكالها عن الخط المألوف
وعن طريق حل طلاسم لوحات السجلات العثمانية التي لم تنفع معها احيانا عينان
وعوينتان ومكبرتان للكتابة عن فترة من اشد فترات عراقنا نسيانا لكني لا زلت اشعر بأن
البحث كان مجرد محاولة لدراسة فترة مجهولة وهو بحاجة الى مزيد من التعمق في
جوانب عديدة منه ، الا ان الفرح يغمرني الآن لاني انجزت ما عاهدت نفسي عليه
وانا مسؤول عن كل هفواته ونواقصه ، اما حسناته فأنجزت بفضل توجيهات استاذي
المشرف الدكتور جعفر حسين خصباك وسعة صدره وغزارة علمه وتشجيع اساتذة كرام
اخص بالذكر منهم الاساتذة الدكاترة عبد القادر احمد اليوسف وياسين عبد الكريم
وعبد الامير محمد امين وفاضل حسين ، فبفضلهم جميعا تخطيت الكثير من العقبات
فمنهم من ساهم بشكل مباشر في توجيهي لاختيار واعداد هذه الرسالة ومنهم من انار
لي طريق البحث بنوره وعلمه في السنة التحضيرية .

واني ارغب ان اشكر اساتذة آخرين ساهموا في خلق هذا البحث عن طريق
الترجمة او وضع مكتباتهم الخاصة في متناول طلباتي او اشاراتهم الى مصادر تنفع البحث
منهم الاستاذ حسين الداقوقي والدكتور عباس الوهاب والدكتور زهير مجيد مغامس
والدكتور حسين محفوظ والاستاذ طارق الجنابي والاستاذ جواد الرفيعي .

كما اشكر كل من ساهم من امناء وموظفي المكتبات العامة والخاصة في بغداد
وخارجها في تقديم الخدمات المكتبية من اجل انجاز هذا البحث . وفي الختام اضع
هذا البحث المتواضع بين ايدي اساتذتي الكرام اعضاء لجنة المناقشة ليكون لآرائهم
وتوجيهاتهم الدور الاساسي والاثر الكبير لاتمام نواقص هذه الرسالة .

## - الحالة السياسية في العراق والمناطق المجاورة قبيل الاحتلال الصفوي الاول لبغداد ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م .

### العراق جزء من دولة الآق قوينلو ( ١٤٦٧ - ١٥٠٨ م )

لقد تردى الوضع السياسي في العراق منذ اواخر العهد العباسي[1] وزاده الغزو المغولي ( ١٢٥٨ م ) تأخرا واضطرابا ، فيما اصبح العراق في العهد الجلائري ١٣٣٦ - ١٤١١ م ) ميدانا للحروب الاهلية بين الاخوة الطامعين في العرش[2] ولما آل الامر لدولة القره قوينلو ( ١٤١٠ - ١٤٦٧ م ) تحولت اراضيه الى ساحة للغزوات الموسمية حتى اذا انفرد جهانشاه ( ١٤٣٤ - ١٤٦٧ م ) من هذه الاسرة في حكمها عمد الى تعيين ابنه بير بوداق السيء الصيت حاكما على بغداد ولما تمادى هذا في العصيان اضطر والده الى ارسال جيش لتأديبه وبادر الجيش بفرض حصار على مدينة بغداد دام قرابة عامين ( ١٤٦٤ - ١٤٦٥ م ) اضطر فيها السكان الى أكل الجيف والبحث عن فتات الطعام في المزابل[3] تلك كانت حالة العراق في عهد القره قوينلو

---

(١) للاستزادة عن دراسة أحوال العراق في الفترة التي سبقت الغزو المغولي وخلال مراحل الاحتلال يراجع : د . جعفر حسين خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ، الطبعة الاولى ، مطبعة العاني ، ( بغداد ، ١٩٦٨ ) .

(٢) عن الفترة الجلائرية أنظر : د . شيرين بياني ، تاريخ آل جلاير ، دانشكاه تهران ، ( تهران - ١٣٤٥ شمسي ) وشهاب الدين عبد الله بن لطف الله بن عبد الرشيد الخوافي حافظ ابرو ، ذيل جامع التواريخ رشيدي ، شركة تضامني علمي ، ( تهران - ١٣١٧ هـ ) ومير محمد بن سيد برهان الدين ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، ج ٥ ، ج ٦ ، چاب بيروز ، تهران ١٣٣٩ شمسي .

(٣) للاستزادة عن دولة القره قوينلو ( دولة الخراف السود ) والآق قوينلو ( دولة الخراف البيض ) يراجع : عبد الله بن فتح الله الغياثي ، كتاب التاريخ الغياثي ، ( ... )

# الفصل الاول

## الاوضاع السياسية في العراق والمناطق المجاورة

## قبيل الاحتلال العثماني الاول لبغداد

٩٠٦ هـ — ٩٤١ هـ

١٥٠٠ — ١٥٣٤م

ولم يتحسن وضعه عندما آل حكمه الى قبيلة الآق قوينلو التي كان يتزعمها اوزون حسن والذي استطاع الانتصار على خصمه جهانشاه (١)، وافلح في ضم العراق واذربايجان الى منطقة نفوذه (٢)، ولكن دولته الموحدة تمزقت بعد موته وتنازع على السلطة اولاده واحفاده، واصبح العراق جزءاً مهملا من دولة مجزأة يتنافس فيها حكامها افرض سيطرة بعضهم على البعض الآخر بالسلاح تارة والقتل اخرى، وبسبب تبعيته لايران (٣) كانت حالته السياسية امتدادا للاوضاع المتدهورة التي سادتها في اواخر القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر تلك الاوضاع التي اتسمت بتعدد الامارات الحاكمة حيث سيطر الامير (الوند)

---

(==) تحقيق طارق نافع الحمداني، مخطوط، (بغداد ١٩٧٤)، دولتشاه ابن علاء الدولة بختيشاه، كتاب تذكرة الشعراء، (ليدن ١٩٠٠م)، غياث الدين بن همام الدين الحسيني خواند امير، تاريخ حبيب السير في اخبار افراد وبشر، ج ٣، ج ٤، انتشارات كتابخانه خيام نجار خانه على - مسروى (تهران - ١٣٣٣ شمسي)، ابو بكر طهراني، كتاب ديار بكرية، بتصحيح واهتمام نجاتي لوغال وفاروق سومه ر، جزءان في مجلد واحد، (انقرة، ١٩٦٢).

(١) محمد بن احمد بن اياس، تاريخ مصر (المشهور ببدائع الزهور ووقائع الدهور)، الطبعة الاولى، مصر، ١٣١١هـ، ص ٥٩.

(٢) ابو العباس احمد بن يوسف الدمشقي القرماني، اخبار الدول وآثار الاول في التاريخ، طبعة حجر (بغداد - ١٢٨٨هـ)، ص ٣٣٧.

(٣) كانت كلمة بلاد فارس هي المستعملة للدلالة على ايران الى عام ١٩٣٥ عندما اطلق الشاه رضا بهلوي هذا الاسم عليها ولكننا سنذكرها ايران في بعض الاحيان لكي نفرقها عن اقليم فارس في جنوبها الذي يرد ذكره كثيرا في بحثنا وذلك دفعا للالتباس.

انظر: عن تسمية ايران، د. عبد العزيز نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث، ج ١، بيروت، ١٩٧١، ص ١٨.

على أن زبايجان وقسم من الحدود الغربية من ايران (١) وحكم السلطان مراد ابن يعقوب العراق العجمي ، اما في اقاليم فارس ويزد وكرمان والعراق العربي وديار بكر فكان هناك امراء آخرون من قبيلة الآق قوينلو استقلوا تماماً عن السلطان مراد (٢)، حيث حكم باريك برناك في بغداد وقاسم بك بن جهانكير في ديار بكر وابو الفتح بيك بايندر في كرمان (٣)، بينما كانت خوزستان تحكم من قبل امارة عربية شيعية تدعى المشعشعين (٤)، في حين كان على رأس حكومة كاشان وسمنان حكام محليون وقسمت

---

(١) نصر الله فلسفي ، زندكاني شاه عباس أول ، جلد اول ، انتشارات دانشكاه تهران ، (تهران ، ١٣٣٢ شمسي) ، ص ز ،

(٢) Alessandro Bausani, The Persians, from the Earliest day to the Twentieth Century, Translated from the Italian by J.B. Donne, (London, 1971), P. 135.

(٣) فلسفي ، المصدر السابق ، ص ز .

(٤) انظر : محمد خليل الجابري ، امارة المشعشعين ، رسالة ماجستير ، (بغداد ، ١٩٧٣) ، وكتاب عالم آراي اميني - الترجمة الانكليزية حيث ورد فيه مايأتي : كان يحكم الامير محسن بن محمد فلاح المشعشعي الجزائر والبصرة والاحواز وعندما قدم اوزون حسن الى شيراز لقضاء فصل الشتاء فيها بعث اليه محسن يستعطفه في الموافقة على حكمه لخوزستان وتذرع بانه من ورثة الرسول محمد فوافق اوزون حسن على طلبه واصدر امرا الى امراء تلك المناطق بتسليم خوزستان اليه ابتداء من هرمز الى بهبهان وقد منح محسن شوشتر قلب خوزستان واقوى قلاعها الى ابنه حسن في الوقت الذي ملك هو في الجزائر .

Fadlullah b. Ruzbihan Khunji, Tarikh-I-Alam-Ara-Yi-Amini, Persian A.D. (1478-1490), Edited and Translated by V. Minorsky, ( London, 1957) , P. 83.

مازندران بين اثني عشر أميرا محليا وتجزأت گيلان الى امارتين هما لاهيجان ورشت أصبح على رأس حكومة طالش خان مستقل اما اقليم خراسان في الشرق فانه كان يحكم من قبل السلطان حسين بايقرا التيموري ومقره هرات فيما اصبحتا بلخ وقندهار تحكمان من قبل امراء محليين مستقلين عن هرات هما بابر وشيبك خان .[(١)] [(٢)] [(٣)] [(٤)]

ومن خلال هذا الاستعراض التاريخي لتعدد الامارات الحاكمة في ايران والمناطق المجاورة لها في عهد دولة الآق قوينلو يتبين لنا ان الاوضاع السياسية في العراق لم تكن الا جزءا من فوضى الاوضاع العامة التي سادت المنطقة برمتها ، والمتتبع تاريخ العراق في هذه الفترة يلمس ذلك بوضوح من خلال الدماء الكثيرة البريئة التي

---

(١) يتضمن هذا الاقليم على وجه التقريب في الوقت الحاضر افغانستان وتركستان الجنوبية

W.E.D. Allen, Problems of Turkish Power in the Sixteenth Century, ( London, 1963), P. 10.

(٢) حكم من ( ١٤٦٦ - ١٥٠٦ م )

(٣) بابر ظهير الدين محمد مؤسس اسرة المغول في الهند وقد اعلن خضوعه للشاه اسماعيل عند ظهوره وقد آزره اسماعيل ضد الازبك وعندما توفي شيبك خان زعيم الازبك احتل بابر بخارى وسمرقند وعند انشغال الدولة الصفوية في معركة جالديران ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م داهمه الازبك بقيادة عبيد الله واضطروه الى الانسحاب الى كابل . هيوار دائرة المعارف الاسلامية - ( الطبعة العربية ) ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ . وعندما تراجع الطبعة الانكليزية نشير الى ذلك بالاحرف اللاتينية .

(٤) كان من سلالة جنكيزخان ، تزعم قبائل الازبك في منطقة السهوب في السفوح الشرقية لجبال الاورال وفي عام ١٥٠١ م استولى على بخارى وسمرقند وفي عام ١٥٠٢ م - ١٥٠٣ حارب خانات الجغتاي الشرقيين خلفاء الامير التيموري الشاب بابر وفي عام ١٥٠٥ - ١٥٠٨ م سيطر على خوارزم وفي عام ١٥١٠ هوجم من قبل الشاه اسماعيل وقتل في طاهراباد بالقرب من ( مرو ) .

Allen, op. cit., P. 11.

كانت تسفك ارضاء لجشع الحكام وتسابقهم في ضم المقاطعات او لمحاولاتهم الابتزازية لجمع وتكديس الاموال او صرفها بلا حساب على ملذاتهم الخاصة ولم يفكر احدهم طيلة حكمه بحفر ترعة او تشييد قنطرة او تقوية سد او استصلاح تربة او رعاية عالم وهكـــذا كتب على العراقيين معايشة فترات من الهول والفزع والحروب الاهلية واستنزاف سريع لخيرات البلد - ان ظلت فيه خيرات - وكان آخر من حكم من امراء الآق قوينلو بغداد هو ( باريك برناك ) الذي فر هاربا الى بلاد الشام بمجرد سماعه عن عزم الشاه اسماعيل الصفوي على التوجه الى بغداد ولم يكلف نفسه مؤونة الدفاع عن المدينة لان ما كــان يهمه هو نفسه وحاشيته لا امر المدينة وسكانها لذا ستقع هذه الحاضرة وتوابعها في قبضة فاتح جديد .

ب - نشأة الدولة الصفوية وصراعها مع دولة الآق قوينلو .

لما لقيام الدولة الصفوية من اهمية في دراستنا هذه ، حيث ان الفترة الــتي نتناولها بالبحث ما هي الا سنوات من الصراع الرهيب بينها وبين الدولة العثمانية ، سببه الرغبة في التوسع ، وكثيراً ما كان العراق ميداناً لذلك الصراع ، لذا آثرت أن - اذكر نبذة عن نشأتها ليسهل لنا فهم دوافعها التوسعية واسباب صراعها مع دولـة الآق قوينلو أولاً ثم الدولة العثمانية بعد أن تاخمتها (١)

لقد ضعفت دولة الآق قوينلو في اواخر ايامها لا سيما بعد تمزقها الى امارات

---

(١) لقد فسر بعض المؤرخين الصراع العثماني الصفوي حصراً بانه صراع مذهبي وهذا مبالغ فيه لذا حاولت في السطور التالية توضيح الفلسفة التي اعتمدتها الدولـة الصفوية في تأسيس دولتها والخطوات التي اتبعتها لتوسيع رقعتها .

صغيرة متعددة كما مر بنا ، الامر الذي اتاح الفرصة لاسماعيل الصفوي(١) بأن يتوجه من

(١) يدعي الشاه اسماعيل بأن نسبه يرجع الى الامام موسى الكاظم بالشكل التالي :
اسماعيل بن حيدر بن جنيد بن شيخ ابراهيم بن خواجه علي ( سياه بوش )
بن صدر الدين موسى بن شيخ صفي الدين اسحق بن شيخ جبرائيل بن
شيخ صالح بن شيخ قطب الدين بن شيخ صلاح الدين رشيد بن محمد
الحافظ بن عوض الخواص بن فيروز شاه ( زرين كلاه ) بن سيد ابراهيم بن
سيد جعفر بن سيد محمد بن سيد اسماعيل بن سيد احمد بن سيد محمد
اعرابي بن سيد ابو القاسم حمزة بن الامام موسى الكاظم ( الا ان الدراسات
التاريخية الحديثة اسقطت ادعاء الصفويين بنسبهم العلوي لان اية اشارة
لم ترد ـ منذ عهد الشيخ صفي الدين الاردبيلي الجد الاعلى للصفويين
ومرورا باولاده واحفاده حتى عهد الشاه اسماعيل ـ في المصادر والاثار
ما يدل الى رجوع نسب هذه الاسرة الى العلويين بشكل صريح عدا كتاب
( صفوة الصفا ) لمتوكل بن بزاز الذي كتبه عام ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩م وقد
اعيد استنساخ هذا الكتاب في عهد الشاه طهماسب وربما تعمد الناسخ
تغيير نسب الاسرة بعد ادعاء الشاه اسماعيل به . للاستزادة انظر : هوكردي
لقراءات بعض الابحاث الحديثة الى ١٥١٠م ص الى ١٥ حاشية الصفوي
يحيى بن عبد اللطيف الحسيني القزويني ، كتاب لب التواريخ ، از
نشريات مؤسسة خاور ، مطبعة تمني ، ١٣١٤ شمسي ، ص ٢٣٧ ، قاضي احمد
ابن محمد غفاري ، تاريخ جهان آرا ، تهران ١٣٤٢ شمسي ، ص ٢٥٩ ، فلسفي ،
المصدر السابق ، ص ١٥ ، كردي ) بالضد سالم هوزستان .

Hamilton A.R. Gibb, Studies on the Civilization of Islam, ( Edited by S.J. Shaw and W.R. Polk, (London, 1962), P.133.

Bausani, op. cit ., P. 135.

علي بن شمس الدين بن حاجي حسين لاهيجي ، تاريخ خاني ، شامل حوادث
چهل ساله كيلان ٨٨٠ هـ ـ ٩٢٠ هـ ، چاپخانه زر ، تهران ، ١٣٥٢ ش .
ورغم ان مؤلف هذا الكتاب معاصر لفترة ظهور الشاه اسماعيل وقد كتب عنه
الكثير الا انه لم يذكر نسبه العلوي ، انظر ص ١٥١ .

اصطخر الى لاهيجان[١] ليركن الى حمى الميرزا علي احد الاتباع المخلصين لاسرته[٢][٣]

---

(١) لقد استطاع السلطان يعقوب بن اوزون حسن سلطان الآق قوينلو ان يداهم في عام ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٨ م ابن عمته حيدر الصفوى ( والد اسماعيل ) عند سفوح جبال البرز ويقتله ويأسر اولاده يارعلي وابراهيم ( واسماعيل ) ويرسلهم الى اصطخر في اقليم فارس ( قرب شيراز ) ، وعندما توفي يعقوب عام ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م وتولى السلطة رستم بك اطلق سراحهم فتوجهوا منها الى لاهيجان . نظمي زادة مرتضى افندى ، گلشن خلفا ، نقله الى العربية موسى كاظم نورس ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ١٩٧١ ص ١٨١ . هيوار ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ ص ١٥٧ ( الطبعة العربية ) احمد بن لطف الله المعروف بمنجم باشي ، فصول من تاريخ الباب وشروان وهي موجودة في كتاب جامع الدول - لنفس المؤلف باللغة العربية - اعتنى بنشرها والتعليق عليها و . مينورسكي ، كامبردج ، ١٩٥٨ ، ص ٣٠ .

(٢) مدينة كبيرة في گيلان تقع الى شرق مصب نهر سفيد روذ ( النهر الابيض ) وكانت بمثابة ميناء تقصدها السفن من سائر انحاء بحر قزوين ويجعلها المستوفي عاصمة گيلان . انظر :

Hamd-Allah Mustawfi of Qazwin, In 740/1340 The Geographical Part of The Nuzhat Al-Qulub, Translated by G. Le Strange, ( Leyden, 1919), P. 159.

بجي . لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ( بغداد - ١٩٥٤ ) ص ٢٠٨ .

(٣) عاش جدّ الصفويين ( صفي الدين الاردبيلي )(*) في كنف زاهد گيلاني كان يقيم في اطراف شيروان ثم تزوج ابنة الشيخ الذى تنبأ لاولاده المستقبل الزاهر مثلما تنبأ الشيخ العابد الذى صاهره عثمان مؤسس الدولة العثمانية - وكانت مثل هذه الحكايات وغيرها تجد لها رواجا في انحاء مختلفة من ايران والمناطق المجاورة وكانت الفترة مناسبة لتقبل مثل تلك الكرامات ومن ثم جمع المريدين والاتباع لاضفاء الصفة الشرعية على الحكم ، للاستزادة عن حياة الزاهد الگيلاني انظر : ( - - ) ل

(*) كانت هذه العائلة تركمانية الاصل سنية المذهب واول من تبنى منهم المذهب هو خواجه علي حفيد صفي الدين . Browne, op. cit., Vol. IV, P. 19.

يا التحق به في عام ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩م الاتباع القدامى للاسرة حتى وصل
عداد هم الى سبعة آلاف رجل ينتمون الى قبائل استاجلو وشاملو وتكلو وروملو وافشار
وقاجار وذي القدر ومتصوفة قراجه داغ وريستاق وغيرهم [(١)] [(٢)] [(٣)] وفي عام ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م -
١٥٠١ اتجه بهذا الجمع الكبير من اتباعه الى شيروان [(٤)] حيث افلح في قتل اميرها
فرخ يسار) وبعد عام استطاع التغلب على (الوند بك) بن يوسف بن اوزون حسن [(٥)]

---

١) غفاري، جهان آرا، ص ٢٥٩.

٢) فلسفي، المصدر السابق، ص ٤.

٣) القزويني، لب التواريخ، ص ٢٤٠؛ و: Bausani, op. cit., P. 137.
وهي تيول تركمانية هاجرت من اسيا الصغرى وسوريا الى ايران.
J. Malcolm, The History of Paria, from the Most Early Period to the Present Time, Vol. I, ( London, 1815), P. 503.

٤) اقليم شيروان سماه العرب بلاد الكرج، يقع شمال نهر آرس على ساحل بحر قزوين، حيث تنتهي جبال القفقاس، وقصبته شماخي ومن موانيه باكو الحالية انظر لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ص ٢١١ و ٢١٤.

٥) كان والد فرخ يسار (خليل) قد قتل في السابق حيدر الصفوي والد اسماعيل وجنيد الصفوي جد اسماعيل اثناء اغارتهما على مملكة شيروان وبذلك استطاع اسماعيل ان يأخذ بثأر جده وابيه. انظر:
منجم باشي، الباب وشروان، ص ٣٠.
شرفخان البدليسي، شرفنامه، ج ٢، ترجمة محمد علي عوني، ومراجعة يحيى الخشاب، دار احياء الكتب العربية، القاهرة - ١٩٦٢، ص ١٩٩.
القزويني، لب التواريخ، ص ٢٤١.

واستولى على مملكة آذربايجان ودخل عاصمتها تبريز[1] واعتلى عرشها وجعلها عاصمة له[2] واتخذ لنفسه لقب شاهنشاه ايران[3] وسط مراسيم مفخّمة خاصة واعلن المذهب الشيعي مذهبا رسميا للدولة[4] واصبحت دولته شيعية الاطار صوفية الجوهر وكان التشيع عنده يعني مسائل سطحية استحدثها في عصره او بعثها من جديد كاضطهاد اهل السنة وسب اعداء الشيعة والشتم البذيء للخلفاء الراشدين الثلاثة الاول[5] والمبالغة في الاحتفال بذكرى استشهاد الحسين وذكر اسماء الائمة الاثنى عشر[6] على منابر المدينة

---

(١) لقد داهمه اسماعيل في موضع يقال له شرور من اعمال آذربايجان وقتل من اتباعه حوالي ثمانية آلاف رجل اما (الوند) فانه استطاع الفرار الى ديار بكر، نظمي زاده، المصدر السابق، ص ١٨١، وعن موضع شرور انظر:

Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 90.

(٢) Allen, op. cit., P. 10.

(٣) Bausani, op. cit., P. 137.

(٤) نفاري، جهان آرا، ص ٢٥٩.

Henry Filmer, The Pageant of Persia, ( London, 1937), P. 234.

دونالد ولبر، ايران ماضيها وحاضرها، ترجمة عبد المنعم محمد حسين والدكتور ابراهيم امين (القاهرة - ١٩٥٨)، ص ٨٦.

(٥) الدكتور كامل مصطفى الشيبي، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري، الطبعة الاولى، (بغداد، ١٩٦٦) ص ٤١٧.

(٦) هم ائمة الشيعة (١) علي بن ابي طالب (٢) الحسن بن علي (٣) الحسين بن علي (٤) علي بن الحسين (زين العابدين) (٥) محمد بن علي (الباقر) (٦) جعفر بن محمد (الصادق) موسى بن جعفر (الكاظم) (٨) علي بن موسى (الرضا) (٩) محمد بن علي (التقي) (١٠) علي بن محمد (النقي) (١١) الحسن بن محمد (العسكري) (١٢) المهدي القائم المنتظر وهو الثاني عشر، انظر: ابو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل على هامش كتاب الفصل في ( = )

افة نقرة اشهد ان عليا ولي الله الى الاذان.(١) وأمر جنده بقتل كل من يعارض ذلك

المحتمل جدا ان هذه الاوامر كانت تطبق في بعض مناطق ايران فقط في ذلك

قت حيث كان اتباع المذهب الشيعي سطحيين يعتنقون المذهب بصورة ظاهرية

التحول الفعال لجماهير الشعوب الايرانية الى المذهب الشيعي ربما جاء في فترة

خرة اكثر مما وصفتها بعض المصادر الاولية التي كانت تتأثر على العموم بالمظاهر

الاتقات الخارجية وتصدر احكاما سريعة بشأنها .(٢)

ومن الجدير بالذكر ان وحدة المذهب وان فرضت على ايران بالاكراه والعنف (٣)

---

= ) الملل والاهواء والنحل للامام ابي محمد علي بن احمد بن حزم الظاهري ج ٢، الطبعة الاولى مصر، ١٣٢٠، ص ٥ . نعمة الله الموسوي الجزائري، الانوار النعمانية، ج ٢ تبريز، ١٣٧٩ هـ، ص ٢٢٤ .

غفاري، جهان آرا ، ص ٢٦٦ . الدكتور كامل مصطفى الشيبي، الطريقة الصفوية ورواسبها في العراق المعاصر ( بغداد ـ ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م ) ص ٣٣ .

عندما ظهر الرعيل الاول من علماء الشيعة الايرانيين امثال محمد باقر المجلسي المتوفى عام ١١١٠هـ / ١٦٩٨م كانت ايران تعتمد في ميدان التبشير المذهبي قبل هذا التاريخ على علماء الدين العرب وبخاصة من العراق وجبل عامل والبحرين

من الجدير بالذكر ان الشاه اسماعيل عندما باشر بفرض التشيع على سكان تبريز نصحه رجال الدين من أتباعه بان لا يتسرع لان ثلثي سكانها كانوا من اهل السنة الا ان الشاه اجابهم بقوله .. لا تكترثوا للامر لان الله والائمة معي .. والله لو فوه احدهم بكلمة او تذمر لاقطعن رأسه بهذا السيف . واستطاع عن طريق المجازر البشرية أن يجمع ايران كلها تحت لوائه باسم التشيع .

Edward. G. Browne, Aliterary History of Persia, Vol.IV (1500-1924), ( Cambridge, 1959), P. 53.

فانها ،على ما يبدو كانت ذات نتائج ايجابية وهامة لها .[1] حيث حولت شعوبها التائهة الى شعب يوحده المذهب[2] الى حدّ كبير وهي الطريقة الوحيدة المجدية في ذلك العصر . وبشكل لم يحدث سابقا في التاريخ الاسلامي اصبح التقسيم الشيعي والسني على اساس جغرافي بينما كان سابقا على اساس اختلاف عقائدى ضمن الجماعات الاسلامية المختلفة لذلك في الوقت الذى توحدت فيه ايران تمزق شمل العالم الاسلامي الموحد وصار العثمانيون يتزعمون الجماعات السنية[3] في الوقت الذى تزعم فيه الصفويون الشيعة في ايران والعراق[4] وباتت كل دولة تدعي باحقيتها في تزعم العالم الاسلامي وتتستر وراء المذهب لتحقيق اغراضها التوسعية واصبح العراق بشكل خاص هدفا لاطماعهما ،كما اتاح ذلكم الصراع المجال للبرتغاليين لتثبيت اقدامهم في الخليج العربي والسيطرة على سواحله والتحكم في منافذه .

جـ ـ تزايد نفوذ الدولة الصفوية وظهور اطماعها التوسعية صوب الغرب :

لم يكتف الشاه اسماعيل بمقاطعة آذربايجان وعاصمتها تبريز وانما سعى لبسط نفوذه على المقاطعات الغربية منها على حساب بقايا دولة الآق قوينلو التي كان يتزعمها في هذه الفترة مراد خان بن يعقوب ومنطقته العراق العجمي[5] ويتبعه العراق العربي

---

(١) دوايت م. رونلدسن ،عقيدة الشيعة ،تعريب ع م ،مطبعة السعادة ،مصر ، ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م ،ص ٢٩٦ .

Avery, Modern Iran, P. 21 [260] نسبة الشيعة

(٢) Bausani, op. cit., P. 139. يشكل اليوم حوالي ٨٠٪ ان مذهب الشيعة في ايران

(٣) لا سيما بعد فتحهم سوريا عام ١٥١٦م ومصر عام ١٥١٧م وقضائهم على دولة المماليك .

(٤) لقد احتل الصفويون العراق عام ١٥٠٨م كما سنرى في الصفحات اللاحقة .

(٥) حدود العراق العجمي آذربايجان من الشمال كردستان وخوزستان من الغرب اقليم فارس من الجنوب والصحراء وجيلان من الشرق . طول الاقليم ابتداء من نهر سفيد رود (النهر الابيض) في الشمال الى يزد في الجنوب يساوى ١٦٠ ( = = )

بما في ذلك بغداد(١) وبعد نجاح اسماعيل(٢) في تأسيس دولته في تبريز قاد حملة في السنة التالية الى جهات ديار بكر التي كانت لا تزال في قبضة الوند وكان يوازره علاء الدولة ذو القدر نكاية بالشاه اسماعيل الذي كان يخشى بطشه وهكذا تقدم علاء الدين على رأس جيش قوامه ٦٠,٠٠٠ رجل مارا بأراضي السلطان المملوكي سالكا طريق ارزنجان(٣) وقارب مقاطعات العثمانيين دون ان يتعرض لها(٤) ولكن الشاه اسماعيل وصل

---

(= ) فرسخا وعرضه من مقاطعة جيلان في الشرق الى خوزستان في الغرب يبلغ ١٠٠ فرسخ ومن مدن الاقليم المهمة اصفهان والري وطهران وسلطانية وقزوين

Mustawfi of Qazwin, op. cit., PP. 54-64.

(١) شمس الدين محمد بن طولون ،مفاكهة الخلان في حوادث الزمان تاريخ مصر والشام ،القسم الاول ،(القاهرة ،١٩٦٢ ) ،ص١٦٩.

(٢) يصف الرحالة البندقي الشاه اسماعيل بقوله ،انه وسيم جدا وكريم وشهم معتدل القامة ،أشقر قوى البنية ،عريض المنكبين ،حليق اللحية له شارب ولكن يبدو من ذلك انه رجل غير مشعر ،وهو انيس وودود كالفتاة ،اشول اليد بالطبيعة ،نشيط كالغزال وأمهر كل رجال حاشيته في رماية النبال.

Travels of A Merchant in Persia, in A Narrative of Italian Travels in the Fifteenth and Sixteenth Centuries Translated and Edited by Charles Grey ( London, 1873), P. 202.

(٣) تقع على بعد حوالي ٢٠٠ ميل من ارزن الروم على ضفة الفرات اليمنى وغالبية سكانها من الارمن وفيها بعض المسلمين والكل يتكلم التركية وقال المستوفي عنها انها بليدة لا اهمية لها في أيامه . وتعتبر نقطة مواصلات بين أقليم آذربايجان والاناضول . لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥٠ .

Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 175.

(٤) Travels of Caterino Zeno in A Narrative of Italian in the Fifteenth and Sixteenth Centuries Translated and Edited by Charles Grey, (London 1873), P. 53.

الى البستان[1] ثم عبر بعض الجبال ووصل ممتلكات علاء الدولة في مرعش[2] وباد ، الى حرق البلاد وذبح سكانها ونهب اموالهم ولكن علاء الدولة الذى كان قد هرب الى الجبال وحصّن نفسه فيها ، اخذ يرسل فرسانه من هناك لمهاجمة الصفويين في الليل تـــارة والنهار اخرى ، يعودون بعدها الى الجبال ثانية مولدين بشكل مستمر المتاعـــب للجيش الصفوى وقد مكث اسماعيل من ٢٩ تموز حتى اواسط تشرين الثاني ١٥٠١م ، بدون تحقيق أدنى نجاح في الاستحواذ التام على المنطقة واضطر اخيرا الـــــى الانسحاب لحاجته الماسة الى المؤونة في فصل الشتاء لجدب المنطقة ، لذا توجه الى ملطيه[3] احدى مدن السلطان المملوكي[4] عندها استغل الامير الوند مناسبة غياب جيش الشاه عن تبريز وتوجه مع المقاتلين من اتباعه مسرعا الى تبريز يبغي احتلالها ودخـــل المدينة ونهبها فعلا الا ان الشاه علم بذلك فأسرع اليه في اوائل عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢

---

(١) كانت تسمى ابلستين ، تقع شرق قيصريه ، وكانت من مدن الثغور في ايام الـــــروم وذكرها حاجي خليفة في (جهانما) باسم البستان اما المستوفي فجعل جـــدولا بهذا الاسم في آسيا الصغرى يلتقي بنهر جيحون . لسترنج ، بلدان الخلافــــة الشرقية ، ص ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 202.

(٢) سماها الروم مراسيون وقد جدد بناءها معاوية ، وفي اواخر الدولة الاموية حصنّها المسلمون وبنوا لهم فيها مسجدا وفي عام ١٠٩٧م استولى عليها الصليبيون ثــم صارت مدينة ذات شأن من مدن مملكة ارمينية الصغرى . لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٦١ .

(٣) كانت من اجلّ مدن الثغور الاسلامية ايام الروم تقع بالقرب من روافد اعالي الفرات .

(٤)

Travels of Caterino Zeno, op. cit., P. 54.

تنطر (الوند) الى الفرار عن طريق بغداد الى ديار بكر(١)

وفي نفس العام تفرغ الشاه مع جيش قوامه اربعون الف مقاتل لمواجهة العراق العجمي وقابل مراد بن يعقوب في يوم الاثنين ٢٤ ذي الحجة قرب همدان في معركة ارية استطاع فيها التغلب عليه رغم تفوق عدد جيش مراد، بل وقتل منهم قرابة عشرة الف شخص وسبب انتصاره في هذه المعركة هو الفزع الذى سيطر على المنطقة بصورة عامة وعلى جيش مراد بشكل خاص من جراء قسوته لان مريديه كانوا يروجون بان جيشه لا يمكن ان يقهر لهذا السبب كان يفد الى معسكره اعداد كبيرة من المقاتلين من معسكرات اعدائه ليعرضوا عليه الولاء طمعا في نيل الغنائم في المعارك المقبلة اذا حاربوا بمعية قائد منتصر. كل ذلك ولّد الفزع والذعر في نفس مراد فبادر الى طلب الصلح من الشاه اسماعيل على لسان وفد ارسله اليه اعلن اكتفاءه بالسكنى في بغداد ابدى استعداده في دفع الجراية السنوية اليه، ولكن الشاه لم يسمح للرسل بالوصول الى معسكره وانما امر بقتلهم جميعا وقد هزّ هذا الحادث قادة السلطان مراد فبادر

---

(١) لقد مكث (الوند بك) في ديار بكر لغاية عام ٩١٠هـ / ١٥٠٤م حيث افلح الشاه اسماعيل في قتله انظر: اسكندر بك تركمان، تاريخ عالم آراى عباسي، ج ١، مقدمه وفهرستها بكوشش ايرج افشار، چابخانه موسوى، مؤسسة مطبوعاتي امير كبير، (طهران، ١٣٣٤ شمسي)، ص ٢٨.

(٢) غفارى، جهان آرا، ص ٢٦٧. هناك مبالغة في تقدير عدد القتلى قياسا على قلة عدد السكان. تركمان، تاريخ عالم آراى عباسي ج ١، ص ٢٨. القزويني، لب التواريخ ص ٢٤٢. الذي يجعل يوم الالتقاء بينهما هو يوم السبت بدلا من يوم الاثنين. نظمي زاده، المصدر السابق، ص ١٨٢. ويجعل تاريخ المعركة ٩٠٧ هـ خطأ بدلا من ٩٠٨ هـ وهو الصحيح.

(٣) Travels of A Merchant, op. cit., P. 199.

فريق منهم الى ارتداء ملابس القزلباش[1] ووضعوا العمامة الحمراء على رؤوسهم واعلنوا الولاء للدولة الصفوية وشقوا عصا الطاعة على سيدهم الذى خشى أن يقع اسيرا بايديهم لذا هرب بمعية ثلاثة آلاف شخص من اتباعه المخلصين باتجاه حلب وعبر الطريق اراد التوقف في قلعة كانت جزءا من املاكه الا ان حاكمها من قبله رفض السماح له بدخولها خوفا من بطش الشاه اسماعيل الذى كانت شراسته على ما يبدو، قد افزعت القادة والامراء في كل مكان لذا عمد مراد الى الانتقام من السكان الابرياء خارج القلعة فقتل بعضهم ونهب ممتلكات الاخرين[2]. ويصف لنا كاترينو زينو[3] المعركة التي

---

(١) سمي اتباع الشاه اسماعيل (قزلباش) أي ذوى الرؤوس الحمر وكان هؤلاء يحلقون لحاهم في الوقت الذى كانوا فيه يطلقون العنان لشواربهم لتطول، كما كانوا يحلقون رؤوسهم ويتركون في وسطها خصلة من الشعر فقط، وتدريجيا تطورت الطريقة السلمية لاد راويش الصفويين الى شكل عقائد وتعاليم عسكرية . ويذكر عباس العزاوى ان عقائد الشبك القاطنين في شمال العراق لا تختلف عن القزلباشية قطعا .انظر الكاكائية في التاريخ ،بغداد، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص ٩٨. اما احمد حامد الصراف فانه يقول عن القزلباشية بأنهم لا يصلون الصلوات الخمس ولا يتوضأون، بل يشربون الخمر ولا يستبعد ان يكون كذلك لان الشاهات الصفويين اشتهروا بالافراط في الشراب وهم زعماء القزلباش ؟ الشبك، من فرق الغلاة في العراق ،مطبعة المعارف الاولى ،بغداد، ١٢٧٣هـ/١٩٥٤م، ص ٢٤٣

Bausani, op. cit., P. 137.

(٢) Travels of A Merchant, op. cit., PP. 199-200.

(٣) Travels of Caterino Zeno, op. cit., P. 55.

دارت بين الشاه اسماعيل والسلطان مراد قائلا (( لقد كانت خسارة مراد في الارواح فادحة جدا حيث بلغ قتلاه حوالي ثلاثين الفا كوم الشاه اسماعيل جثثهم على شكل هرم في ساحة المعركة[1] . اما مراد فانه استطاع الفرار مع سبعين من اتباعه المخلصين الى بغداد[2] ومنها اتجه الى حلب[3] ثم اراضي علاء الدولة ذى القدر الذى استقبله بالحفاوة والترحيب واخذ يبعث في نفسه الامل ويشجعه على اعادة تكوين جيشه وذلك لاستعادة ملكه ليس هذا فحسب بل بادر الى تزويجه من احدى بناته زيادة في اظهار الحب والمودة له وذلك كرها للشاه اسماعيل[4] .

---

(١) اعتقد انها جزء من مبالغة ذلك الزمان لان زميله البندقي الاخر يقدرهم بعشرة آلاف وهو رقم مبالغ فيه ايضا .

(٢) في اعقاب هذه المعركة عاد الشاه اسماعيل الى تبريز حيث تقاطر الناس على بلاطه في ( هشت بهشت ) - اى الجنان الثمان وهو قصر كان قد بناه اوزون حسن في السابق - من كل مكان في ايران وحتى من الاناضول وقرمانيا لتهنئته بالنصر وكان اسماعيل يهدى قادتهم التحف التي غنمها في المعركة

Travels of A Merchant, op. cit., P. 200.

(٣) وهذا يوضح لنا بان العراق كان مسرحا لمثل هذه الاحداث العسكرية في تلك الفترات من تاريخه وكان شعبه يعاني من الاضطرابات والحروب الدموية بل ويساهم فيها مكرها ويؤكد ذلك القزويني في لب التواريخ الذى كان مرافقا للحملة الصفوية بقوله : لقد تعقب الشاه اسماعيل مراد الذى هرب الى بغداد عبر أقليم فارس .
القزويني ، لب التواريخ ، ص ٢٤٦ .

(٤) عندما وصل اراضي المماليك في حلب لم يرحب به سلطانها قانصو الغورى خوفا من اثارة الشاه اسماعيل .

Travels of A Merchant, op. cit., P. 200.

ونتيجة لانتصار الشاه اسماعيل في هذه المعركة بادر كل من سلطان خليل حاكم حصن كيفا واستاجلو محمد حاكم (آمد) بالتنازل عن املاكهما الى الشاه الذي امر بتعيين استاجلو محمد حاكما على ديار بكر[1] في الوقت الذي عزم فيه على التوجه لمحاربة علاء الدولة ثانية وللوصول اليه كان لا بدّ له من المرور بأراضي المماليك والدولة العثمانية لوقوع اراضي علاء الدولة بينهما . لذا عندما وصل الشاه الى ارزنجان أوفد رسولين احدهما يسمى قولي بك الى الدولة العثمانية والثاني يدعى زكريا بك الى سلطان المماليك في القاهرة لاعلامهما بأنه سوف لا يلحق أي اذى بممتلكاتهما وانما يرغب فقط في تأديب عدوه علاء الدولة وبعد مكوث دام اربعين يوما خرج اسماعيل من ارزنجان[2] باتجاه خصمه بجيش قوامه ٦٠,٠٠٠ مقاتل وكان يحتاج الى اربعة ايام للوصول من ارزنجان الى اراضي علاء الدولة ، الا انه سلك طريقا آخر مارا بقيصرية[3] المدينة العثمانية وذلك لتهيئة التموين لجيشه وقرر أن يدفع اثمان المشتريات فيها واعلن بأن أي شخص يجلب المؤونة لبيعها سيتسلم اثمانها بكل سخاء وهدد اتباعه بأنزال عقوبة الموت بكل من تسول له نفسه سلب ولو حفنة من القش دون أن يدفع ثمنها ، معتبرا المدينة تابعة لدولة صديقة ومكث فيها اربعة ايام ثم استمر في زحفه عبر مقاطعة البستان التي كان يقطنها مراد بعد قدومه اليها من بغداد هاربا من وجه اسماعيل في الحرب السابقة واستطاع اسماعيل دحره ودحر جيش علاء الدولة الذي كان يؤازره ودمّر المدينة ونهب السكان وتقدم باتجاه مرعش

---

(١) ثامي زاده ، المصدر السابق ، ص ١٨٢ .

Travels of a Merchant, op. cit., PP. 108-, 195.

(٢) انظر : ص ٣٥ هامش رقم ٣ .

(٣) كانت ثاني مدينة بعد قونية لسلاجقة الروم . لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٤ .

حيث هرب علاء الدولة منها مع عدد كبير من اتباعه الى الجبال العالية التي كان لا يمكن الوصول اليها لوجود ممر ضيق واحد يؤدي الى تلك الجبال الشوامخ لذا خرّب اسماعيل المدينة بعد دخوله اليها وقتل عددا كبيرا من سكانها كان بينهم اولاد علاء الدولة نفسه الذين اعتادوا النزول بين آونة واخرى من الجبال للاغارة على الجيش الصفوي ولكن الشاه اسماعيل استطاع القاء القبض عليهم عن طريق جواسيسه المنتشرين في ممرات الجبال وفي صفوف جيش علاء الدولة نفسه الذين كانوا يخبرونه عن تحركات خصمه ثم عاد الى بلاده لقرب حلول فصل الشتاء(١) بعد ان اخضع منطقة الجزيرة والموصل وعيّن عمر بك حاكما لها(٢) وجعلها اجزاء من دولته الآخذة بالتوسع . وما التوريت الذي كان يبديه في عدم التحرش بأراضي الدولة العثمانية الا مناورة لكسب الوقت لتصفية اعدائه المحيطين به اولا لبناء قاعدة راسخة لحكمه ، وهو الزعيم الذي لا يقهر حسب ادعائه ، لينطلق منها الى تنفيذ مآربه التوسعية في بناء مملكته الجديدة .

## ثانيا - الاحتلال الصفوي الاول للعراق : ٩١٤-٩٤١ هـ / ١٥٠٨-١٥٣٤م

### آ - احتلال العراق من قبل الشاه اسماعيل ٩١٤ هـ / ١٥٠٨م :

بعد ان انتصر الشاه اسماعيل على مراد بن يعقوب في جهات العراق العجمي باتت الطريق امامه مفتوحة لاحتلال العراق العربي يدفعه الى ذلك عامل

---

(١) Travels of A Merchant, op. cit., PP. 194-197.

(٢) كان احد اتباع الامير ( الوند ) ثم مال الى تأييد الشاه اسماعيل وخان سيده الاول بان واسره واقتاده الى حليفه ليسلمه الى الشاه الذي حز رأسه بيده .
Travels of A Merchant, op. cit., PP. 197-198.
يدعي السائح البندقي انه شاهد المنظر عندما نفذ الشاه اسماعيل حكم الموت بالامير ( الوند ) .

استراتيجي عسكري للسيطرة على الاجزاء الجنوبية والشرقية المتاخمة لدولتي المماليك وذي القدر ، وعامل اقتصادي لشهرة البلاد بخيراتها وكنوزها القديمة او ربما لتحريض البرتغاليين الذين كانوا قد وصلوا هرمز عام ١٥٠٨ وعقدوا اتفاقية معه (١) للضغط على الخط التجاري الذي يربط البصرة بحلب وهو الطريق الصحراوي الذي يمر بدولة المماليك تلك الدولة التي كانت في حالة حرب مع البرتغاليين في هذه الفترة (٢).

ولكن الدافع الذي يبدو واضحا اكثر من غيره هو العامل المذهبي وذلك لبسط نفوذه على مراقد الائمة في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء التي لها قدسية خاصة عند الشيعة ، حيث بات يعرف في العالم الاسلامي كأحد مروجي هذا المذهب ومالت اليه قلوب الشيعة في كل مكان واعتبروه رمزا لمذهبهم . ومما ساعد على ذلك ما وجهه اتباعه من الدراويش المنتشرين في ارجاء مختلفة من مناطق تواجد الشيعة . حتى ان السيد محمد كمونه كأحد الشيعة البارزين في العراق اخذ يجاهر بالدعوة الى الشاه اسماعيل كتعبير عن عواطفه الدينية والمذهبية مما حدا بحاكم بغداد ( باريك برناك ) بعد ان وجد ان عواطف الشيعة متجهة الى الدولة الصفوية كما ان الجماعات (٣)

---

(١) George William Fredrick Stripling, The Ottoman Turks and The Arabs, (1511, 1574), Illinois, 1942),P.79

(٢) Peter Avery, Modern Iran, ( London, 1965), P. 16.

(٣) ينفرد صاحب كلشن خلفا بتسميته ( بريانك ) وربما تحريف في الترجمة ، ص ١٨٣ . وورد في كتاب ستيفن هيمسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، نقله الى العربية جعفر خياط ، الطبعة الرابعة ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ٣١ بـ ( بارك ) .

الاخرى لم تظهر الاكتراث بسبب ما مرت بهم من محن ومتاعب عبر فترة حكم الآق قوينلو ما حدا به الى اعلان الولاء للشاه اسماعيل(١) لذا أرسل هذا الاخير وفدا برئاسة خليل بك يساول وهو من السياسيين الصفويين الاذكياء(٢) الى العراق ومعه تاج الرأس القزلباشي الاحمر وبعض الهدايا الفاخرة لتقديمها الى الامير (باريك بارناك) والي بغداد من قبل مراد بن يعقوب، ولما وصل خليل يساول الى بغداد استقبله باريك برناك) بالحفاوة والتعظيم(٣) في بستان ميرزا بير بوداق(٤)، وارتدى من وره التاج القزلباشي برهانا على ولائه التام للحكم الصفوي وتقبل الهدايا الصفوية الاخرى، وامر جميع افراد حاشيته وجيشه بلبس الشعار القزلباشي ودخل في طاعة الشاه وارسل وفدا وهدايا كثيرة ثمينة الى الشاه اسماعيل(٥) وترأس الوفد ابو اسحق شيرجي(٦) وعاد معه خليل يساول لعرض ولاء (باريك برناك) على الشاه اسماعيل. ولما

---

(١) احمد بن لطف الله المولوي منجم باشي، (منجم باشي تاريخي مجلد ثالثي)، (مطبعة عامرة)، (استنبول ١٢٨٥ هـ)، ص ١٨٤. وهو ترجمة تركية لكتاب جامع الدول الذي كتبه المؤلف باللغة العربية وقام بترجمته الشاعر نديم افندي.

(٢) خواندمير، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٩٢.

(٣) ميرزا حسن حسيني شيرازي فسائي، تاريخ فارسنامه ناصري، جاب دوم، طبع حجري، مؤسسة جغرافيا وانتشارات أمير كبير، جاب أفست رشدية، ١٣٤٧ شمسي، ص ٩٣.

(٤) وهو حاكم بغداد عام ٨٦٩ هـ من قبل والده جهانشاه من دولة القره قوينلو، كان قد اتخذ لنفسه دارا تطل على نهر دجلة اشتهرت ببستان بير بوداق وهي تعود اصلا الى العهد الجلائري بناها احمد الجلائري واشتهرت بحدائقها الواسعة واشجارها الباسقة. عن بير بوداق انظر: الغياثي، المصدر السابق ص ٢٨٢.

(٥) خواندمير، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٩٢.

(٦) احد اتباع باريك برناك وكان له مكانة مرموقة بين حاشيته، وشيرجي تعني الدباس وهذا يدل على شيوع الالفاظ الفارسية في بغداد في تلك الفترة.

وصل ابو اسحق شيرجي الى ديوان الشاه قدم فروض الطاعة والولاء باسم الامير (باريك) الا ان الشاه غضب لعدم حضوره بنفسه واعتبر عمله تماثلا علويو دلل : ان اخلاصه يتأكد فقط عندما يمثل بين يدي[1] وليس الامر بهذه البساطة وانما أراد الشاه ان يفرض هيمنته الفعلية على العراق ويجعل نفسه القوة الوحيدة في هذه المنطقة ، لذا الح على رئيس وفد العراق أبي اسحق شيرجي بضرورة الاسراع في ضرب النقود في بغداد باسمه وحده دون مشاركة احد معه وحذر من الغش والتلاعب في الوزن وهدد بأن المذنب سينال العقاب الصارم[2] ومرة اخرى نرى تهديده هذا ووعيده ينطلق من منطق القوة والغلبة طالبا من الامراء المحليين الانحناء التام له واعتبارهم تابعين لا حلفاء واعتبار نفسه السيد المطلق وعندما استأذن ابو اسحق شيرجي للعودة الى بغداد اخبره اسماعيل بانه عازم على زيارة العتبات والمراقد في كربلاء والنجف في القريب العاجل[3] وكان يعني من وراء طلبه هذا قيام الامير في بغداد وحاشيته باستقباله بما يليق بمقامه وبعد انتهاء هذه المقابلة توصل أبو اسحق شيرجي الى ان الشاه يختلق التبريرات لغزو العراق غير مكتف بالولاء والطاعة لذا نقل ما توصل اليه من استنتاجات من جراء المقابلة الى باريك برناك[4] الذي امتعض وتشاءم كثيرا[5] وهزته كرامته وبادر فورا الى خلع الشعار القزلباشي وهيأ نفسه للدفاع عن بغداد[6] رافضا شروط الشاه التعجيزية واخذ يجمع من اطراف بغداد الحبوب والذخيرة اللازمة لفترة حصار متوقعة حتى لو امتدت الى ثلاثة اعوام[7].

---

(١) غفاري ، جهان آرا ، ص ٢٧١ .

(٢) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ .

(٣) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(٤) قسائي ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٥) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ .

(٦) غفاري ، جهان آرا ، ص ٢٧١ . قسائي ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٧) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ . غفاري ، جهان آرا ، ص ٢٧١ .

وباشر بالقضاء على المعارضة في الداخل اي اولئك الموالين والمتحمسين للحكم الصفوي بدوافع مذهبية ـ فوجه غضبه ضد الشيعة لاعتقاده بانهم يرحبون بحكم الشاه اسماعيل ، فالقى القبض على كل من السيد محمد كمونة[1] وهو من اكابر السادة والنقباء في العراق[2] وكان نقيبا لاشراف النجف ابا عن جد[3]. كما القى القبض على الشيخ زين الدين علي شيخ الطائفة الشيعية وسجنهما في مكان ناء في جب مظلم[4] بسبب ميولهما الفارسية وتأييدهما للشاه اسماعيل[5] ثم باشر بتوفير كافة المتطلبات العسكرية للدفاع عن بغداد وقلعتها ، هذا من جهة ومن جهة اخرى عندما وصلت

---

(١) هو السيد محمد بن حسين بن ناصر الحسيني من عائلة علوية كبيرة واهله من بني كمكمة من اولاد شكر الاسود بن جعفر النفيس بن ابي الفتح نقيب الكوفة وكان مطاعا في العراق ايام الاحتلال الصفوي الاول . للاستزادة انظر :
نور الله الشوشتري ، مجالس المؤمنين ، ج ١ ، ( طهران ، ١٣٧٥ هـ ) ص ١٤٣ .
خير الدين الزركلي ، كتاب الاعلام ، ج ٦ ، الطبعة الثانية ، مطبعة كوستا توماس ١٩٥٥ ، ص ٣٣٤ . ألقزويني ، لب التواريخ ، ص ٢٤٩ غفاري ، جهان آرا ، ص ٢٧١ . جعفر الشيخ باقر آل محبوبة ، ماضي النجف وحاضرها ، ج ١ ، ألطبعة الثانية ، النجف ، ١٩٥٨ ، ص ٣١٨ .

(٢) قسائي ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٣) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ .

(٤) شوشتري ، مجالس المؤمنين ، ج ١ ، ص ١٤٤ .
قسائي ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٥) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ .

اخبار نكوص ( باريك برناك ) عن أطاعته للحكم الصفوي الى الشاه أسماعيل عزم على التوجه الى العراق لاحتلاله[١] وكان الامر متوقعا من قائد عسكري طموح أنتصر لحد الآن في كافة الغزوات التي خاضها فأرسل حسين بيك لاله[٢] وكوكبة من الفرسان القزلباشي لهذا الغرض كطلائع لجيشه الى بغداد[٣] وتوجه هذا الى كرمنشاه ومنها توجه الى خانقين[٤] وبالرغم من ان باريك برناك استعد لجيش الشاه اسماعيل ، الا انه وجد نفسه أخيرا أضعف من الاستمرار في الدفاع عن المدينة لأن الفزع والرعب اخذ طريقه الى معسكره لا سيما عندما قاربت طلائع الجيش الصفوي بقيادة لالـــه

---

(١) القزويني ، لب التواريخ ، ص ٢٤٦ ، فسائي ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٢) حسين بيك لاله شاملو : كان مؤدب الشاه اسماعيل واحد البارزين من الشخصيات الصفوية في الفترة السابقة لموقعة چالديران ٩٢٠ هـ وكان احد الذين لهم الشهرة في تزعم الطريقة الصفوية في الفترة الواقعة بين مقتل الشيخ حيدر وبين الغزوة الاولى الناجحة للشاه اسماعيل الى شيروان عام ٩٠٦ هـ وظل يتستر على الشاه اسماعيل واخوته من جواسيس الآق قوينلو ، كما انه ساعد الشاه في كل غزواته حتى قتل في چالديران ٩٢٠ هـ . وان كلمة لاله عند الآق قوينلو وكذلك الصفويين تعني لفظة الاتابك عند غيرهم وهي تعني المربي أو المعلم أو كبير القوم واصبح وكيلا للشاه ، وحمل لقب امير الامراء

B. G. Martin, Seven Safawid Documents from Azarbayjan, Edited by in Documents from Islamic Chanceries, Oxford, England, 1965), S.M. Stern, First Series, Oxford, England, 1965), P. 178.

(٣) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ .

(٤) رحيم زاده صفوي ، شرح جنكها وتاريخ زند گاني شاه اسماعيل صفوي ، باهتمام يوسف پور صفوي ، كتاب فروشي خيام ، چاپخانة بهروز ، ( تهران ، ١٣٤١ شمسي ) ص ١٩٥ .

حسين واصبحت على مشارف بغداد ٠ ويفسر المؤرخون (١) تردده الى ان الكثرية اهل بغداد كانوا من الشيعة المخالفين لباريك بوناك والميالين بعواطفهم الى الشاه الصفوى ولكننا يجب ان نأخذ تفسيرهم بتحفظ لانهم يتأثرون بظواهر الامور وربما يرهم تصاعد العواطف المذهبية في العراق آنئذ وخاصة نشاطات زعماء الشيعة في تأييد الشاه اضافة الى ان السنن في بغداد كان يتزن قليلا بالتشيع (٢)

كل هذا دعا المؤرخين المعاصرين لتلك الاحداث او اللاحقين لهم الى تفسير تلك الظواهر بانها اكثرية (٣) ولكن الذى عجل في هرب باريك من البلاد ليس ضعف المقاومة فقط وانما لانه وجد نفسه امام قائد خاض غمار حروب ضد امراء اقوياء من الآق قوينلو وخرج منها منتصرا ناشرا الدمار والخراب في ممالكهم وكدس عظام

---

١) غفارى ، جهان آرا ، ص ٢٧١ ٠

شوشترى ، مجالس المؤمنين ، ج ١ ، ص ١٤٤ ٠

منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، مجلد ثاني ، ص ١٨٤ ٠

فسائي ، المصدر السابق ، ص ٩٣ ٠

٢) كمثل على ذلك ان الشاعر المعروف فضولي البغدادى رغم انه كان سنيا الا انه لم يتعصب للسنة بل لا ذكر في ديوانه للخليفة عمر بن الخطاب مثلا رغم انه مدح عليا والحسين تماما ولكنه مدح الشاه اسماعيل عندما احتل بغداد ، انظر الدكتور حسين مجيب المصرى في الادب الاسلامي ( فضولي البغدادى امير الشعر التركي القديم ) دار الفكرة للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤ ٠

٣) راجع بحث الشيعة في كتاب العراق في عهد المغول الايلخانيين للدكتور جعفر خصباك ، ص ( ١٧٨ ـ ١٨٢ ) عن اقلية نسبة الشيعة في بغداد في اواخر العهد العباسي وفترة الاحتلال المغولي ، وان صح ما رواه المؤرخون اعلاه عن اكثرية الشيعة في بغداد فانه يعني حدوث تغيير جديد في كيان المجتمع البغدادى في العهود التي سبقت الاحتلال الصفوى وربما حدث ذلك تحت تأثير نشاط المدارس الدينية الشيعية كمدرسة ابن فهد الحلي في الحلة مثلا ٠

قتلاهم في ساحات الوغى على شكل اهرامات مبالغة منه في خلق الذعر في نفوس اعدائه لذا اضطر باريك الى الفرار من بغداد طالما ان أمر المدينة وسكانها لا يعنيه من قريب وبعيد وهو الحاكم الطارئ على هذه المدينة الذى لا يشعر بشعور سكانها ولا يربطه ولاء الى تربتها فقصد حلب ليتجه من هناك الى ديار بكر ليلوذ بحمى مراد بن يعقوب صاحب العراقين الذى اندحر امام اسماعيل الصفوى في معركة العراق العجمي ولاذ بالفرار الى اراضي علاء الدولة ذي القدر كما مرّ بنا[(٢)] .

ويعقب القزويني في كتابه لب التواريخ بان باريك برناك لما علم بقدوم الشاه في اعقاب جيشه هرب الى الشام لذا احتلت بغداد دون قتال[(٣)] . وكان خروج باريك من بغداد في ليلة ادلهمت فيها السماء بالغيوم واخذت تبرق وترعد وانهمر المطر غزيرا وفي مثل هذا الطقس المضطرب ركب باريك جواده وعبر دجلة بمشقة كبيرة قاصدا طريق حلب[(٤)] وخروجه في مثل هذه الاحوال الجوية السيئة دليل يفسر لنا ما سيطر عليه وعلى اتباعه من هلع وفزع . وبالقرب من حلب التقى بمراد خان بن يعقوب وشرح له حالة بغداد فيئس هذا الاخير واتجه الاثنان الى اراضي علاء الدين ذي القدر[(٥)] .

وعندما تأكد الشيعة في اليوم الثاني من هرب باريك برناك من بغداد توجهوا الى حيث سجن السيد محمد كمونة وانقذوه[(٦)] ووجدوه في حالة مزرية مريضا نحيفا من فرط

---

(١) فسائي ، المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(٢) انظر ص ٣٩ من هذا البحث . المقصود هنا العراق العجمي والعربي .

(٣) ص ٢٤١ .

(٤) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٢ .

(٥) صفوى ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(٦) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٤ . وان القزويني ، صاحب لب التواريخ ، يجعل من انقذ السيد محمد كمونه هو خادم بيك بعد ان اصبح واليا على بغداد من قبل الشاه اسماعيل ثم عينه واليا على النجف وبعض المدن العراقية الاخرى ، ص ٢٤٩ . فيما يجعل الفسائي ، صاحب فارسنامه ناصرى ، منقذه الشاه اسماعيل نفسه ، ص ٩٣ .

ما لاقاه من ذل وتعذيب في متاهات وغياهب الجب المظلم الذى اختاره باريك ليكون سجنا لهذا المعارض لحكمه والمؤيد المتحمس للدولة الصفوية ـ وحملوه على اكتافهم يطوفون به المدينة وقرروا ان يكون هو المسؤول عن حكم بغداد وادارتها ـ وهذه ظاهرة جديرة بالملاحظة التاريخية ـ حيث يهرب الوالي وبمجرد هروبه تستطيع المعارضة أن تستلم السلطة وهذا يفسر الفزع العام الذى كان ينتاب المدينة من جراء سماعهم عن خبر وصول الشاه اليها، وفي عصر الجمعة التي تلت هروب باريك وصل حسين بيك لاله الى اطراف بغداد،(١) وفي نفس هذا اليوم توجه السيد محمد كمونه الى المسجد الجامع وخطب باسم الشاه اسماعيل الصفوى واخذ يردد اسماء الائمة الاثنى عشر ولأول مرة في تاريخ بغداد(٢) من على هذا المنبر ووضع نفسه تحت امرة الشاه اسماعيل ٠

وبعد انتهاء مراسيم الصلاة خرج فرحا لملاقاة حسين بيك لاله الذى بادر هو الآخر الى احتضان السيد محمد كمونه واستقباله بحفاوة بالغة واغداق الهدايا الثمينة عليه وعن طريقه علم بأن باريك برناك قد هرب وأن مقاليد الامور في المدينة بيد الموالين للشاه الآن وأن كل شيء فيها مستقر تماما ٠ لذا اصطحب معه السيد محمد كمونه متجها الى الشاه اسماعيل لينقل اليه بشرى احتلال بغداد ٠(٣)

عندها قرر الشاه التوجه الى العراق وسبقه اليها السيد محمد كمونه ونظم من جماعته وفدا كبيرا لاستقباله ، وعند وصوله بغداد خرج عامة الناس من الشيعة لمشاهدة موكبه والترحيب به وسط مظاهر البهجة وبادروا الى نحر الذبائح الكثيرة تيمنا بمقدمه لاعتباره رمزا للمذهب الشيعي ومدافعا عنه وكان لهذا الاستقبال الوقع الحسن

---

(١) ترلدمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٣٤ ٠
(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٤ ٠
(٣) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٤ ٠
(٤) هذا هو شأن المؤرخين الفرس في المبالغة في وصف مراسيم الاستقبال والحفاوة كما هو شأن كل المؤرخين الآخرين آنئذ في امتداح السلاطين ٠

في نفسه حيث تحمس لاكرامهم والتودد اليهم(١) في الوقت الذي أساء كثيراً للسنة من اعلياته

ب- الشاه اسماعيل في بغداد /

صادف دخول الشاه الى بغداد في يوم ٢٠ جمادى الثانية ٩١٤هـ/١٥٠٨م(٢) وفي اليوم الثاني(٣) من وصوله اصدر امره بتعيين خادم بيك أميرد يوانه(٤) والياً على المدينة واطلق عليه لقب خليفة الخلفاء(٥) والسلطان

---

(١) خواند مير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٤ .

(٢) غفاري ، جهان آرا ، ص ٢٧١ . فيما يجعل خواند مير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٤ في ٢٥ جمادى الآخر ٩١٤ هـ . ويؤكد الحسيني فارسنامه : ص ٩٣ هذا التاريخ الاخير واعتمدت على الغفاري لانه يتتبع بدقة التواريخ .

(٣) يذكر غفاري ، جهان آرا ، ص ٢٧١ ، لقد قضى الشاه اسماعيل (ملك العرب والعجم) ليلة في بستان بوربوداق وسط مظاهر البهجة . ان اضفاء لقب ملك العرب والعجم من قبل مؤرخ معاصر للصفويين الاوائل دليل طموح وميل تلك الاسرة على بسط نفوذها على البلاد العربية .

(٤) احد الامراء العظام الدولة الصفوية امتاز بالكفاءة وحسن الادارة واشتهر بالعدل والشجاعة وهو من اتباع الشاه المخلصين وكان قد اغار عام ٩٠٧هـ/١٥٠١م ابان تأسيس الدولة الصفوية على بلاد الكرج بتكليف من الشاه اسماعيل وافلح في قهرها . انظر ، خواند مير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٤ . دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٥ ، ص ٣٩٢ (الطبعة العربية) .

(٥) مبالغة منه في تجاوز خلافة العباسيين في بغداد بحيث يكون نائب عليها خليفة الخلفاء ، وهذا يفسر لنا طموح الشاه اسماعيل ومحاولته فرض نفوذه على العالم الاسلامي . القزويني ، لب التواريخ ، ص ٢٤٦ . وابراهيم بجوى ، تاريخ بجوى ، مجلد اول ، مطبعة عامره استانبول ١٢٨٣ هـ ، ص ١٧٣ . حسن روملو ، كتاب احسن التواريخ ، بسعي وتصحيح جارلس نارمن سيدن ، كلكتا ١٩٣١ ، ص ٢٠١ . نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ . بينما تصور مصطفى الدكتور كامل الشيبي بأن من عينه الشاه

بابي المنصور (١) ، كما اكرم زعماء الشيعة في العراق واثنى بشكل خاص وفي مناسبات متعددة على جهود السيد محمد كمونه (٢) واطنب في تمجيد اصله ونسبه وعلو منزلته واسند اليه منصب مساعد الوالي (٣) وقد باشر خادم بيك منذ تسلمه المنصب الى العمل من اجل تسهيل مهام توجه الزوار الى العتبات المقدسة وذلك عن طريق ضمان الامن في الطرق المؤدية اليها كما شرع في تنظيم ادارة بغداد وماليتها (٤) .

جولات الشاه اسماعيل في العراق :

لم يقم الشاه اسماعيل سوى يوم واحد في بغداد حيث توجه الى كربلاء مصطحبا معه السيد محمد كمونه وحاشيته لاداء مراسيم الزيارة - وفي المرقد اخذ يناجي الحسين كمتصوف وزعيم فرقة دينية شيعية ويطالبونه في الملمات ضد اعدائه . ثم بادر الى منح المسؤولين لهذه المراقد الاموال والهدايا الثمينة وقدّم لمرقد الحسين واخيه العباس مجموعة من نفائس الاقمشة المطرزة بالذهب والاحجار الكريمة كما وفّر للمقام كل ما يحتاج اليه من الستائر الفاخرة التي تحمل النقوش الفريدة والمناظر الرائعة واعدى المرقد قنديلا من الذهب قيل انه كان يضاهي الشمس من فرط نوره كما امر بفرش باحة المرقد

---

= ) خليفة للخلفاء في بغداد هو السيد محمد كمونه . انظر الفكر الشيعي ص ٤٣ .

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٣٤ .

(٢) امر الشاه مبالغة منه في اكرام السيد محمد كمونه بان تدق الطبول ثلاث مرات يوميا من اعلى داره وهي عادة فارسية قديمة خاصة بالملوك . انظر صفوى ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(٣) وفي رواية اخرى انه تعين حاكما على الحلة وقيل متولي على العتبات المقدسة فقط وهذا يدعونا الى الاعتقاد بان الشاه كان يريد ان يحصر السلطة بيده ، دون ان يتركها بيد امير محلي . غفارى ، جهان آرا ، ص ٢٧١ . الشوشترى ، مجالس المؤمنين ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٤) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٤ . وهذا ما كان يسعى اليه الشيعة الايرانيون للوصول بامان الى العتبات المقدسة .

بافخر انواع السجاجيد الحريرية كذلك امر عددا من امهر الطباخين بصنع كميات كبيرة من الحلوى ووزعها على المجاورين لقبر الحسين(١) وعين في المرقد حفاظ القرآن والمؤذنين والخدم واجرى لهم رواتب(٢) وركن ليلة بكاملها الى جوار المرقد وفي اليوم الثاني سلك طريق الحلة للوصول الى النجف(٣) لاداء زيارة مرقد الامام علي بن أبي طالب وعندما قارب المدينة وشاهد من بعيد آثار المرقد الغروي ترجل من فوره وقطع باقي الطريق سيرا على الاقدام(٤) ولما وصل الى هناك ادى مراسيم الزيارة بصحبة السيد محمد كمونه وبعدها منح سدنة الروضة الحيدرية أنواع التحف والهدايا ، كان من جملتها قرآن كريم بخطه كان قد كتبه في طفولته في لاهيجان ووضع على الضريح(٥) ولما كان

(١) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٤ . وربما أصبح توزيع الحلويات في المناسبات الدينية والاعياد في مدن العتبات المقدسة تقليدا منذ ذلك اليوم وأصبحت تلك المناسبات من جملة الاسباب التي شجعت على انتشار التشيع في مدن العراق الاخرى فيما بعد وكانت كربلاء انئذ مدينة صغيرة لا يتجاوز محيط اسوارها ( ٢٤٠٠ ) خطوة بحيث استطاع الشاه توزيع الطعام على سكانها .

(٢) القزويني ، لب التواريخ ، ص ٢٤٩ .

(٣) هذا يعني ان الطريق الصحراوي الحالي بين كربلاء والنجف لم يكن مألوفا آنئذ وانما السفر الى النجف كان يتم عن طريق الحلة قبل ان يغير نهر الفرات مجراه وبمحاذات الشاطيء الغربي للنهر كانت القافلة تواصل سيرها حتى الكوفة ثم النجف .

(٤) صفوى ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ . مبالغة منه في أظهار الولاء للائمة لكسب عواطف البسطاء من افراد جيشه والسكان الشيعة في العراق .

(٥) يبدو ان الشاه اسماعيل ارسل هذه النسخة من القرآن الكريم الى النجف في وقت لاحق لاحتلاله العراق، حيث ان الدكتورة سعاد ماهر تشير الى هذا القرآن وتجعله مرصع الجلد بالاحجار الكريمة يحمل تاريخ ٩٢١ هـ بينما تاريخ احتلال العراق وزيارته للنجف ٩١٤ هـ . انظر ، مشهد الامام علي في النجف وما به من الهدايا والتحف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٢٠٤ .

مشهد الامام بعيداً عن مصدر الماء لذا امر بتجديد نهر قديم كان قد حفره عطا الملك الجويني عامل بغداد من قبل هولاكو والذى كان قد اندثر نتيجة تراكم الترسبات والطمى في فم النهر وعهد بالاشراف على هذا المشروع الى القاضي جهان حسيني وصرف ما يقرب من الفي تومان عليه(١) وسمي باسم (نهر شريف)(٢) واسند حكم النجف الى حاكم الحلة السيد محمد كمونه(٣) واصطحب في طريق عودته الى الحلة رهطا من اشراف المدينة(٤) توجه بهم لقتال العرب في الصحراء وقتل منهم اعدادا كبيرة وسلب اموالهم(٥) باسم تأمين سلامة طريق القوافل التجارية وزوار العتبات المقدسة ثم عاد الى بغداد ومنها قصد الكاظمية وفيها ادى مراسيم الزيارة ومنح المقيمين كعادته الهدايا والاموال وامر ببناء صحن كبير للمرقد ثم عاد الى بغداد ومنها قصد سامراء لزيارة قبر الامامين علي الهادى والحسن العسكرى واغدق على سدنتهما الهدايا على غرار ما فعل في العتبات المقدسة الاخرى

---

(١) قيل انه كلف خادم بك بمساعدته في مهمته لاتمام حفر النهر وتوسيعه . صفوى ، المصدر السابق ص ١٩٦ . عن التومان انظر : بحث النقود في الفصل الخامس .

(٢) يذكر نظمي زاده ، في المصدر السابق ص ١٨٣ ، ان الشاه جدد نهر عطا الملك وسماه نهر الشاه واوقفه على المشهدين الشريفين ، والكلام غامض على ما يبدو والصحيح لقد اوقف الشاه اراضي زراعية كثيرة على مشهدى الامامين علي والحسين في النجف وكربلاء ويظهر ذلك واضحا من السجلات العثمانية التي دونت تلك الاوقاف انظر السجلات العثمانية (ولاية بغداد) دفتر رقم (٣٨٦) لوحات ٢٩٥ ـ ٣١٠ . انظر كذلك الفصل الاقتصادى بحث الاراضي ، وعن ماء النجف انظر ، انستاس الكرملي ، مجلة لغة العرب ، ج ١٠ ، السنة الثانية (بغداد ١٩١٣) ص ٤٥٨ .

(٣) فلسفي ، المصدر السابق ص ٩٣ .

(٤) يبدو ان فريقا من الشيعة العراقيين ظلوا ملازمين للشاه في حله وترحاله حتى ان بعضهم توجه معه الى بلاد فارس كان على رأسهم السيد محمد كمونه الذى تعين في منصب (المهردار) اى حامل الاختام . انظر : تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ج ١ ص ٧٠ .

(٥) القزويني ، لب التواريخ ، ص ٢٤٩ .

وبعد عودته الى بغداد امر جميع النجارين المهرة في اطراف مملكته الى التجمع لصنع ستة صناديق من الخشب المطعّم بالميناء للمراقد الشريفة في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء لتحل محل تلكم الصناديق الصغيرة البالية[١] ثم غادر العراق الى بلاده بعد ان تم الى اراضيه البصرة[٢] ثم سلك طريق شوشتر والحويزة بعد ان قضى على المشعشعين فيها وكانوا[٣] يومئذ تحت قيادة فياض بن سيد محمد المشعشعي[٤] وكان يصحبه السيد بعد تموته وعند كبير من شيوخ عشائر الفرات الاوسط .

من كل هذا الاستعراض التاريخي لتنقلات الشاه اسماعيل يتبين لنا ان المؤرخين الايرانيين جل ما كان يستهويهم هو الاطناب في وصف تحركات الشاه والمبالغة في وصف كرمه وعطاياه . دون ذكر ادنى خبر يتعلق بالشعب وما كان يعانيه او الحالة

---

(١) خواندمير ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٩٥ .

(٢) اقا ميرزا حسن خان ، تاريخ بصرة ، كلكتا ، بدون تاريخ ، ص ٣٢ .

(٣) ان قضاء اسماعيل على المشعشعين وقتلهم بلا رحمة يوضح لنا :—

١ — ان اسماعيل لم يكن غاليا كما اتهمه مؤرخوا دمشق ونسبوا اليه الربوبية .

٢ — ان اسماعيل كان يحاول كأي زعيم متسلط طامح لتوسيع نفوذه وسحق اي عائق يقف في طريق هذا التوسع وذلك التسلط . اما الادعاءات الدينية والمذهبية فهي محض برقع تلائم روح العصر وتحرك عواطف الجماهير مثلما تحركها واجهات مختلفة في كل زمان ولكن هذا لا يعني بان مدعي هذه الواجهات لا يؤمنون بمثلها واهدافها وانما يجندون انفسهم وطاقاتهم في سبيل نشر مثلها في الوقت الذي يحققون فيه اهدافهم السياسية من ورائها .

(٤) القزويني ، لب التواريخ ، ص ٢٤٩ . منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، ج ٣ ص ١٨ . غفاري ، جهان آرا ، ص ٢٧١ . حيث ذكر لقد قضى على المشعشع وعاد الى شيراز عن طريق كوه كيلويه .

الاقتصادية وما كانت عليه، وان كتب بعضهم عن ذلك فانما يتساءل عن مدى طاعة الناس للشاه والترحيب به ومثل هذه النصوص يجب ان تؤخذ بتحفظ تام . ومن جهة اخرى نجد ان الشاه عندما اغدق العطايا للعتبات المقدسة والمشرفين على رعايتها كان يحاول التودد للشيعة من ناحية ومن ناحية اخرى كان يؤمن دون شك بان هذه كزعيم طائفة دينية شيد دولته على المذهب الاثنى عشري هو حماية ورعاية مثل هذه المراقد كاستجابة طبيعية لما يشعر به . ان مبالغة الشاه اسماعيل برعاية العتبات الشيعية في العراق امر لا يتطرق اليه الشك مطلقا وتؤيده النصوص التاريخية الاولية اما اهماله وعدمه للمراقد السنية في بغداد وقتله السكان فيها فهو ما سنحاول مناقشته في الفقرات التالية بناء على ما توفر لنا من نصوص في المصادر والمراجع . لقد ذكر صاحب قلائد الجواهر المتوفى عام ٩٦٣ هـ/١٥٥٥م وهو من انصار الطريقة القادرية ان الشاه اسماعيل عندما احتل بغداد خرب زاوية الشيخ عبد القادر وشتت ذريته الذين تفرقوا في البلاد واضاف قائلا :- (( لقد حضر جماعة منهم الى حلب كان على رأسهم الشيخ علاء الدين الكيلاني وتوجه آخرون منهم الى القاهرة ))(١). دون ان يشير الى مذبحة حدثت لرجال السنة ، بينما يذكر مؤرخ ايراني هو صاحب لب التواريخ كتب مؤلفه عام ٩٤٨هـ/١٥٤١م (( بان الشاه قتل عددا كبيرا من (المخالفين) في بغداد حتى جرى في نهر دجلة الدم بدلا من الماء ))(٢) وقال مؤرخ ايراني آخر لقد

---

(١) محمد بن يحيى الربيعي التاذيفي ، (القاهرة ، ١٩٣٧) ، ص٥٥ .

(٢) القزويني ، ص٢٩٩ . وهذا يدل على ان مذبحة حدثت في بغداد وهو ما كان يرافق عادة كل غزو واحتلال في تلك الايام ، لا سيما ان سيرة الشاه اسماعيل السابقة ترشحه للقيام بالمذبحة . ولكن التهويل والمبالغة من قبل المؤرخين الايرانيين والشيعة سببه التشفي من خصومهم ونحن نعلم ان المؤرخين من قبل قد تفننوا ايضا في ذكر احداث مماثلة كمذابح هولاكو وتيمورلنك وبير بوداق وجهانشاه ... الخ حتى قال بعضهم (( لقد قتل سكان بغداد عن آخرهم )) . انظر : ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن ، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع (مادة بغداد) ، ج١ ، طبعة ليدن ، ١٨٥٢م ، ص١٦٣ .

دخل الشاه بغداد واستقر في بستان بير بوداق وامر بقتل كل اتباع باريك برناك[1] بينما ورد في كتاب الباز الاشهب نقلا من مصدر آخر ما يشير الى استمرار سكنى طائفة من الاسرة الكيلانية في بغداد في عهد الصفويين[2] اما اوليا جلبي فانه قال بان مزار الشيخ عبد القادر عاد انقاضا بالية عند احتلال العجم لبغداد عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٨[3] دون ان يشير الى المذبحة وذكر نظمي زاده ان الشاه اسماعيل هدم مراقد الائمة والمشايخ دون ان يحددها كما اكد على فتكه بالكثير من اهل السنة[4] وعلى هذا الغرار كتب لونكريك واضاف من عنده ان الشاه ذبح جماعة من العلماء وعامل غير المسلمين بصراحة اكثر[5]. اما الحنبلي فانه رمى الشاه اسماعيل بالالحاد والرفض وجعل من قتلهم في آذربايجان والعراق يزيد على (الف الف رجل) بالاضافة الى ذكر قتل العلماء وحرق الكتب والمصاحف ونبش قبور المشايخ من اهل السنة واحراق عظامهم[6] وأكد ذلك مؤرخ

---

(١) نفس المصدر السابق ص٣٦ الا انه يحدد القتلى ويجعلهم من اتباع باريك برناك.

(٢) ابراهيم الدروبي، مطبعة الرابطة (بغداد — ١٩٥٥)، ص ٢١.

(٣) نفس المصدر، نقلا من اوليا جلبي سياحتنامه سي.

(٤) كلشن خلفا، ص١٨٣ المتوفى ١٧٢٢م.

(٥) ستيفن هيمسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله الى العربية جعفر الخياط، الطبعة الرابعة، (بغداد — ١٩٦٨)، ص٣٢ ينفرد في ذكر اخبار غير المسلمين دون ان يشير الى مصدره.

(٦) ابي الفلاح عبد الحي الحنبلي، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ج ٨ (القاهرة — ١٣٥١) س ٨١، ص ١٤٤. والمؤرخ توفي عام ١٠٨٩ هـ وهو بعيد عن الاحداث بما يزيد عن القرن والنصف.

يحيى هو ابن شدقم بقوله ان الشاه اسماعيل فعل باهل ( بغداد ) ( النواصب ) ما لم يسمع بمثله قط في سائر الدهور وعذبهم أشد العذاب ونبش موتاهم من القبور(١)

وان ما نلمسه من هذه النصوص بخاصة الشيعية منها انها واضحة المبالغة ويظهر فيها طابع التشفي لا سيما المتأخرة منها والتي تكثر من روايات القتل والتعذيب للطائفة السنية بينما لم نر في تلك النصوص ذكرا لهدم مراقد الائمة والمشايخ في بغداد اما المؤرخون السنة فتتراوح رواياتهم بين التشتيت والفتك والذبح وتتزايد نسب القتلى كلما تباعد الزمن .

اما فيما يتعلق بالمراقد وقبور المشايخ فانه من الواضح جدا ان الصفويين عمروا المراقد الشيعية وهدموا متعمدين المراقد السنية ولكن دون تخريبها(٢) ومن باب المؤكد انهم حكموا العراق بالبطش والارهاب كما فعل سائر الغزاة من قبلهم .

ثالثا - ازدياد شدة الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية :

آ - تزايد النشاط الصفوي في الاناضول :

لم يتخذ العثمانيون موقفا عدائيا من الصفويين بسبب احتلال هؤلاء للعراق(٣) بل بنتيجة ازدياد نشاط الصفويين في المنطقة ومحاولاتهم التوسعية على حساب املاك

---

(١) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٣ ، بغداد ، ص ٣٤٣ نقلا عن كتاب تحفة الازهار وزلال الانهار في نسب الائمة الاطهار ومؤلفه كان حيا في المدينة المنورة عام ١٠٧٧ هـ وهو الاخر بعيد عن الاحداث وهو معاصر على ما يبدو للمحبي ولقد راجعت مكتبة الامام الحكيم في النجف وقلبت صفحات المجلدات الثلاث للمخطوط المصور الا انني لم اعثر على النص اما قراءة المخطوط بدقة فأمر عسير ولكنني عثرت على نصوص اخرى تشير الى أن المؤرخ متعصب للشيعة ولا يستبعد منه ان يذكر مثل هذه الاقوال .

(٢) سنوضح هذا الامر عند بحث احتلال سليمان القانوني لبغداد عام ٩٤١هـ/١٥٣٤م انظر الفصل الثاني ، ص ١٠٦ .

(٣) بل تشير الرسائل المتبادلة بين السلطان بايزيد الثاني وبين الشاه اسماعيل الصفوي بان العلاقات بينهما كانت ودية الى درجة ان السلطان بارك الشاه على فتحه اقليم العراق العجمي .

الدولة العثمانية نفسها ، ولفهم ذلك لا بد من الاطلاع على التطورات التي حدثت في المنطقة والتي ادت الى تزايد العداء بين الدولتين بحيث ظهر آخر الامر كأنه صراع بينهما من اجل الاستحواذ على العراق الذى اصبح وضعه بمثابة الكرة التي تتلقى الركل باستمرار من فريقين لا يكلان اللعب .

لما حقق الصفويون انتصارات واسعة في المنطقة ، ارسل السلطان بايزيد الثاني يطلب من حاجي رستم بك ( احد الحكام الاكراد الموالين للدولة العثمانية في الجزيرة ) بيان حقيقة الاوضاع في الدولة الصفوية وقد رتبا الدفاعية فجاء[1] الجواب بسار الشاه اسماعيل سجل انتصارات في جبهات العراقين ، ولم يبق امامه سوى دولة ذي القدر التي هو في طريقه الى غزوها في مرعش ، ولا بد لنا من الاشارة هنا الى ان بقايا دولة الآق قوينلو وامارة ذى القدر كانتا ولفترة من الزمن حدا فاصلا بين الدولتين العثمانية والصفوية وبانقراضهما على يد الصفويين اصبح الاحتكاك بين الدولتين الكبيرتين مباشرا بعد ان تاخمت احداهما الاخرى وبرزت[2] الى موقع الصدارة الخلافات المذهبية بينهما في الوقت الذى كان يخفي كل من الحاكمين العثماني والصفوي وراء تلك النزاعم دوافع

---

(١) انظر نص الرسالة في
دكتور نظام الدين مجير شيباني ، تشكيل شاهنشاهي صفوية ، ( طهران ، ١٣٤٦ شمسي ، ص١٤٩ .

للاستزادة عن نشاطات الدولتين في هذه الفترة يراجع : فريدون بك ، مجموعة منشآت ، ج ١ ، استنبول ، ١٢٧٤هـ ، ص ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .
Browne, op. cit., Vol. IV., PP. 68-69.

(٢) شيباني ، المصدر السابق ، ص ص ١٥٢ ... ١٥٣ . دكتور عبد الحسين نوائي (محقق) : شاه اسماعيل صفوى ، مجموعة اسناد ومكاتبات تاريخي همراه با ياد داشتهاى تفصيلي ، انتشارات بنياد فرهنك ، چابخانة زر ، تهران ، ١٣٤٧ شمسي ، ص ٣١ — ٣٣

سياسية ، ومما هو جدير بالذكر أن بعض الاضطرابات التي حدثت في أواخر أيام بايزيد كان لها الاثر الفعال في تفاقم الخلاف بين الدولتين ومن ذلك ما حدث في جهات الاناضول[١] حيث تطورت الامور الى حرب أهلية عام ٩١٧هـ / ١٥١١م بخاصة عندما تزعم الثورة بابا شاه قلي[*] بن بابا حسن خليفة من قبيلة ( تكلو ) الذي خلف أباه في زعامة فرقة صوفية وأصبح حاكماً لاقليم ( تكه ) الذي كان سكانه من الشيعة المتعصبين الموالين للشاه اسماعيل أكثر من ولائهم للدولة العثمانية[٢] واضطر السلطان بايزيد الى تكليف حاكم الاناضول للقيام باخماد الثورة الا ان هذا الاخير لم يفلح بل وقع اسيراً بيد الثوار وقتل بعد ذلك.[٣] ومن الجدير بالذكر أن الحركة الشيعية انتشرت بسرعة بين القبائل التركمانية في الاناضول وفي اقليم ( تكه ) في جنوب غرب الاناضول بالذات. وأصبح ( شاه قلي ) واحداً من دعاة الشاه اسماعيل ومروجي مبادئه وقد قاد الثورة في تلك الاصقاع والتي كانت في مبادئها مزيجاً من الشريطة الرمزية والدعوات الاجتماعية الباطنية.[٤] وهكذا اضيفت قضية الدعاية الشيعية التي انتشرت بين التركمان في الاناضول الى مشكلة الدولة العثمانية الرئيسة آنئذ وهي حرب الوراثة بين أبناء بايزيد الثاني.[٥]

---

(١) Don Juan, of Persia. A Shiah Catholic, (1560-1604) Translated and Edited with an Introduction by G. Le Strange, First published, (London, 1926), P. 113.

(٢) Edvard. S. Creasy, History of the Ottoman Turks, First Edition, New York, 1877), P. 123.

Nikki R. Keddie ( Editor) Scholars, Saints and Sufis Muslim Religious Institutions in the Middle East Since 1500 Berkely. Los Angele. London, 1972, P. 279

(٣) شيباني ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

(٤) Allen, op. cit., P. 11.

(٥) انظر : ص ٦٠ ، هامش رقم ٢ .

(*) اما المصادر التركية فتسميه شيطان قلي .

وعلى كل حال فان ترويج المذهب الشيعي في الاراضي العثمانية من قبل الشاه اسماعيل كان له الاثر الكبير في خلق المتاعب لتلك الدولة ولو كان في مقدور الشاه ايصال المساعدات اللازمة الى اتباعه هناك لاستطاع السيطرة على الاناضول بسهولة الا ان انشغاله بمشاكله الداخلية منعه من تقديم المساعدة اليهم مما ادى الى فشل الحركة وسهولة القضاء على الثائرين من قبل الدولة العثمانية .

وهكذا نجد ان الدولة الصفوية هي التي بدأت التحريش بالدولة العثمانية محاولة منها في بسط نفوذها على الاناضول (١) وهذا يفسر اطماعها وعدم اكتفائها بالعراق فحسب وانما كانت تطمع في المزيد من الاراضي على حساب الدولة العثمانية .

ب — تفاقم الخلاف بين الشاه اسماعيل والسلطان سليم :

عندما تبوأ السلطان سليم عرش الدولة العثمانية (٢) صمم على خوض حرب ضده [illegible]

---

(١) انظر نص الرسالة التي بعثها بايزيد الثاني الى الشاه اسماعيل الصفوي والتي يوضح فيها اطماع الشاه في اراضي [illegible] : شيباني ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ .
نقلا عن كتاب حقيقة التواريخ — اسماعيل بيات توفيقي ، المنقول من كتاب انقلاب الاسلام ، المنشور في مجلة ( دانشكده ادبيات ) .

(٢) لقد انجب بايزيد الثاني ( ١٤٨١ — ١٥١٢ م ) ثمانية اولاد وعند وفاته ترك ثلاثة منهم احياء هم : احمد وكركود وسليم ، وعشرة احفاد وكان وصول سليم الى العرش نتيجة الصراع المستمر بين اخوة بايزيد واولاده ومما ساعده في ذلك ضعف الحكومة المركزية وشغب الانكشارية ، وبمجرد اعتلائه العرش عام ١٥١٢ نفذ حكم الموت باخوته واولادهم .

الدولة الصفوية ، فطالب اعداد قائمة باسماء جميع المؤيدين للشاه اسماعيل في بلاده[1] من الشيعة وبخاصة في آسيا الصغرى ممن تتراوح اعمارهم بين ٧ — ٧٠ عاما لغرض قتلهم[2]

(١) هناك اسباب عديدة في رأى المؤرخين لتحول الفتوحات العثمانية الى الساحة الشرقية منها :

آ — بلوغ الدولة العثمانية مرحلة الاشباع في فتوحاتها الغربية .

ب — ان الاحداث التي دارت في الشرق او حواليه في اوائل القرن السادس عشر هي التي جذبت الدولة العثمانية اليها ومنها قيام الدولة الصفوية ، وزوال دولتي الآق قوينلو وذى القدر ، وسقوط العراق فريسة سهلة بيد الصفويين وانتشار الحركات الشيعية .

ج — مواجهة التغلغل البرتغالي في جهات الشرق العربي ومنافذه البحرية .

د — خلافات شخصية بحتة بين العاهلين العثماني والصفوى .

انظر : اسماعيل سرهنك ، حقائق الاخبار عن دول البحار ، ج ٢ المطبعة الاميرية ، بولاق مصر ، ١٣١٤ هـ ، ص ١٩٠ . الدكتور محمود صالح منسي ، حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوى ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ص ١٩ — ٢٢ . ابراهيم الداقوقي ، مجلة الاخاء ، بغداد ، ١٩٦١ ، تشرين الثاني ، ص ٨ .

a. De Lamartine, History of Turkey Translated from French Vol, III., ( New York, 1857), P. 293.

Charles Eliot, Turkey in Europe, New Impression, London 1965, P. 56.

(٢) لقد ورد في الابيات الفارسية التالية ما يشير الى ان السلطان سليم قام باحصاء دقيق للشيعة لمن تتراوح اعمارهم بين ٧ — ٧٠ سنة وقام بذبحهم جميعا ويبلغ عددهم ٤٠,٠٠٠ :

| | |
|---|---|
| فرستاد سلطان دانا رسم | كه اتباع اين قوم را قسم قسم |
| زهفت وزهفتاد سانه تمام | جو دفتر ببردند اهل حساب |
| پس آنكه بحكام عسكرى | بهر جا كه رفته قدم از قلم |
| شد اعداد اين كشته هاى ديار | |
| دبيران دانا بهر مرز وبوم | در آرند بنوك قلم اسم اسم |
| بيارند بديوان عالي مقام | عدد چهل هزار آمد از شيخ وشاب |
| رسانند نزد نبران دفترى | نمند تيغ بران قدم بر قدم |
| فزون از حساب قلم چهل هزار | |

Browne, op. cit., Vol. IV, P. 73.

واستند الى فتوى صادرة من المفتي الاعظم باعتبار هؤلاء مرتدين عن الاسلام.[١] وكان عددهم ٤٠٠٠٠ على رواية علي ابي الفضل بن ادريس البدليسي ويجعل كريسي هؤلاء حوالي ٧٠٠٠٠ قتل منهم سليم ٤٠٠٠٠ ويعلق بقوله رغم هذه المذبحة فان المؤرخين المعاصرين لسليم كانوا يلقبونه بالعادل !![٢] اما لامرتين فيجعلهم ٤٠٠٠٠ قتلوا جميعا[٣] ويشارك لين بول كريسي في عددهم[٤] في الوقت الذى يجعلهم مؤلفا كتاب العالم الاسلامي عدة آلاف[٥] اما ريجارد كوك فيجعل قتل الشيعة في الاناضول قتلا عاما[٦] ويذكر بروكلمان لقد رغب المذهب السني - بعد هذه المذبحة الرهيبة - من اضعاف النزعات الشيعية التي كانت منتشرة في الاناضول منذ نشأة الامبراطورية العثمانية واستطاعت زحزحتها عن مركزها[٧] اما ما تبقى من الشيعة في الاناضول فأمر بوضع وشم على جباههم لكي يميزوا ثم ارسالهم الى الجهات الاوربية.[٨]

---

(١) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، الطبعة الثالثة (بيروت - ١٩٦٠)، ص٣٣.

(٢) Creasy, op. cit., PP. 131-132.

(٣) Lamartine, op. cit., Vol. II., P. 260.

(٤) Stanley Lane Poole, Turkey, ( Beirut, 1966),P.155.

(٥) William. H. McNeill, and Marilyn R. Waldman, Islamic World,( New York, 1973), P. 337.

(٦) بغداد مدينة السلام، ترجمة مصطفى جواد وفؤاد جميل، مطبعة شفيق، ج ١، (بغداد - ١٩٦٢)، ص ٢١٤.

(٧) كارل بركلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، نقله الى العربية، نبيه امين فارس، ومنير البعلبكي، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين (بيروت ١٩٦٥) ص ٤٥٠.

(٨) الواقع ليست هناك نصوص اولية صريحة تشير الى مذبحة الاناضول سوى ماورد في الابيات الفارسية التي دونها براون في كتابه وهي لا تخلو من مبالغة ايضا.

ومع كل هذا لا يمكن ان نجعل الاختلاف المذهبي وما رافقه من مذابح هو السبب الوحيد في الصراع والحروب بين الدولتين العثمانية والصفوية كما نلمس ذلك في كتابات معظم المؤرخين المحدثين وانما يمكن ان نعزو ذلك الى موافقة سياسة التعصب المذهبي لنوايا كل من الشاه اسماعيل والسلطان سليم التوسعية فقد استغل سليم الدين والمذهب لتحقيق اهدافه السياسية مثلما سخّر اسماعيل المذهب الشيعي من قبل لهذا الغرض .

لقد تعاون الشاه اسماعيل مع علاء الدولة ذي القدر عدوه السابق وتحالف مع الملك الاشرف قانصوه الغوري سلطان المماليك[١] وكذلك مع ملك جورجيا[٢] ضد الدولة العثمانية . فسياسة التحالفات هذه تبعد العامل المذهبي من الصدارة وتجعله واحدا من الاسباب الاخرى[٣] وكان هدف اسماعيل منها عزل الدولة العثمانية عن جاراتها[٤] أما السبب المباشر الذي أدى الى الصدام بين الدولتين فهو تجاهل اسماعيل الصفوي مناسبة تبوء السلطان سليم العرش العثماني حيث انه لم يرسل كالمألوف العادة الرسل والهدايا بالمناسبة مما ولّد ردّ فعل عنيف في نفس سليم جعله يتحين الفرصة لاعلان الحرب على ايران[٥]

---

(١) بعث الشاه اسماعيل وفدا الى سلطان المماليك يحمل صداقته وكان الوفد الذي يتكون من ٢٠٠ شخص يحمل الهدايا الثمينة كان بينها فهد متوحش حي وهو شعار الدولة المملوكية .

(٢) Stripling, op. cit., P. 40.

(٣) حيث ان الدولة المملوكية كانت سنية وتعتبر نفسها حامية الحرمين الشريفين كما ان ملك جورجيا كان مسيحيا .

(٤) Stripling, op. cit., P. 40.

(٥) للاستزادة عن الاحداث التي سبقت معركة جالديران عام ٩٢٠هـ/١٥١٤م . وللاطلاع على نصوص الرسائل المتبادلة بين العاهلين العثماني والصفوي ( = = )

ج ـ معركة چالديران (١)

لقد قاد السلطان سليم جيشه الجرار صوب الشرق في ربيع عام ١٥١٤ م ، وكانت خطة الشاه اسماعيل جره الى داخل اراضيه بعد ان احرق معظمها (٢) وذلك

---

( = ) يراجع : فريدون بك ، مجموعة منشآت ، ج ١ ، ص ٣٧٤ ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٢ ـ ٣٨٥ . تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٤١ . شيباني ، المصدر السابق ، ص ص ١٦٧ ـ ١٨٣ .

Creasy, op. cit., PP. 133-136.

Browne, op. cit., Vol. IV., PP. 73-75.

V. Minorsky, The Poetry of Shah Ismail (Bulletin) S.O.A.( Germany, 1964), Vol. X, P. 1007 a.

McNeill and Waldman, op. cit., P. 338.

(١) وادي جالديران يبعد عشرين فرسخاً أو قرابة مائة ميل عن تبريز في منطقة جبلية تقع على الحدود الغربية لايران اليوم ويقع الوادي الى شرق بحيرة (اروميه Urmiya) وهو من اعمال مدينة خوي وهو غير جالدران المثبتة في الخرائط قرب قارص وغير جالديران المؤشرة على الخرائط الحديثة قرب بحيرة وان . يراجع : جنتن ازخاورشناسان فرنسا ودو تمدن ايراني ، ترجمة دكتور عيسى بهنام ، طهران ١٣٣٧ ، ص ٢٩٩ . تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٤٢ .

Travels of Catreno Zeno, op. cit., P. 59.

Donald Edgar Pitcher, An Historical Geography of the Ottoman Empire, from Earliest Times to the end of the Sixteenth Century(Leiden, 1972 ), P. 102.

(٢) لقد امر الشاه اسماعيل محمد خان استاجلو حاكم ديار بكر من قبله بان يتلف ويحرق كل ما يمكن ان يستفيد منه سليم وان يتراجع الى آذربايجان ، لذا وجد السلطان سليم امامه اراضي محروقة اضطر بسببها نقل التموين عن طريق البحر الى ميناء طرابزون وذلك عانا الجيش العثماني من الجوع والارهاق فتمرد عدة مرات طالبا العودة الى الوطن . تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٤١ .

Allen, op. cit., P. 11. Lanepoole, op. cit., P. 157.

Creasy, op. cit., P. 136.

ليوريه بشتاء بلاده القارص وقلة تموينه الا ان اصرار السلطان سليم ورسائله الاستفزازية[١] اجبرت اسماعيل على الخروج لملاقاته ، فوقعت المعركة بينهما قرب وادي چالديران في فجر يوم الاربعاء الثاني من رجب عام ٩٢٠هـ / ١٥١٤م[٢]. ويذكر القزويني الذي رافق الجيش الصفوي قائلا (( اننا كنا نسمع ازيز المدافع منذ صلاة الصبح وحتى اذان الظهر ))[٣] ولكن بالرغم من ذلك استطاع الشاه اسماعيل وميمنته دحر ميسرة العثمانيين وسجل انتصارا في بدء المعركة[٤] الا أن سنان باشا القائد العام للجيش العثماني ارسل فرقة انكشارية[٥] لمشاغلة الجيش الصفوي وجره الى مدى اطلاقات مدافعه حيث فتح

---

(١) انظر نصوص الرسائل في : فريدون بك ، مجموعة منشآت ، ج ١ ، ص ص ٣٧٩ـ ٣٨٥ شيباني ، المصدر السابق ، ص ص ١٨٠ ـ ١٩٠ .

Browne, op. cit., Vol. IV., PP . 74-75.
Creasy, op. cit., PP. 134-136.

(٢) للاستزادة انظر : فريدون بك ، مجموعة منشآت ، ج ١ ، ص ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .

ياسين بن خير الله العمري ، الآثار الجلية في الحوادث الارضية ( مخطوط ) بغداد ـ المجمع العلمي ، ورقة ١٨٠ . تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٤٢ . الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس ج ٢ ، المطبعة الوهبية ، مصر ـ ١٢٨٣هـ ، ص ٣٩ .

(٣) لب التواريخ ، ص ٢٥٠ .

(٤) روملو ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

(٥) من المعروف ان الانكشارية هم من صنف المشاة في الجيش العثماني وكانوا يحملون القوس والسهم والخنجر والحربة بالاضافة الى البندقية المحشوة الا ان سلاحهم الناري البدوي الذي استخدم لأول مرة في هذه المعركة اثبت فشله في حين برهنت المدفعية على جدارتها هذا وان القيادة العسكرية العثمانية كانت تخشاهم في هذه الحرب بسبب ولائهم المذهبي للصفويين .

M. Phillips Price, A History of Turke, from Empire to Republic, ( London, 1956), P. 47.

النار على صفوف فرسان الصفويين والمشاة الانكشارية معا وبهذه الطريقة احرز انتصارا رائعا وجرح الشاه في كتفه عندما كبى جواده في ارض رخوة[(١)][(٢)] وكاد ان يقع اسيرا بيد العثمانيين لولا مبادرة حضر استاجلو الذى قدم جواده للشاه وتكلف هو بانقاذ الجواد الكابح فنجح في مسعاه وتبع الشاه باتجاه درگزين[(٣)] ومن جهة اخرى واتماما لانقاذ الشاه ادعى الامير (ميرزا علي افشار) بانه هو الشاه ومما ساعد على قبول ادعائه ارتداؤه ملابس مزركشة كانت ترشحه أن يكون شاها[(٤)] وبذلك وفر الوقت للشاه للوصول الى درگزين[(٥)]

ومما هو جدير بالذكر ان جرح الشاه وفراره من المعركة كان عاملا مساعدا في ترجيح كفة الحرب لصالح العثمانيين بالاضافة الى تفوق سلاح المدفعية الفتاك الذى بعثر اشلاء الجياد والفرسان على حد سواء[(٦)] وقتل في المعركة قرابة خمسة آلاف من الايرانيين[(٧)]

---

(١) Travels of Catreno Zeno, op. cit., P. 61.

(٢) Don Juan, op. cit., P. 118.

(٣) روملو ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(٤) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٤٣ . تقع درگزين الى شمال همدان انظر: Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 76.

(٥) روملو ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ . ويسميه مؤلف عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٤٣ سلطان علي افشار ، وسلطان هنا رتبة ادارية .

(٦) Lane Poole, op. cit., P. 157.

(٧) غفارى ، جهان آرا ، ص ٢٧٧ . نظمي زادة ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

(٨) Travels of Catreno Zeno, op. cit., P. 61.

(٩) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٤٣

وقيل ان خسارة الطرفين بلغت خمسة آلاف .(١)

ومن بين القتلى البارزين في الدولة الصفوية ميرعبد الباقي (الصدر)(٢) ومير سيد شريف الشيرازي الوكيل السابق(٣) وسيد محمد كمونه (المهردار) وخان محمد سارو وبيره (قورجي باشي) وحسين بيك لاله(٤) وبيرعمر بك (شيرهجي) باشي(٥) وعشرات القتلى من ابناء العشائر العربية في العراق الذين رافقوا السيد محمد كمونه(٦) ومن ضباط الجيش العثماني قتل حسن باشا وبالى بيك وابنه علي بيك وابن طورعلي بيك وحسن بيك حاكم الموره وسليمان باشا ومصطفى بك واسكندر بك .(٧) ومن جهة اخرى عندما مثل ميرزا علي

---

(١) غفاري ، جهان آرا ، ص٢٧٧ . وروايته اصح لانه اقرب الى الاحداث .

(٢) عين صدرا من قبل الوكيل نجم الثاني (يار احمد) ثم صار وكيلا وصدرا في آن واحد حتى قتل في جالديران .

Bulletin, S.O.A.S. Vol.(XXIII- 1960), P. 104.

(٣) كان صدرا أول الامر الا انه اختلف مع الوكيل نجم الثاني وسافر الى العراق لزيارة العتبات المقدسة وعاد مع ساسة العراق لخوض غمار جالديران عام ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤

Bulletin, S.O.A.S. Vol. XXIII, P. 104.

(٤) انظر ص ٤٦ هامش ٢

(٥) غفاري ، جهان آرا ، ص٢٧٧ . وشيرجي تعني دبّاس ولكنها أصبحت رتبة عسكرية عند الصفويين .

(٦) يجعل نظمي زاده ، في كتابه كلشن خلفا ، ص ١٨٥ عدد القتلى من العرب في معركة جالديران عشرة آلاف والواضح ان في التقدير مبالغة كبيرة لان عدد قتلى الطرفين في المعركة على ادق الروايات بلغ حوالي خمسة آلاف قتيل الا ان روايته توضح بان العراقيين اشتركوا في هذه المعركة ووقعوا صرعى فيها .

(٧) ياسين العمري ، الآثار الجلية ، ورقة ١٨٠ .

ويجعل لين بول عدد القتلى من الضباط العثمانيين ثمانية عشر سنجق بكا

Lane Poole, op. cit., P. 157.

افشار الذى ادعى بانه الشاه بين يدى السلطان سليم واكتشف امره انتاب السلطا
الغضب العارم واخذ يكيل السباب للشاه وينعته بالجبن ويتهمه بالزندقة ولكن مسير
على افشار قاطعه قائلا (( اذا كنت انت متمسكا بشرع رسول الله ومطيعا لتعاليمه فلم
تأتي لتحارب سيدى الذى هو من نسله )) وارداف قائلا (( واعلم أن الله انقذك من
بين يديه وكتب لك النجاة بسبب خطايانا نحن . اما الله فسوف يثأر له لا محال ))
فازداد غضب السلطان سليم وصرخ اقتلوا هذا الكلب . فرد عليه (افشار
... اني على علم يقين بأن لحظاتي الاخيرة قد دنت ولكنك هلا اعدت نفس
لتدفعها قربانا لي وسوف لا تطول الفترة التي سيواجهك بها سيدى وربما قبل ا
ينصرم هذا العام وسيفعل بك مثلما تأمر بتنفيذه الآن .
ولم يكد ينتهي الامير (افشار) من كلامه حتى انقض عليه سليم وقطعه اربا اربا[1]
ثم استمر سليم في زحفه ودخل تبريز يوم ٤ ايلول ١٥١٤[2] وقتل جميع الاسرى عدا النس
والاطفال[3] حيث منع بيرى باشا من التعرض اليهم[4]. فيما يذكر (براون) ان العثمانيين
تصرفوا في المدينة تصرفا رقيقا ومهذبا[5]. اما الشاه فكان قد توجه الى الجنو

(١) Travels of Catreno Zeno, op. cit., P. 62.

(٢) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، الطبعة الثانية (مصر ١٨٩٦
ص ٧٤ . فيما يرد يوم ٧ أيلول في : Bernard Lewis, Istanbul, and the Civilization of the Ottoman Empire, Oklahoma, 1963) P.29.

(٣) Lane Poole, op. cit., 158.

(٤) Demertius Cantemir, The History of the Growth and Decay of Othman Empire Translated into English from the Author's Own Manuscrpt, by N. Tindal (London, 1734), P. 148.

(٥) Browne, op. cit., Vol. IV., P. 67.

الشرقية من بلاده لاعداد جيش جديد لمواجهة سليم ثانية(1)!

وهكذا استطاع السلطان سليم الاستيلاء على خزائن الشاه اسماعيل وارسالها الى القسطنطينية وأرسل كذلك عددا من امهر الصناع في المدينة واسر احدى زوجات الشاه اسماعيل وزوجها لاحد عبيده انتقاصا من قيمة الشاه وانتقاما منه(3) ثم صلى الجمعة في تبريز(4) وأمر خطيب مسجدها ان يذكر اسمه في الخطبة(5) وبعد اقامة ثمانية ايام في

---

(1) Don Juan, op. cit., P. 119.

(2) ورد في دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ١٠٠ أن عددهم كان مائة شخص وجعلهم محمد فريد بك ، المصدر السابق ، ص٧٤ اربعين شخصا فيما قال كريسي انهم كانوا ألف شخص وهم الذين ساهموا في نهضة القسطنطينية وأكد نفس الرواية لين بول انظر :

Creasy, op. cit., P. 140.
Lane Poole, op. cit., P. 158

(3) محمد فريد بك ، المصدر السابق ، ص٧٤ ، بينما الدراسات الحديثة تبطل هذه الرواية انظر : نصر الله فلسفي ، جنك مقاله ( تاريخي وادبي ، جنك چالدران ، چابخانه دانشگاه تهران ، ١٣٤٢ ، ص ٨١ ، وجعلها احدى عشيقات الشاه .

(4) سرهنك ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

(5) عندما باشر الخطيب بالقاء خطبته سهوا وقال باسم السلطان بن السلطان ابو المظفر اسماعيل بهادرخان ... عندها هم جند السلطان سليم بقتله الا أنه منعهم قائلا : انها فلتة لسان لأن الرجل قد اعتاد ولفترة طويلة على ذكر اسم سيده انظر :

الديار بكري ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .
روملو ، المصدر السابق ، ص١٤٩ .

المدينة غادرها عائدا الى بلاده وذلك لقلة المؤن وشحة الحبوب(١) وقيل انه خر بجيشه لتتبع اثر اسماعيل ووصل شواطيء نهر الرس وعندها امتنع الانكشارية عن التقد لاشتداد البرد وقلة المؤونة اللازمة لديهم وكان على رأس هؤلاء المحرضين جعفر جلبي(٢) لذا اضطر الى التراجع الى بلاده عن طريق اماسيه لقضاء فترة الشتاء فيها والاستعداد لحرب جديدة في اوائل الربيع(٣) واثناء مروره بديار بكر امر سنان باشا(٤) بمعاقبة علاء الدولة ذي القدر الذي وقف موقفا غامضا اثناء حرب السلطان سليم ضد الشاه وهكذا قتل علاء العجوز ومنحت امارته الى ابن اخيه (علي بيك) الذي رافق السلطان سليم في الحملة على بلاد فارس(٥) وعندما علم الشاه اسماعيل بمغادرة سليم تبريز عاد اليها ثانية ثم باشر باعداد جيشه وتنظيمه وارسل وفدا الى سليم في اماسيه عندما كان يقيم فيها مع هدية قوامها حراوة من الذهب الخالص وسرج جواد رائع وسيف مرصع بالجواهر ورسالة هذا مضمونها :

---

(١) بيع العليق بمائة درهم والرغيف بمائة درهم ايضا نتيجة اوامر الشاه اسماعيل بعد اندحاره في جالديران باحراق الحبوب والتموين بالاضافة الى امتناع قانصوه الغوري بالسماح لقافلة التموين العثماني من المرور عبر بلاده لتأييده للشاه اسماعيل . انظر : ياسين العمري ، الاثار الجلية ، ورقة ١٧٧ . سرهنك ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٦ ، ص ٤٧٢ ، (الطبعة العربية) .

(٣) اما كريسي فيقول انه اتجه الى قرباغ ليقضي فصل الشتاء فيها .
Creasy, op. cit., P. 140.

(٤) بعد مقتل محمد خان استاجلو حاكم ديار بكر في معركة جالديران انيطت حاكمية هذه الولاية بقرا خان اخي محمد خان المذكور حيث توجه الى ماردين الان سكان مدينة (آمد) نفذوا ولائهم من الدولة الصفوية وهكذا استطاع الجيش العثماني ان يضم اليه هذه الولاية بسهولة ويسر .

(٥) جولمان ، المصدر السابق ، ص ٤٤٨ .

من اسماعيل الكبير شاهنشاه ايران اليك يا سليم اقدم هذه المدية التي تليق تماما بعظمتك ومقامك ... وان كنت حقا شجاعا احتفظ بها جيدا لاني قادم لاستعادتها منك سوية مع رأسك ومملكتك التي استحوذت عليها في غفلة من الزمن .. وليس من اللائق ان يحكم سليل الرعاة هذه المقاطعات (١)

وعندما وصلت الرسالة الى سليم ثار غضبا وهمّ بقتل الرسل ولكنه اكتفى بقطع آذانهم وانوفهم جميعا واعادتهم الى الشاه اسماعيل وهم يحملون الرسالة التالية :

من السلطان سليم العظيم سلطان كل الترك يرّد على كلب فارس دون ان يأبه بنباحه .. وليعلم اذا اظهر نفسه على حدودي لافعلن به مثل ما فعل جدي محمد الفاتح بجده اوزون حسن (٢).

وقيل ان الشاه اسماعيل لم يبتسم قط بعد اندحاره في جالديران الى ان مات عام ١٥٢٤ لانه لم يخسر اي حرب في حياته سواها (٣)(٤).

---

(١) Travels of Catreno Zeno, op. cit., P. 65.

(٢) Ibid., P. 65.

ويذكر ياسين العمري في الآثار الجلية ، ورقة ١٨١ ، ضمن حوادث هذا العام ان الشاه اسماعيل ارسل الى السلطان هدية سنية وطلب الصلح فأبى السلطان واعاد هديته . ويقول نصر الله فلسفي ان الشاه اسماعيل ارسل مير نور الدين عبد الوهاب لعرض الصلح على السلطان سليم الا انه رفض ذلك وامر بسجن الرسول وان نص الرسالة التي حملها مير نور الدين لا تشبه تلك التي رواها السائح البندقي رغم ان الشاه اظهر فيها اعتزاز بالنفس . انظر : جنيد مقاله (تاريخي وادبي) ص ٨٤ ـ ٨٥ .

(٣) Bausani, op. cit., P. 138.

(٤) Malcolm, op. cit., Vol. I, P. 505

ويقول نصر الله فلسفي ان الشاه اسماعيل في اعقاب اندحاره في معركة جالديران ارتدى الملابس والعمامة السوداء وافرط في شرب الخمر ، وتوقف عن نشر ( = )

ومع طلائع الربيع تقدم السلطان سليم ثانية الى بلاد فارس ففتح قلعة (كوماخ) وضم اليه امارة ذى القدر ٩٢١هـ / ١٥١٥م[1] ثم عاد الى القسطنطينية تاركا احد كبار قواده، وهو فرهاد باشا لاتمام فتح الولايات الايرانية المتاخمة للحدود العثمانية وبمجرد وصوله العاصمة امر بقتل عدد كبير من ضباط الانكشارية الذين كانوا سببا في الامتناع عن التقدم في الاراضي الايرانية، مثلما امر من قبل باعدام (جعفر جلبي) قاضي عسكر هذه الفئة والمحرض الاكبر لهذا الامتناع.[2]

ولا بد أن نذكر أن فرهاد باشا في طريق عودته امر بيقلي محمد باشا[3] بفتح مدن ماردين والرها والرقة[4] وأفلح الجيش في احتلال الموصل[5] وسنجار وتلعفر وجزيرة

---

(= ) المذهب الشيعي في بلاده ثم راسل قانصو الغوري واخذ يحرضه على قتال السلطان سليم كما أرسل وفودا الى صربيا والمجر ودول اوربية أخرى لنفس الغرض وحرك متصوفة قلعة تورخال من اعمال اماسيه في الاناضول ضد الدولة العثمانية واجرى مفاوضات مع الدول الاوربية للحصول منها على السلاح والخبرة العسكرية . انظر: نصر الله فلسفي ، جنك مقاله (تاريخي وادبي) ص٨٥ يعتمد على نصوص أوراق ومخطوطات اتاى مرتضى كيلاني ، تذييل تاريخ نكارستان ، جاب بنكاه ، طهران ، ١٣٨١هـ ، ١٣٤٠ شمسي ، ص ٣٦٣ .

(١) Bertold Spuler., The Muslim World, A Historical Survey, The Mongol Period Part II., ( Leiden, 1960), P.75.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٦ ، ص ٤٧٢ . تم اعدامه في الثامن من رجب ٩٢٠هـ ٢٩ آب / ١٥١٤ أى بعيد معركة جالديران .

(٣) نادر صابر الضابط ، موجز تاريخ التركمان في العراق ، ج ١ ، مطبعة المعارف (بغداد ١٩٦٠) ص١٥٣ نقلا عن كتاب تاريخ سياسي دولت عثمانية .

(٤) Creasy, op. cit ., P. 140.

(٥) ه نوى ، المصدر السابق ، ص٢٨٣ .

(٥) مرينك لاموش ، تاريخ تركية ، ترجمة سعيد نفيسي ، باب اول ، جابخانه مجلس ، تهران ١٣١٦ ، شمسي ، ص٩٢ .

ابن عمر والعمادية واربيل وكركوك[1] وقيل ان الجيش العثماني استولى على حديثة وهيت وعانة[2] كما أعلن الزعماء الاكراد الولاء للسلطان سليم بوساطة المؤرخ ادريس البدليسي[3] شريطة استمرارهم في حكم مقاطعاتهم[4].[5]

ومن جهة اخرى ان ما حدث في اعقاب معركة جالديران هو استحواذ السلطان سليم على اقليم الجزيرة بما في ذلك الموصل وقضاؤه على علاء الدولة ذي -

---

(١) الضابط، موجز تاريخ التركمان، ج ١، ص ١٥٣ نقلا من مصدر آخر .

(٢) احمد بن السيد زيني دحلان، الفتوحات الاسلامية، ج ٢، الطبعة الاولى، مصر ١٣٢٣ هـ، ص ٨٨ .
Pitcher, op. cit., Map. XX.

(٣) الضابط، موجز تاريخ التركمان، ج ١، ص ١٥٣، نقلا من مصدر آخر .

(٤) قائد عسكري ومؤرخ ،كان اول الامر موظفا تحت امرة يعقوب بن اوزون حسن ولما كتب السلطان بايزيد يعلن انتصاره على الآق قوينلو ردّ عليه البدليسي فاعجبه رده واستدعاه الى بلاطه وظل في خدمة السلطان سليم بعد تبوءه العرش، وصحبه في غزوة ايران وهو الذي استولى على كردستان وقاد الجيش الكردي لفتح ماردين وله الفضل في ضم الرها والموصل وعمل على استقرار الاحوال الداخلية في منطقة كردستان لاقناعه الزعماء الاكراد بتقديم الولاء للسلطان العثماني ومن آثاره تأريخا بالشعر الفارسي يقع في ٨٠،٠٠٠ بيت شعر عن السلاطين الثمانية الاول من آل عثمان وعنوانه (هشت بهشت) اي الجنان الثمان وله قصائد باللغة العربية، ويعتبره الاكراد خائنا لشعبه . انظر: هيوار، دائرة المعارف الاسلامية، ج ٣، ص ص ٤٦٤ - ٤٦٥ (الطبعة العربية) انظر كذلك: الشيخ محمد نجم الدين الغزي، الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة، ج ١، بيروت، ١٩٤٥، ص ١٥٩ . احمد بن مصطفى طاشكبري زاده، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، المطبعة الميمنية، القاهرة، ص ٣٥٣ . على هامش الجزء الاول من كتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان .

(٥) محمد فريد بك، المصدر السابق، ص ٧٥ . لاموش، المصدر السابق، ص ٩٢ .
Creasy, op. cit., P. 140.

القدر حليف الشاه اسماعيل[١]، ولم يبق امامه سوى قانصوه الغوري سلطان المماليـ
والحليف الآخر للشاه اسماعيل والذي وقف موقفا سلبيا اثناء حملته على بلاد فارس ومـ
التموين من الوصول الى جيشه ، لذا جهز له جيشا جرارا والتقى الطرفان في ٢٤ آب
١٥١٦م في موضع يقال له ( مرج دابق ) شمال حلب[٢] ودارت بينهما رحى معركة انتهـ
لصالح السلطان سليم وقتل الغوري تحت سنابك الخيل واستولى السلطان على اموال
وخزائنه[٣] ثم تقدم الى مصر واحتل القاهرة عام ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م .

وعلى كل حال وبالرغم من أن معركة جالديران انتهت لصالح السلطان سـ
الا انها لم تؤد الى نتيجة سياسية تذكر[٤] ، حيث لم يعقب المعركة معاهدة او صلـ

---

(١) كليفورد ادموند بوسورث ، سلسلة شاهاى اسلامى ، ترجمة فريدون بدره اى ، جابخا
اتحاد ، ايران ١٣٤٩ ، شمسي ، ص ٢٥٧ .

(٢) illiam Muir, The Mameluke, or Sllave Dynasty of Egypt, A History of Egypt from the Fall of the Ayyubite Dynasties to the Conquest by the Osmanlis, (1260-1571) ( Amsterdam, 1968), P. 195.

ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، القسم الاول ص ٣٠ .
(٣) سرهنك ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩١ .

(٤) masy, op. cit., P. 140.

ويعلق الرحالة البنادقة بقولهم :

لو ان الجيش العثماني كان قد اندحر في هذه المعركة لتحول اسماعيل الصفـ
وجيشه الى قوة اكثر دمارا من تيمورلنك .

و يدنة وفشل السلطان العثماني في الاحتفاظ بالاراضي التي استحوذ عليها ولم يفلح في قهر الشاه مستقبلا (١)

وللمؤرخ توينبي نظرية في هذا المجال حيث يقول : ان الموقف العسكري بعد موقعة جالديران كان دائما وراكدا فهو لم يؤد الى انهيار احدى الدولتين واتضح لهما ان سقوط احداهما سقوطا مباشرا امر متعذر ، وان الموقف يتطلب محاصرة العدو بالاستيلاء على البلاد المحيطة به وبمعنى آخر ان النزاع بين الدولتين من الصعب ان يتخذ مجاله داخل ايران نفسها او آسيا الصغرى نفسها بل يجب ان يحدث في المناطق التي تقع بينهما وفي كسب مجالات في هذه المناطق وبذلك يعتبر توينبي ان استيلاء العثمانيين على سوريا ومصر ما هو الا حلقة من حلقات الصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية (٢) ويدعم هذه النظرية برنارد لويس بتأكيده على ثبات مركز الفرس وقوله ان الشاه اسماعيل الصفوي واتباعه الشيعة استمروا يتمتعون في ايران بمركز ثابت غير مزعزع بعد هذه الحرب (٣)

ويمكننا أن نضيف الى ما مرّ ان ما حققته الدولة العثمانية بعد هذه المعركة هو تأمينها لحدودها الشرقية باستحواذها على اقليم الجزيرة بما في ذلك شمال العراق وزعزعتها النفوذ الايراني في المنطقة وعزلها كيان الولاة الايرانيين او الموالين لايران تمهيدها السبيل للثورات الداخلية التي استفادت منها الدولة العثمانية و منها

---

(١) H.G.Koenigsberger and George. L. Mosso Europe in the Sixteenth Century, London, 1968, P. 151.

(٢) الدكتور محمد أنيس والدكتور السيد رجب حراز ، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (القاهرة ، ١٩٦٧) ، ص ٩٠

(٣) B. Lwise, Istanbul, P. 29.

الحركة الانفصالية في بغداد [1]

رابعا ـ موقف العراقيين من الحكم الصفوي في العراق :

لم يترك الصفويون اى اثر مهم في تاريخ العراق السياسي والاقتصادى بعد احتلالهم له بل ربما لا نجانب الصواب اذا قلنا بان الشيعة العرب في العراق تركوا [2] اثرا واضحا في سياسة الصفويين آنذاك حيث أن الشاه اسماعيل [3] وبعده الشاه طهماسب قربا اليهما زعماء الشيعة في العراق وعلماءهم حتى تقلد بعضهم مناصب عليا في البلاط الصفوى [4]، بل وصاروا يوجهون سياستها وتحت تأثيرهم بالغ الصفويون في رعاية العتبات المقدسة الشيعية في مدن العراق المختلفة وشقوا الطرق اليها لتسهيل مهام زوارها [5]، فتوافد عليها سيل من القزلباش المتدينين من مختلف الديار الايرانية ومن الاناضول وعادوا الى بلادهم وهم يرددون آيات الثناء ويكيلون المديح للزعامة الصفوية التي هيأت لهم تلك المناسبة بتذليلها متاعب السفر وتوفير الامن في الطرقات اليها واخذوا يروون الغرائب عن مشاهداتهم في تلك الاماكن ويبالغون في سرد المعجزات والكرامات عن الائمة كوسيلة لترويج المذهب الشيعي الذى اخذ ينتشر بسرعة لا في ايران فحسب وانما في الاناضول ايضا تحت تأثيرهم [6].

---

(١) انظر ص ٧٨ من هذا البحث .

(٢) لم يتغير ما كان سائدا فيه سوى تبديل اشخاص بآخرين فبدلا من باريك برنساك الذى كان يمثل الآق قوينلو صار خادم بك طالش ممثلا للصفويين ومن الناحية الزراعية ظل نظام الاراضي كما كان عليه في الماضي ولم يحدث ما يشير الى اهتمام واضح بطرق الري وما تم من توسيع ترعة في النجف لم يكن سوى مظهر من مظاهر العاطفة المذهبية .

(٣) انظر ص ٥٠ من هذا الفصل .

(٤) انظر ص ٨١ حيث تعين السيد نعمة الله الحلي وهو مواطن عراقي من الحلة منصب الصدارة .

(٥) انظر ص ٥١ من هذا الفصل .

(٦) انظر ص ٥٩ حركة بابا شاه قلي .

وفي الدولة العثمانية ثمن الانكشارية خطوات الصفويين في تعمير ورعاية تلك المزارات بل وجاهر بعضهم في تأييد الدولة الصفوية وبخاصة الانكشاري البكتاشي[١] يعتبر رعاية مراقد الائمة من اولى واجباته الدينية كما ان الحج اليها يعتبر غايته العظمى .

وكرد فعل لتلك التطورات في الدولة العثمانية امر السلطان سليم بقتل الشيعة في الاناضول[٢] وحاول اذلال الجيش الانكشاري المؤمن بالمبادئ البكتاشية باجباره على محاربة القزلباش الايرانيين الذي يرتبط واياهم بوشائج المذهب والعقيدة ، فقادهم عبر مسيرة شاقة وطويلة صوب الاراضي الايرانية لمقاتلة الشاه الصفوى - وان استطاع السلطان سليم كسب المعركة في جالديران عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م[٣] وافلح في قتل الزعماء الانكشارية الذين رفضوا الانصياع لاوامره في التقدم داخل الاراضي الايرانية الا انه لم يستطع ايقاف الولاء الذي ظل يكنه فريق منهم للدولة الصفوية لذا فكر ان يحل العقدة بقطعها واعد لذلك جيشاً في حلب عام ٩٢٥هـ / ١٥١٩م أراد التوجه به الى العراق لاحتلاله[٤] وربما أراد وضع المزارات الشيعية تحت اشرافه ورعايته ، ولكنه تحرج

(١) ان جماعة البكتاشية تمجد قبور الائمة ومراقد الاولياء ويعترفون بالائمة الاثنى عشر ويبجلون من بينهم بصفة خاصة الامام جعفر الصادق مؤسس المذهب .

شودى ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص٣٨ (الطبعة العربية) .

(٢) انظر : ص ٦١ من هذا البحث .

(٣) انظر عن هذه المعركة في ص ٦٤ .

(٤) اطلع الصفويون عام ٩٢٥هـ بواسطة جاسوسين ايرانيين على خبر مفاده ان الجيش العثماني يعد العدة للتوجه عن طريق ديار بكر وحلب الى بغداد لاحتلالها لذا امر الشاه اسماعيل كلا من دورغمش خان وزينل خان بالتوجه مع جيشهما الى بغداد لمساعدة الحامية الصفوية فيها كما قاد هو الاخر جيشا توجه به الى جهات جبل بيستون قرب كرمنشاه ليكون على مقربة من بغداد .

صفوى ، المصدر السابق ، ص ٤١ .

من امر المعارضة الشيعية فيه وفي عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م حاول توجيه حملة عسكـ
الى ايران الا ان المنية عاجلته لذا اجل المشروع .

ولما تبوأ السلطان سليمان القانوني العرش العثماني عام ٩٢٦هـ / ١٥٢٠
مارس سياسة دينية معتدلة وساير الانكشارية في عواطفهم المذهبية وتقرب الى ايـ
عندما ارسل وفدا لمباركة الشاه طهماسب بمناسبة اعتلائه عرش ايران(١) بعد وفاة والد
اسماعيل عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤ ولكنه لم يسقط من حسابه مشروع فتح العراق وانما حاو
الوصول الى تنفيذ ذلك بشكل لا يسيء الى عواطف الشيعة فيه بل عن طريق استمال
حكامه المحليين ، وكاد ان يحقق هدفه عند قيام الحركة الانفصالية في بغداد الـ
تزعمها ذو الفقار الا ان الظرف على ما يبدو لم يكن في صالحه بعد كما سنرى .

## محاولة ذي الفقار الانفصالية في بغداد عام ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م :

عندما تبوأ الشاه طهماسب عرش الدولة الصفوية ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م كان ابراه
خان موصلو حاكما على بغداد يديرها والاجزاء الاخرى من العراق العربي(٢) وفـ
صيف ٩٣٤هـ / ١٥٢٧م(٣) زار بغداد لقضاء فصل الصيف في (ماهي دشت) في الجـ
الشرقية من العراق(٤) في منطقة الجبال عندها انتهز هذه المناسبة ابن اخيه المدعـ

---

(١) انظر : الدكتور عبد الحسين نوائي ، شاه طهماسب صفوي ، مجموعة اسناد ومكاتبات تاريخي همراه با يادداشتهاى تفصيلي ، انتشارات بنياد فرهنك ، چاپخانه خوشه ، تهران ، ٣٥ - ٣٦ ، فهرست .
(٢) تذكرة طهماسب ، بسعي واهتمام عبد المشكور ، (برلين ، ١٣٤٣هـ) ، ص ١٤ .
(٣) حاجي خليفة ، تقويم التواريخ ، ذيله محمد افندي (القسطنطينية ، ١١٤٦هـ) ، ص ١١٧ . بينما يجعل صاحب احسن التواريخ وقائع انتصار ذي الفقار على ابراهيم عام ٩٣٢هـ / ١٥٢٦م . اما بجوى فانه يجعله عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م (انظر : تاريخ بجوى ، ج ١ ، ص ١٧٤) . والصحيح هو عام ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م استنادا على ما ورد في تذكرة طهماسب ، ص ١٤ .
(٤) يجعله صاحب كلشن خلفا ماخيره خطأ ، انظر ص ١٨٦ .

و الفقار بيك بن علي بيك المشهور بـ (خود سلطان)[1] وكان آنئذ حاكما في (كهتران) هو من قبيلة موصلو من عشيرة كلهر[2] وهجم عليه في مخيمه هناك بمعية مائتين من اتباعه[3] لا ان ابراهيم خان استطاع الالتجاء الى خيمة نسائه ولكن ذا الفقار تبعه الى هناك بضربة من سيفه قطع حبال الخيمة التي لجأ اليها عمه ثم اخذ يكيل الطعن بالسيف لا رحمة الى من كان تحتها فخر نتيجة لذلك عمه وعدد كبير من النساء والحاشية سرعى يتخبطون في دمائهم وادت هذه المجزرة ببقية اتباع ابراهيم خان الى تأييد ي الفقار وتوجهوا معه الى بغداد ، وفي الطريق حاول سلطان بك كمونه التصدي له ن اربعمائة فارس الا انه لم يفلح ففر هاربا الى جهات ايران واستطاع ذو الفقار دخول لمدينة والفتك بأبناء عمومته فتكا ذريعا[4] ثم أعلن نفسه واليا على بغداد وجميع العراق

---

هدايت ، رضاقليخان ، ملحقات تاريخ روضة الصفا ناصري ، جلد هشتم ، قم ١٣٣٩ شمسي ، ص ٥٢ ، ويتخبط معظم المؤرخين في ضبط الاسماء والتواريخ والاحداث في مراجعهم الحديثة مختارة بحسب الخبر الى عام ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م واخرى الى عام ٩٣٦هـ/ ١٥٣٢ وبعضهم يسمي قبيلة ذو الفقار اوصلو بدلا من موصلو ويجعلون الهجوم على ابراهيم خان في بغداد بدلا من ماهي دشت وهكذا ...

٢) كلهر : يقطنون شمال لورستان وهم فرع كبير من الاكراد الاصليين حيث يقسم البدليسي الجماعات الكردية الى اربعة اقسام هي (الكرمانج ، واللر ، والكلهر والكوران ، شرفخان البدليسي ، شرفنامه ، ج ١ ، ترجمه الى العربية محمد علي عوني ، راجعه وقدم له يحيى الخشاب ، دار احياء الكتب العربية ١٩٥٨ ص ١٨ ، ١٩ ، ٣١٣ ، انظر سالنامه بغداد ، لعام ١٣١٨ هـ ، ص ٥٣٩ .

٣) يجعلهم نظمي زاده في كلشن خلفا ، ص ص ١٨٦-١٨٧ ثلثمائة ويروى الحادثة بشكل مضطرب غير مفهوم .

٤) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

وقد ادرك ان لا كفاية العربي ويجعله ابن الغملاس[1] رجلا عاقلا كيسا كثير الدراية[2] لموارده ازاء سطوة الفرس لذلك سعى الى التقرب من اسطنبول واظهر الولاء للدولة العثمانية وامر بذكر اسم السلطان سليمان القانوني في الخطبة وبعث اليه رسالة يعرب فيها عن ولائه له[3] وقيل انه ضرب النقود باسمه[4] وارسل له السفراء[5] ومفتاح بغداد[6]

---

(١) تذكرة طهماسب ، ص١٥٠

(٢) ابن غملاس ، ولاة البصرة ومتسلموها ، ( ١٤ هـ - ١٣٣٣ ) ، ( بغداد ١٩٦٢م ) ، ص ٥٤ . المخطوط الاصلي يؤرخ الى عام ١٢٤٣ وقد ذيله الناشر الى عام ١٣٣٣

(٣) محمد ثريا ، سجل عثماني ، ايكنجي جلد ، ( مطبعة عامره ١٣١١هـ ) ، ص٣٤٢ .

(٤) سليمان فائق بك ، تاريخ بغداد ، نقله الى العربية موسى كاظم نورس ، مطبعة المعارف ، ( بغداد ، ١٩٦٢ ) ، ص ٩٠

واني اشك في ضرب النقود باسم السلطان سليمان القانوني في عهد ذي الفقار لانه ليست هناك اشارات اوليه صريحة بذلك وان ما يدعيه المرحوم عباس العزاوي بان نقودا عثمانية ضربت في بغداد تحمل تاريخ ٩٢٦هـ وهو تاريخ سابق لاحتلال بغداد من قبل العثمانيين ونسب ذلك الى ايام ذي الفقار فهو ادعاء مرفوض تماما لان الحركة الانفصالية قامت عام ٩٣٤ هـ لا ٩٢٦هـ كما هو ثابت كما ان كثيرا من النقود العثمانية كانت تضرب في ازمنة مختلفة وهي تحمل تاريخ تبوء السلاطين العثمانيين العرش وهناك اشارات الى ضرب النقود في بغداد وهي تحمل تاريخ ٩٧٤ هـ وهو تاريخ تبوء السلطان سليم الثاني العرش العثماني واخرى تحمل تاريخ ٩٨٢ هـ وهو تاريخ تبوء السلطان مراد الثالث العرش ويحتمل ان نقودا ضربت في بغداد بعد احتلالها من قبل سليمان القانوني وحملت تاريخ تبوءه العرش وهو ٩٢٦ هـ . انظر : عباس العزاوي تاريخ النقود العراقية ، ( بغداد ، ١٩٥٨ ) ، ص ص ٨٨ - ٨٩ . انظر كذلك الفصل الخامس بحث النقود في هذه الرسالة

(٥) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(٦) خير الله افندي ، تاريخ دولت عليه عثمانية من سنة ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ ، كتاب حادي عشر ، ( - ١٢٨١ هـ ) ، ص ١١٥ .

ومن الجدير بالذكر ان المصادر الاولية لا تشير الى مثل هذا الولاء وكل ما نستطيع قوله في هذا الصدد ان المحاولة كانت صراعا بين ابناء القبيلة الواحدة وربما استغلت من قبل الدولة العثمانية فحرضت ذا الفقار على الانفصال من الدولة الصفوية مقابل تقديم العون له ، ويبدو ان الدولة الصفوية كانت قد اهملت شؤون العراق في هذه الفترة بسبب انشغالها في حروب الشرق مع الاوزبك(1) وبعد انتصار طهماسب في جهات خراسان عام ٩٣٥ هـ / ١٥٢٨ م عاد ليوجه انظاره ويفرض هيمنته على الحدود الغربية لبلاده وجهز جيشا في قزوين ليتجه به الى العراق العربي وقد اعد للجيش كل ما يحتاج اليه عندما أمضى الشتاء في مدينة قم ووزع بعض المناصب الشاغرة على ذوى الكفاءة من اتباعه استعدادا لخوض غمار الحرب الجديدة حيث منح منصب الصدارة الى السيد نعمة الله حلي(2) على ان يساعده السيد قوام الدين حسين . وفي عام

(1) تسره جلبي زاده عبد العزيز ، روضة الابرار المبين بحقائق الاخبار ، ( مطبعة بولاق ـ ١٢٤٨ هـ ) ، ص ٤٢٤ . عن الازبك أنظر : ص ٢٧ هامش رقم ٤٥٣

(2) من علماء الحلة المشهورين وقد اظهر مقدرة فائقة في علوم مختلفة ووصل درجة الاجتهاد في الامور الفقهية وامتاز بالفطنة والذكاء الخارق وسرعة البديهة لا سيما عند اشتراكه في المناقشات الدينية الجدلية حيث كان يتفوق حتى على أولئك المولويه المتصوفين المدعين بالتبحر في العلوم الدينية لذا شاغب ضده رهط من رجال الدين والقضاة في ايران امثال قاضي مسافر ومولانا حسين اردبيلي ، وزوروا كتابا فيه افتراء وتلفيق نسب الى خاتم المجتهدين علي بن عبد الباقي موجه الى الامير نعمة الله الحلي فيه اساءة للشاه طهماسب ونجحت المكيدة فاصدر الشاه امرا بتنحيته من منصبه وأبعاده الى بغداد وامعانا من الزمرة في الدس والخديعة استحصلوا من الشاه على فرمان موجه الى محمد خان تكلو حاكم بغداد ليعمل على منع اتصال مير نعمة الله الحلي بالشيخ ابراهيم القطيفي الذى على ما يبدو انه كان يعلم بالمكيدة لكي لا تنكشف أبعادها التي مثلت باتقان . وهذه الاحداث توضح لنا حقيقتين اولاهما اعتماد الصفويين على ذوى الكفاءة من العراقيين ( = = )

٩٣٥ هـ/ ١٥٢٨/ ١٥٢٩م وجه جيشه من قزوين باتجاه بغداد. وكان الطقس حارا للغاية وبأمر بفرض الحصار على بغداد الذي استعد ذو الفقار للدفاع عنها وقد طال أمد الحصار وتعقدت الاوضاع وأصبح أمر استعادتها ميؤسا منه[1] لولا سعي الاخوين[2] علي بيك تكباش اوغلي وأحمد[3] بيك حفيدي صوفي خليل موصلو اللذين استطاعا تجريد ذي الفقار من سيفه وحز رأسه وتقديمه هدية للشاه طهماسب وصادف ذلك يوم الخميس الثالث من شوال ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م ودخل الشاه بغداد[4] ورفع الولاية من درجة

---

(=) وخاصة العلويين منهم كما حدث من قبل مع السيد محمد كمونه وذلك لاضفاء الصفة الشرعية على ادعائهم بالنسب العلوي. وثانيهما الصراع على المناصب والذي يرافقه عادة الدس والوشايه حتى في صفوف العلماء ورجال الدين.
للاستزادة انظر: رولمو، المصدر السابق، ص ص ٢٥٤ـ ٢٥٥. وعن علي بن عبد الباقي الكركي المسمى يلقب ـــــــ الشيعه بالمحقق الثاني. انظر الشيبي الطريقة الصفوية، ص ٣٢.

(١) تذكرة طهماسب، ص ١٦. غفاري، جهان آرا، ص ٢٨٤، رضا قلي خان، ملحقات روضة الصفا، ج ٨، ص ٥٢.

(٢) لقد تواردت الاخطاء في المراجع الحديثة في جعل الاخوين علي بيك وأحمد بيك من اخوة ذي الفقار، حيث عدوا به كذا ورد ذلك عند: ابن غلاس، المصدر السابق، ص٥٤. لونكريك، المصدر السابق، ص٣٥. نظمي زاده، المصدر السابق، ص ١٨٧. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٤، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م، ص ٣٦٤. بيجارد كوك، بغداد مدينة السلام، ج ١، ص ٣١٥. واعتمدت في تصحيح هذا الخطأ على المصدر الاولي تذكرة طهماسب، ص١٦، حيث يعتبر مصدر أساسي لتغطية اخبار هذه الفترة وهي مذكرات شخصية للشاه طهماسب نفسه، بالاضافة الى ان اسم والد ذي الفقار هو علي بيك كما مر بنا فلا يصح ان يكون احد اخوته علي بيك أيضا.

(٣) لقد منحه الشاه طهماسب منصب الامارة ولقبه سلطان علي (ذو الفقار كُش) اي قاتل ذي الفقار. البدليسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٧.

(٤) تذكرة طهماسب، ص ١٦. غفاري، جهان آرا، ص ٢٨٤.

(١) (٢)
لطان الى مرتبة خان ومنحت الى محمد سلطان شرف الدين اغلي تكلو[٣] وغيّر لقبه من
لطان الى خان كما قام بالاشراف على تنظيمات الجيش[٤] والاهتمام بامور القلعة وتوفير
خيرة لها ومنح علي بيك مقاطعة جرباد قان[٥] كاقطاع له مكافأة لغدره بذى الفقار
ن غازى خان على كركوك وكلهر ومندلجين[٦] كما عيّن سيد (سلطان) بك كمونه على الحلة

---

(١) لقب كان يتخذه كل فرد من افراد الاسر التي انحدرت من صلب جنكيز خان الا ان لقب سلطان في النظام الاداري للدولة الصفوية كان يطلق على عامل الناحية الذى يخضع للخان . بارتولد ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ (الطبعة العربية) ص ٢٠٤
(٢) لقب تركي وهو في الاصل اختصار (لقاغان) وبالعربية خاقان وبمضي الزمن حلت كلمة خان في لغة العامة محل كلمتي قاغان وخاقان واستعمل في القرون الاخيرة التي سبقت الاحتلال المغولي وكان الخان اللقب الاكثر اهمية في الممالك المختلفة التي انقسمت اليها الامبراطورية المغولية في آسيا الوسطى . وفي النظام الاداري الصفوى صار اللقب يطلق على حاكم الولاية الكبيرة . بارتولد ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ ، ص ٢٠٤ (الطبعة العربية) مثل خان شيراز وخان اردلان وخان كيلان ... الخ .
(٣) غفارى ، جهان آرا ، ص ٢٨٥ . نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .
(٤) تذكرة المناصب ، ص ٦ ز .
(٥) هو الاسم العربي لكليكان بينما قمّ الاسم العربي لـ (كمندان) وجرباذقان تقع بالقرب منها في منتصف الطريق بين كرج ابي دلف واصفهان وان قرية خونسار مجاورة لها . لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .
(٦) تعريف لبندنجين وكانت تقع شمال شرق النهروان ، ثم تطورت الكلمة الى مندلي وهي اليوم تقع على بعد حوالي ١٢ كم شرق بعقوبا قرب الحدود العراقية الايرانية . لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٨٨ المتن والهامش .

ايديهما وقانصوه بك على واسط وما جاورها وصالح سلطان على الرماحية[1] ولكن رغم تمام الشاه طهماسب بشؤون بغداد وقلعتها الا ان السيطرة الصفوية لم تكن شاملة مدن العراق جميعا حيث توجهت في هذه الفترة ذاتها الحملة البرتغاليـــة الى البصرة في حدود ١٥٢٩م بقيادة قائدها بيزدي سوتا لمساعدة امير البصرة[2] ولي شيخ الجزائر (جوازر) ولتوطيد نفوذها في المنطقة[3] مما حدا بالدولة العثمانية توجيه انظارها الى هذا الثغر لانها كانت قد اخذت على عاتقها التصـــدي برتغاليين ، وان حركة ذي الفقار الانفصالية من جهة وتدخل البرتغاليين في البصرة جهة اخرى شجعت العثمانيين على التفكير جديا في بسط نفوذهم على العـــراق حربيا كما سيتضح ذلك في الفصل القادم .

---

1) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

2) ج . ج . لوريمر ، دليل الخليج في القسم التاريخي ، الجزء الاول ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر ، الدوحة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧م ، ص ١٠ .

3) آرنولد ولسن ، الخليج العربي ، ترجمة الدكتور عبد القادر يوسف ، مؤسسة عبد الرزاق ، الكويت ، ص ٢١٩ .

# الفصـــــل الثانـــي

## ولاية بغداد خـــلال العهـد العثماني الاول

## ٩٤١ هـ ـ ١٠٣١ هـ / ١٥٣٤ ـ ١٦٢١م

## اولا - الحرب العثمانية الصفوية واحتلال بغداد عام ٩٤١هـ/١٥٣٤م :

### آ - الاسباب الرئيسة للحرب :

عندما تبوأ الشاه طهماسب عرش ايران عام ٩٣٠هـ/١٥٢٤م بدأ بسلسلة من المحالفات السياسية والعسكرية مع بعض الدول الاوربية ضد الدولة العثمانية . فتحالف مع امبراطور الدولة الرومانية المقدسة [1] ، واستقبل في بلاطه وفودا من دولة البرتغال [2] . وقد ساعدت التجارة في تمتين العلاقات الاوربية الايرانية ، حيث كانت تنقل الى اوربا سنويا بالات الحرير والسجاد واللؤلؤ [3] . كما وجهت معركة چالديران عام [4] ٩٢٠هـ/١٥١٤م انظار الصفويين الى اوربا للاستفادة من السلاح الناري الذي تغلب به العثمانيون عليهم ، ومثلما نبهت تلك المعركة الاوربيين الى ضرورة اشغال الدولة العثمانية في جهات الشرق للحفاظ على أمن حدودها ، وشجعتهم ودفعتهم الى تموين ايران وتزويدها بالاسلحة

---

(1) Sir Percy Sykes, A History of Persia, Vol. II., Third Edition, ( London, 1958), P. 164.

(2) للعلاقات الايرانية الاوربية خلفية ترجع الى عهد اوزون حسن ، عندما تحالف مع البنادقة ضد الدولة العثمانية ، والشاه اسماعيل عندما تحالف مع البرتغاليين ضدهم . انظر الفصل الاقتصادي من هذه الرسالة .

Avery, op. cit., P. 16.

(3) كيلاني ، المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .

(4) انظر الفصل الاول ، ص ٦٤ من هذه الرسالة . اخذ الشاه طهماسب يتمادى في كرهه للدولة العثمانية بسبب قهر الاخيرة لوالده في هذه المعركة .

والخبرة العسكرية لتجعل منها مخلب قط وقوة تحرش مستمرة ضد الدولة العثمانية[1] .

ومن جهة أخرى ومثلما تعاون طهماسب مع الاوربيين سعى سليمان القانوني الى تحريض قبائل الازبك في شرق ايران والتحالف معهم ضد الصفويين ، وهذه المناشات من المحالفات والمؤامرات فتحت اخيرا حربا ضروسا بين الدولتين[2] ، كان من نتائجها احتلال بغداد ، كما أصبحت بداية لصراع رهيب في المنطقة على مدى القرون التالية .

ولا بدّ لنا من الاشارة الى أن الظرف الذي دفع العثمانيين الى الاسراع في اعلان الحرب على الصفويين كان اضطراب الاوضاع السياسية في ايران بعد موت الشاه اسماعيل ، الذي اتسم بالحروب الاهلية القبلية حيث استغلت القبائل التركمانية موت الشاه اسماعيل وتبوء ابنه ( طهماسب ) العرش فتمادت في صراعاتها حول السلطة واخذت هذه المنازعات طابعا حادا لا سيما بين قبائل شاملو[3] وقبائل تكلو[4] ، وفي حدود

---

(١) لقد استفاد الشاه طهماسب من الخبرة الاوربية في تأسيس جيش جديد يضم الجورجيين والقوقاسيين على غرار الجيش الانكشاري ليكون ولاؤه للشاه مباشرة .
Richard N. Frye, Persia, ( London, 1968), P. 63.

(٢) Stripling, op. cit., P. 79.

(٣) شاملو : من القبائل التركمانية السبع الاولى التي آزرت الشاه اسماعيل عند خروجه من لاهيجان واردبيل ، وظهر بينهم امراء بارزون تسنموا مناصب عليا في الدولة خاصة في عهد الشاه طهماسب والشاه عباس الاول . انظر : اسكندربك تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، مقدمة فهرستها بكوشش ايرج افشار جابخانة موسوى ، ( تهران ، ١٣٣٥ ، شمسي ) ، ص ١٠٨٤ .

(٤) قبيلة تنسب الى اقليم ( تكه ايلي ) في آسيا الصغرى حيث يحدها من الشمال اقليم قرمان وحميد ايلي ومن الجنوب البحر المتوسط وكانت لهذه البلاد صلات مع ايران منذ عهد سابق ، واصبح اقليم ( تكه ايلي ) يمالئ شيوخ الطريقة ( - - )

عام ٩٣٧ هـ/ ١٥٣٠ م تطورت تلك المشاحنات ووصلت درجة الصدام المسلح راح ضحيتها عدد كبير من قادة قبيلة شاملو مما حدا بالقبائل التركمانية الاخرى[1] الى استنكار تصرفات زعماء قبيلة تكلو واعتبارهم معتدين في الوقت الذي طالبوا الشاه طهماسب بوضع حد لطيشهم وتماديهم، واستجاب الشاه لذلك وامر باعدام عدد كبير من قادتهم فتزعزع كيان القبيلة وبشسط بقية الباقية من امرائها وافرادها من المقاومة فتبعثروا في طول البلاد الايرانية وعرضها وتوجه فريق منهم الى بغداد ليلوذ بحمى حاكمها محمد خان شرف الدين اغلي تكلو[2] الا انه قبض على فريق من قادتهم امثال قندوز سلطان

---

(= ) الصفوية، وخلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين هاجرت هذه القبائل بعد تأسيس الدولة الصفوية في ايران وسكنت جبال بلخان وكورين في اطراف خوارزم وجهات خراسان وكان بعض افراد هذه القبيلة الرحل يشتغلون في التجارة كما انيطت الى بعض رؤسائها في بادئ الامر مراكز ادارية وسياسية وعسكرية هامة كان منها ولاية آذربايجان وبغداد انظر: دائرة المعارف الاسلامية، (الطبعة العربية)، ج ٥، ص ص ٤٣٩ و ٤٤٢ — ٤٤٣. لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٢١. الفصل الاول — ثورة بابا شاه تلي في اقليم تكه ايلي، ص ٥٩.

(١) استاجلو وذو القدر وافشار وهي من جملة القبائل التركمانية الاولى التي آزرت اسماعيل ونصرته وظلت مقربة للعائلة الصفوية وكان بينهم الامراء القزلباشي البارزون ومنهم حكام الولايات الايرانية المختلفة. انظر: تركمان تاريخ عالم آراي عباسي، ج ٣، ص ص ١٠٨٤ — ١٠٨٥. انظر الفصل الاول: نشأة الدولة الصفوية ص ٢٨.

(٢) انوه هنا ان بعض المراجع الحديثة لقبته (بكلو) وكانت تعتمد في نقلها على دحلان مؤلف كتاب الفتوحات الاسلامية الذي اعتمد بدوره على كتاب تاريخ الدول للقرماني الذي ورد فيه ذلك الخطأ المطبعي، لان القرماني اعلم من غيره باسم تلك القبيلة المتاخم اقليمها لقريان. انظر: القرماني، المصدر السابق، ص ٣٢٠. دحلان، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٦.

وحسين سلطان وآخرين ليبرر موقفه ويثبت ولاءه للشاه ، ولكن رغم ذلك سمح للسواد الاعظم من افراد تلك القبيلة المغضوب عليها بالسكنى في بغداد[١].

في الوقت الذي تفسر لنا هذه الاحداث عدم استقرار الاوضاع السياسية في ايران ، توضح لنا ايضا معارضة قبائل التكلو عامة والقاطنين في بغداد خاصة للشاه طهماسب وتبين استعدادهم للتعاون مع العثمانيين ضد الدولة الصفوية ان اقتضى الامر ذلك .

ومن جهة اخرى يمكن اعتبار لجوء اولامه تكلو[٢] الى الدولة العثمانية سببا مباشرا لاعلان الحرب على ايران ، حيث كان هذا اميرا لامراء آذربايجان من قبل الدولة الصفوية ، وعند تفاقم المشاكل وقيام الحرب الاهلية اخذ يطمع في اشغال منصب الوكالة ، فقصد العاصمة الايرانية قزوين واراد فرض نفسه بالقوة ، الا ان امره اكتشف من قبل الشاه والقبائل الكارهه للتكلو فبادروا الى نصب كمين له لقتله الا انه استطاع في اللحظات الاخيرة الافلات وفر الى جهات آذربايجان ومنها قصد الى قلعة ( وان ) فتحصن فيها واعلن الولاء للدولة العثمانية ، ثم قصد اسطنبول واخذ يحرض السلطان سليمان ضد ايران وافلح في مسعاه[٣] ، حيث ارسل السلطان حملة تعدادها ٥٠٠٠٠ مقاتل بقيادة

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٢) هو احد امراء قبيلة تكلو بدأ حياته موآليا للسلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢ ) ولكنه انحاز الى الشاه اسماعيل ( ١٥٠١ - ١٥٢٤ ) عند خروجه وظل يتدرج في مناصب الدولة الصفوية حتى صار بكلربكيا لآذربايجان وفي عهد الشاه طهماسب عاد ليعلن ولاءه ثانية للدولة العثمانية .

بچوى ، المصدر السابق ، مجلد اول ، ص ١٧٥ .

(٣) Malcolm , op. cit., Vol. I., P. 507.

فيل باشا الى حدود ايران ونجحت الحملة في دحر جيش ( شرف خان ) حاكم بدليس[1]
الموالي للدولة الصفوية والذى قتل في المعركة[2] وتم تنصيب ابن اولامه تكلو حاكما بدله[3]
ولما علم الشاه طهماسب بالتطورات الجديدة على حدوده هرع بجيشه لمواجهتها
ووقع بينه وبين جيش فيل باشا قتال عنيف فرّ منه الاخير تاركا مدافعه وراءه[4] ولم يستطع
السلطان سليمان نجدته لانشغاله في حروب المجر[5] ، فانتهز طهماسب تورط العثمانيين[6]
في اوربا واندحار فيل باشا على حدوده ليوجه حملة عسكرية الى عدوه عبيد خان
اوزبك حليف سليمان[7] — في جهات خراسان ، ولما استدعى الامر منه التوجه بجيشه
الى هرات ومناطق ما وراء النهر ، انتهز اولامه تكلو الظرف ثانية وبعث يخبر السلطان
بخلو ايران من المقاتلين ، فاستبشر السلطان بالدعوة لا سيما وانه قد عقد صلحا مع

---

(١) بدليس او بتليس ، مدينة في ارمينيا التركية وحاضرة منطقة كردستان تقع على مسيرة اربعة عشر ميلا من الشاطيء الغربي لبحيرة ( وان ) استوطنها بكوات الاكراد منذ نهاية القرون الوسطى وبسطوا نفوذهم عليها وكان هؤلاء بحكم موقعهم يتأرجحون في ولائهم بين الدولة الصفوية والعثمانية وكثيرا ما كانوا يجاهرون بالاستقلال عن كليهما ولم يخضعوا للسلطة العثمانية الا في عام ١٦٣٨م حينما خرج السلطان مراد الرابع في جيش لجب لاستعادة بغداد ولكن حتى هذا السلطان لم يستطع كسر شوكة الامراء الاكراد الذين ظلوا يحكمون بدليس ووان .
انظر : ستراك ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٣ ، ص ص ٤٦٠ — ٤٦١ ( الطبعة ال
(٢) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦١ .
(٣) لونكريك : المصدر السابق ، ص ٣٦ .
(٤) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٤٩ .
(٥) انيسوحراز ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .
(٦) عام ١٥٣٣ .
(٧) انظر ترجمته في الفصل الاول ، ص ٢٧ من هذه الرسالة .

المجر في عام ١٥٣٣ (١) وتخطوة تسبق الغزو بادر الى اعدام كافة الاسرى الايرانيين في الدولة العثمانية واستعد لارسال حملة كبيرة الى ايران تلك الحملة التي سيتمخض عنها احتلال بغداد عام ١٥٣٤ والتي يساهم فيها ويباركها زعماء قبيلة التكلو في بغداد كما سنرى ٠

ب - سير الحملة العثمانية الى ايران ٩٤٠- ٩٤١ هـ / ١٥٣٣- ١٥٣٤م :

عندما كان جنود الشاه طهماسب يحاربون الازبك في اقصى الشرق أمر السلطان سليمان صدره الاعظم ابراهيم باشا بالتوجه في ٢ ربيع الآخر سنة ٩٤٠ هـ (٢) مع ٨٠٫٠٠٠ من جنوده (٣) للالتحاق (باولامه تكلو) (٤) الذي كان قد ارسل على رأس قوة الى

(١) يوحنا افندى أبكاريوس ، قطف الزهور في تاريخ الدهور ، بيروت ، ١٨٧٣ ، ص ٢٥٤ ٠

Stephen A. Fischer-Calati, Ottoman Imperialism and German Protestantism, (1521-1555), Cambridge, (U.S.A)., 1959, P. 57.

وقد عقد السلطان هذا الصلح لمواجهة طهماسب المغرم بالقتال ٠

(٢) بجوى ، المصدر السابق ، جلد اول ، ص ١٧٤ ؛

فيما يجعل دحلان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٦ ، حركته في اوائل ربيع الاول ٩٤٠ هـ ٠

(٣) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٦٧ ٠

بينما يجعل بجوى في تاريخه جلد اول ، ص ١٧٤ خروجه مع ثلاثة آلاف انكشارى دون ذكر بقية صنوف الجيش ٠ فيما يجعلهم صاحب احسن التواريخ ٩٠ الف ص ٢٤٧ ٠

(٤) هندايست ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٩٠ ٠

اطراف اقليم آذربايجان ، فقصد الصدر الاعظم آمد[١] ومكث فيها ستة أسابيع للتموين ثم اتجه الى قلعة اونيك[٢] ثم قلعة وان[٣] وعادل جواز[٤] حيث عين عليها خسرو باشا حاكم سوريا ثم التحق (بألامه)[٥] الذى سبقه مع ١٠٠٠٠ مقاتل[٦] وعند وصول ابراهيم باشا الى اطراف آذربايجان بادر الى ارسال (اولامه) على رأس جيش الى اردبيل واستطاع بقية قادته من الاستيلاء والسيطرة على منطقة آذربيجان برمتها ودخل ابراهيم باشا تبريز في ١٣ تموز عام ٩٤٠هـ ١٥٣٤ م[٧] حيث التحق به فيها حاكم كيلان مظفر سلطان مع عشرة آلاف من المشاة يجعلهم المؤرخ الاميركانتمير الف شخص فقط[٨] ولما[٩] شعر طهماسب بتوغل أولامه في اراضيه وعلم بحملة ابراهيم باشا بادر الى عقد صلح مع الازبك وبسرعة فائقة قطع المسافة من الجبهة الشرقية في بلاد ما وراء النهر الى اقليم الري في ٢١ يوما وارسل الى آذربايجان كلا من محمد قلي خليفه شاملو ومنتشا سلطان استاجلو مع فرقة من القزلباش كطلائع لجيشه ولما[١٠] وصل هذا الخبر الى مسامع

---

(١) آمد : مدينة في اقليم ديار بكر .

(٢) اونيك : تقع على بعد ثمانية فراسخ الى شرق ارزن الروم وهي قلعة عظيمة فوق قمة جبل بالقرب من احد منابع نهر الرس (لسترنج ص ١٥٠) .

(٣) Par J. De Hammer, Histoire De L'empire Ottoman Vol. 5., (1520-1547), Paris, 1836, P. 209.

(٤) القرماني ، المصدر السابق ، ص ٣١٩ .

(٥) Hammer, op. cit., Vol. 5., P. 209.

(٦) روملو ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .

(٧) مورد تمان ، دائرة المعارف الاسلامية ج ١ ، (الطبعة العربية) ، ١٩٣٣ ، ص ٤٦

(٨) القرماني ، المصدر السابق ، ص ٣١٩ .

(٩) Cantemir, op. cit., Vol. III ., P. 196.

(١٠) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

ابراهيم باشا اهتزت فرائصه وارسل الى السلطان سليمان يستقدمه على جناح السرعة لعدم استطاعته لوحده من مواجهة الشاه طهماسب وجيشه العائد من جهات خراسان (١) وهكذا اعد السلطان جيشا في شهر ذى القعدة عام ٩٤٠هـ وتقدم به الى تبريـــز (٢)

---

(١) يجعل دحلان في المصدر السابق ، ج ٢ ، ص١٠٦ جيش الشاه طهماسب فـارا امام جيش الصدر الاعظم الى جهات خراسان بشكل معاكس لسير الاحـــداث التاريخية .

بينما يذكر القرماني ، المصدر السابق ، ص٣١٩ . أن الجيش العثماني تمـرد وطالب بقدوم السلطان وقال : (( نحن لا نقاتل شاه العجم مالم يكن السلطان معنا )) .

(٢) يجعل المؤرخ دحلان في المصدر السابق ، ج ٢ ، ص١٠٦ حركة السلطان فـي ٨ ذى القعدة . وكذلك القرماني ، المصدر السابق ، ص ٣١٩ . فيما يجعلـه عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي ، في كتابه سمط النجـــوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، ج ٤ ، ص٧٣ ، فـــي اواخر ذى القعدة .

وكذلك قطب الدين محمد بن احمد النهروالي المكي الحنفي ، كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام ، ج ٣ ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص٣١٦ الموسوم (أخبار مكة ) مصور بالاوفست ، طبعة المستشرق فرديناد وستنفلد .

اما حاجي خليفة في ، تقويم التواريخ ، ص١١٨ . فيجعله في ذى القعـــدة فقط .

ويجعله بچوى في تاريخه ، جلد اول ، (ج ١ ) ، ص١٧٨ في ٢٨ ذى القعدة

لمساعدة صدره الاعظم ابراهيم باشا ووصل السلطان مصيف اوجان (١) في آذربايجان في ٢٩ ربيع الاول ٩٤١ هـ وهبّ ابراهيم باشا لاستقباله هناك (٢). ومن جهة اخرى فان جيش طهماسب العائد من الجبهة الشرقية كانت تعوزه المعدات ولوازم القتال وكان بحاجة الى اراحة الدواب ولكنه بالرغم من ذلك سرعان ما نظم قواته وارسل فرقة منها بقيادة كل من القاصميرزا وبهرام ميرزا (٣) يتبعهما رهط من الامراء منهم حسن خان شاملو وغازى خان تكلو وامير سلطان وسليمان سلطان روملو وملك بيك جويني (٤) الى

---

(١) اوجان : تقع على الجانب الايسر الجنوبي لرافد نهر ( سراو ) وتبعد عشرة فراسخ عن تبريز في الطريق الى ميانه او ميانج (لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠٤).

لقد وصف بستانجي جلبي المرافق للسلطان سليمان الطريق بين اسكودار واوجان وذكر المدن التي مرّ بها السلطان وهي ازنكميد ، دل ، قازوقلوبل ، دكنيداش ، يني شهر ، كرتاشيه ، قره حصار ، آق شهر ، قونيه ، ارأغلي ، قيصرية ، سيواس ، ارزنجان ، ترأجان ، صحراء ارضروم ، جويان كوبرى سي ( قنطرة الراعي ) ارجيش اوجان .

Huseyin G. Yardaydin, Matrakci Nasuh, (Ankara, 1963), P. 55.

(٢) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

(٣) القاصميرزا وبهرام ميرزا هما اخوا الشاه طهماسب وسيرد الكلام عن القاصميرزا في احداث العراق لعام ٩٥٥ ــ ٩٥٦ هـ / ١٥٤٨ ــ ١٥٤٩ م .

انظر : Malcolm, op. cit., Vol. I., P. 505.

(٤) هؤلاء هم رؤساء القبائل الاولى التي ساهمت في تأسيس الدولة الصفوية وجلهم من القزلباش . انظر : تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ص ١٠٨٤ ــ ١٠٨٥ .

آذربايجان[1] لذا لم يبق مع الشاه في قزوين سوى ٧,٠٠٠ شخص[2] وثلاثة آلاف جـــواد[3]
ولما كان في نية السلطان سليمان مواجهة طهماسب وجها لوجه فانه غادر مصيـــف
اوجان[4] في طريقه الى سلطانية[5] وخطى تونكريتلند ما يجعل سير الحملة من تبريز الى

---

(١) البدليسي ،المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ١٦٢ .
(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ،ج ١ ،ص ٦٧ .
هدايت ،المصدر السابق ،ج ٨ ،ص ٥٩ .
(٣) البدليسي ،المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ١٦٢ .
(٤) عرفت في ص ٩٣ .
لقد مرّ السلطان بالمدن التالية : ميانه ،قابلان بيلي ( ظهر النمر ) ،يالكـــي اكشا Yalki agas سلطانية .

Yurdaydin, Matrakci, Nesuh, P. 57.

(٥) سلطانية : في منتصف المسافة بين ابهر وزنجان وتبعد عن كل منهما خمســـة فراسخ وتبعد عن تبريز ٤٦ فرسخا الى الجنوب وتقع الى شمال همـــدان بحوالي ثلاثين فرسخا وعن بغداد ١١٨ فرسخا .
انشأها ارغون خان واتمها السلطان الجاتو في سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٥ م ، وجعلها قاعدة الدولة الالخانية والى غرب السلطانية تقع بلدة سهرورد وعلى ما يبدو أن السلطانية كانت مركزا لشبكة من الطرق بدليل أن المستوفي فـــي وصفه للطرق يبدأ من السلطانية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا .

Mustawfi of Qazwin, op. cit., PP. 161-175.

لسترنج ،بلدان الخلافة الشرقية ،ص ص ٢٥٧ — ٢٥٨ ، ٢٦٣ .

السليمانية بدلا من السلطانية التي تشير اليها معظم النصوص الاولية وهكذا اوهم كل[1] الباحثين المحدثين الذين استقوا عنه ، بان الحملة العثمانية كانت تستهدف بغداد والعراق العربي في الوقت الذي كان طريق الحملة العراق العجمي لمقابلة الشاه طهماسب في عاصمته قزوين وقتاله .

وفي الطريق هطلت الامطار الغزيرة وتراكمت الثلوج في الطرقات مما[2] ادى الى هلاك كثير من رجاله وجياده سواء من شدة البرد او من قلة الطعام الامر الذي اقلق الجيش العثماني ودفعه الى التذمر والتمرد في الوقت الذي استطاع فيه هذا الجيش تسجيل الانتصار في احدى المعارك بالقرب من نهر قزل اوزون[3] على جيش

(١) Stephen Hemsley Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, ( Beirut, 1968), P. 22.

ان لونكريك يناقض نفسه حيث يذكر بان ابراهيم باشا اتم انشاء بلدة السليمانية التي كان قد بدأ بها من قبل محمود باشا في عام ١٧٨١م / ١١٩٦ هـ وسميت بهذا الاسم تمجيدا وتخليدا لاسم سليمان باشا الكبير في بغداد اى ان السليمانية كانت غير مشيدة في فترة بحثنا .

Longrigg, op. cit., P. 208.

لذا اضطربت المعلومات والاستنتاجات التي ترتبت على سير الحملة سواء بالنسبة له او بالنسبة لمن نقل عنه .

(٢) بچوى ، المصدر السابق ، مجلد اول ، (ج ١) ، ص ١٨٣ .

(٣) قزل اوزون : قسم من نهر سفيذ رود (اى النهر الابيض) الذى يسقي نواحي آذربايجان الجنوبية الشرقية . ويؤلف معظم مجرى هذا النهر الحدود الفاصلة بين آذربايجان واقليم الجبال (العراق العجمي) ويصب في بحيرة قزوين بعد مروره باقليم گيلان وقزل اوزون بالتركية (النهر الاحمر) .

لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠٢ .

الشاه الذى كان يقوده بهرام ميرزا والذى فرّ فيها هذا الاخير الى الجبال وانفتح الطريق امام السلطان سليمان للتوجه الى قزوين عاصمة طهماسب بسهولة الامر الذى اربك الشاه وقادته كثيرا لا سيما اولئك المترددين منهم ولما صادف في هذه الفترة وصول جيش الوند خان افشار حاكم كوه كيلويه[1] لذا امره الشاه بالتوجه فورا لمساعدة بهرام ميرزا ولكن تواردت الاخبار بان السلطان ترك اوجان واجتاز مدينة ميانج[2] وهو في طريقه الى سلطانية وربما وصلها الآن[3] وتأكدت هذه الانباء عندما وصل الى قزوين جيش بهرام ميرزا والامراء الآخرون الفارون من امام جيش السلطان سليمان وخلال هذه المسيرة استطاع السلطان سليمان أستمالة عدد من الامراء الايرانيين المتذبذبين الى جانبه امثال محمد خان ذى القدر اغلي[4] وهو ابن كورشاه رخ بن علاء الدولة ذى القدر

---

(١) كوه كيلويه : في اقليم فارس جنوب ايران يقطنها قبائل الاكراد وهي وسط الجبال .
لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٣٠٢ .

(٢) ميانج او ميانه : أسم إحد من روافد نهر سفيد رود (النهر الابيض) وينبع من جنوب غرب أوجان ، وكانت مدينة ميانج الموضع الوسط التي تقوم عند ملتقى مجموعة من الانهار .
لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٣) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٦٧ .
بجوى ، المصدر السابق ، جلد اول ، (ج ١) ، ص ١٨٣ .
كيلاني ، المصدر السابق ، ص ٣٦٣ .
Malcolm, op. cit., Vol. I., P. 507.

(٤) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٦٧ .

حيث استقبله السلطان بحرارة وحفاوة كما التحق به حسين خان بن بورون سلطان[1] تكلو وآخرون.لهذا السبب ارتاب الشاه ببعض الامراء وامر بوضعهم تحت المراقبة امثال حسين خان شاملو وغازى خان تكلو وملك بيك جويني خوفا من هربهم الى معسكر السلطان سليمان [2] وعلى كل حال فان الذى لم يستطع فعله الشاه طهماسب في مواجهة جيش السلطان سليمان فعله الطقس وسوء الاحوال الجوية ، حيث هطلت الامطار الغزيرة واعقبتها ثلوج كثيرة واشتد البرد بشكل موجع وزادت الاوحال في الطرقات وغاصت العربات والمدافع فيها مما اثر هذا الوضع على نفسية الجيش العثماني[3] وزاد في تذمره وقلقه واضطرابه[4] وتجرأ فريق منه بالمطالبة بالعودة الى الوطن حيث قل الحلم وخشنت الطباع واهين الضباط الكبار[5] لذلك اضطر السلطان الى مغادرة مدينة السلطانية ، ولما كانت العودة الى آذربايجان تعني مواجهة القحط والمجاعة لذا قرر الاتجاه الى الموصل عن طريق شهرزور لقضاء فترة الشتاء والعودة بعدها لمواجهة طهماسب في بلاده ثانية عند حلول فصل الربيع[6] وهكذا نرى أن العراق العربي لم يكن هدفا لهذه الحملة بأى شكل من الاشكال منذ البداية وانما اصرار السلطان

---

(١) القرماني ، المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .

النهروالي ، الاعلام ، ج ٣ ، ص ٣١٦ .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٣) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٥٩ .

(٤) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

(٥) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(٦) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٦٧ .

سليمان القانوني على مواجهة الشاه طهماسب في عاصمته قزوين(١) حمل الجيش العثماني على التوجه الى اقليم الجبال والعراق العجمي واصبح احتلال بغداد في هذه الفترة محض صدفة * لان الفرق العسكرية العثمانية المتورطة بشتاء الجبال القارص اضطرت الى البحث عن ملجأ دافيء تقضي فيه فصل الشتاء واصبحت بغداد بعد ان استميل حاكمها محمد خان تكلو ... بالاغراء والوعيد . هذا المشتى المناسب كما يشير الى ذلك بوضوح النهروالي عندما كتب (( لقد نزلت الثلوج الكثيرة وكأنها الجبال وتوارى الفرس امام السلطان وصار الشاه يخادع ويخاتل فلزم التوجه الى بغداد لصون الرجال والابطال ))(٢) ويؤكد هذا الرأي صاحب احسن التواريخ عندما يقول لم يكن امام السلطان سليمان القانوني وجيشه منفذ أحسن سوى التوجه الى العراق العربي فسلك طريق بغداد(٣) ويدعم البدليسي هذا الرأي بقوله (( لما تورط السلطان في الجبال وتدمر

---

(١) لقد غيّر الشاه طهماسب عاصمته وجعلها قزوين بدلا من تبريز . ويخطيء (سترلنك) عندما يجعل العاصمة الجديدة لطهماسب شيراز والصحيح قزوين . انظر :

Stripling, op. cit., P. 79.

Roger Stevens, The Land of Great Sophy, First published, (London, 1962), P. 28.

أ . ج . اربري ( الناشر ) ، تراث فارس ، نقله الى العربية محمد كفافي احمد الساداتي ، يعقوب بكر ، محمد صقر خفاجه ، احمد عيسى ، اشترك في كتابته وراجع ترجمته ، يحيى الخشاب ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ص ٣١٤ .

(٢) النهروالي ، الاعلام ، ج ٣ ، ص ٣١٧ .

انظر ايضا :

Malcolm, op. cit., Vol. I., P. 507.

(٣) روملو ، المصدر السابق ، ص ٢٥٠ .

(*) يشير سترلنك الى عرضه المشكور حول ... Stripling, op. cit. P 79

الا ان هناك رأي اخر يقول بان السلطان سليمان القانوني كان يستهدف بغداد منذ البداية استنادا الى ما كتبه بجوي ، والى دراسات هامر

انظر هامر ، (الترجمة التركية) ج ٥ ص ١٤٦ - ٢٤٨

كوبرلي ٤ ص ٧٤

الجيش اضطر الى تحويل وجهته الى بغداد عن طريق درگزين وهمدان[١].

وفي الوقت الذى عزم فيه السلطان على التوجه الى همدان ارسل كلا من اولامه بك ومحمد خان بن ذى القدر والي طارم[٢] وخلخال[٣] وحسين سلطان تكلو الذين كانوا قد لجأوا اليه، ارسلهم مع ثلاثة آلاف مقاتل الى تبريز للهيمنة على اقليم آذربايجان[٤] ولكن الشاه طهماسب علم بذلك وتوجه الى آذربايجان لاستعادة اراضيه وتأديب المتمردين من اتباعه ولكن صادف في هذه الفترة هروب غازى خان تكلو[٥] من صفوف جيشه قاصدا (اولامه) لاعلامه بعزم الشاه . لذا أسرع اولامه وترك تبريز ودخل قلعة (وان) وتحصن فيها[٦] . وعندها ترجه الشاه طهماسب الى درگزين بعد مغادرة السلطان

---

(١) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٢ وقبل وصوله همدان كان قد مرّ بمدينتي ابهر وقرغان .

همدان تقع الى جنوب السلطانية حوالي ٣٠ فرسخا والى شمالها تقع ناحية درگزين والى غربها بحوالي ٥٣ فرسخا تقع حلوان حيث حدود العراق العربي .

لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٣١

Mustawfi of Qazwin, op. cit ., P. 162.

(٢) طارم : تقع الى شمال زنجان بامتداد سفوح المرتفعات الجبلية (لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠٤ ) .

(٣) خلخال : تقع الى جنوب اردبيل بمسافة ١٢ فرسخا ولا تبعد كثيرا عن مدينة طارم السابقة (لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٠٥ .

(٤) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(٥) نرى مدى تذبذب امراء مناطق الحدود بين الدولتين حيث سيعود هذا الخان ويعلن ولاءه للشاه طهماسب عام ٩٤٧/ ١٥٤٠ مع ستة آلاف فارس ويعينه طهماسب عندئذ حاكما على بعض مناطق شيروان .

البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٦) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٦٨ .

سليمان لهما وأمر فيهما بقتل حسين خان شاملو وآخرين من الامراء الذين كان يشك في ولائهم والذين كانوا على وشك الهرب الى معسكر السلطان سليمان[١] ثم توجه مع جيشه من هناك باتجاه قلعة (وان) حيث فرض الحصار عليها وقضى الشتاء كله في اطراف تلك القلعة .

ومن جهة اخرى وفي الوقت الذى عزم فيه السلطان سليمان على التوجه الى الموصل وقبل ان يفكر بالتوجه الى بغداد اثناء تورطه في الجبال وصله وفد من مدينة بغداد يحمل اليه مفاتيحها حيث ان الصدر الاعظم ابراهيم باشا كان قد ارسل في وقت سابق جماعة يحملون رسالة من أولامه تكلو الى قريبه محمد خان شرف الدين اغلي تكلو حاكم بغداد لاستلطافه واستمالته ودعوته الى الولاء للسلطان كبقية ابناء قبيلته[٢] ولكن يبدو ان محمد خان رفض ذلك وكان رفضه جزء من مناورة لانه لم يظهر العزم الجدى على الدفاع عن المدينة الامر الذى دعا الدكتور (ستربلنك) الى الاعتقاد بان محمد خان ربما كان قد قبل الرشوة من قبل وفد السلطان سليمان القانوني لانه هرب من البلاد قبل تقدم العثمانيين باتجاه العراق[٣] كما أن هناك نصوص تشير الى ان الشاه طهماسب الح في طلب محمد خان تكلو واستقدمه الى ايران وربما كان سبب ذلك عدم اطمئنان طهماسب اليه وخوفه من ان ينحاز مع جيشه الى السلطان سليمان[٤]، ويرى المؤرخ الامير كانتمير رأيا آخر عندما يقول ان محمد خان تكلو كان اضعف من ان يستطيع المقاومة[٥] وربما يكون هذا الرأى صحيحا لان محمد خان لم يكن في استطاعته

---

(١) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٥٩ .

(٢) روملو ، المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٣) Stripling, op. cit., P. 79.

(٤) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(٥) Cantemir, op. cit., Vol. III., P. 197.

الدفاع عن المدينة حيث انقسمت قبيلته في بغداد الى جماعتين فريق منهم يوالي السلطان العثماني وثلة منهم تؤيد الشاه الايراني .

جـ - سليمان القانوني في طريقه الى بغداد :

لقد اضطربت الاوضاع في بغداد نتيجة فزع الجيش الايراني وانشغاله في الحرب ضد الدولة العثمانية التي غزت الشاه طهماسب في عقر داره وكانت اخبار انتصار الجيش العثماني تتوارد الى العراق عن طريق رسائل كان يبعثها اولامه تكلو والصدر الاعظم ابراهيم باشا بقصد استمالة حاكم بغداد محمد خان تكلو لذا انقسم ابناء قبيلة التكلو في بغداد الى مجموعتين فريق منهم يؤيد الحاكم الفعلي محمد خان ويوالي الشاه وهم أقلية والفريق الثاني يروم التعاون مع الدولة العثمانية . وحاول محمد خان اتباعهم في التعاون معه لصد الهجوم المتوقع والدفاع عن بغداد بعد ان وصلت رسائل سليمان القانوني وهي تتضمن الاغراء والتهديد معا الا انهم ابوا ذلك وفي هذه الاثناء وصله ابن الغزالي موفدا من قبل الشاه لاستدعائه وجماعته الى ايران[1] فعرض امر الشاه على قبيلته ولكنهم رفضوا الذهاب ولما اراد اجبارهم ، تحصنوا في المدرسة المستنصرية واعلنوا الثورة ضده وجاهروا بالولاء للدولة العثمانية[2] ، ولما لم يكن في

---

(١) ريجارد كوك ، بغداد مدينة السلام ، ج ٢ ، نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه ، فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد ، الطبعة الاولى ،( بغداد ، ١٩٦٢ ) من هامشه المنقول من كتاب تاريخ عيون اخبار الاعيان للغرابي البغدادي ، ص٣١٧ ؛ بچوى ، المصدر السابق ، مجلد اول (ج ١) ص١٨٣ . نظمي زادة ، المصدر السابق ، ص١٩٨ . ان الحاح الشاه في طلب محمد خان تكلو وجماعته الى ايران يعود الى ريبة الشاه من هذه القبيلة وخوفه من التحاقهم بالسلطان وعندئذ تتوسع جبهة المعارضة .

(٢) لقد بلغ عددهم حوالي ثلاثة آلاف مسلح . نظمي زادة ، المصدر السابق ، ص١٩٩ ؛ كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، ج ٢ ، ( الاستانه ، ١٢٨٧هـ ) ص٥ . يعقوب سركيس (مجلة لغة العرب ، السنة ٦ ، العدد ٦ حزيران ١٩٢٨ ) ، ص٤٢٥ .

مستطاعه والحالة هذه الدفاع عن بغداد كما لم يكن في مقدوره مغادرتها لوحده (١). اتصل بقادة الثورة وتظاهر امامهم وكأنه غيّر رأيه واخبرهم بموافقته على تسليم بغداد الى السلطان وطلب منهم تنظيم وفد من زعمائهم للذهاب اليه واستقدامه ، فرحّب القادة المعارضون بقراره وهرعوا الى السلطان فرحين لاستدعائه الى بغداد ، عندئذ انتهز خلو المدينة من المعارضين فجمع ماله وحاشيته وعبر نهر دجلة وسلك الطريق البرى الى البصرة (٢).

ومن الجدير بالذكر ان السيد سلطان بيك كمونه حاول ثانية اقناع المعتصمين بضرورة الدفاع عن المدينة الا انه اخفق في مسعاه ، وعندما قرر التصدى لهم شهروا في وجهه السلاح (٣) ، ولم يستطع المقاومة أمام كثرتهم ، لذا ترك بغداد قاصدا ايران (٤).

ومن جهة أخرى عندما تسلم سليمان القانوني مفاتيح مدينة بغداد من رفد قبيلة تكلو استبشر كثيرا وكان آنئذ على مشارف سهل ماهي دشت لذا تحرك باتجاه مدينة (ماهي دشت) في اول جمادى الاولى (٩٤١هـ / ١٥٣٤م) ثم واصل سيره باتجاه

---

(١) Cantemir, op. cit., Vol. 111., P. 196.

(٢) لونكريك ، المصدر السابق ، ص٢٥٢ . حيث رحّب به اميرها (راشد بن مغامس) وسهّل مهمته في الذهاب الى دزفول .

(٣) نظمي زادة ، المصدر السابق ، ص١٩٩ .

(٤) وردت ملاحظة خاطئة على هامش كتاب بغداد مدينة السلام - لريجارد كوك تعليق فؤاد جميل ومصطفى جواد ، ج٢ ، هامش (٢٨) نقلا من المباحث العراقية ومنسوبة الى نظمي زاده وهي :

ان الذى سعى للتوسط بين قبيلة تكلو هو محمد كمونه والصحيح سلطان بيك كمونه لانه من الثابت ان السيد محمد كمونه قتل في معركة جالديران عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤ انظر ، الفصل الاول ص ٦٧ من هذه الرسالة .

العراق العربي في السادس من الشهر المذكور ووصل الى قلعة شاهين (١) وبعد ترك هذه القلعة هطلت امطار غزيرة أعاقت الجيش عن المسير وسببت له متاعب كثيرة (٢) حتى كان يوم السبت المصادف ٨ جمادى الاولى حيث وصل السلطان وطلائع الجيش العثماني الى يكي امام (٣) واستمرت الامطار بالهطول وتضرر الجيش كثيراً • وفي يوم ٩ منه وصل الجيش

---

(١) ذكرها العزاوي ، في تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢٥ • نقلاً عن نصوح المطراقي وعرفها بقوله انها منزل يتوسط العراق العربي والعراق العجمي ، وهذا كلام عام • ولم نعثر في كتب البلدانيين على اشارة صريحة عن قلعة بهذا الاسم ولكننا يمكننا الاستنتاج من سير الحملة بأن السلطان خرج من سهل (ماهي دشت) في الاول من شهر جمادى الاولى ووصل هذه القلعة يوم ٦ منه وهذا يدل على انه قارب موضعاً يقال له طزر الى شرق كرند بمسافة اربعة فراسخ وعلى ما رواه المقدسي في هذا المكان على الطريق ايوان للاكاسرة بناه خسرو جرد بن (شاهان) وربما حلا للمطراقي ان يسمي هذا المكان بقلعة شاهين •

أنظر : لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٢٧ •

(٢) Sykes, op. cit., Vol.II.,P.164.

Hammer, op. cit., Vol 5., P. 214.

Yurdaydin, Matrakci Nasuh, P. 56.

(٣) يكي امام او ينني امام أي الامام الجديد • أنظر العزاوي ، العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢٥ • ومن الواضح جداً ان هذا المكان الذي وصله الجيش العثماني هو حلوان حيث يقع على بعد خمسة فراسخ من قصر شيرين او مرحلة واحدة عنها وفعلاً وصل الجيش يوم ٩ من الشهر المذكور الى قصر شيرين • وحلوان على ما يذكر المستوفي مدينة خالية خاوية ما خلا (مزارات الاولياء) منها مرقد حمزه احد السبعة من قراء القرآن ، وهكذا يشير المطراقي الى هذا الموضع باسم الامام الجديد •

انظر :

Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 47.

لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٢٦ •

قصر شرين[1] وتوجه منها الى نشو شمران[2] فوصلها يوم ١٢ من الشهر المذكور. ومن
يربالذكران المرحلة التي تلي قصر شرين الى الغرب هي خانقين حيث تبعد
خمسة فراسخ ومنها الى جلولاء[3] خمسة فراسخ ثم الى هارونية خمسة فراسخ

---

Yurdaydin, Matrakci Nusuh, P. 57.

يجوى ، المصدر السابق ، جلد اول ، ص ١٨٣ . يقع قصر شرين على بعد ستة
فراسخ من خانقين وسط الطريق الى حلوان وهو قصر بناه كسرى برويز للملكة
شرين وبنى الى جواره دارا للمكوس وآخر للاستراحة وتطل على قصر شرين
الجبال الشمالية .

Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 50.

لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٨٨ .

يذكرها نصوح المطراقي ، آب شمران او طقوز اولوم

H. G. Yurdaydin, An Ottoman Historian of the XVI th
Century, Nasuh al-Matrakii and His Beyan-i Menazi
i Sefer-i Iraky an and its importance for some I
cities, P. 10.

هي المحاضرة التي القاها الدكتور ( يارد ايدين ) في المؤتمر التاريخي الاول في
آذار ١٩٧٣ .

جلولاء : اسماها المستوفي ، رباط جلولاء لان فيه رباطا بناه ملك شاه السلجوقي
على مقربة من هذه المدينة قنطرة من بناء الاكاسرة وهناك قرية يقال لها
هارونية ... ومرحلة جلولاء سميت فيما بعد قزل رباط ( اى الرباط الاحمر ) ثم
بت حديثا وسميت ( السعدية ) نسبة الى القائد سعد بن ابي وقاص .
لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٨٧ .

Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 162.

اخرى[١] واستمر الجيش حتى قارب (اولو صو) اى النهر الكبير[٢] وكان النهر في موسم فيضانه الاول مما يصعب عبوره في هذا الوقت وكانت خسارة الجيش في هذه المسيرة كبيرة للغاية[٣] والفترة الواقعة بين ١٢ جمادى الاولى لغاية ١٩ منه كرست لعبور منطقة الانهار حتى قاربوا جبل حمرين ودخلوا قرية شروين (سورين)[٤] اى طاش كوبرى[٥]. وفي ٢٠ من الشهر المذكور عبر السلطان وجيشه نهر الخالص[٦] وفي ٢٢ منه اجتازوا قرية الوندية وفي ٢٣ منه وصلوا مرقد الشيخ سكران الذى يقع الى قربه مرقد آخر يسمى مرقد (لقمان الحكيم) وفي ٢٤ جمادى الاولى وصلوا مرقد الامام أبي حنيفة[٧]. وأن

---

(١) Mastawfi of Qazwin, op. cit., P. 162

(٢) يجعله العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢٥ نهر ديالى . وفعلا يكون هذا النهر لان بعقوبا تعتبر المرحلة الثانية بعد الهارونية حيث تبعد عنها سبعة فراسخ .

(٣) بجوى ، المصدر السابق ، جلد اول ، ص ١٨٣ .

(٤) ذكر المستوفي القزويني ، في نزهة القلوب في المئة الثامنة أن النهروان كان أسما لنهر ديالى الذى يخرج من جبال كردستان ويتألف من اقتران نهرين هما شروان وحلوان وهو يمر الى قصر شرين وخانقين ويصيران فوق باعقوبا نهرا واحدا يصب في النهروان .

(٥) وتعرف بـ (دللي عباس) العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢٦ . ثم سميت بالمنصورية . سليمان فائق ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(٦) يلتقي نهر الخالص بدجلة عند الراشدية قرب النهروان شمال بغداد . لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ص ٧١ ، ٨٣ .

(٧) بجوى ، المصدر السابق ، جلد اول ، ص ١٨٥ . يذكر بجوى نقلا من طبقات الممالك لجلال زاده ، ومن كتاب كنه الاخبار لعالي افندى الرواية الغريبة التالية: ان سادن مرقد الامام ابي حنيفة كان قد استبدل جثمان الامام بجثة كافر قبيل الاحتلال الصفوى الاول عندما تنبأ عن الاحتلال بالهام خاص! لذا عندما احتل الصفويون بغداد واحرقوا قبر الامام فانهم لم يحرقوا سوى جثة الكافر (= )

(١)
السلطان ترجل عن جواده حينئذ وزار المرقد ثم دخل بصحبة حاشيته فقط بغداد

ونشد القاضي عبد اللطيف بن عبد الله باكثير عند ورود خبر النصر ابياتا جعلها

وصفا للفتح .

ولما احلت ظبانا لنا | دم الشاه واستحكمت سلخه
فتحنا العراق بذا اللفظ | لطافته جاء تاريخه (٢)

---

ـ ) الذي كان يستحق العقاب . ويقول ولما دخل السلطان سليمان القانوني بغداد اشار السادن الى موضع القبر الحقيقي ـ هذه الروايات كان لها رواج في العراق عند السنة والشيعة معا وكان القصد منها الاساءة الى الاعداء في الوقت الذي كانت تسيء الى الائمة والاولياء ايضا وهي محاولات لكسب ولاء العامة من الناس .

(١) العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ص ٢٣ ـ ٢٤ نقلا عن نصوح المطراقي المرافق لسليمان القانوني اثناء الحملة على بلاد فارس واحتلال بغداد .
وكذلك ، Yurdaydin, An Ottoman Historian Nasuh al-Matraki P.10.
وقد رسم نصوح السلاحي المطراقي صورة بغداد باتقان ، وفيها نلاحظ مرقد الامام ابي حنيفة بوضوح . انظر ، احمد سوسه ، اطلس بغداد ، مطبعة مديرية المساحة العامة ، ( بغداد ، ١٩٥٢ ) ، ص ١٢ .

(٢) لقد سافر عبد اللطيف المذكور الى الدولة العثمانية واتصل بقاضي العسكر قادري افندي فصار قدومه الى الدولة توجه السلطان الى محاربة الدولة الصفوية وورود خبر الانتصار لذا انشد هذين البيتين وقيل لما حضر السلطان الى القسطنطينية وجمع الاحرف فوجدها مطابقة للتاريخ . لذا انعم السلطان على عبد اللطيف هذا بقضاء مكة المشرفة ( لقاء هذين البيتين ) .
العصامي ، المصدر السابق ، ص ص ٩٠ ـ ٩١ .

كما أرخ الاحتلال الشاعر فضولي البغدادي في قصيدته بغداد ، حيث ورد في الشطر الاخير تاريخ لهذا الفتح :

كلدي برج اولبايه بادشاه نامدار (١)

د - سليمان القانوني في بغداد

لقد دخل السلطان سليمان بغداد دون قتال في ٢٤ جمادى الاولى من عام ٩٤١ هـ/ ٣٠ كانون الاول ١٥٣٤م (٢) وقد سبقه اليها صدره الاعظم ابراهيم باشا مع حوالي اربعين الفا من الجنود .

ومن الامور الجديرة بالذكر ان السلطان لم يسمح لجيشه بدخول المدينة خوفا من عدم استطاعته كبح جماحهم فحرّم عليهم الحاق الاذى بأهل بغداد فما نهبوا ولا سلبوا ولا هدموا ولا احرقوا كما يفعل سائر المحتلين ، وهذا مالم يعهده اهل المدينة في تلك الايام وبذلك ساهم السلطان في الحفاظ على حسن العلاقات بين الاتراك والعرب . ولو اخذنا بنظر الاعتبار ما اصاب جيش سليمان من متاعب ومجاعة عبر الطريق الشاق الطويل وما عاناه من كثرة هطول الامطار وتراكم الثلوج لاستطعنا تصور حالة بغداد لو سمح للجيش بدخولها . هذا الاجراء

---

(١) الضابط ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٧ - ١٨ نقلا من عثمانلي تاريخي ، ج ١ ، ص ٢٣٠ . العزاوي ، العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢٩ نقلا من تاريخ صولاق زاده ، ص ٤٨٧ .

(٢) Yurdoydin, An Ottoman Historian, Nasuh al Matraki P. 10.

بجوي ، المصدر السابق ، جلد اول ، ص ١٨٣ . فريدون بك ، مجموعة منشآت ، ج ١ ، ص ٥٩١ . يحدد ٢٤ جمادى الاولى المصادف ٣٠ تشرين الثاني .

Hammer, op. cit., Vol. 5., P. 214.

الحاز الحكيم دفع المؤرخين الاتراك ومناستقي منهم الى تفخيم مراسيم احتفاء سكان بغداد بالسلطان الفاتح وقالوا ان بغداد رحبت به بحرارة واقامت معالم الزينة والافراح طيلة فترة اقامته فيها مثلما تبجح سابقا المؤرخون الايرانيون في ادعائهم بان اهل بغداد نحروا الذبائح للشاه الفاتح عام ١٥٠٨ تيمنا بقدومه وان ما حدث لهذا السلطان وذاك الشاه فلا تتعدى ان تكون مراسيم رسمية .

وخلال مكوث السلطان في بغداد قام ببعض الاعمال العمرانية كان معظمها يخص مراقد الائمة وقبور المشايخ وتفنن المؤرخون في اظهار المبررات التي دفعت السلطان سليمان الى بناء وتعمير تلك المزارات حتى اخذ ينسب بعضهم اليه احداث فترات لاحقة . فهذا هازلاك ( Hasluck ) يقول : لقد اهتدى سليمان في بغداد باعجوبة الى معرفة موضع رفاة الامام ابي حنيفة عن طريق حلم راع ورع أو شيخ متدين يحمل بالهام من الاحلام في التوصل الى موضع قبر الامام .(١) ومما هو جدير بالذكر ان مثل هذه الاساطير التي تقول ان درويشا اوغناما وربما يهتدى بالهام الى قبور الاولياء شاعت وراجت كثيرا في الشرق وكان القصد منها كسب البسطاء من الناس وشد هم حول مفاهيم دينية ترتبط بالحكم الجديد ومما يبطل زعم

---

(١) F. W. Hasluck, Christianity and Islam Under the Sultans, Vol. I., ( Oxford, 1929) P. 716.

وينسب هازلاك هذه الاسطورة الى عهد سليمان القانوني ويجعلها رافقت حصار بغداد والواضح تاريخيا ان السلطان سليمان لم يحاصر بغداد وانما دخلها سلما وربما يصح شروع هذه الاسطورة في عهد السلطان مراد الرابع عام ١٦٣٨ م الذى حاصر بغداد قرابة اربعين يوما وكانت تلك الاسطورة تناسب الظرف وذلك لالهاب عواطف الجنود واثارة حماسهم

انظر رواية الحويزي التي تؤكد عن نبش الصفويين لقبر الامام ابي حنيفة
الحويزي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٨٥

المؤرخين في اهتداء سليمان الى موضع القبر المجهول ما رواه المؤرخ نصوح الـ
وهو شاهد عيان رافق السلطان ودخل معه بغداد حيث يذكر بوضوح ان السـ
ترجل عند وصوله مرقد الامام ابي حنيفة وادى مراسيم الزيارة بعد دخوله اياها و
دون ان يشير الى خراب هذا المزار او مجهولية موضعه (١) . ولكن المؤرخين المتأخ
حرفوا الاحداث تدريجيا ومن ذلك قول القرماني المتوفى ١٠١٩هـ/١٦١١م : (ا
السلطان قصد زيارة قبر ابي حنيفة وكان الشاه اسماعيل عندما حكم بغداد امر بنقـ
تربته فجدد السلطان عليه مشهدا عظيما وبنى فيها تكية (٢) يطبخ فيه الطعام (٣)) (٤) ولكـ
البدليسي الذى عاش في فترة سابقة للقرماني وهو موال للدولة العثمانية يؤكد زيـ
السلطان سليمان لمرقد الامام ابي حنيفة في اليوم الاول من دخوله بغداد وهـ
يدل على وضوح مكان القبر والمرقد (٥) . والواقع ان ما فعله السلطان هو توسيع مرقـ
الامام ابي حنيفة وبناء قبة عليه ، ومدرسة (٦) وجامع وزاوية الى جواره (٧) ، وسور حوله (٨) ووضـ

---

(١) العزاوى ، العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢٦ نقلا عن رحلة نصوح المطرافي .
Turdaydin, An Ottoman Historian Nasuh Al-Matraki, P.1?

(٢) لم يرد اى نص في تواريخ الايرانيين مايشير الى تعمدهم في تخريب المراقد السنـ
في الوقت الذى تبجحوا في ذكر القتل والفتك باهل السنة . وفي اعتقادى ان مـ
اضافه السلطان سليمان من ابنية واجنحة جديدة ملحقة بالمرافق فسر من قبـ
المؤرخين اللاحقين وكأن خرابا حدث في الماضي .

(٣) لقد انتشرت التكايا في العراق منذ عهد السلطان سليمان القانوني ، وكانت تعرف
بتكايا البكتاشية وكانت بمثابة دور استراحة للحجاج البكتاشيين كان منها في الكاظـ
وكربلاء والنجف وسامراء .

Hasluck, op. cit., Vol. I., P. 514.

(٤) القرماني ، المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .
(٥) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .
(٦) النبر والي ، كتاب الاعلام ، ج ٣ ، ص ٣١٧ .
(٧) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .
(٨) منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، جلد ثالثي ، ص ٤٩١ .

حامية بقربه لحماية زواره ومن جهة أخرى عندما قصد مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني (١) امر المهندس العثماني سنان باشا بتشييد قبة للمسجد ، فأنجز هذا المعمار القبة البيضاء ودار السبيل (٢) ويذكر أوليا جلبي ان السلطان سليمان خصص مبلغ مائة الف دينار (٣)

---

(١) Cantemir, op. cit., Vol. 111., P. 196.

(٢) ابراهيم الدروبي ، البغداديون في حياة السيد الشيخ عبد القادر الكيلاني ، مطبعة الرابطة ( بغداد ، ١٩٥٥ ) ، ص ٣٠ .

ويخطيء مترجما كتاب بغداد مدينة السلام نقلا عن الغرابي البغدادي في كتاب عيون اخبار الاعيان في اعتقادهما بأن باني القبة هو سنان باشا جغالة زاده والي بغداد عام ٩٩٥ هـ / ١٥٨٦ م وبذلك يوجهان نقدا الى المؤرخ الغرابي ويعتبران ان هناك تناقضا بينا في كلامه عندما يقول أن سنان باشا شيد ثلث المسجد واكمله علي باشا الوند زاده عام ٩٨٢ هـ / ١٥٧٤ م والواقع أن سنان باشا الذي ذكره الغرابي هو معمار رافق السلطان سليمان القانوني اثناء فتحه بغداد وهو الذي شيد واحدا وثمانين جامعا كبيرا وخمسين مسجدا صغيرا وخمسا وخمسين مدرسة وسبع مدارس لتحفيظ القرآن وسبعة عشر ضريحا وثلاث مستشفيات وسبع قناطر وثمانية جسور وسبعة عشر مطعما للفقراء وثلاثة مخازن وثمانية عشر دارا للاستراحة وثلاثة وعشرين قصرا وثلاثة وثلاثين حماما في أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية .

الا انه لم يرد ذكر تعمير او بناء قبة الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد ضمن قائمة منجزاته التفصيلية وربما كان عمله في بغداد عبارة عن ترميم لا تشييد ولانه لم ينجز الا ثلثه . انظر :

ريجارد كوك ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤ ، هامش رقم ١٠ . وعن منجزات سنان باشا انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٤ ، ص ص ٢٢٢ ـ ٢٢٩ ( ط ـ عربية ) .

(٣) ربما يكون أقرب للواقع لو كان اقجه وهي العملة العثمانية المستعملة آنئذ .

لتعمير وبناء مرقدي ابي حنيفة والشيخ عبد القادر كما امر بالحاق جامع وتكية بمرقد الشيخ وورد بان السلطان لما رأى مزار الشيخ عبد القادر قد وهى وعاد انقاضا بالية بسبب احتلال الصفويين لبغداد عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م امر ان ترفع له قبة عالية وان تتخذ دار ضيافة للفقراء والارامل والغرباء وان يخصص لهم جرايات وطعام من غلة اوقاف سليمان القانوني التي اوقفها على الحضرة القادرية عام ٩٤١هـ[1] وذكر صاحب تلك الجواهر ان السلطان لما ملك بغداد امر بعمارة الزاوية التي خربها اسماعيل وبذلك عاد اليها اخوة الشيخ علاء الدين الذين تركوا بغداد الى حلب اثناء الاحتلال الصفوي لها[2]. اما المنارة الكبيرة الواقعة قرب باب الجامع من الجهة الشرقية فقد عمرت سنة ٩٠٤ هـ وقد سجل هذا التاريخ على رخامة موضوعة على جدار المنارة وقد سقط منها بعض الكتابات بالتأثيرات الجوية وهذا نص ما كتب فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ... لله الشكر غفر ذنوبه ، سعى بها في غرة محرم الحرام سنة ٩٠٤ هـ[3] . وهذا يشير الى ان هذه المنارة شيدت في عهد باريك بوناك آخر وال من آلاق قوينلو في بغداد وشموخ هذه المنارة والمدرسة حتى العهد

---

(١) اوليا جلبي ، سياحتنامه سي ، ج ٤ ، ص ٤٢٦ . بجوري ، المصدر السابق ، جلد اول ، ص ١٨٤ . الدروبي ، الباز الاشهب ، ص ٣٠ .

(٢) محمود شكري الالوسي ، تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، تهذيب محمد بهجت الاثري ، مطبعة دار السلام ، (بغداد ، ١٣٤٦هـ) ، ص ٤٩ . نقلا من السليمانامه . انظر : كذلك سجلات بغداد العثمانية رقم (١٠٤٩) والمؤرخة عام ٩٤٦هـ حيث دونت هذه الاوقاف في اللوحات ١١٢ ـ ١٢٢ .

(٣) الناد في المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٤) الدروبي ، البازالاشهب ، ص ٣١ .

العثماني يفند ما أشيع فيما بعد عن الخراب التام لهذا المرقد ونقض تربته (١) ، ومما يوضح الامر اكثر حضور السلطان سليمان يوم ٢٠ رمضان عام (٢) ٩٤١ هـ مع رجاله وحاشيته وقواده والمفتي الى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني لاداء فريضة العصر وعندها امـر السلطان باسناد نقابة الاشراف في بغداد الى السيد الشيخ زين الدين (٣) واصـدر بموجبه الفرمان السلطاني التالي :

مفخر السادات انتزام السيد الشيخ زين الدين الكيلاني دام شرف سيادته

بعد التحية الوافية لقد عهدنا اليكم نقابة الاشراف بمدينة بغداد المحروسـة

---

(١) وردت بعض الاشارات الى زيارة رجال الدين والمتدينين في دمشق الى مرقـد الشيخ عبد القادر الكيلاني في الثلاثينات من القرن العاشر الهجري أي فـي الفترة التي كان العراق فيها خاضعا للحكم الصفوي ولكن تلك الزيارات كانـت ترافقها المخاطر عادة . منها تلك الزيارة التي عزم على القيام بها قاسم بن زلزل القادري المتوفى عام ٩٤٢ هـ . انظر : محمد نجم الدين الغزي ، الكواكـب السائرة باعيان المئة العاشرة ، حققه وضبط نصه الدكتور جبرائيل سليمان جبور ، ج ٢ ، جونيه ( لبنان ) ، ١٩٤٩ ، ص ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ .

(٢) مضى على وجود سليمان القانوني في بغداد مدة اربعة شهور واعتقد انهـا لا تكفي لبناء مسجد وقبة ومدرسة ومنارة ولكن الذي يبدو ان السلطان امر باجـراء بعض الترميمات خلال هذه الفترة لاصلاح ما اصاب المرقد والمسجد من الاضـرار بسبب التأثيرات الجوية ، ونتيجة الاهمال الذي اصابه خلال العهد الصفـوي الاول .

(٣) لقد سافر السيد الشيخ زين الدين الى القسطنطينية عام ٩٤٦ هـ للحصول علـى اوقاف لزاوية الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد وقد حصل له الخير الزائـد بسعي التادفي مؤلف كتاب قلائد الجواهر ، انظر : ص ٥٦ من كتابه .

وفوضناكم بتصديق وثائق السادات من صحيحي النسب ويمنع استعمال العلامـ
الخضراء لمن لم يكونوا صحيحي النسب ولم يكن لهم حجة قضائية واملنا بانكم ستبذلون
قصارى مقدوركم لاجراء هذه الخدمات ولتكن علامتنا هذه مصدر العمل .

كتب ببغداد المحمية في ٢٠ رمضان سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م

السلطان سليمان خان القانوني[١]

وفي بغداد واطرافها قام بزيارة مراقد المشايخ والاولياء[٢] . وقد ظهر امام
العراقيين بمظهر التقي المتسامح[٣] وكان حريصا في سياسته الدينية حتى لا يسيء الى
مشاعر الشيعة باعتباره سلطانا سنيا فخرج من بغداد قاصدا العتبات المقدسـ
الشيعية واوقف مقاطعات مغلة لها[٤] وكان تصرفه في منتهى الحكمة لان العراق يحوي
اتباع الطائفتين فزار مرقد الامام موسى الكاظم وامر ببناء منبر من الآجر في مسـجد

---

(١) الدروبي ، الباز الاشهب ، ص ٤٧ . ويخطيء غفاري في جهان آرا ، ص ٢٨٩ عنده
بجعل مغادرة السلطان سليمان لبغداد يوم الجمعة ٧ رمضان ٩٤١ هـ ، بينما
نجد تاريخ هذا الفرمان يشير الى ٢٠ رمضان وصدر في المرقد القادري .

(٢) شهاب الدين السهروردي ، أم كلثوم بنت اسد الله الغالب ، معروف الكرخي ،
وغيرهم ، Nurdaydin, An Ottoman Historian, Nasuh Al-Matraki,
P. 10.

(٣) الدكتور حسين مجيب المصري ، صلات بين العرب والفرس والترك ، القاهرة ، ١٩٧١ ،
ص ٣٢٠ .

(٤) محمد توفيق ، عثمانلي تاريخي ، حربيه مطبعه سي ، ( استانبول ، ١٣٢٨هـ ) ، ص
١٢٤ .

(٥) Hammer, op. cit., Vol. 5, P. 218.
Stripling, op. cit., P. 80.

صفويين لاقامة صلاة الجمعة فيه ولحاجة الخطيب الى مثل هذا المنبر ، وتاريـــخ
ه يشير الى عام ٩٤١هـ وطابوقه أصغر ويختلف عن طابوق المسجد المذكور[1] كما قام
سيد جامع كبير حول المرقد وشيد عليه منارة[2] وبذلك اتم ما امر ببنائه الشاه اسماعيل
٩٢٦هـ .

هذا وعين سليمان لسدنة الروضة الكاظمية الرواتب من خزينة بغداد[3] كما قام
رة للعتبات المقدسة في كربلاء[4] عن طريق قرية المسيب[5] وبالغ في اكرام ســــدنتهـــا
ضافة الى تقديم الخدمات المفيدة للمدينة ليظهر امام العامة وكأنه يفعل اكثر مما
الشاه اسماعيل الصفوي ولكسب الرأي العام الشيعي الى جانبه توطيدا لتركــيز
م حكمه في العراق[6] . ومن اعماله الهامة التي بالغ المؤرخون في اظهارها هـــو

---

الدكتور مصطفى جواد ، مشهد الكاظمين ، مقالة من ١٧ صفحة مطبوعة على الآلــة
لطابعة مهداة بتوقيع المؤلف بتاريخ ١٨/ ٢/ ١٩٤٣ الى دار كتب المتحـــف
لعراقي ببغداد ، ص١٤ وفي المقالة اخطاء تاريخية كثيرة . جعفر نقدي ، تاريـــخ
لامامين الكاظمين ، المطبعة الحيدرية ، بغداد ، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م ، ص ٧٣ .
الظاهر انه ينقل معلوماته من مقالة الدكتور مصطفى جواد الآنفة الذكر لانه يــرتكب
نفس الاخطاء .
الالوسي ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ .
لمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .
سين العمري ، الآثار الجلية ، ورقة ١٨٨ .
وى ، المصدر السابق ، جلد اول ، ص ١٨٤ .

Yurdaydin, An Ottoman Historian Masuh Al-Matraki, P.1

كتور عبد الجواد الكليدار ، تاريخ كربلاء ، وحائر الحسين عليه السلام (النجف
١٩٦م/ ١٣٨٦هـ) ، ص ٢٥٨ .

وهذا خلاف للواقع التاريخي لان النهر كان يجرى الى المدينة وان الاشـــجار والبساتين اليانعة كانت تظللها قبل وصول سليمان القانوني اليها وما فعله السلطان سليمان هو تعويض فم النهر وتنظيف فروعه التي كثيرا ما كانت تتراكم فيها الترسبات وربما قام بعملية كرى وتعميق له وهو عمل كبير ايضا بالاضافة الى امره بناء سدة ترابيـــة لانقاذ المدينة من الغرق الذي كان يصيبها في سنوات فيضان نهر الفرات ولا تزال هذه السدة تحمل اسمه.[(1)] كما ان السجلات التي دونها سليمان القانوني تذكـــر

---

(=) خصباك ، المصدر السابق ، ص ص ٩٢ ـ ٩٣ . سيد نور الله شوشتري ، مجالس المؤمنين ، ج ٢ ، ( طهران ، ١٣٧٦ هـ ) ص ٤٢٢ . ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ( ليدن ، ١٨٨١ ـ ١٨٨٣ م ) ص ٢١٣ ، رحلة ابن بطوطة . ومن الجدير بالذكر ان لونكريك هو اول المؤرخين المحدثين الذي اشار الى سليمان القانوني عمق ووسع نهر الحسينية .

(١) من فروع هذا النهر الكثيرة التي لا تزال معظمها تحمل نفس الاسماء الى الوقت الحاضر : (١) ابو جردان (٢) ابو سليمان (٣) جسيتينه (٤) ابو زرنت (٥) الوند (٦) الكمكاعية (٧) الحموديــة (٨) الهنادرى (٩) البكيرة (١٠) عويرة الكبيرة (١١) عويرة الصغيرة (١٢) ابو عصيده (١٣) بدعت اسود (١٤) بدعت شريف (١٥) ابو طحين (١٦) جويبب (١٧) عميشية (١٨) القبوطه (١٩) الكمالية (٢٠) بدعة عيشه (٢١) القاضي (٢٢) حوزة ى (٢٣) حيدريه (٢٤) الرزازه (٢٥) طويريج (٢٦) ابو صخانه (٢٧) شيطه (٢٨) الصالحية (٢٩) كرية محمد صالح (٣٠) عسافيه (٣١) البتيرات (٣٢) ابراهيمية (٣٣) خير الدين (٣٤) لابج (٣٥) فريحـــه (٣٦) كربله (٣٧) جنكنه .

انظر : سالنامه بغداد ، ١٣١٨ هـ ، ص ٤٦٢ .

(٢) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٣٩ ، يوسف السليمانية .

ايرادات بساتين نهر كربلاء وهذا[١] يدل على جريان النهر قبل الاحتلال العثماني الاول .

وان ما نستطيع استنتاجه في هذا الصدد هو ان اسماعيل الصفوي عندما احتل العراق عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م قصد مدينة النجف ووجدها تعاني من نقص في ماء الشرب فأمر باحياء نهر عطا الملك الجويني وتعميق مجراه وتوسيع صدره عند الفرات لايصال الماء الى المدينة وكان عمله شاقا بسبب ارتفاع مستوى الاراضي في مدينة النجف عن مستوى نهر الفرات ولكنه نفذ مشروعه بعد عدة محاولات فاشلة وسمي النهر باسم نهر شريف أو نهر الشاه .[٢] يدعونا هذا الى الاعتقاد بانه من غير المحتمل ، أن يجد الشاه نهرا لارواء مدينة النجف في ظروف طبيعية قاسية ويترك مدينة كربلاء تعاني العطش كما يذكر لونكريك في الفترة التي سبقت الاحتلال العثماني[٣] ولكن الذى يبدو لي نتيجة دراسة النصوص المتوفرة هو ان اسماعيل الصفوى وسليمان القانوني كانا يتباريان في تقديم الخدمات الى هاتين المدينتين ولما نسب الى الشاه اسماعيل احياء نهر عطا الملك وسمي باسمه اذا لا بد ان ينسب نهر الحسينية في كربلاء ( المدينة التوأم للنجف ) الى سليمان ؟[٤] والذى اعتقده أن السلطان سليمان امر بتنظيف مجرى

---

(١) السجلات العثمانية د. ثغر رقم ١٠٢٨ لوحة ، ١٧٦ ، ولاية بغداد ،

(٢) انظر : عن ماء النجف ، مجلة لغة العرب ، الجزء ١٠ من السنة الثانية ، نيسان ، ١٩١٣ ص ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

(٣) لونكريك المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٤) ويسمي العزاوى هذا النهر بالنهر ( السليماني ) دون ان يذكر مصدره علما بانه ينقل احداث سفر السلطان الى كربلاء واصلاح النهر من كلشن خلفا الذى لا يذكر ذلك . انظر : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ص ٣٦ - ٣٧ . نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٠ - ٢٠١ . ومن الغريب ان الدكتور محمد رشيد ( = )

النهر وتوسيع صدره نظرا لتراكم الترسبات فيه طيلة سنوات الفوضى التي حدثت في العراق نتيجة استيلاء ذى الفقار على الحكم ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م ثم اعادة احتلاله من قبل طهماسب ثانية عام ٩٣٦هـ/ ١٥٢٩م كما سبب استيلاء التكلويين على بغداد وما رافق فترة حكمهم من اضطرابات وفوضى الى اهمال عملية الكرى فجاء السلطان سليمان وقام بهذا الاصلاح الذى اخطأت معظم المراجع الحديثة وجعلته عملية شق وحفر .

ومن كربلاء سلك السلطان الطريق الصحراوى الى النجف لاداء مراسيم الزيارة لمرقد الامام علي بن ابي طالب ومنها قصد الكوفة ثم توجه الى الحله[1] ومنها عاد الى بغداد وخلال مكوثه فيها امر باصلاح اسوار وابراج المدينة وقلعتها وقام باستبدال باب السلطان (القديمة) بباب خشبية من الصاج المضرب بالمسامير الحديد كما بيض واجهتها بالجص وطمس على ما كان عليه من كتابة وكانت الباب الاصلية باب اثرية ذات قيمة تاريخية[2] كما امر بوضع زاوية الفتح[3] غرب باب الظفرية[4] وكان موضعها بين جامع

---

(= =) الفيل يرسم خارطة للعراق للفترة التي سبقت الاحتلال العثماني ويسمي الفرع الذى ينتهي الى كربلاء باسم النهر السليماني .

Muhamad Rashid Al-Feel, The Historical Geography of Iraq between the Mongolian and Attoman Conquests (1258-1534), (Baghdad, 1967) .P. 144.

(١) Yurdaydin, An Ottoman Historian, Nasuh Al-Matraki P.10.

(٢) محمد صالح السهروردى ، جريدة العراق ، العدد ٢١٧٤ ، (١١ ايلول) ١٩٢٠ نقلا من مصدر آخر .

(٣) هدمها مدحت باشا .

(٤) انظر مخطط قلعة بغداد في ص ٤٤٥

السهروردي شهاب الدين ومسجد شاه ابراهيم احد انجال موسى الكاظم[1].

ليس هذا فحسب وانما أمر بتقسيم البلاد الى وحدات ادارية[2] وادخل نظام الاقطاع كما هو معروف في المقاطعات الاخرى من دولته ومنحت التيمارات والزعامات الى الجنود والقادة الذين اظهروا البطولة في الحملة الاخيرة على بلاد فارس[3] واستطاع ان ينظم الحكومة الجديدة ونظم سجلات للاملاك الخاصة والمقاطعات والاوقاف[4] ومنح ولاية بغداد الى سليمان باشا وعقد عدة اجتماعات للديوان[5] جمع فيها البكلربكات وبكوات السناجق والالوية لاعادة تنظيم قيادات الجيش العثماني والولايات الجديدة التي التحقت بالدولة وعين عددا من البيكات في السناجق التي استحدثها[6] وزود الحاكم الجديد بحامية من حوالي ١٠٠٠ جندي مزودين بالاسلحة النارية و ١٠٠٠ فارس وتعويضهم تكاليف المدفعية عند الضرورة امام هجمات طهماسب[7].

---

(١) محمد صالح السهروردي، جريدة العراق (١٨ ايلول) ١٩٣٠ نقلا من مصدر آخر.

(٢) لم تتكامل الوحدات الادارية في العراق الا في أوائل القرن السابع عشر حيث قسم العراق بموجب الى خمسة ايالات هي (١) ايالة بغداد (٢) ايالة البصرة (٣) ايالة الموصل (٤) ايالة شهرزور (٥) ايالة الاحساء ، وسنتناول التقسيمات الادارية الفرعية في مكان آخر .

(٣) Hammer, op. cit., Vol. 5., P. 220.

(٤) انظر السجلات العثمانية ، مصور المخطوطات دفتر ٣٨٦ لوحات ٢٩٢ ـ ٣١٠ .

(٥) يتألف الديوان من الوزراء وقادة الجيش الكبار ومن رجال الحاشية المقربين من السلطان والوجهاء الآخرين .

لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار التقدم ، (موسكو ، ١٩٧١) ، ص ٢٥ .

(٦) Hammer, op. cit., Vol. 5., P. 214.

(٧) لقد زودت الولاية الجديدة بحامية تعدادها ٢٠,٠٠٠ شخص
Stripling, op. cit., P. 80.

المتوقعة في المستقبل كما كانا في بغداد عددا كبيرا من القواد والجنود الذين[1] ابلوا بلاء حسنا في الحملة على بلاد فارس بترفيعهم الى رتب اعلى ، فرفع المؤرخ جلال زاده مصطفى جلبي من درجة رئيس افندى الى درجة نشانجي[2] وعين رجب مدونا للديوان (اى رئيس افندى) كما تم تعيين رمضان اوغلي محمد بوظيفة تذكرجي وهذا الاخير كتب تاريخا العثمانيين ثم رقي الى منصب نشانجي ولكنه كان يلقب بالنشانجي الصغير لتفريقه عن النشانجي الكبير جلال زاده مصطفى جلبي الذى بلغ راتبه حوالي ٨٠٠٠٠ اقجه[3] ومنح السلطان رمضان اغلي محمد راتبا قدره ٥٠٠٠٠ اقجه اما كاتب الديوان رجب افندى فقد منحه راتبا قدره ١٨٠٠٠ اقجه[4]، كما قدم على السلطان في بغداد رجال الدين والعلماء من انحاء العراق والاقطار العربية المجاورة لتهنئته بالفتح ولنيل المكاسب ، وكان بينهم عبد اللطيف بن ابي كثير المكي الذى قدم من دمشق وكان من العلماء الافاضل ومن تلامذة الشيخ شمس الدين بن طولون الصالحي المؤرخ الدمشقي المعروف ، فولاه سليمان القانوني قضاء مكة والحق به قضاء جدة

---

(1) Stripling, op. cit., P. 60.

ويجعل لونكريك افراد الحامية تتكون من الف شخص من حملة البنادق الخفيفة ومثلهم من حملة البنادق الثقيلة ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٢) اى حامل الختم الاكبر (توقيعي) واستمر هذا المؤرخ في هذا المنصب حتى عام ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م مستحوذا على رضا السلطان ورضا صدره الاعظم ثم اصبح متفرقه باشي اى كبير رسل السلطان ، وله كتاب ، طبقات الممالك ودرجات المسالك بلغ به الى حوادث عام ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م . انظر : دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج ٧ ، ص ٦٥ .

(٣) عن الاقجة انظر : الفصل الخامس ، بحث النقود ، ص ٤٢٨ .

(٤) Hammer, op. cit., Vol. 5., P. 215.

بشؤون الحرم الشريف حينما توجه اليهما في شوال ١٩٤١هـ/ ١٥٣٥م عن طريق دمشق.(١)

وفي بغداد امر السلطان بصلب الدفتردار اسكندر جلبي(٢) بتهمة الخيانة والاختلاس وكانت التهمة وشاية من خصومه وعلى رأسهم ابراهيم باشا الصدر الاعظم مما يشير الى وجود خلاف سابق بين الدفتردار والصدر الاعظم هو رغبة الصدر الاعظم التوجه الى بغداد في الوقت الذي كان الدفتردار يعارض ذلك(٣) علما بأن اسكندر باشا اشتهر بحسن السمعة وامتاز بالاخلاق الفاضلة(٤). اما السبب المباشر لاعدامه على رأي كانتيمير هو ان السلطان قام في بغداد بتفتيش سجلات دفترداره، وجد انه قد تلاعب بعدة أكياس من النقود لحسابه ولصالح الفرس، لذا امر سليمان باعدامه.(٥)

---

(١) الغزي، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ١٧٩ ـ ١٨٠. بينما ذكر العصامي، المصدر السابق، ص ص ٩٠ـ ٩١ بان اسمه عبد اللطيف بن عبد الله باكثير وهو صاحب الابيات المشهورة في فتح بغداد (انظر ص ١٠٦).

(٢) بچوى، المصدر السابق، مجلد اول، ص ١٨٧.

(٣) خير الله افندى، المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٤) النهروالي، الاعلام، ج ٣، ص ٣١٧.

(٥) قيل انه قبل تنفيذ الاعدام طلب قصاصة من الورق وريشة وحبرا وكتب عدة سطور الى سليمان يحذره من ابراهيم باشا الذى قال عنه انه يحاول الانفراد بالحكم وهو يتآمر على اغتياله بالاتفاق مع الفرس وقد سببت هذه السطور اعدام ابراهيم باشا بعد عام عندما ارتاب السلطان في امره وظل يحصي كل حركاته وسكناته وظهر على ابراهيم ما يدل على عزمه في الانفراد بالحكم وما يؤكد السطور التي كتبها اسكندر باشا في بغداد. انظر:

Cantemir, op. cit., Vol. 111., P. 197.

هذا وان السلطان سليمان اتخذ قراراً في بغداد بتعيين فرق عسكرية لحراسة وحماية المقاطعات الجديدة التي دخلت في حوزته كما ارسل الى الموصل محمد باشا كبكلربكي للولاية[١] رغم ان الموصل كانت من المقاطعات العثمانية منذ عام ٩٢١هـ / ١٥١٥م الا ان حكامها كانوا من الامراء الاكراد المحليين[٢] فيما الحقها الآن بالدولة بشكل مباشر[٣] كما فاوض العشائر العربية وزعمائها واستطاع كسب بعضهم الى صفوفه ومن جهة اخرى توجه رهط من الامراء الى بغداد للترحيب بالسلطان الفاتح فحضرها ممثلون من الرها وماردين وحصن كيفا وبعض مقاطعات العراق العجمي[٤] وحضرها وفود من الحلة وشهربان[٥] وهارونية وداقوق وكركوك ، كما ان حاكم شهرزور اعلن الولاء له وارسل ابنه مأمون للتهنئة[٦] مثلما اعلن سام ميرزا الثورة في اقليم فارس ضد الشاه طهماسب وآزر السلطان على فتحه للعراق[٧] وايده امراء لرستان وكلهرستان[٨] كما تظاهرت الدولة بخضوع اعراب المشعشعين وامراء الجزائر وواسط لها[٩] وقد

---

(١) ياسين بن خير الله العمري ، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ، حققه ونشره سعيد الديوه جي ، مطبعة الهدف ، الموصل ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م ، ص ٧١ .

(٢) انظر الفصل الاول عن احتلال الموصل في اعقاب معركة جالديران ، ولدور ادريس البدليسي في ذلك ، ص ٧٣ .

(٣) ~~عصبة الامم ، مسألة الحدود بين تركيا والعراق ، وهو التقرير الذي وضعته البعثة المؤلفة وفقاً لقرار المجلس في ٣٠ ايلول ١٩٢٤ ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ص [illegible] ٧ اعتماداً على المخطوطات التي كتبها آراموس [illegible] المرافق للسلطان سليمان الى بغداد عام ٩٤١هـ/١٥٣٤م .~~

(٤) Stripling, op. cit., P. 80.

(٥) قره جلبي زاده ، المصدر السابق ، ص ٤٢٥ .

(٦) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ . للاستزادة عن حكام شهرزور انظر الفصل الرابع ( امارة اردلان ) .

(٧) و (٨) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .

(٩) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ١٦٣ــ١٦٤ .

ادعى المؤرخون العثمانيون بوصول وفود من القطيف والبحرين(١) والبصرة(٢) للمباركة .

وان احتلال بغداد من قبل سليمان القانوني وولاء المناطق المجاورة له مهد السبيل للدولة العثمانية بفرض هيمنتها على آسيا الغربية ومد نفوذها الى الخليج العربي(٣) لا سيما بعد ان اقر ديوانه في بغداد باحياء مشروع سليمان القانوني(٤) القاضي بارسال الاسطول العثماني لمواجهة البرتغاليين(٥) الذين تزايد نفوذهم في منطقة البحار الجنوبية لذا اذن للامراء العثمانيين المكلفين بادارة مصر والذين كانوا مرافقين له بالتوجه الى تلك البلاد لاعداد الاسطول ووضعه على اهبة الاستعداد لمواجهة البرتغاليين(٦) .

عودة السلطان سليمان القانوني الى بلاده :

خلال وجود السلطان سليمان في بغداد بلغه ان الشاه طهماسب استولى على قلعة وان من جديد وطرد الحامية العثمانية وصار يهدد حدود الدولة العثمانية لذا غادر بغداد على جناح السرعة(٧) حتى قبل حلول عيد الفطر حيث تركها يوم ٣٠

---

(١) قره جلبي زاده ، المصدر السابق ، ص ٤٢٥ .

(٢) Yurdaydin, Matrakci Nusuh, P. 60.

(٣) لاموش ، المصدر السابق ، ص ٩٨ .

(٤) كان هذا المشروع من بنات افكار سليمان منذ فترة سابقة الا ان الذي اخره عن تنفيذه هو الحملة الفارسية وما تمخض عنها من احتلال بغداد والتي قفزت الى مكان الصدارة في مشاريعه

(٥) Lewis, Istanbul, P. 33.

(٦) العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٨٧ نقلا من مصدر آخر .

(٧) Cantemir, op. cit., Vol. 111., P. 197.

رمضان ٩٤١هـ المصادف ٣ نيسان ١٥٣٥م قاصدا آذربايجان عن طريق التون كوبري[1] [2] بعد ان مكث حوالي شهر قرب اربيل[3] ولما دخل تبريز اضرم النار فيها نكاية بالشاه ثم غادرها الى القسطنطينية[4] وفي طريق عودته قدم اليه خان بدليس[5] ومعه مفاتيح مدينته يعرض الولاء[6] . ولما علم الشاه طهماسب بتلك التطورات حشد قواته وتوجه بهم الى

---

(١) Yurdaydin, An Ottoman Historian Nasuh Al-Matraki, P.10

(٢) لقد قارن الاستاذ (Yurdaydin) في دراسته لكتاب نصوح المطراقي ما ذكره نصوح وبين ما وصفه بستانجي جلبي المرافق للسلطان سليمان في حملته على بلاد فارس والعراق لقد وصف نصوح الطريق بين بغداد وتبريز بالشكل التالي: بين بغداد ، كوك تبه (مقابل التون كوبرى) ، قلعة صوفبان شاه ، صحراء مران ، شهرزور ، كولكون (اسكي صو اورته سي) اي وسط النهرين ، نيلان ، قصر مراغه ، سعد آباد ، دركزين ، تبريز . اما وصف بستانجي جلبي فكان بالشكل التالي : بغداد ، دهلة ، التون كوبرى ، كولكون ، مراغه ، اسعد آباد ، دركزين ، تبريز .

(٣) Yurdaydin, Matrakci Nasah , P. 57.

(٤) Pitcher, op. cit., P. 111.

(٥) Malcolm, op. cit., Vol. I., P. 508.
لقد مر بالمدن التالية على رواية نصوح المطراقي ، تبريز ، اخلاط ، بدليس ، آمد ، الرها ، برجك حلب ، اطنه ، قونيه ، اسكدار . وعلى رواية بستانجي جلبي في (السليمانامه) تبريز ، خوى ، كرانكد ، دره ، ارجيش ، بتليس ، آمد ، برجك ، حلب ، اطنه ، كولك درندى ، قرمان ، اناضول ، اسطنبول . انظر :
Yurdaydin, Matrakci Nasuh, P. 57.

(٦) Cantemir, op. cit., Vol. 111., P. 198.
اصبحت بدليس جزء من املاك الدولة العثمانية عندما فتحها اولامه تكلو في الحرب التي سبقت الحملة العثمانية الى بلاد فارس ويظهر ان حاكمها نكث الولاء وانحاز الى الدولة الصفوية وعاد الآن ليجدد ولاءه للدولة العثمانية .

تويون جاى حيث ارسل منها احد قواده المسمى (دلي محمد) على رأس جيش للاغارة الليلية على ساقة الجيش العثماني اثناء انسحابه من تبريز واستطاع هذا القائد اللحاق بموءخرة الجيش العثماني وقتل عدد كبير من افراده، بينهم بعض البكلر بكيه. ويبالغ دون جوان كعادته في وصف مثل هذه المعارك ويقدر القتلى من الجيش العثماني بحوالي ٤٠،٠٠٠ (اربعين الف) فارس و ٧٠،٠٠٠ (سبعين الف) من المشاة[(١)]، بينما يذكر البدليسي وروايته اقرب الى الواقع ان عدد القتلى العثمانيين كان حوالي مائتين وخمسين شخصا فقط[(٢)] ويضيف دون جوان ان السلطان سليمان وافق على المدنة بعدما عاناه جيشه من الاغارات المستمرة[(٣)] كما ينفرد في سرد حكاية غريبة يزعم انه سمعها من الموءرخين في زمانه فحواها ان الشاه طهماسب بعد ان انتقم من الجيش العثماني في (تويون جاى) استدار مع جيشه وقصد العراق العربي لاخماد (الفتنة) وعند دخوله بغداد احرق جانبا كبيرا منها كما امر بنبش قبر المفتي الاعظم (شيخ الاسلام) الذى كان قد توج سليمان القانوني امبراطورا في العاصمة العباسية والذى توفي فيها من وقت قريب واستبدل الشاه جثته بجثة كلب[(٤)]. ويبدو من الاحداث

---

(١) Don Juan, op. cit., P. 125.

وهذا امر غير معقول مطلقا قياسا على تعداد وحدات الجيش العثماني من جهة ولما يذكره الموءرخون من جهة اخرى.

(٢) البدليسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٤.

(٣) Don Juan, op. cit., P. 125.

بينما هناك روايات توءكد بان الشاه طهماسب هو الذى ظل يلح في طلب الصلح من السلطان سليمان القانوني.

(٤) Don Juan, op. cit., P. 125.

التاريخية المؤكدة ان هذه الحكاية كلها مختلقة لاننا لم نعثر على اى نص سواء كان عربيا ام تركيا ام فارسيا يشير الى عودة طهماسب او جيشه الى بغداد ثانية بعد احتلال سليمان لها عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م.(١)

## ثانيا : التنظيمات الجديدة لولاية بغداد في العهد العثماني الاول ( ٩٤١ ـ ١٠٣٣ هـ / ١٥٣٤ـ١٦٢٣م :

### آ ـ التنظيمات الادارية :

باحتلال الجيش العثماني بغداد عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م اصبحت هذه المدينة والقصبات التابعة لها ولاية عثمانية شأنها شأن باقي ولايات الدولة تسرى عليها كافة القوانين والانظمة العثمانية وبادرت الدولة الى تقسيم العراق الى مناطق ادارية الا ان تلك التنظيمات لم تأخذ شكلها النهائي الا في اوائل القرن السابع عشر(٢) وكثيرا

---

(١) ان الايرانيين لم يعودوا الى بغداد الا في عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م.

(٢) لقد اورد العزاوى في كتابه ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦ تفاصيل عن ( ايالات ) العراق الخمس ونسبها الى هذه الفترة بشكل يوحي للقارئ كأنها تقسيمات نظمت في عهد السلطان سليمان القانوني مع العلم ان نظام الايالات لم يظهر في الدولة العثمانية الا في عهد مراد الثالث وعلى وجه التحديد عام ١٥٧٤م . كما ان العزاوى نفسه اشار عند ذكر تفاصيل الوحدات الادارية لولاية شهرزور بانها تعود لفترة متأخرة دون ان يحددها في الوقت الذى لم نعثر بين السجلات العثمانية على ما يشير الى ولاية شهرزور ويبدو وانها كانت تدار من قبل شيوخ العشائر الكردية . ومن جهة اخرى اورد الاستاذ ساطع الحصرى في كتابه ، البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ص ٢٣٥ ـ ٢٣٨ تفاصيل عن الوحدات الادارية لولايات بغداد والموصل والبصرة وبأشارة صريحة قال بانها تقسيمات تعود الى اوائل القرن السابع عشر . ومن الجدير (=)

ما كانت تقتطع ناحية من هذه الالوية لتلحق بأخرى حتى وصل الامر الى اقتطـــاع

(= = ) بالذكر أن مصدر المؤلفين (العزاوي والحصري) هو كتاب (سياحتنامه سي) لاوليا جلبي وهو من رجال القرن السابع عشر ، ص ص ١٨٦، ١٩٣ .

وقد اعتمدنا على السجلات العثمانية لولايات بغداد والبصرة والموصل في تدوين اسماء الوحدات الادارية التي شاعت في فترة بحثنا كما هو مدون في متن البحث اعلاه . ونورد ادناه الوحدات الادارية كما وردت في المرجعين العربيين المشار اليهما اعلاه مع مقارنتهما بما ورد في كتاب (اوليا جلبي سياحتنامه سي) وتصحيح ما ورد بهما من اخطاء تفيدنا لمعرفة التنظيمات الادارية التي سيكون عليهـــا العراق في القرن السابع عشر وهو جزء من بحثنا ايضا :-

آ - ايالة بغداد : وتقسم الى ثمانية عشر سنجقا (لواء) (١) لواء الحلة (٢) زنگـــي آباد (٣) لواء الجوازر (الجزائر) (٤) لواء الرماحية (٥) لواء جنگوله (٦) لـــواء قره طاغ ، او قراداغ ، وفي الالوية اعلاه زعامات وتيمارات .

اما الالوية التالية فتخلو من التنظيمات الاقطاعية ما عدى خاص الامراء (١) درتنـــك (٢) السماوه (٣) بيات (٤) درنه (٥) دنه بالا (٦) واسط (٧) كرند (٨) دمير قبـــو وكتبها اوليا جلبي (تيمور قبو) (٩) قزانه (١٠) گيلان (١١) آل صاح (ويذكرهـــا اوليا جلبي الصائح) ويذكرها الحصري (آل صايح) (١٢) العمادية . ومن الغريب أن اوليا جلبي جعل العمادية مع الوية بغداد ولم يلحقها بولاية الموصل . ويقـول ليس فيها تيمار وعليها أن تشترك في الحروب مع ولاة بغداد .

ب - ايالة البصرة : لم تقسم الى خاصات وزعامات او تيمارات وانما كانت ساليانه ، وكان يجرى التصرف بها على وجه الملكية ويذكر العزاوي أنها صارت عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦ تابعا للدولة وانقرضت امارتها واعتبرت ايالة ولا يصح هذا الكلام لان اوليا جلبي يقول انها نظمت في عهد محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٨٧) .

حـ - ايالة الاحساء . لا زعامة فيها ولا تيمار وانما يقدم حاكمها هدايا سنوية الى والي بغداد ، ويجعل اوليا جلبي تبعيتها للعراق منذ عهد مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠) .

(= =)

الوية ( سناجق ) من بعض الولايات لالحاقها بولايات اخرى . فمثلا نرى ان ناحية داقوق كانت تابعة للواء مندلجين[1] وتارة اخرى نجدها مقاطعة تابعة لكركوك[2] وكذلك

---

( - ) د ـ ايالة الموصل : لقد قسمت في عهد سليمان القانوني الى ستة الوية

١ ـ لواء باجوان ( ذكرها اوليا جلبي باجوانلو ) (٢) لواء تكريت ( يجعلها كاتب جلبي في كتابه جهانما ، ص ٤٣٦ سنجقا تابعا لايالة الرقه . انظر كذلك دائرة المعارف ، ج ٥ ، ص ٤٣٦ ( الطبعة العربية ) (٣) لواء اسكي موصل (٤) لواء هرور ( فيما يذكرها اوليا جلبي هروان وهورن تارة اخرى (٥) لواء بانه (٦) الموصل نفسها .

هـ ـ ايالة شهرزور : يذكر اوليا جلبي انها تتكون من ٢١ سنجقا (١) سروج ، يذكرها العزاوي سروجك (٢) اربل (٣) كسنان (٤) شهر بازار (٥) جنكوله (٦) جبل حمرين ( يذكرها اوليا جلبي جبل حجر ) (٧) هزار رود ( يذكرها العزاوي هزار مرد ود ) واعتقد تسمية اوليا جلبي صحيحة لانها تعني منطقة ( الالف نهر ) (٨) دور الحوران ( يذكره العزاوي الحوران فقط ) (٩) مركاوه ( يذكرها العزاوي مركاره ) (١٠) حرير (١١) روديين (١٢) بتل طارى (١٣) سبه زنجير (١٤) عجوز (١٥) ابرومان (١٦) داودان ( وهذا السنجق يتجاوزه العزاوي لهذا يذكر ٢٠ سنجقا فقط في قائمته بينما ذكر اوليا جلبي بوضوح ان عدد سناجق الولاية (٢١) سنجقا . (١٧) ياق (١٨) برنلي (١٩) بلقاس (٢٠) اوشني ( اواوشني ) (٢١) قلعة غازي . ( علما بان هذه السناجق غير معروفة في الوقت الحاضر ) .

العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦ . ساطع الحصري ، المصدر السابق ، ص ص ٢٣٥ ـ ٢٣٨ . محمد ظلي ابن درويش اوليا جلبي ، اوليا جلبي سياحتنامه سي ، برنجي جلد ، اقدام مطبعه سي ، استانبول ، ١٣١٤هـ ص ص ١٨٦ ـ ١٩٣ .

(١) سجلات بغداد ، دفتر ١٠٢٨ ، اللوحة ١٦ .
(٢) سجلات بغداد ، دفتر ١٠٤٩ ، لوحة ١٥١ .

يمكن القول من ناحية الجوازر التي كانت تابعة للواء الرّمَاحيّة[1] التابع لولاية بغـــداد الذى اصبح بموجب تنظيمات عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م لواءً تابعا لولاية البصرة[2] ولـــواء جنكوله الذى كان تابعا لولاية بغداد الحق بولاية شهرزور عند تشكيلها في وقـــت متأخر من القرن السابع عشر[3] .

وقد دونت السجلات العثمانية لولاية بغداد في القرن السادس عشر بعـــض وحداتها الادارية التي تشمل السناجق والنواحي وبعض القصبات والقرى منهـــــا سنجق الرماحية ويشمل ناحية زبيد وناحية الجوازر[4] وسنجق مندلجين ويتبعها ناحية مندلجين وناحية خالص وناحية طريق خراسان وناحية مهروت[5] وسنجق زنگي آبـــاد ويتبعها ناحية زنگي آباد وناحية الدجيل وناحية داقوق[6] ، وسنجق كركوك ويشـــمل

---

(١) الرّماحيّة : بفتح الراء وتشديد الميم يليها الف ثم حاء فياء مشددة وفي الاخــر هاء ، مدينة مستحدثة في العراق لم يذكرها الحموى ولا غيره من البلدانيــين وهي في دبوع زراعة على جدول يجرى اليها من الفرات وقيل ان الســـلطان سليمان القانوني اسكن فريقا من الروم فيها فصارت تعرف ( روم ناحيه ) وحتــذا تلفظ عند المؤرخين العثمانيين الا ان هذا مجرد ادعاء لان المدينة كانــت موجودة قبل عام ٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م اذ ورد ذكرها في وقائع الشاه طهماسب . انظر : نجيني خبير ، مجلة لغة العرب ، الجزء ١٠ من السنة ٦ ، تشرين الاول ١٩٢٨ ، ص ٧٢٩ . وكذلك الجزء ٩ من السنة الثالثة ، آذار ١٩١٤ ، ص ٤٦١ وسجلات بغداد دفتر رقم ١٠٤٩ لوحة ١٥٧ . بشأن تبعية الجوازر لها .

(٢) سجلات البصرة ، دفتر رقم ٥٣٤ ، لوحة ٩٤ .

(٣) اوليا جلبي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٨ .

(٤) و (٥) سجلات بغداد ، دفتر رقم ١٠٢٨ ، لوحة ٥ ، ١٥ .

(٦) نفس المصدر ، لوحة ١٦ .

ناحية كركوك وناحية قزلرباط كما نجد اشارة الى الحلة(١) والمراقد(٢) المقدسة مثل مشهد علي(٣) (النجف) والامام الحسين(٤) (كربلاء) وشفاثا(٥) كما وردت اسماء قرى كثيرة ضمن ولاية بغداد منها غياث آباد(٦) وقرية عبد الحميد(٧) والقاسمية(٨) وشهربان(٩) والغالبية(١٠) والخالص(١١) والعامرية(١٢) وحربى(١٣) وعقرقوف(١٤) والمنصورية(١٥) .

---

(١) سجلات بغداد ، دفتر رقم ١٠٤٩ ، لوحة ٥٠ أ .

(٢) سجلات بغداد ، دفتر رقم ٣٨٦ ، لوحات ٢٩٥ ، ٢٩٧ .

(٣) نفس المصدر ، لوحة ٣١٠ .

(٤) نفس المصدر ، لوحة ٣٠٩ .

(٥) سجلات بغداد ، دفتر رقم ١٠٤٩ ، لوحة ٥٤ أ .

(٦) سجلات بغداد ، دفتر رقم ١٠٢٨ ، لوحة ٣٣ .

لا ادري هل نستطيع أن ننسب عبد الله بن فتح الله البغدادي صاحب كتاب التاريخ الغياثي ، الى هذه القرية وهو بغدادي معروف او ان غياثي لقب (تخلصه) على غرار شعراء وادباء عصره مثل خطائي (الشاه اسماعيل) وفضولي وفضلي البغداديين وروحي .. وغيرهم .

(٧) سجلات بغداد ، دفتر رقم ١٠٤٩ ، لوحة ١١٤ .

(٨) نفس المصدر ، لوحة ١١٧ .

(٩) نفس المصدر ، لوحة ١٣٤ .

(١٠) و (١١) نفس المصدر ، لوحة ١٣٩ .

(١٢) نفس المصدر ، لوحة ١٥٢ .

(١٣) نفس المصدر ، لوحة ١٥٣ .

(١٤) نفس المصدر ، لوحة ١٥٥ .

(١٥) نفس المصدر ، لوحة ١٥٦ . وقد حددت على شاطئ نهر ديالى بالقرب من سلمان الفارسي .

وخلال وجود السلطان في بغداد باشر بمنح الاراضي الخاصة والزعامات ، والتيمارات الى القادة والجنود الذين لمعت اسماؤهم في الحملة الاخيرة وعيّن البعض منهم لادارة مراكز المدن والنواحي التي استعرضناها وكان جلهم من عبيد السلطان ممن تدرجوا في مناصب الدولة حتى وصلوا حدا يمكن معه منحهم الاقطاعيات وهؤلاء اقتسموا معظم اراضي العراق وغدوا سادته ويمكن تمييزهم في التنظيمات التالية :

١- البكلربيك (١) : ويسمى ميرميران (٢) وكان يعهد اليه بشؤون مركز الولاية وكانت له السلطة على السنجق بيك وله حق حمل علم عليه طرغان من ذنب الحصان وكان يتبع البكلربكي مفتي ورئيس افندي ودفتردار واغا الانكشارية المحلية والسلحدار (٣) والميراخور (٤) واغا البوابين وعدد كاف من الكتبة يقومون بمساعدته وارشاده ويدونون تعليماته ويجمعون

---

(١) بك : لقب تركي ، يلقب به أي نبيل المتفرقة بينه وبين العامة وكان يطلق الاسم على قواد وحدات الجيش على اختلاف رتبهم :- اولوس بكي وتومان بكي ومينك بكي ويوز بكي واون بكي . وكذلك على رجال الادارة من عمدة القرية الى عامل الولاية والموظفين المدنيين والقضاة . بارتولد : دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة العربية) ج ٤ ، ص ٣٦ .

(٢) وهي تحريف للكلمة العربية امير الامراء وكلمة اميران جمع امير على القاعدة الفارسية هاملتون جب وهارولد بوون : المجتمع الاسلامي والغرب ، ج ١ ترجمة الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى مراجعة الدكتور احمد عزت عبد الكريم ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٩٦ .

(٣) رئيس دار السلاح .

(٤) المسؤول عن اصطبل الخيل .

الايرادات من الولايات ويقومون باحصاء عدد الاقطاعيين ومقاطعاتهم [١]. وكان الوالي (البكلربيك) يجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية كما كانت تخصص للباشا في الولاية مقاطعة بدرجة خاص حيث يقوم باعداد وتجهيز الخيالة المترتبة على ذلك الخاص كما عليه توجيه الفرسان الذين يجهزهم امراء السناجق واصحاب الزعامات والتيمارات التابعة لولايته او يتقاضى البكلربيكي (الوالي) راتبا سنويا يسمى (ساليانه) [٢] في الولايات التي خلت من التنظيمات الاقطاعية كبغداد والبصرة مثلا [٣] ويظهر مما تقدم ان البكلربكية والسنجق بكيه وكذلك سائر الموظفين لم يكونوا يتقاضون رواتب مقننة من خزينة الدولة انما كانوا يتقاضون الضرائب والرسوم من مقاطعاتهم كما انهم كانوا يعينون الملتزمين يتولون جباية تلك الضرائب باسمهم كما ان كل ملتزم كان يستعين بخدمات طائفة من اهل البلاد واعيانها في امر توزيع الضرائب وتثبيتها وجبايتها وكان هؤلاء

---

(١) Albert Howe Lybyer, The Government of The Ottoman Empire in the Time of Suleiman the Magnificent, New York, 1966, P. 174.

٢) الحصري ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠ - ٢١ .

٣) الواقع كانت توجد الاقطاعيات في سبعة من سناجق بغداد الثمانية عشر الا ان مركز الولاية كان ساليانه ، اما البصرة فانها لم تقسم حتى الى سناجق ومما استوجب توفير مصدر رزق آخر غير الاقطاعيات للباشوات الذين يحكمونها كانت تجبى الرسوم المختلفة من الاهليين عن طريق مندوبين تعينهم السلطة المحلية وتلك الايرادات كانت تصرف لاغراض محلية متعددة منها رواتب الموظفين وكان الفائض يرسل الى العاصمة .

جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

ـيائر الالتزام العسكري والتمثيل الاداري للسلطة المركزية ، وكان السلاطين يهبون سناجق الى المقربين من البلاط وكان يطلق عليهم اسم المتصرف وقد قدر لهـــذا مصطلح ان يصبح فيما بعد رتبة من رتب الخدمة الادارية وفي بعض الاحيان كـــان سنجق بك مجرد موظف يتقاضى راتبا سنويا (علوفه) في الولايات التي خلت مـــن تنظيمات الاقطاعية ، ويدل ذلك على انه وهب سنجقه بطريق (السالیانه) وكان هذا ان معظم سناجق بغداد والبصرة[1] وكان لهم حق حمل علم من طوغ واحد عليه ذنـب حصان واحد وله حق الاشراف على عدد من المدن الاخرى الاقل اهمية بما في ذلك مقاطعات التي تقع ضمنها[2] وكان كل منهم يزود بعلم وطبل وكان التعيين للاقطاعيـات شاغرة يتم طبقا لتوصياتهم[3] وكان بمعية السنجق بيك مجموعة من المساعدين على غـرار بكلربيك يقومون بنفس الاعمال على درجة اقل تتناسب مع صغر المدينة وكان اقطاع امير لواء (السنجق بكي) من درجة خاص وكان يدر عليه غالبا ايرادا يتجاوز الـ ١٠٠ر٠٠٠ قجة فكان خاص السنجق بيك في تيلان وجنكوله[4] ٢٠٠ر٠٠٠ اقجه بينما في الرماحيـة ٤٤٥ر٠٠٠ اقجه وفي بعض السناجق المهمة كالحلة مثلا وصل ايراد خاص السنجق حوالي ٩٥١ر٠٠٠ اقجه[5] .

ـ الاي بيك : كلمة تركية بمعنى رئيس تشكيلة من القوات المسلحة تتألف عادة مـــن ـد يتراوح بين (٢٠٠ ـ ٥٠٠) رجل مسلح وكان مقره مراكز المدن الكبيرة الا انــه ن ينتقل من مكان الى آخر حيث تكون الحاجة اليه ماسة وكان جاهزا مع جماعته وقـــت

---

دني J. Deny ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٤ ، ص ٢٥٣ (الطبعة العربية)

(1) Lybyer, op. cit., P. 103.

(2) Ibid., P. 174.

(3) من سناجق بغداد ، انظر التقسيمات الادارية ص ١٢٧ ـ ١٢٨ من هذا الفصل .

(4) اوليا جلبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، (برنجي جلد) ، ص ١٦٣ .

يكونون طبقة خاصة يخدمون الولاة والمتسلمين الذين يتوالون على كراسي الحكم
الولايات والسناجق وكثيرا ما يتمتع البكلربكي في بعض الولايات بميزات خاصة فمثلا
يسمح لبكلربيك بغداد بان يستعمل سفنا شبيهة بتلك التي يستعملها السلـ
وذلك لما كانت تتمتع به بغداد من شهرة تاريخية ولانها كانت عاصمة لدولة اسـ
في السابق كما كان لهم حق استخدام حرس من الصولاق(١) وتعيين بعض الموظفـ
لخدمتهم ، ووصل بعضهم حدا أصدر فيه أحكام الاعدام ومصادرة اموال الناس د
الرجوع الى السلطان(٢) (٣) .

٢- السنجق بيك : اطلق لفظ السنجق على الاقليم السياسي الذي يجمع بـ

---

(١) الصولاق : اسم كان يطلق في التنظيم الحربي القديم للدولة العثمانية على ر
السهام من حرس السلطان وكلمة صولاق لفظة تركية قديمة معناها (الاعسر) ا
علاقة هذا المعنى برامي السهام فغير واضحة ، وكان الصولاق تابعين للانكشا
ويتكون منهم اربع اورطة (تبدأ من الاورطة ٦٠ الى ٦٣) وكل اورطة مائة جنـ
يقود هم صولاق باشي ، على ان الصولاق كانوا يستخدمون كحراس وكانوا يرتدون ز
عسكريا يماثل زي الانكشارية مع خلاف واحد هو انهم كانوا يضعون فوق رؤوسـ
قلنسوة في قمتها ريشة طويلة . انظر : كرامرز : دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١
ص ٣٨٦ (الطبعة العربية) .

(٢) جب و بوون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٨ .

(٣) الحصري ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٤) السنجق ، لفظة تركية تعني علم او لواء وكان استعمال الاعلام العلامة التي تمـ
حكام الولايات العثمانية عن بقية موظفي السلطان فهذه الاعلام كانت توصف ام
بالكلمة التركية (سنجق) او بالكلمة العربية (لواء) وكان الموظفون المعينـ
لحكم الولايات في اوائل العهد العثماني يعرفون اما باسم بكوات سناجق او با
(ميرلواءات) بمعنى امراء الحكم وهو تحريف فارسي للكلمة العربية امير اللواء
جب و بوون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

السلم اما راتبه فكان يتقاضاه من ايراد زعامت كانت تمنح له مدى الحياة (١).

٤- الصوباشي (٢): يلي الالاي بيك مرتبة بل كان يعمل تحت امرته وكان يقوم بمهام الشرطة في المدينة وقت السلم وبمهام قائد الفرقة العسكرية ابان الحروب، وهو

---

(١) Lybyer, op. cit., P. 103

(٢) معنى باش بالتركية رأس وصو بالتركية القديمة جيش ويقول كرامرز ربما تكون صو محرفة من زو في اللغة التركية الشرقية القديمة او انها مأخوذة من كلمة زو الصينية التي تعني الجيش، وقد اوردها ابن الطقطقى في كتابه الفخري في الاداب السلطانية وجعلها قائد الجيش، وجعل ابن الاثير (سو باش) واحدا من اكابر امراء السلطان مسعود السلجوقي، اما جب فانه قال نقلا من تاريخ بيهقي (بالفارسية) القرن الخامس الهجري - بان الاصطلاح شاع في العهد الغزنوى وكان يدل على منصب عسكري. وخلاصة القول أن هذا الاصطلاح غدا من اشهر الالقاب الحربية في الدولة العثمانية واستعمل للدلالة على رتبة عسكرية خاصة في سلاح فرسان العلوفه جيه. كرامرز J.H. Kramers، دائرة المعارف الاسلامية، ج ١٤، ص ص ٣٦١ - ٣٦٢ (الطبعة العربية)، محمود بن الحسين بن محمد الكاشغري، كتاب ديوان لغات الترك، جلد ثالث، برنجي طبعي، طبعة عامرة، دار الخلافة العلية، ١٣٣٥هـ، ص ص ١١٢، ١٥٦، ٢٥٧. يعقوب سركيس، مباحث عراقية، في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد - القسم الثاني وهي المباحث المنشورة في المجلات والجرائد العراقية، ١٩٣٥ - ١٩٤٨م، شركة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م)، ص ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

عز الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، (بيروت، ١٩٦٦) ص ٤٧٩.

هاملتون جب وهارولد بوون، المجتمع الاسلامي والغرب، ج ٢، ترجمة الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى، مراجعة الدكتور احمد عزت عبد الكريم، دار المعارف (القاهرة، ١٩٧١)، ص ١٨٧.

المنفذ لاحكام القضاة واوامر المحتسب ،كان يتبعه مجموعة من الانكشارية والعزب وئل
من الجنود المحليين الذين كانوا يساعدونه في ضبط الامن ومراقبة الاسواق والتطواف
ليلا كحراس وكان يمنح اقطاعا بدرجة خاص او زعامت يعيش من ريعهما اما في السناجق
التي كانت تخلو من التنظيمات الاقطاعية فانه كان يتقاضى راتبا سنويا مقننا .

ب ـ التنظيمات المالية :

الدفتردار :(١) كانت مهمته تسجيل ايرادات الولاية ومصروفاتها في سجلات خاصة
وكانت الدفترخانه تمارس اعمالها على ثلاثة اقسام :

١ ـ اجمال : ويختص بالوثائق التي كانت ترسم حدود الولايات في العراق فضلا عن
اقسامها الفرعية وحدود كل الاقطاعيات(٢) وكانت تعطي اجمالية سريعة عنها بحيث تشمل
الخاص والتيمار والزعامت والوقف والملك ،وكان يشار في الاجمال عادة الى تحول التزام
التيمار من شخص الى آخر مع بيان التاريخ والاسباب ،كما ان الاجمال كان يعطي
المعلومات لمجموع قيمة الخاص والوقف والزعامت والتيمار وقد دونت اراضي سبعة سناجق
في بغداد في اجمال بدون تاريخ كما ان هناك اجمالا لولاية البصرة مؤرخا عام ٩٨٢هـ

---

(١) مركبة من كلمتين :
الدفتر : وهو الديوان او كتاب الحساب .
ودار : بمعنى ماسك او حافظ .
فالدفتردار بمعنى صاحب بيت المال او بمثابة مدير الخزينة . انظر : ريجارد كوك
بغداد مدينة السلام ،ج ٢ ،تعليق فؤاد جميل والدكتور مصطفى جواد في هامش
رقم ٤ ،ص ١٠ .

(٢) جب وبوون ،المصدر السابق ،ج ١ ،ص ١٨٠ .

/ ١٥٧٤م وآخر بدون تاريخ (١)

٢- مفصل : وهي تختص بوثائق مشابهة فيما يتعلق بالملكيات الخاصة في انحاء السناجق والنواحي التابعة للولاية ، وفيها معلومات تفصيلية عن نوعية المحصول ومقاديره في الاراضي الزراعية كما يشار فيها الى الضرائب وذكر اراضي السلطان وخاص الوالي وكذلك اراضي الاوقاف وتشير هذه السجلات الى ان كل سنجق ينقسم الى نواحي وكل ناحية الى عدة قرى وفي كل قرية قائمة باسماء ملتزميها سواء كانت الارض خاص للسلطان او الحاكم المحلي او زعامت او تيمار ، وفي المفصل اسماء وعدد

---

(١) Bernard Lewis, The Ottoman Archives as a Source for the History of the Arab Lands. J.R.A.S. (London, 1951), PP. 139-155.

لقد استطاع البرفسور برنارد لويس الاطلاع على بعض الوثائق التي تخص البلاد العربية ومنها العراق في استانبول تعود الى فترة القرن السادس عشر وما بعده وهو يذكر ايضا ان عددا هائلا من هذه الوثائق قد ضاعت واخرى اتلفت ويذكر ان ملايين منها لا تزال باقية تنتظر الباحثين . ~~ويعلق الاستاذ برنارد لويس بيان العثور على بعض الوثائق منها يعتبر من باب الحظ والصدفة اكثر منها من باب الدراية والتدقيق لان معظم هذه الوثائق غير مفهرسة~~ . ومن الجدير بالذكر ان السجلات الخاصة بالعراق مصورة ومودعة لدى مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب - بغداد .

انظر : اجمال بغداد ، د.فتر رقم ١٠٢٨ ، ٦٦ لوحة .

اجمال ولاية البصرة ، د.فتر رقم ٥٣٤ ، ٢١ لوحة .

الفلاحين[(١)].

٣- الروزنامه : ويختص بالتعديلات الجارية على ملكية الاقطاعات والوقف فيما يتعلق بالمفصل والاجمال وهي تشمل الاحداث الجارية اليومية .

ومن الجدير بالذكر ان لغة الكتابة في هذه السجلات في العراق هي التركية وبعضها مؤرخة وتحمل اسم السلطان[(٢)].

ج- التنظيمات القضائية :

كان يعين للمدن الكبيرة عادة قاض يسيّر أمورها الشرعية وينوب عنه في السناجق والنواحي رجل دين دونه مرتبة ، وكان واجب هؤلاء جميعا التعاون مع الصوباشية في مناطقهم لاستقدام اصحاب العلاقة الى المحكمة ، كما أن المحتسب من جهة اخرى كان يقوم بالاشراف على تنفيذ اوامر السلطة فيما يتعلق بالعدل وكان يساعده عدد من الشرطة لمراقبة الاسواق والحوانيت ، وكان على المتهم عند حضوره الى مجلس القضاء أن يصطحب معه شاهد عيان ليؤكد حقه أو براءته او يثبت صحة ادعائه هذا وان الصوباشية كانت تقوم بالبحث عن المتهم فان لم تجده كانت تكلف احد اقربائه

---

(١) انظر : مفصل ولاية الموصل دفتر رقم ١٩٥ مؤرخ ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م ، ٧٥ لوحه .
وكذلك مفصل نفس الولاية في عهد مراد الثالث رقم الدفتر ٦٦٠ . ومفصل ولاية بغداد رقم الدفتر ٣٨٦ مؤرخ في عهد سليمان القانوني ، ١٣٢ لوحة .
ومفصل بغداد مؤرخ ٩٤١هـ/ ١٥٣٩م رقم الدفتر ١٠٤٩ ، ٦٠ لوحة .
ومفصل ولاية البصرة مؤرخ ٩٥٩هـ/ ١٥٥١ رقم الدفتر ٢٨٢ ، ١٧٤ لوحة .

(٢) انظر :
السجلات العثمانية المصورة لولايات بغداد ، البصرة ، الموصل .

وجيرانه بالبحث عنه وأن لم يفعل كان يعاقب عوضا عن المتهم الاصلي ، وكانت الاحكام سريعة ومرتجلة وتنفذ على الفور بسبب انتفاء وجود محاضر جلسات او تدوين افادات .

وكان يعيّن في بغداد قاضي[1] متقدم ذو مركز عال يقوم باستلام الاعتراضات على الاحكام من المدن الاخرى ويرفعها بدوره الى مولى يقيم في حلب[2] ومنها ترفع الى قاضي العسكر في الاناضول[3] وكانت تعرض على قاضي عسكر الاناضول مشاكل محاكم الصوباشية والسنجق بكي والبكلر بكيه وكانت له صلاحية تعيين كافة القضاة في الولايات

---

(١) كانت هناك مدن اخرى تشبه بغداد في ارجاء الامبراطورية العثمانية يعيّن فيها قاضي متقدم على نفس درجة قاضي بغداد منها : مرعش ، وعينتاب ، وديار بكر ، والبوسنه ، وصوفيا ، وبلغراد ، وقونية . انظر :

Lybyer, op. cit., PP. 217-218

(٢) وعلى غرار حلب كانت هناك مدن اخرى يقيم فيها مولى بدرجة اعلى من القاضي ومن هذه المدن : مكة والمدينة ، ادرنه ، البورصة ، القاهرة ، دمشق ، قلاطه ، قشلتورى ، أيوب ، القدس ، سميرانا ، لارسه ، سلانيك . انظر :

Lybyer, op. cit., P. 218.

(٣) وترفع الى قاضي عسكر الاناضول الشكاوى المهمة في المقاطعات الاسيوية ، اما المقاطعات والمدن الاوربية فكانت ترفع شكاويها الى قاضي عسكر الروملي وهي المنطقة التي تضم الممتلكات السابقة لتراقيا وبلغاريا ومقدونيا والصرب والبانيا دائرة المعارف الاسلامية ، ( الطبعة العربية ) ج ١٠ ، ص ٢٥٤ .

التابعة للاناضول ومنها العراق بعد استحصال موافقة الباشوات فيها (١) . وكان قاضي العسكر بدوره يرفع الشكاوى الى الصدر الاعظم حيث كان ديوانه يضم مجموعة من القضاة من الدرجة الاولى ينظرون في مثل تلك الشكاوى وان القرار النهائي للاحكام كان لا بدّ ان يحضى بموافقة المفتي كما ان طائفة المفتية كان على رأسهم مفت اعلى يسمى شيخ الاسلام (٢).

وفي الايام الاولى من احتلال العراق من قبل العثمانيين كان يرسل الى بغداد قاض كبير كان عادة مدرسا في احدى المدارس الثمانـي (٣) وكان ترشيحه يتم

---

(١) في عام ٩٥٢هـ/١٥٤٥م قابل زين الدين الملقب بالشهيد الثاني ومعه صديقه الشيخ حسين بن عبد الصمد قاضي العسكر في القسطنطينية طالبين منه وظائف فأقر زين الدين في المدرسة النورية في بعلبك في الوقت الذي عيّن الشيخ حسين بن عبد الصمد في مدرسة ببغداد الا ان الشيخ رفض تسلم منصبه لقلة اوقاف المدرسة التي عيّن فيها . انظر : الميرزا محمد باقر الموسوي الخونساري كتاب روضات الجنات في احوال العلماء والسادات ، الطبعة الثانية ، طبع حجر ، ١٣٦٧هـ ، ص ص ٢٩٢ — ٢٩٣ .

(٢) يرئس شيخ الاسلام جماعة المفتية ويقيم في القسطنطينية وتعتبر منزلته أعلى من جميع موظفي الدولة عدا الصدر الاعظم وكان تأثيره كبيرا وهاما بصفته مفسرا للقوانين الدينية .
Stripling, op. cit., P. 62.

(٣) ان المدرسة الاولى التي تم تأسيسها في القسطنطينية بعد فتحها من قبل السلطان محمد الفاتح ١٤٥٣ هي مدرسة ايا صوفيا والثانية هي (المدارس الثمانـي) التي تحيط بمسجد السلطان محمد الفاتح من جميع الجهات وهي كناية عن (الجنان الثماني) والى شمال وجنوب هذه المدارس تقع بيوت الطلبة التي كانت تحوى ٣٦٦ غرفة ويقطن كل غرفة ثلاثة او اربعة اشخاص يتسلمون ما يحتاجون اليه من قرطاسية وملابس وشموع الاضاءة من ايرادات (= =)

عن طريق شيخ الاسلام فيصدر بذلك فرمان من السلطان ندرج فيما يلي نموذجاً منه :

(( اقضى قضاة المسلمين وأولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين رافع اعلام الشريعة والدين وارث علوم الانبياء المرسلين المختص بمزيد عناية الملك المعين مولانا (فلان بن فلان ) زيدت فضائله لما كنتم من اصحاب الفضيلة واهل العلم فقد عيناكم لقضاء بغداد ولدى وصول توقيعي الرفيع الهمايوني يجب عليكم ان تقوموا باجراء الاحكام الشرعية النبوية بين الاهالي وتنفيذ الاوامر المصطفوية وان تبذلوا سعيكم ومقدوركم بذلك ولتكن علامتنا الشريفة مصدر العمل ))(١) .

---

(= = ) الاوقاف ، وكان يجاور هذه المدارس دار الضيافة ومطبخ كبير بالاضافة الى خان واسطبل يسع نحو الي ثلاثة آلاف من الجياد والبغال . وخرّجت هذه المدارس معظم قضاة الامبراطورية العثمانية :

Evliya Efendi, Narrative of Travels in Europe, Asia, and Africa, in the Seventeenth Century Translated from Turkish by the Ritten Joseph Von Hammer Vol. 1., London-1834, U.S.A. 1968, P. 171.

طاش كوبري زاده ، المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

الغزي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(١) ابراهيم الدروبي ، البغداديون اخبارهم ومجالسهم ، مطبعة الرابطة ( بغداد ، ١٩٥٨ ) ، ص ٣٦٩ نقلا عن مصدر آخر .

ومن جهة اخرى نجد ان مركز بغداد القضائي قد تردى فيما بعد حيث سجلت عدة تجاوزات على قضاة بغداد.(1)

ومن أشهر قضاة بغداد في العهد العثماني الاول، المولى مصلح الدين مصطفى النيكساري حيث تعين قاضيا فيها قبل عام ٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م واعيد اليها في هذا العام ومكث فيها حتى عزل عام ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م(2) حيث قدم اليها القضاة أمين زاده كوسه سي منلا يحيى، والسيد محمد الشهير بقاضي بغداد، وترقيعي زاده لطف الله بن أبي الفتوح حيث تمت في عهد هذا الاخير وقفية السيد الشيخ شمس الدين الكيلاني عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م(3) وتقلد قضاء بغداد عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م فضلي بن علي الرومي(4) وبعده يوسف افندي،(5) ثم المولى يحيى بن نور الدين الشهير بكوسج الامين الذي كان مدرسا في احدى المدارس الثماني في القسطنطينية تعين قاضيا في بغداد ابتداء عام ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م، وممن قدمها قاضيا المولى نعمة الله الشهير بروشني زاده والذي بدأ مدرسا بـ ٢٠ درهما وتدرج في التدريس

---

(1) قام المولى يوسف الشهير بسنان قاضي حلب المتوفى ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م بتفتيش حادثة ظهرت في بغداد ثم تكررت بعد ذلك. انظر: علي بن بالي، العقد المنظوم في ذكر افاضل الروم، على هامش الجزء الثاني من كتاب وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان، المطبعة الميمنية، (القاهرة، ١٣١٠هـ)، ص ٣٧١.

(2) محمد ثريا، سجل عثماني، دوردنجي جلد (ج ٤)، مطبعة عامرة، ١٣١١هـ، ص ٤٥٢. وابن بالي، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(3) العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٤، ص ٢٧.

(4) الغزي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٩.

(5) محمد ثريا، سجل عثماني، ايكنجي جلد (ج ٢)، مطبعة عامرة، استانبول، ١٣١١هـ، ص ١٢٢.

يتقاضى ستين درهما في اليوم وولي تفتيش اوقاف بروسه ثم قضاء بغداد ثم نقل الى قضاء حلب ثم عزل عنها وتوفي وهو قاض في المدينة المنورة عام ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م[1]

وقدم بغداد بعده القاضي دولكرزاده محمد عام ٩٦٩هـ/ ١٥٦١م[2] ومن قضاة بغداد في هذه الفترة المولى علاء الدين المنوغادى الذى تقلد التدريس في بعض المدارس ثم استقر في احدى المدارس الثماني ومنها عيّن لقضاء بغداد ولكنه عزل عنها بعد حين وخصص له راتب يومي قدره ثمانون درهما وكانت وفاته عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م[3] وقدم بغداد قاضيا المولى يعقوب الشهير بجالق وهو من اهالي انقرة بدأ مدرسا بعشرين درهما وتنقل بين مدارس عدة حتى استقر في احدى المدارس الثماني ثم قلد قضاء بغداد وتوفي وهو قاض فيها عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م[4] ثم وليها بعده المولى محمد

---

(١) ابن بالي ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

اورد ابن بالي مؤلف العقد المنظوم ما يلي : (( حكي عن بعض الثقات غريبة ظهرت في أيام قضائه في بغداد وهي أنه قال : طلب اهل محلة من بغداد توسيع بعض الجوامع فعرضت ذلك على السلطان فورد الامر بالتوسيع فلما باشرنا وجدنا بجوار الجامع بعضا من القبور العتيقة فيها قبر الشريف المرتضى علي بن طاهر فقصدنا نقل تلك القبور فلما فتحنا قبر الشريف رأيناه مكفنا كأنه وضع في امس ذلك اليوم فرفع بعض من حضره طرف الكفن عن وجهه فاذا بشيخ جميل الصورة صاحب شيبة عظيمة لم يتطرق اليه شيء من آثار الفتور كأنه حي نائم فتعجبنا منه وغلب علينا دهشة وهيبة فلم نقدم على نقله واخراجه من قبره فتركناه وسطحنا قبره فبقي داخل المسجد )) وربما كان ذلك تبريرا للتوقف عن اتمام توسيع المسجد لسبب من الاسباب ، وقد شاعت مثل هذه الحكايات كثيرا في بغداد وقيل مثلها عن الامام ابي حنيفة .

(٢) العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢٧١ .

(٣) ابن بالي ، المصدر السابق ، ص ١٧٩ .

(٤) نفس المصدر ، ص ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

الدين الشهير بابن التجار وكان شاعرا يجيد النظم باللغتين العربية والتركية ولما عزل عن منصبه خصص له راتب يومي قدره سبعون درهما[(1)] وممن تعين قاضيا في بغداد في هذه الفترة هو حسن بك الذي شغل المنصب عام ٩٨١هـ/ ١٥٧٤م[(2)] وميرزا مخدوم الذي تولى التدريس في مدرسة مرجان[(3)] وألف كتاب (النواقض) ايام قضائه في بغداد عام ٩٨٧هـ/ ١٥٧٩م وهو رد على رجال الدين الشيعة[(4)] وفي عام ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م جاء محمد بن علي المعروف ب (سباهي زاده)[(5)] الذي كان يتقن اللغات التركية والعربية والفارسية الى درجة نظم الشعر بها جميعا[(6)] وممن تقلد

---

(١) ابن بالي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٢ .

(٣) للاستزادة عن المدرسة المرجانية التي تأسست في العهد الجلائري في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، انظر : ناصر النقشبندي ، المدرسة المرجانية مجلة سومر ، المجلد الثاني ، ج ١ ( بغداد ، ١٩٤٦ ) ص ص ٣٧ ـ ٤٥ .

(٤) العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٢٧ . وورد في كتاب روضات الجنات للخونساري أن الشيخ عبد العالي بن الشيخ نور الدين علي بن عبد العالي العاملي الكركي وهو من علماء الشيعة قد رد على ميرزا مخدوم في كتاب مناظراته بخصوص الامامة وهذا يشير الى ان مساجلات فكرية كانت قائمة في بغداد بين الطائفتين . انظر : الخونساري ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥ . وعن الشيخ عبد العالي الكركي انظر : الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ، امل الآمل ، تحقيق السيد احمد الحسيني ـ القسم الاول ، مطبعة الآداب ، النجف ١٣٨٥هـ ، ص ١١٠ ، واسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين ، اسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، المجلد الاول ، ( اسطنبول ، ١٩٥١م ) اعيد طبعه بالاوفست ، طهران ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٧ ، ص ٥٧٥ .

(٥) ابن السباهي ، والسباهي كما هو معروف العسكري . . .

(٦) له مؤلفات منها : أوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك وتقويم البلدان الا انها مفقودة . انظر : العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص

القضاء في بغداد عام ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م رضوان افندي(١) ثم تبعه يحي نوعي المتوفى عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م ونعمان القاضي وحسين الحاج حسن(٢) وسعدي زاده محمد المتوفي عام ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م وفي ايام حركة بكر صوباشي في أواخر العهد العثماني الاول كان نوزي افندي قاضيا فيها وقد قتله الشاه عباس الصفوي(٣) عند دخوله مدينة بغداد عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م .

ولاة بغداد في العهد العثماني - ٩٤١- ١٠٣٣هـ/ ١٥٣٤- ١٦٢٣م :

١- تمهيد : الحالة العمرانية في المدينة :

يجدر بنا قبل أستعراض ولاة الفترة العثمانية الاولى في بغداد ان نوضح الحالة العمرانية والسياسية التي كانت عليها المدينة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر .

كانت مدينة بغداد - عند دخول سليمان القانوني اليها - محاطة بسور على شكل قوس في الجانب الشرقي من نهر دجلة يتخلله حوالي ١٥٠ برجا وفيه أربعة أبواب يدعى الشمالي منها باب الامام الاعظم والجنوبي يسمى الباب المظلم والشرقي الباب الابيض اما الغربي فاطلق عليه باب الجسر(٤) وكان يؤدي الى قلعة الطيور في

---

(١) يعقوب سركيس، مجلة لغة العرب، السنة السادسة، ج ٦، حزيران ١٩٢٨، ص ٤٢٦

(٢) كان قاضيا أيام حسن باشا في حدود عام ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م .

(٣) كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، مجلد ثاني ، ص ٥٥ .
Hammer, op. cit., Vol. 9. P. 20.

(٤) هذه الاسماء هي بالنسبة للاتجاهات الاربعة اما بالنسبة للمدينة نفسها فهناك تنايرفي التسمية . انظر المخطط التفصيلي لمدينة بغداد واسماء الابواب الاسلامية والتسمية العثمانية لها ، ص ٤٤٥

الجانب الغربي (الكرخ) وكان يحيط السور خندق عميق ، اما المدينة ذاتها فكانت خربة لا اثر لدور العلم والمدارس والمساجد التي اشتهرت بها في العصور السالفة فالمدرسة المستنصرية مثلا كانت قد تحولت الى مخزن لكمرك بغداد في الوقت الذي اصبحت فيه المدرسة النظامية اثرا بعد عين .(١)

وفي عام ١٥٨٣ مر ببغداد السائح رالف فتش R.Fitch وقال عنها (( انها مدينة محاطة بعدة قرى صغيرة يشاهدها الداخل اليها من جهة الفلوجة اما المدينة نفسها فلا تعتبر كبيرة وان كانت كثيفة السكان قياسا الى المدن الاخرى المجاورة لها ، وحدد طول محيط سورها بحوالي سبعة او ثمانية اميال وقال عن جسرها بانه طويل رشيد على قوارب مربوطة بعضها بالبعض الاخر بسلاسل حديدية قوية ترتبط بجهتي النهر ، وترفع منها عدة قوارب لاحداث فتحة ابان مرور السفن.(٢)

ووصف السائح جون الدرد J. Eldred سكانها بانهم يتكلمون ثلاث لغات في الغالب هي العربية والفارسية والتركية وجعل ابنيتها بسيطة للغاية وواطئة وجميعها مشيدة بالاجر المجفف في الشمس، اما عن الجسر فقال انه امتن من الجسر الذي شاهده مشيدا على نهر الفرات في الفلوجه .(٣)

---

(١) Hammer, op. cit., Vol. 5., P. 217.

(٢) The Voyage of M. Ralph Fitch Marchant of London. In the Richard Hakluyt Voyages, Vol. 111., Last reprinted, London, 1962, PP. 282-283.

(٣) C. Raymond Beazley,(Editor) Voyages and Travels Mainly during the 16th and 17th Centuries, Vol.I., Westminster, 1903, PP. 295-299.

وفي عام ١٥٩٩م مرّ ببغداد التاجر انطوني شيرلي وقال عن الجسر انه يفتح ليلا خشية من دخول الاغراب الى المدينة وخوفا من ان تعصف به الرياح فتذهب بقواربه[1]، وشبهه كاتريت بجسر لندن وساوث ورك[2].

اما السائح تاكسيرا الذى قدم الى بغداد عام ١٦٠٤م فقد اكد ما قاله انطوني شيرلي عن جسر المدينة واضاف انه يتكون من ٢٨ قاربا وقال انه يفكك في مواسم الفيضانات والامطار الغزيرة وكذلك في يوم الجمعة من كل اسبوع عندما يقصد الباشا المحلي والاهلون جامع المدينة لاداء صلاة الجمعة ثم يربط بعد الانتهاء من مراسيم الصلاة .

وقدر هذا السائح عدد دور المدينة بـ ٣٠٠٠ دار جعل واجهاتها بدون شبابيك وقال عن ابوابها بانها صغيرة ، والبناء مشيد من الطابوق الذى يجلب جله من جراء هدم المنشآت الاثرية في المدينة . اما سور المدينة فقال بشأنه انه على شكل نصف دائرى طوله فرسخ ونصف يبدأ بالنهر وينتهي به[3] .

وزار بغداد السائح الفرنسي تافرنيه مرتين الاولى عام ١٦٣٢م والثانية عام ١٦٥٢م ووصف المدينة بانها خربة رديئة لا يتجاوز طولها ١٥٠٠ قدم وعرضها بين ٧٠٠-٨٠٠ قدم ولا يتعدى سكانها الـ ١٥ الف نسمة (خمسة عشر الفا) فيها مساجد خمسة اثنان منها فقط عليها قباب ومآذن مزدانه بالقاشاني ، اما خاناتها

---

(١) كوك ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣١ .

(٣) Peter Teixeira, The Travels of Peter Teixeira from India to Italy by Land, London, PP. 37-40.

المشرق فهي سيئة جدا لا يستطيع الانسان ان يجد الراحة سوى في اثنين منهما فقط ولكنه إمتدح أسواق المدينة المسقفة ولم يذكر شيئا عن الجانب الغربي شأنه شأن بقية السواح وربما يعزى ذلك الى الخراب العام الذى ساده آنئذ (١).

اما الحالة السياسية في العراق فلم تكن هادئة في اعقاب الاحتلال العثماني الاول عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م وانما تميزت بكثرة الثورات والانتفاضات التي كانت بعضها تغذى من لدن الدولة الصفوية (٢)، لذا ارسل السلطان سليمان القانوني مجموعة من الولاة الى بغداد امتازوا بالجرأة والبسالة لا لتنظيم شؤونها الادارية وانما لترويض الثوار العرب في الجنوب والاكراد في الشمال (٣) الذين لم يهدأوا ثوراتهم منذ ان غادرها السلطان الذى كان على علم تام بأن ضياع العراق يعني تجدد الاطماع الايرانية في أراضيه لذا اصرّ على التمسك بما حصل عليه من املاك جديدة وجند في سبيل ذلك امكانيات هائلة وقدّم تضحيات جساما في الاموال والرجال لم يقدمها في أى مكان آخر من مملكته الواسعة (٤) وذلك تحديا

---

(١) تافرنيه، سفرنامه تافرنيه (١٦٣٢ـ ١٦٦٨) (ترجمها الى الفارسية: ابو تراب نورى (نظم الدولة) بانجديد نظركلي دكتر حميد شيرواني، چاب دوم، چابخانه بروين، اصفهان، ١٣٣٦ (شمسي)، ص ٢٢٤.

(٢) الفصل الرابع، ص ٢٨٣ من هذه الرسالة.

(٣) الفصل الرابع، بحث الامارات الكردية، ص ٣٢٠ في هذه الرسالة

(٤) Dr. N. Ahmet Asrar, Kanuni Sultan Suleyman Devrinde., Osmanli Devletinin Dini Siyaseti Ve Islam Alemi, Buyuk Kitaplik, Istanbul, 1972, P. 207.

* رسالة دكتوراه بعنوان العالم الاسلامي والسياسة الدينية للعثمانيين عهد السلطان سليمان القانوني.

لعدوته ايران واصرارا في الصمود امام اطماعها الى درجة غدت سياسة الدولة العثمانية في عهده وفي عهد بعض السلاطين الذين اعقبوه هي الحفاظ على العراق وعدم التساهل في التنازل عن أي جزء منه[1] وما اصرار السلاطين العثمانيين في التمسك بمنطقة الجوازر في الجنوب وشهرزور في الشمال والتبجح باخماد ثوراتها الا تأكيد على تلك السياسة ولكن عندما دبّ الوهن في اوصال الدولة العثمانية من الداخل وتشابكت مشاكلها الخارجية، أغفلت واهملت اطراف مملكتها ودبّ الفساد بما فيه الكفاية في هيأة

(١) انظر الوثيقة التي تؤكد ذلك في منشآت فريدون بيك، ج ٢، ص ص ٥٦٦ـ ٥٦٨.
انظر كذلك: الفصل الرابع، بحث ثورة آل عليان، ص ص ٢٨٢، ٢٨٨.

(٢) لقد اتسعت الدولة العثمانية في اواخر ايام السلطان سليمان القانوني بحيث غدت تتكون من ٢١ ولاية مقسمة الى مائتين وخمسين سنجقا واصبح العراق جزءا صغيرا من هذه الامبراطورية الواسعة الاطراف التي كانت تضم حوالي عشرين قومية وبموت السلطان سليمان وتبوء سلاطين ضعاف دست الحكم صارت القيادة السياسية بيد حريم البلاط، وانحدرت الدولة في الغرب (معركة لبانتو ١٥٧١م) وزادت التجاوزات الايرانية على حدودها الشرقية، وثار الانكشاريون عدة مرات في الداخل وتمادى السلاطين في انفاق ايرادات الدولة على ملذاتهم وحتى تلك المخصصة للاغراض العسكرية بل بادروا الى بيع الاراضي الاقطاعية العسكرية أيضا ـ التي كانت تمون الجيش العثماني بأعداد كبيرة من السباهية المجهزين بكل معدات القتال ـ الى خدم القصور والاتباع. للاستزادة عن ضعف الدولة العثمانية وفساد ادارتها يراجع:

Creasy, op. cit., PP. 198-200, 333.

P.J. Helm, History of Europe, 1450-1600 ( New York, 1964), P. 293.

D.H. Pennington, Seventeenth Century Europe First Published, London, 1970, P. 370.

Price, op. cit., P 64.

H.A.R. Gibb and Harold Bowen, Islamic Society and the West, Volume One, Part I., second Impression, London, 1951, P. 176.

موظفيها اعتبارا من اعلى سلطة فيها وهو السلطان[١] الى خدم القصور السلطانية ؛
مما ادى الى ارباك الاوضاع الادارية والسياسية والعسكرية فيهما وتمادت
السلطة في فسادها بحيث شرعت بعض القوانين التي نصت على تعيين الولاة لمدة
سنة واحدة لا اكثر وذلك لاتاحة الفرصة لبيع المنصب لمن يدفع اكثر سنويا[٢] لذا تسارع
الولاة في ولاياتهم الى اشباع رغباتهم المادية عن طريق فرض الضرائب الجائرة
واستعمال القسوة في جبايتها لكي لا تفوتهم الفرصة واغفلوا بذلك الاطراف لذا شهدت
حدود الدولة العثمانية الشرقية تغيرات كبيرة لصالح الدولة الصفوية حدث معظمها
بسبب ضعف ولاة بغداد في فترات معينة حيث اضطرت الدولة العثمانية امام تلك
الاخطار الى ارسال بعض الولاة البارزين لصد تلك التجاوزات الا ان اولئك حاولوا
الاستقلال بالولاية واعلنوا الانفصال عن الدولة العثمانية وهذا ما سنجده مفصلا في
الصفحات التالية .

**ولاة بغداد :**

لقد اصدر السلطان سليمان القانوني اثناء وجوده في بغداد امرا بتعيين
سليمان باشا الطويل[٣] عام ٩٤١هـ/١٥٣٤م واليا عليها وكان هذا يشغل ولاية دياربكر

---

(١) لقد سر شمسي باشا من اسقاط اسفنديار (الاسرة الكارهة للدولة العثمانية)
لامكانه اغراء السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) بقبوله رشوة كبيرة اذ قال
(( ان ذلك سيؤدي الى اضمحلال سلطة السلاطين الذين تغلبوا على اسلافي
... حيث سيتورطون من الآن فصاعدا في الفساد )) .
جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٠ نقلا من سيد مصطفى ، ج ١ ، الذي
ينقل بدوره من كتاب (كنه الاخبار) للمؤرخ عالي .

(٢) جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

(٣) Asrar, op. cit., P. 205.
وقد انفرد الكاتب بذكر لقب سليمان باشا .

تكلة بهجة الزاليه



سابقاً وبمجرد مغادرة السلطان لبغداد بدأت سلسلة من المشاكل والاضطرابات عجز سليمان باشا الطويل عن مواجهتها او التغلب عليها لذا استنجد بالسلطان الذي[1] أرسل كلا من اويس باشا ولالة جعفر الى بغداد لادارتها سوية[2] الا انهما رغم ما بذلاه من جهد لم يستطيعا تهدئة الاوضاع فيها فكلفت الدولة العثمانية فرهاد باشا السولاق عام ٩٥١هـ/ ١٥٤٣م بمهمة ضبط الولاية[3] ويبدو انه كلف في مهمة اخرى خارج ولاية بغداد[4] لذا ارسل بدله اياس باشا الى العراق ولما انشغل بأحداث[5]

Hammer, op. cit., Vol. 5., P. 225.

(١)

(٢) ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، وحدد ولايته في عام ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م اما الدكتور اسوار فقد جعله اخا لمحمد باشا ابو (( شوارب )) انظر :

Asrar, op. cit., P. 205.

(٣)

Asrar, op. cit., P. 205.

(٤) انظر ص ١٣٣ من هذا الفصل ، هامش رقم ١

(٥) اعتاد بعض المؤرخين تسمية الفترة بين ولاية سليمان باشا لبغداد عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م الى مجيء فرهاد باشا عام ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م باسم الفترة (( مجهولة الولاة )) وقد استطعت ان اثبت ولاية اويس باشا عام ٩٤٦هـ/ ولالة جعفر في هذه الفترة بذلك استنادا الى بعض المصادر الموثوقة ( للمقارنة انظر الدكتور مصطفى جواد ، الدكتور احمد سوسه ، دليل خارطة بغداد ، المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا ، المجمع العلمي ( بغداد ، ١٩٥٨ ) ، ص ٢٨٦ . ورد ( ٩٤١ – ٩٥١ هـ . ) فترة مجهولة الولاة ؛

العزاوي ، العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٤٨ ورد ( لم نجد ما يسد الفراغ بين سليمان باشا وفرهاد باشا ) .

ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٨ عن ولاية اويس باشا عام ٩٤٦هـ .

Asrar, op. cit., P. 205.

عن ولاية اويس باشا ولالة جعفر قبل حكم فرهاد باشا لبغداد .

البصرة عام ٩٥٣هـ/ ١٠٤٦ م اعيد فرهاد باشا ثانية الى بغداد حيث ادارها الى عام ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م عندما خلفه ابنه محمد باشا الذي عاصر احداث القاضي ميرزا في بغداد تلك الاحداث التي سببت عزله وتعيين تمرز علي باشا مكانه عام ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م الذي ارتبط اسمه بثورة آل عليان في الجزائر وخلال انشغاله في اخماد تلك الثورة قام بمهام ولاية بغداد محمد باشا البالطه جي[(٢)] عام ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م[(٣)]، والذي لم يحكم طويلا حيث اعقبه بهرام باشا عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م الذي حاول خلال فترة حكمه القصيرة جباية ضرائب كيفية من المواطنين بقسوة متناهية لذا قام الاهلون

(١) يظهر انه لم يغادر بغداد بعد عزله ثانية فأقام فيها حتى توفي سنة بضع وستين وتسعمائة كما يروي ذلك • قطب الدين بن محمد بن أحمد النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني ، أشرف على طبعه حمد الجاسر ، الطبعة الاولى ، الرياض ، ١٩٦٧ ، ص ١٠٥ •

(٢) اي حامل البلطة ، اسم اطلق في نظام البلاط العثماني القديم على فرقة حرس القصر تتألف من اربعمائة رجل يترأسهم القزلراغاسي زعيم يقومون بصفة خاصة بحراسة امراء البيت الحاكم واميراته فضلا عن حراستهم للحريم السلطاني • وكانوا يضعون فوق رؤوسهم قلنسوة من الصوف مدببة الطرف في لون الضياء ويعسكرون في اسكي سراي وافراد هذه الفرقة يصحبون الحريم ابان الحرب ويسيرون الى جانب العربات المقلة لهن • انظر :
دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٣ ، (الطبعة العربية) ، ص ٣٠٤ •

(٣) ثريا ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ١٦ •
وذكر انه كان امير ميرامين في السابق

(٤) ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢ •

بثورة ضده[1] مما استدعى عودة تمرد علي باشا الى بغداد على الفور[2] وهذا ما اصطلح عليه بعض المؤرخين فترة حكم تمرد علي باشا الثانية والواقع انها امتداد لولايته الاولى من ٩٥٥ ـ ٩٥٩هـ / ١٠٤٨ـ١٠٥٢م حيث قاد جيش بغداد للقضاء على الثورة في منطقة شهرزور[3] وعندها كلفت الدولة محمد باشا البالطهجي مرة اخرى لادارة ولاية بغداد طيلة فترة غياب واليها عنها ولما استدعى الامر التحاقه بتمرد علي باشا بسبب تفاقم ثورة شهرزور ارتحل الى سهيل بيك امير امراء الوماحية للقيام بمهام ادارة الولاية[4] من هنا يتضح لنا بأن الوالي كان قائدا عاما للجيش المحلي في العراق بالاضافة الى كونه مسؤولا اداريا عن شؤون الولاية ، وعندما كانت تندلع ثورة في اي جزء من العراق كان لزاما عليه قيادة الجيش لاخمادها[5] وآنئذ كان عليه تعيين آخرين ممن هم دونه مرتبة واقل شهرة للقيام بانجاز المهام الادارية للولاية وهذا يفسر لنا تداخل اسماء الولاة او تعددهم في فترة زمنية واحدة كما يوضح اسباب تكرر اسماء البعض منهم عدة مرات في ولاية بغداد .

---

(١) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

Asrar, op. cit., P. 209.

(٢) Asrar, op. cit., P. 209.

يذكر بأنه كان عادلا محبا الخير على عكس سلفه .

(٣) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

(٤) انظر ص ٢٩ من هذا الفصل ، هامش رقم ١

(٥) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

ومن جهة أخرى لما استطاع محمد باشا البالطهجي عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م احراز النصر على الاكراد في شهرزور[١] في الوقت الذي فشل فيه سلفه تمويه علي باشا استنادا صدر امر سلطاني بتعيينه واليا على بغداد فتوجه اليها ومكث فيها الى عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م ويميل فريق من المؤرخين الى جعل ولايته تبدأ منذ قدومه الاول الى بغداد عام ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م للالتحاق بتمويه علي باشا أثناء انشغاله في احداث شمال العراق دون الاشارة الى نيابة سهيل بيك[٢] ، مثلما يجعلون ولاية خضر باشا الذي حل محل محمد باشا البالطهجي تمتد بين اعوام ٩٦٣هـ — ٩٧٤/ ١٥٥٥م — ١٥٦٦م دون ذكر الاسباب التي ادت الى طول فترة حكمه او من حل محله اثناء انشغاله في اخماد الثورات والاضطرابات ، ومما يؤكد ان فترته لم تكن موحدة ما يرويه الغزي من ان فرهاد باشا توجه من حلب الى بغداد عام ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م كوال عليها[٣] ومما يوضح هذه الفترة أكثر ما يذكره البدليسي عن ولاية كل من عثمان باشا لبغداد عام ٩٦٦هـ/ ١٥٦٧م ومنصور باشا عام ٩٧١هـ/ ١٥٦٢م[٤] وهذه التغييرات غير المعروفة من قبل اوهمت كلا من مؤلفي كتاب دليل خارطة بغداد[٥] والعزاوي[٦] وجعلتهم يعتقدون بطول فترة حكم هذا الوالي ببغداد ويبدو ان هذا الوالي كغيره من الولاة السابقين

---

(١) Asrar, op. cit., P. 211.

(٢) انظر ص ١٥٢ ، هامش رقم ٢

(٣) محمد نجم الدين الغزي ، الكواكب السائرة باعيان المئة العاشرة ، ج ٣ ، حققه الدكتور جبرائيل سليمان جبور ، المطبعة البوليسية ( حريصا ، لبنان ، ١٩٥٨ ) ، ص ١٩٩ .

(٤) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .

(٥) جواد وسوسه ، ص ٨٦ .

(٦) تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٩٨ .

كان يقوم بمهام اخماد الثورات والاضطرابات المتكررة كقائد عام للجيش في الوقت الذى كانت تصدر فيه اوامر بتعيين آخرين محله كما وضحنا اعلاه .

لقد قدم الى بغداد اسكندر باشا عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م وهو احد الجراكسة(١) الذى ارتبط اسمه بثورة آل عليان في الجزائر التي تجددت عام ٩٧٥ هـ / ١٥٦٧ م(٢) والفشله في اخمادها ، نحي عن منصبه وعيّن مراد باشا مكانه عام ٩٧٧ هـ / ١٥٦٩م الذى بادر فور تسلمه المنصب الى أخبار البلاط العثماني باستقرار الحالة في العراق(٣) على الرغم من ان مدة حكم هذا الوالي لم تستمر أكثر من عام واحد الا أن اسمه اقترن ببعض المنشآت الدينية التي شيدت في عهده(٤) حيث اعقبه علي باشا الصوفي عام ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠م(٥) وهو من اهالي البوسنه ولم يمكث في بغداد سوى شهور وليما(٦)

---

(١) منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، جلد ثالثي ، ص ٥٢١ .

(٢) رولو ، المصدر السابق ، ص ٤٣٤ .

(٣) العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١١٢ .

(٤) لقد شيد هذا الوالي مسجداً في بغداد اشتهر فيما بعد ( بجامع المرادية ) — يقع اليوم مقابل وزارة الدفاع — وقد أرخ بناءه الشاعر فضلي بن الشاعر فضولي البغدادى شعراً بالتركية في مدح للوالي والسلطان سليم الثاني ( ١٥٦٦م — ١٥٧٤ ) كما امر هذا الوالي باتمام بناء منارة جامع الامام موسى الكاظم واهتم بشؤون المراقد المقدسة واوقافها وفي عهده بادر الشيخ زين الدين بن الشيخ محمد شرف الدين الى وقف املاك لصالح الحضرة الكيلانية ومدرستها. نظمي زاده المصدر السابق ، ص ص ٢٠٧ — ٢٠٨ . جواد ، مشهد الكاظمين ، ص ١٤ . الدروبي ، الباز الاشهب ، ص ٢١ .

(٥) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨

(٦) العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١١٤ نقلا عن مصدر آخر ، أيضا بحدد ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ حكمه لبغداد عام ٩٧٧هـ/ ١٥٦٩م وبجعل وفاته ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م وقيل انه عزل لوشاية من نساء البلاط السلطاني لنزاهته وبعده عن الاطماع الشخصية .

بعده حسين باشا عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م وهو من اهالي الموصل ولم تتضح فترة حكمه[1] في بغداد الا ان اميا سلطانيا يشير الى تعيينه بكلربكا لمصر عام ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م لذا جعل بعض المؤرخين هذا التاريخ نهاية لعهده في العراق وبداية لحكم عبد الرحمن باشا الذى لقبه البغداديون بعبد الرحمن ابطشه وقسوته[2] ولم يمكث هـذا سوى اقل من عام حتى عزل على رواية[3] وتوفي على رواية اخرى[4] حيث اعقبه علي باشا الدويش عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م الذى كان يشغل قبل قدومه الى بغداد منصب ولاية البصرة والحسا[5] ولم يقض هذا عامه حتى توفي فيها[6] عندها صدر امر بتعيين الونـد زاده علي باشا عام ٩٨١هـ/ ١٥٧٤م الذى ساهم في تعمير بعض المراقد المقدسة في العراق خلال فترة ولايته[7] وتضطرب اسماء الولاة الذين اعقبوه حيث نجد اشارة الى ولاية سليمان باشا بن قباد قبل عام ٩٩٠هـ/ ١٥٨٣م[8] وكذلك يتردد اسم حسين

---

(١) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ويعلق بقوله انه امتاز بحسن سياسته وبأدر الى منع المنكرات في عهده ويلقبه مؤلف سجل عثماني ب ( بودور ) ، انظر/ ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(٢) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

(٣) ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٢ .

(٤) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٠٨ .

(٦) ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .

(٧) لقد شيد منارة على مرقد الامام الحسين في كربلاء بامر من السلطان مراد الثالث ( ١٥٧٤ — ١٥٩٥ ) كما عمر الجامع والرواق والقبة في نفس المرقد ، كما باشر بترميم وتوسيع مرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني وجامعه ، نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٨) العزى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٥٧ ، قرن عنه انه كان سفاكا شديد البطش

باشا من تحديد ولايته لغاية عام ٩٩١هـ/ ١٥٨٤ م(١) حيث يعود الوند زاده الى بغداد ثانية في هذا العام وذلك لتجدد القتال بين الدولة العثمانية والصفوية . وفي عام ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م يقدم الى العراق سنان باشا جغاله زاده(٢) وقد تباينت حول اسمه المصادر والمراجع فقيل انه سنان باشا جغاله زاده وذكر انه يوسف باشا جغاله زاده(٣)

(١) منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، جلد ثالثي ، ص ٥٤٤ .

هذا وان العزاوي لا يشير الى ولاية سليمان باشا بن قباد وحسين باشا .

(٢) جغاله زاده سنان باشا : ايطالي مسيحي اسلم بعد اسره ، وهو من اهل مسينا او جنوه حيث كانت تعيش اسرة من ذوي الجاه تعرف باسم سيكالا وان اباه هو الفيكونت سكالا الجنوي وكان من القراصنة الاقوياء له مكانة سامية في بلاط ملك اسبانيا وان الذي اسره هو ( بياله باشا ) وتوفي الاب بعد ذلك مباشرة ودخل ابنه الاسلام وتسمى باسم سنان وكان اسمه المسيحي سقيبو وشب هذا الولد بين صبيان القصر ، ولما بلغ عمره عشرين عاما في عام ١٥٧٥م ، اصبح اغا للانكشارية وتزوج من ابنة احمد باشا وهي حفيدة رستم باشا الصدر الاعظم ، واصبح لسنان باشا شأن هام في الحملات التي شنت في انحاء الدولة العثمانية وخاصة هنغاريا والمجر وارزن الروم وبغداد وروان . وفي عام ١٥٨٩ اصبح قبودان باشا كما ولي بغداد مرتين كان متحللا لا يرعى الدين حرمة كما لم تكن له كفاءة خاصة ولكنه وصل الى المراتب العليا نتيجة اتصالاته برجال البلاط وعن طريق زواجه من حفيدة الصدر الاعظم .

بارتولد ، دائرة المعارف الاسلامية ( الطبعة العربية ) ، ج ٦ ، ص ص ٤٧٥ـ٤٧٦

(٣) ابراهيم بجوي ، تاريخ بجوي ، جلد ثاني ، مطبعة عامره ، استانبول ، ١٢٨٣ هـ ، ص ١١٠ ويجعله وزيرا ويحدد تاريخ ولايته لبغداد في عام ٩٩٤هـ/ ١٥٨٥م بدلا من ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م . نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ . ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١١ يجعل ولايته لبغداد عام ٩٩١هـ . محمد ثريا ، سجل عثماني ، ارجنجي جلد ، ج ٣ ، مطبعة عامره ، استانبول ١٣١١ هـ ، ص ١١ حيث يجعل ولايته لبغداد عام ٩٩١ هـ . منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، جلد ثالثي ، ص ٥٥٠ .

وبرز اسمه في الحروب التي خاضها على طول الحدود الشرقية مع ايران[١] والتي سجل فيها انتصارات باهرة ، وعلى ما يبدو ان قاضي زاده علي باشا قد حل محله عام ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م وذلك عند انشغاله ببعض المهام العسكرية التي كلفته الدولة بها[٢] وعندما انتهى منها عاد ثانية عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م وهذا ما اصطلح عليه فريق من المؤرخين بولايته الثانية وقد اقترن اسمه في بغداد بالخان الذي شيده[٣]

---

(١) ترکمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ج ٢ ، ص ٤٠٦ .

(٢) ثريا ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٠٩ ويعلق يعقوب سركيس على نسخته من كتاب سجل عثماني بأن مراد باشا تبناه بعد أسره في احدى المعارك .

(٣) لقد اتم هذا الوالي في بغداد خانا ومقهى في عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م عرف عند الناس فيما بعد باسم (خان جغان) وكان على واجهة البنيان كتابة طويلة بالتركية وتحتها سطران بالعربية هما (( عمر هذا الخان وما فيه من البنيان في أيام دولة السلطان بن السلطان مراد خان خلد الله ملكه وسلطانه وأفاض على كافة العالمين عدله وإحسانه ٩٩٩ هـ )) وكان موقع هذا الخان ملاصقا للمدرسة المستنصرية ، ووردت في وثيقة مؤرخة في عام ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م أن الحكومة العثمانية باعت المقهى في هذا العام الى اسماعيل افندي بثمن قدره مائة وخمسة وعشرين قرشا ( ١٢٥ ) قرش ، وظل الخان قائما الى عام ١٩٢٦م عندما هدمه اصحابه وحولوه الى اسواق .

والظاهر ان جغالة زاده عندما بنى السوق والمقهى في بغداد اراد أن يجاري غيره من وزراء الدولة العثمانية في استانبول للاستفادة من بدلات الايجار للمقاهي التي راجت آنئذ ، فكان دافعه الاول لذلك هو جني الارباح وقد مدحه الشعراء لتشييده المقهى الذي اصبح ملتقاهم فيها . نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ . يعقوب سركيس ، مباحث عراقية ، ق ١ ، ص ١٨٦ — ١٨٦ ، وان الكتابة العربية التي اشرنا اليها اعلاه معروضة في قاعة رقم (٢٠) في المتحف العراقي وقد سقطت بعض الاحرف من الكلمات الثلاث الاولى (==)

ثم قدم بعده جعفر باشا في حدود عام ١٠٠١هـ/١٥٩٢م[1] وتختلف المصادر التاريخية عن نهاية حكمه لبغداد حيث ورد في بعضها انه الى عام ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م[2] وفي البعض الآخر الى عام ١٠٠٦هـ/١٥٩٧م[3].

ولظهور بوادر الحركات الانفصالية المتميزة في بغداد بعد هذا التاريخ لذا سنتناول اشخاص الولاة عبر تلك الحركات .

---

(= =) ولكنها زيدت ، وفي بطاقة الشرح الجدارية ورد: عمر هذا الخانجغان ...
وهذا خطأ تاريخي لان اسم الخانجغان تحريف لاحق لهذا الخان ، وان العبارة الصحيحة هي (الخاقان) .

(١) ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ ذكر نهاية حكمه عام ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م .
بجوي ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(٢) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(٣) وذلك عن طريق تحديد ولاية خلفه حسن باشا صوقللي زاده . وربما حكم بين الفترة (١٠٠٣هـ/١٥٩٤م وهي رواية محمد ثريا) .
او (١٠٠٤هـ/١٥٩٥م وهي رواية نظمي زاده) الى عام ١٠٠٦هـ/١٥٩٧م .
اشخاص آخرين قبل قدوم حسن باشا الى بغداد .
انظر: ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧ ، ٧١

## ـ بوادر الحركات الانفصالية في بغداد في اواخر العهد العثماني الاول :

١ـ محاولة حسن باشا الصوقلي[1] الانفراد في حكم بغداد (١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧م)[2]

لقد قدم حسن باشا صوقلي زاده الى بغداد عام ١٠٠٦ هـ / ١٥٩٧م ـ بعد

---

(١) يذكر جب ان معنى صوقلي الحرفي (خادم الماء) وكان يأمر البستانيين التابعين لسقا الاوجاق بأن يجلبوا الماء العذب على البغال الى القصر .

اما كرامرز فانه يقول بان صوقول اسم لقرية في البوسنه وتعني (وكر الصقر) وقد قدم منها محمد باشا الصوقلي الصدر الاعظم لسليمان القانوني والذي امعن في محاباة اقربائه وابناء بلدته واستقدمهم من البوسنه وقلدهم مناصب هامة في الدولة واني اميل الى هذا الرأي علما بان حسن باشا هو ابن الصدر الاعظم محمد باشا الصوقلي على رواية اسكندر بك تركمان انظر :

جب و بوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

كرامرز ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، (الطبعة العربية) ص ص ٣٨٢ و ٣٨٥ .

تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ٧٦٦ .

(٢) ثريا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٧ يجعل عزله عن ولاية بغداد عام ١٠١٢ هـ / ١٦٠٣م .

محمد ... بن فضل الله المحبي ، خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر ، ج ... ، بيروت ، ص ٤٠ يجعل وفاته ١٠١٢ هـ .

العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٤٤ يؤيد رواية قتله عام ١٠١٠ هـ / ١٦٠١م .

تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ... ، ص ٧٦٨ يقول انه قتل عام ١٠١٠ هـ / ١٦٠١م على يد الجلاليين .

بمعقوباشا – مطرودا من اراضيهم لوشاية من نساء البلاط(١) فكان حكمه لبغداد وسائر ارجاء العراق بشكل يختلف عن الولاة الذين سبقوه حيث اظهر ميلا الى الابهة والبذخ واظهر تطلعا الى الاستقلال فاشرف على تجديد نهر يأخذ ماءه من دجلة بجراه لسقي اراضي زراعية قيل ان محصولها وصل في العام الواحد الى عشرين الف دينار ذهبا(٢) بينما ذكر صاحب عمدة البيان في تصاريف الزمان ان هذه الترعة اخذت ماءها من الدجيل(٣) وذكر كل من نعيما ومنجم باشي ان ارساله الى العراق كان لغرض رد هجمات السيد مبارك المشعشعي على البصرة واطرافها(٤) في الوقت الذي نعلم ان

---

(١) لقد وقع السلاطين العثمانيون منذ عهد مراد الثالث ( ١٥٧٤–١٥٩٥ ) تحت سيطرة الحريم فاصبحت دعائم الحكم في عهده اربع نساء هن السلطانة الوالدة ( نوربانو ) واخته عصمت التي تزوجها محمد صوقللي باشا والد حسن باشا الصوقللي وزوجة السلطان الاولى صفية والسيدة العجوز ( جانفيدا ) التي كانت تسهر على تنظيم ليالي السلطان وراحته التامة بينهن وتنهض في تدبير المؤامرات والدسائس واما في الفترات اللاحقة لعهد مراد الثالث فزاد تدخلهن في السياسة فمن لم يكن من الولاة او غيرهم يحظى بتأييد واحدة منهن لم يستطع ان ينال منصبا مرموقا وحتى اذا ناله كان يتعرض لمؤامرات ودسائس الاخريات .

جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٠٦ ، ١٠٩ ; Creasy, op. cit., p. 225.

(٢) الحسن بن محمد ابو الضياء البوريني ، تراجم الاعيان من ابناء الزمان ، ج ٢ ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، دمشق ، ١٩٦٣ ، ص ١٤٥ .

المحبي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

(٣) العزاوي ، العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٤٦ نقلا من عمدة البيان وتصاريف الزمان .

(٤) مصطفى نعيما الحلبي ، تاريخ نعيما او روضة الحسين في خلاصة اخبار الخافقين ، ج ١ ، ص ١٨٦ . العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٤٦ نقلا من جامع الدول لمنجم باشي باللغة العربية .

البصرة كانت خاضعة عند قدومه الى افراسياب[1] بعد ان باعها عليه علي باشا واليها عام ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م وقد اظهر حسن باشا في بغداد ميلا الى الاستقلال فاتخذ حال قدومه اليها كرسيا لنفسه مصنوعا من الفضة مطعما بالاحجار الكريمة ومزخرفا بالنقوش ليكون له سرير ملك وقد سكن قصرا فخما واسعا محاطا بحديقة غناء واستخدم مئات من الخدم والجواري[2] ومن جهة اخرى بادر الى توسيع الخندق المحيط بسور المدينة وشيد سوقا وخانا ومقهى ومسجدا جديدا يقع الى الجهة اليسرى من الجسر عند مدخل المدينة كمن يتقرب بالبقاء فيها . ويقول تاكسيرا ان الصخور التي شيد بها حسن باشا مسجده صلدة ولكنها غير مصقولة وقد جلبت الى المدينة من الموصل عن طريق النهر[3] وهذا المسجد يعتبر الاول من نوعه حيث شيد بالحجر لان معظم ابنية المدينة كانت تشيد بالطابوق في السابق ، ويصف لنا تاكسيرا مقهى حسن باشا ويذكر انها كانت تقع في مكان قريب من الجامع المعروف بجامع الوزير[4] ومن اعمال حسن

---

(١) انظر بحث افراسياب في الفصل الرابع ، ص ٢٩٦ من هذه الرسالة .

(٢) العصبي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

(٣) Teixeira, op. cit., P. 37.

(٤) كانت المقهى تستخدم الغلمان ) الملاح الذين يرتدون الملابس المزركشة اثناء تقديمهم القهوة واضاف بان هناك ركنا للطرب ملحقا بالمقهى ويرتاده عدد كبير من الناس في كل الاوقات . ويحدد مكان المقهى بالقرب من نهر دجلة ويجعل ... ويقول عنها انها متنزه هادئ وجميل .

Teixeira, op. cit., P. 38.

(٥) نوشة على صدر باب المصلى ورد فيها أن الباني هو حسن باشا بن ... محمد باشا في ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م . العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ص ٤٢-٤٣ ، ١٤٢ . اوليا جلبي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤١٩ .

باشا وتصرفاته يتضح لنا مدى ميله الى الانفراد في حكم بغداد مما اثار شك السلطان محمد الثالث ( ١٥٩٥ ـ ١٦٠٣ ) الذى امره بالتوجه لمحاربة عبد الحليم اليازجي (١) الذى ثار في سيواس ( البستان ) في حدود عام ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م . لقد ترك حسن باشا بغداد مكرها والتحق به باشوات ارضروم وآذربايجان وايروان وتوجهوا جميعا حسب اوامر السلطان لاخماد ثورة اليازجي وكانت وجهتهم توقات اما امواله وخزائنه التي جمعها في بغداد فقد خلفها وراءه لترسل على مهل او لانه كان يأمل ان يعود الى بغداد ثانية وعندما التقى الجيشان في اطراف توقات وقعت بينهما معركة حاسمة اندحر فيها جيش اليازجي بعد ان خسر عددا كبيرا من افراده في الوقت الذى فرت البقية الى الجبال لاختباء زعيمهم اليازجي الذى لم يكن على رأس الحملة اثناء الالتحام لذلك خرج مع بقية جيشه من توقات باتجاه جيش حسن باشا الا انه لم يستطع الصمود امامه حيث قرر اللجوء الى الجبال ثانية واعتقد حسن باشا ان امره قد انتهى لذا توقف عن تعقبه وبعث الى بغداد يطلب امواله ، ولما وصلت القافلة التي تحمل خزائنه وهي حوالي ( ١٠٠٠ ) بعير محمل بمختلف انواع النفائس وحوالي ( ١٠٠٠ ) من الفرسان والخدم فتصدى لها اليازجي وافلح في السيطرة على الاموال التي انفق حسن باشا جهده من اجل جمعها لذا انهارت معنويته بمجرد سماعه بالخبر وفر الى قلعة توقات ليتحصن بها الا أن اليازجي تعقبه وفرض عليه الحصار واستطاع فتح القلعة

---

(١) وهو من جماعة السكبانية وترد في المصادر الفارسية بثورة الجلاليين لقد ثار اولهم قره يازجي في اماسيا في عهد السلطان محمد بن السلطان مراد (١٥٩٥م ـ ١٦٠٣ ) ولما توفي قاد الثورة بعده اخوه حسن بيك وكان يلقب بيازجي ايضا الذى اخذ يشن الغارات ضد الولايات العثمانية وسلب السباهية حتى وصل تعداد جيشه الى حوالي ١٠ ـ ١٥ الف رجل استقر آخر الامر في ملاطية واخذ يعين ( البلوكباشية ) والامراء وزادت سطوته الامر الذى ادى بالدولة الى تكليف حسن باشا والي بغداد بالقضاء عليه . انظر : البرزنجي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ٧٦٦ عن السكبانية انظر ص ١٧٢ من هذا البحث

والقبض عليه واعدامه ثم علق جثته على باب القلعة وهكذا[1] ينتهي دور هذا الوالي الذي اظهر ميلا الى الانفراد في حكم بغداد ومهد السبيل لمن اعقبه في اعلان الانفصال عن الدولة العثمانية والتملق للدولة الصفوية وكان ايذانا بتجدد الصراع العثماني الصفوي على العراق .

٢ — ثورة آل الطويل في بغداد ١٠١٢ — ١٠١٧ هـ :

تعتبر الفترة اللاحقة لولاية حسن باشا في بغداد مضطربة من حيث تسلسل حكم الولاة ومدة حكمهم فقد ورد في دليل خارطة بغداد ان حسن باشا حكم فيها الى عام ١٠٠٩ هـ/ ١٦٠٠ م[2] بينما يشير منجم باشي الى استمراره في بغداد حتى ١٠١٠ هـ/ ١٦٠١ م[3] ومما يؤكد استمراره فيها ما رواه تاكسيرا عن حفر حسن باشا لخندق مدينة بغداد عام ١٦٠١ م/ ١٠١٠ هـ[4] ومن جهة اخرى ان مؤلفي كتاب دليل خارطة بغداد يشيران الى حكم محمد آل سنان باشا بعده ويجعلانه واليا عليها الى عام ١٠١٢ هـ/ ١٦٠٣ م[5] بينما لا يرد اسم هذا الوالي ضمن ولاة بغداد في كتاب كلشن خلفا في هذه الفترة[6] كما لم يقدم الى بغداد شخص باسم محمد من عائلة آل جغاله زاده وانما قدم (محمود) وهو الذي تعين واليا في عام ١٠١٧ هـ/ ١٦٠٨ م حيث ورد اسمه

---

(١) قيل انه انتحر داخل القلعة بعد ان ضاعت امواله ، وقيل ان خدمه قتلوه داخل القلعة . انظر : محمد امين بن فضل الله المحبي ، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر ، ج ١ ، مكتبة خياط ، شارع بلس ، بيروت — ؟ ، ص ٢٨٧ .
تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ص ٦٦٦ — ٦٦٨ .

(٢) جواد وسوسه ، ص ٢٨٦ .

(٣) منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، جلد ثالثي ، ص ٦٠٨ .

(٤) Teixeria, op. cit., P. 37.

(٥) جواد وسوسه ، ص ٢٨٦

(٦) نظمي زاده ، ص ١١١ .

محمد ) خطأ في سالنامه بغداد كما ان صاحب كلشن خلفا يشير بوضوح الى ان السلطان احمد ( ١٦٠٣ — ١٦١٧ ) اصدر امرا بتعيين الوزير قاسم باشا واليا على بغداد بعد حسن باشا الا انه رفض تسلم المنصب مما حدا بالسلطان الى اعدامه (٢) ويؤكد ذلك منجم باشي في تاريخه عندما يحدد تاريخ ولاية قاسم باشا على بغداد بعام ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م ولكن دون ان يذكر شيئا عن مصيره (٣) ومهما يكن من شيء فان مصطفى باشا الصارقجي (٤) هو الذي قدم الى بغداد بعد حسن باشا ولم يمكث فيها طويلا (٥) حيث صدر امر بتعيين يوسف باشا الجركسي واليا على بغداد في عام ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م حيث حدثت في عهده ثورة في كربلاء قتل من جرائها افراد الحامية التركية (٦) ويؤكد ذلك السائح تاكسيرا عندما يشير الى ولاية يوسف باشا لبغداد في فترة مروره بها عام ١٦٠٤ م / ١٠١٣ هـ كما يذكر توجه هذا الوالي الى اطراف البصرة لاخماد ثورة قامت هناك كما يشير الى صدور امر سلطاني بتجديد ولايته مدة سبع سنوات اخرى (٧) والظاهر ان امورا طارئة حدثت اثناء انشغاله في اخماد ثورة العشائر في الجنوب بحيث استطاع احمد باشا الطويل وابنه من بعده الاستحواذ على بغداد والانفصال

---

(١) سالنامه بغداد ١٣٠١ ، ص ٥٤٧ .

(٢) نظمي زاده ، ص ٢١١ .

(٣) منجم باشي تاريخي ، جلد ثالثي ، ص ٦٢١ .

(٤) الصارقجي باشي ، تعني رئيس ( لفا في العمامة ) وكانوا يحتفظون بعمامات من كل الانواع لكي يلبسها السلطان بقصد التنكر .

جيب و بوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

(٥) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢١١ . ويجعل تسلسله بعد الوزير قاسم باشا الذي لم يلتحق بولاية بغداد ، ولكن يجعل تاريخ ولايته ١٠١٧ هـ واعتقد ان هناك خطأ في الطباعة .

(٦) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٧) Teixeira, op. cit., P. 43.

عن الدولة العثمانية بحيث لم يتسن ليوسف باشا العودة الى بغداد حتى عام ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م كما سنرى خلال هذا البحث الذى سنحاول فيه توضيح بعض الاحداث المبهمة والمضطربة في مراجعنا العربية ٠

احمد الطويل [١] :

لقد اختلف البلوك باشي احمد الطويل مع والي بغداد عام ١٠١٢هـ [٢] لذا قرر الاستحواذ على الولاية ولكنه وجد نفسه غير قادر على ذلك دون مساعدة خارجية فارسل يفاتح الشاه عباس الصفوى [٣] ولمّح له عن رغبته في تسليمه مفاتيح بغداد فيما اذا اقروه واليا عليها ، فسر الشاه كثيرا لذلك العرض وامر الله وردى خان بالتوجه على رأس جيش اقليم فارس الى شوشتر والحويزة لكي يقصد منها أطراف بغداد ليتأكد من صدق نوايا احمد الطويل ، ويتقدم الى نصرته فيما اذا صحّ ادعاؤه ، لذا توجه الله وردى خان حسب أوامر الشاه مع جيش اقليم فارس وكوه كيلويه وخوزستان عن طريق عربستان

---

(١) ان معظم المصادر لا تشير الى حركته وانما تفصّل في حركة ابنه محمد بك وربما دعا تشابه الاسمين الى اعتبارهما شخصا واحدا ؛ وأن التفاصيل التي ادونها هنا انفرد بها اسكندر تركمان صاحب كتاب تاريخ عالم آراى عباسي وهو معاصر للاحداث ولكنها تمثل وجهة النظر الايرانية ، وقد حاولت ان استفيد من الاحداث العامة لاعرض صورة قريبة من الاوضاع السائدة في العراق آنئذ ٠ كما ذكر احمد كسروى مؤلف تاريخ بانصد ساله خوزستان ان وضع والي بغداد أصبح في هذه الفترة قلقا بسبب ضعف الدولة العثمانية لذا كان على الوالي الذى يفضل الدعة والهدوء ان يتملق الدولتين الصفوية والعثمانية ٠

(٢) Clement Huart, Histoire De Baghdad, dans les lemps modernes, ( Paris, 1901), P. 46.

(٣) في نفس هذا العام استطاع الشاه عباس استرجاع تبريز من الدولة العثمانية ٠ حاجي خليفة ، تقويم التواريخ ، ص١٢٩ ٠

ولرستان وشاوف اطراف ولاية بغداد وفي تلك الربوع التحق به كل من حسن خـــان استاجلو حاكم همذان وحسين خان حاكم لرستان مع امراء آخرين واتباعهم الذيـــن بلغ تعدادهم حوالي ٠٠٠ر١٢ مقاتل ولما اراد الله وردى خان التأكد من موقـــف احمد الطويل ارسل ابراهيم بيك (١) وهو احد البغداديين اللاجئين الى الشاه عبـــاس ليخبر احمد الطويل بأن الجيش الايراني على اهبة الاستعداد لتلبية طلباته (٢) الا ان ظروف احمد الطويل كانت قد تغيرت تماما عن الفترة التي بعث فيها بطلب النجـــدة لاستطاعته التغلب على خصومه في الداخل وانفراده في حكم بغداد ولما كانت الدولة العثمانية منشغلة في هذه الآونة بمشاكلها الداخلية لذا تغافلت عنه وتجاهلت حركته فشجعه كل ذلك على النكوص عن وعده السابق لايران واستمر في اعلان ولائه للدولـــة العثمانية لا سيما ان الدولة كانت قد اقرته في ولاية بغداد مما شجعه على جمع قواته لمواجهة القزلباش المتواجدين على العراق وصمم على خوض حرب ضدهم ان اقتضى الامر للحفاظ على ولايته لذا بادر الى تشييد الاستحكامات في المدينة وباشر بترميم قلاعهـــا واستعد لجمع الذخيرة وتوفير المؤونة ، ليس هذا فحسب وانما اصدر امرا بقتل رســـول الايرانيين (ابراهيم بيك) (٣) ايذانا باعلان الحرب على الجيش القزلباشي المرابط علـــى اطراف ولاية بغداد وتقدم جيشه للالتحام بهم وسبقت المعركة مبارزات فردية بين قادة الجيشين الا ان الجيش الايراني استطاع لكثرة عدده ان يدحر جيش بغداد الـــذى تراجع الى المدينة ودخل القلعة واغلق ابوابها متخذا التدابير الرادعة الضروريـــة للدفاع عنها وعن المدينة ضد الايرانيين ومن جهة اخرى فان القزلباش تعقبوا ســـاقة

---

(١) القدلجاء هذا الى الشاه عباس وانضم الى زمرة الشاه سون اى فدائي الشاه .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ٦٤٩ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٤٩ .

جيش بغداد واستطاعوا انزال بعض الخسائر به وقتلوا مجموعة من جنوده[١]، واستمر الجيش الغازي حتى دخل المدينة حيث وقع فيها قتال آخر اثناء محاولة عبور الجيش المحلي الجسر ثم بادر القزلباش بفرض الحصار على القلعة والمدينة وبعد ايام من الحصار قدم رسول من لدن الشاه عباس يحمل رسالة فحواها لو ان احمد الطويل قد نكص عن وعده السابق فعلى الجيش العودة فورا لان السلطان العثماني قد ارسل جيشا الى اطراف آذربايجان وشيروان وكرجستان ويذكر في رسالته انه قد شرع في فرض الحصار على قلعة ايروان وان الظرف يقتضي عدم تشتيت القوات في جبهتين[٢]. لذا اصدر الله وردى خان اوامره بفك الحصار وامر قواده بالتوجه الى آذربايجان ، واثناء انسحاب الجيش القزلباشي قام بهجوم على قبائل كلهر الكردية المقيمة في اطراف قلعة ( زنجير ) لان اولاد قباد بن ميرعمر كلهر كانوا من الموالين للدولة العثمانية وكانوا قد بادروا الى قطع الامدادات التي كانت تفد من ايران الى الجيش الصفوى اثناء وجوده في بغداد لذا فكّر الله وردى خان بالانتقام منهم فتوجه الى مساكنهم وسلب ونهب ممتلكاتهم الامر الذى ادى بزعيمهم ( ميرعمر بن عماد ) الى الهرب ليتحصن في قلعة زنجير ورغم ما كان يمتاز به من شجاعة خارقة الا انه لم يستطع المقاومة في القلعة ولم يتوفر له الوقت الكافي للاستعداد امام الصفويين حيث استطاع حسين خان من احتلال القلعة ونهب ممتلكاتها ، اما اخوته الاخرون فانهم لاذوا بالفرار الى جهات البادية حيث تعقبهم حسين خان حاكم لورستان وثلة من جيشه . ومن جهة اخرى فان حسين خان والله وردى خان توجها الى مقر الجيش الرئيس للدولة الصفوية حيث يقيم الشاه في اطراف آذربايجان وصدرت الاوامر اليهما بالمباشرة بفرض الحصار على

---

(١) تزكمان ، تاريخ عالم اراى عباسي ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ .

قلعة (ايروان) حيث افلح الجيش الصفوي في فتح القلعة وبادر الى سلب اموال الكرجيين واسر فريق منهم (١) ومن جهة اخرى نجد ان انسحاب الجيش الصفوي من بغداد وهجومه الفاشل على امراء كلهر الموالين للدولة العثمانية والتابعين اداريا الى ولاية بغداد دفع احمد الطويل الى تنظيم صفوفه وتوحيد قيادته معاودا الهجوم على الحدود الشرقية لمحاربة حكامها ، وفي عام ١٠١٣/ ١٦٠٤ استطاع الوصول الى اطراف همدان لخلو الحدود من معظم امرائها المحليين الذين كانوا قد ارسلوا الى جهات آذربايجان لمواجهة جيش السلطان العثماني وافلح في نهب ممتلكات تلك الاقاليم بعد ان قتل من اعترض طريقه ، وقد عملت هذه الحملة على اشغال الجيش الصفوي الذي اضطر الى سحب جزء من قواده من اقليم آذربايجان ليواجه جيش بغداد وبذلك خف الضغط على الجبهة العثمانية حيث ان الامراء الايرانيين المتواجدين في الحدود وهم قاسم سلطان ايمانلو افشار وشاه علي سلطان خدا بنده حاكم (هرسين) وغيرهم علموا بوصول الجيش العراقي لذا اوفد قاسم سلطان رسولا الى حسين خان حاكم لرستان ليخبره بالامر ولما علم بذلك توجه على الفور مع الف مقاتل من قبائل اللر وبسرعة خارقة متجها بهم الى ساحة القتال ملتحقا بجيش قاسم سلطان متفقا وإياه لصد هجوم الجيش البغدادي واتجها معا الى (ماهي دشت) حيث يمكن الالتحام بالجيش العراقي كما اصدرا الاوامر الى القادرين على حمل السلاح من ابناء عشائر تلك الاطراف بالاسراع للالتحاق بالجيش . لذا تجمع ما يقرب من ثلاثة آلاف شخص من اللر والافشار وبعض القبائل الاخرى

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراي عباسي ، ص ص ٦٥٠ — ٦٥١ .

والتقى الجيشان بالقرب من (زهاب)(١) من توابع ارتنك ولم يكن جيش بغداد قد اتخذ التدابير القتالية الضرورية لمثل هذه المواجهة في الوقت الذي قسم الجيش الصفوي صفوفه الى مجموعتين اصبحت المجموعة الاولى تضم القزلباش بقيادة قاسم سلطان يساعده شاه على سلطان ، اما المجموعة الثانية فكانت تضم اللر بقيادة حسين خان ، ولكن بالرغم من ذلك خرج احمد الطويل من معسكره بمعية الفرسان وحاملي البنادق والرشاشات متجهاً الى أعدائه بإباء واعتزاز ، الا ان الجيش الصفوي بادر الى الهجوم عليه من جهتين واستطاع دحر احد جناحيه الذي لاذ بالفرار باتجاه الصحراء بينما مكث احمد الطويل يقاتل ويحث بقية جنده على القتال ولكن دون جدوى . ويعلق صاحب كتاب عالم آراى عباسي بقوله لما كان احمد الطويل رجلا ضخماً طويلا فانه لم يستطع الفرار لانه كان يميز من مسافة بعيدة فوقع اسيراً بيد الجيش الصفوي في الوقت الذي قتل عدد كبير من افراد جيشه كان بينهم عدد هائل من الاكراد ، ولم يكتف الجيش القزلباشي بهذا الانتصار وانما تعقب الجيش البغدادي للاستفادة من الغنائم وفعلا حصل جماعة اللر التواقون للسلب والنهب على غنائم كثيرة ونفيسة ناشرين الرعب والدمار بين سكان تلك الارجاء من العراق كما انهم اقتادوا عند عودتهم مجموعة من الاسرى كان بينهم احمد الطويل نفسه وحملوا رؤوس القتلى متجهين بهم الى مقر الشاه عباس(٢).

وفي اصفهان قدموا الى الشاه الغنائم الثمينة وكان بينها الجياد العربية الاصيلة كما قدموا اليه احمد الطويل وهو مقيد بالاغلال ، وبدأ الشاه يزجره ويشتمه ووجه اليه خطابا على حد رواية اسكندر تركمان قال فيه : الست الذي بعثت تطلب مساعدتنا

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ص ٦٦٠ — ٦٦١ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٦٦١ .

وعرضت علينا تسليم بغداد لقاء ذلك وما فعلناه كان تلبية لطلبك وكنا عند حسن وعدنا الا انك خالفت الوعد ونكثت العهد بل وتماديت وتجرأت على اعلان الحرب ضد جيشنا )) . والواقع ان الشاه لم يرسل جيشه الى اطراف بغداد تلبية لطلب الطويل كما ادعى وانما كان تواقا لاحتلال بغداد وكان يترقب الاحداث بيقظة تامة للاستحواذ على المدينة وضمها الى دولته وكان احتلال بغداد جزءا من مشروعات الشاه عباس المقبلة .

وكعادة المؤرخين الرسميين يذكر صاحب عالم آراى عباسي ان احمد الطويل شعر بالخجل من خطاب الشاه واخذ يتذرع ويطلب العفو ويعرض الولاء والتبعية ويضيف ان الشاه عباس بادر الى اطلاق سراحه وامر باكرامه وبالغ في رعايته واوعز الى حسين خان باستضافته ليتمتع بقسط من الراحة من عنان سلاسل الاسر ريثما يتسنى له معاودة السفر الى بغداد ولما استطاع ذلك منحه هدايا كثيرة وسمح له بالمغادرة وامر بعض اتباع حسين خان لمرافقته الى الحدود كما منح الاموال والهدايا الى كل من حسين خان حاكم لرستان وقاسم سلطان لبلائهما في قتال احمد الطويل والي بغداد (١) وهذا يفسر لنا مدى اهمية العراق بالنسبة للشاه ، اما احمد الطويل فانه تمرض اثناء العودة في الطريق ومات في زنجان ولما علم الشاه عباس بوفاته امر بارسال جثمانه الى اولاده في بغداد وارسل يعزى ابنه محمد بيك الطويل ويذكره بولاء والده وندمه محاولا اغراءه بالتبعية للدولة الصفوية لتحويل بغداد الى اقليم ايراني . هذا ومن جهة اخرى فان الجيش المتراجع قد وصل المدينة واخبر محمد بيك عن احداث القتال وكيفية اسر والده فتأثر كثيرا وخرج مع جيشه لقتال الصفويين بعد ان اتخذ لنفسه

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ٦٦٢ .

لقب ( باشا بغداد ) وارسل يخبر السلطان العثماني عن بطولة والده ومصيره(١) أستا
رافق السلطان العثماني على تعيينه على ولاية بغداد واصدر امرا بالعفو عن تصرفات
والده الاستقلالية السابقة كما اصدر فرمانا بتعيين اخيه مصطفى باشا حاكما على
سنجق الحلة(٢).

محمد الطويل ومصطفى الطويل ×

لما ضمن محمد الطويل ولاية بغداد بفرمان صادر من السلطان باشر باخماد
ثورة العشائر العربية في جنوب العراق محاولة منه في توحيد مناطق العراق ليتفرد
بحكمها ويعلن الاستقلال عن الدولة العثمانية ، لذا هيأ لنفسه مجموعة من السكبانية(٣)

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ٦٦٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧٦٣ .

(٣) عرفهم البوريني بانهم (( قوم خالفوا جميع ( المال والمحل ) وصيروا غاية أمرهم الخروج
عن طاعة السلطان وسلاحهم الآلة التي يقال لها ( التفنك ) اى البندقية فيغدو
اميرا يكون خارجا عن طاعة السلطان على ان يدفع لكل فرد من افرادهم في الشهر
شيئا معينا من المال )) ( وسك .. تعني الكلب ، وبان — مربي الكلب ) والاصطلاح
يعني مربي الكلاب ، وقيل انهم فرقة من الجيوش المحلية من اهل القرى المتطوعين
وهم من ادنى طبقات الجيش من المشاة ويسمون احيانا سكماني ، اى من يجيد
الرماية . وقال عنهم تكسيرا ( ١٦٠٤ م ) انهم جزء من الجيش المحلي التابع للحكومة
العثمانية وكان الناس يخشونهم لانهم كثيرا ما كانوا يتجاوزون عليهم في كل مناسبة
وقال انهم (( بدون رجان او شرف او ضبط )) .
جعفر خياط ، مشاهدات تكسيرا في العراق سنة ١٦٠٤ ، ملخصة عن الترجمة
الانكليزية . مجلة الاقلام ، السنة الاولى ، ج ٤ ، ( بغداد ، ١٩٦٤ ) ص ١٤٠ .
انظر : البوريني ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ . العزاوي ، تاريخ العراق بين
احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٦١ نقلا عن عثمانلي تشكيلات وقيافت عسكرية سي .

كجند خاص له ، حيث وزع عليهم الاموال المنهوبة من تجار بغداد بالاضافة الى توزيعه الاراضي عليهم على حساب ( السباهية ) الاقطاعيين للاستفادة من ايراداتها ، كما منحهم التزامات جباية الرسوم والضرائب من المواطنين وبذلك شحت ايرادات الولاية التي كان المفروض بها ان توزع على الجيش الانكشاري المبعوث من قبل الدولة العثمانية بالاضافة الى مشاركة السكبانية للسباهية في ايرادات الاراضي الاقطاعية الامر الذي ادى بالانكشارية والسباهية معا الى المجاهرة بمعارضة محمد الطويل والتآمر عليه وفعلا وقع الاتفاق مع اثنين من اتباعه واستطاعوا قتله في قلعة (كوشك نارين ) حيث كان يختلي اليها في اوقات راحته وبعد مقتله التجأ السكبانية الى اخيه مصطفى باشا في المحلة الذى توجه بهم الى بغداد لاستعادتها من الانكشارية والسباهية ووقعت بين الطرفين حرب اهلية قاسية شارك فيها سكان بغداد موزعين على الفريقين وكانت الغلبة للسكبانية على الجيش المحلي العثماني وسلبت اموالهم وممتلكاتهم ووزعت على الفور على افراد الجيش السكباني ، كما سلبت اموال فريق كبير من اهالي بغداد بحجة تأييدهم للجيش المحلي الانكشاري .[1][2]

وهكذا كانت شوارع بغداد وازقتها تشهد في تلك الايام حروبا اهلية مريرة بالاضافة الى ما شهدته من اعمال النهب والسلب ناهيك عن اهمال المرافق العامة والمنشآت والاغفال المتعمد لشؤون المواطنين وبعد ان استمرت المذابح عدة ايام توسط فريق من قادة الجيش الانكشاري للتوفيق بين الطرفين حيث افلح مصطفى باشا في فرض نفسه واليا على بغداد بالقوة متحديا الدولة العثمانية وجيشها الانكشاري

---

(١) قيل ان الذى قتله هو كاتبه محمد افندى بالاتفاق مع زوجة المجنى عليه . العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ، ص ٦٢ نقلا من تاريخ الغرابي .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ٧٦٣ حوادث ١٠١٦ / ١٠١٧ هـ .

المحلي(١)، وامام تعدد الثورات والحركات الانفصالية في ارجاء الامبراطورية العثمانية بادر السلطان احمد الاول بتعيين مراد باشا صدراً أعظم وكلفه بالقضاء على جيوب الثورة في ارجاء الامبراطورية التي تكاثرت واشتدت والتي كان منها الحركات الاستقلالية في العراق والتجاوزات الايرانية على الحدود الشرقية وثورة آل يازجي (الجلاليين) المستعرة في منطقة الجبال في ارضروم، ولذا بادر مراد باشا باتخاذ حلب مقراً لقواته لينطلق منها الى تأديب الثائرين في ارجاء الدولة(٣).

وكانت اولى مشاريعه اخماد ثورة مصطفى باشا الطويل لاسترجاع بغداد واعادة فرض هيمنة الدولة على هذه الولاية، ولذا عهد بهذا الامر الى محمود باشا جغالة زاده عام ١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م بعد ان استحصل له على فرمان من السلطان بتعيينه والياً على بغداد وبعث عدة رسائل ودية الى امراء الجيش المحلي في بغداد وكذلك الى رؤساء العشائر العربية الموالية للدولة العثمانية في الجهات الغربية من العراق والجزيرة يحثهم على تأييد الوالي الجديد (محمود باشا جغالة زاده)

---

(١) تركمان، تاريخ عالم آراي عباسي، ج ٢، ص ٧٦٤.

(٢) كان في عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ — ١٥٩٥) اميرا لامراء قرمان ورافق عثمان باشا القائد العام للجيش العثماني المرسل الى بلاد فارس حيث وقع اسيرا بيد جيش القزلباشي وسجن في (لمعة قهقهه) حوالي ست سنوات حتى اطلق سراحه الشاه عباس بموجب بنود الصلح بين الدولتين عام ١٥٩٠م. تركمان تاريخ عالم آراي عباسي، ج ٢، ص ٧٦٤. وعن (قلعة قهقهه) انظر: ص ٣٤٢ في الفصل الرابع من هذا البحث.

(٣) تركمان، تاريخ عالم آراي عباسي، ج ٢، ص ٧٦٤.
انظر: المحبي، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٢٨٦ — ٢٨٧.

(٤) Hart, op. cit., P. 47.

ويؤازره ضد مصطفى باشا الطويل الذي رماه بالعصيان والتمرد عندها تقدم محمود باشا والتحقت به مجاميع من افراد العشائر في جهات البادية الشامية[1] واستمر في زحفه حتى وصل جانب الكرخ من بغداد حيث التحق به هناك عدد كبير من المعارضين للطويل لاسيما افراد الجيش الانكشاري وكثير من السباهية وثلة من التجار عندها وجد مصطفى باشا ان لا مناص له سوى الالتجاء الى نارين قلعة للتحصن فيها ضد جيش الدولة المتوسم بقيادة الوالي الجديد وفعلا وصل القلعة بمعية جيشه من السكبانية وضبط ابوابها ووفر الذخيرة اللازمة وباشر بتشييد الاستحكامات[2] ولكنه وجد نفسه اضعف من أن يقاوم لوحده لذا لجأ الى اسلوب والده بمفاتحة الدولة الصفوية التواقة لمثل هذا الموقف المتحينة لامثال هذه المناسبات حيث تبذل المستحيل في سبيل الوصول الى العراق لضمه الى أراضيها لاسباب توسعية ومذهبية .

وارسل مصطفى باشا الطويل رسلا الى أمراء الحدود الايرانيين والى الشاه عباس يعرض الولاء مقابل ارسال النجدات العسكرية لانقاذ بغداد من الوالي الجديد محمود باشا جغال زاده في الوقت الذي اظهر فيه أستعداده بالحاق ولاية بغداد بالدولة الصفوية كما اشار في رسالته التي بعثها الى الشاه بيد بيرام خان ابن مولاخ حسين تكلو الذي صادف وجوده في بغداد في هذه الفترة[3] أن عندئذ عباس للتوجه الى اطراف ماهي دشت لانتظار الخطوات الجديدة التي يرتئيها الشاه

---

(1) من قبائل ابي ريشه كما يذكر ذلك هيوار .

(2) Huart, op. cit., P. 47.

تركمان ، تاريخ عالم آراي عباسي ، ج ٢ ، ص ٧٦٤ .

(3) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧٦٤ .

عباس وكانت قيادة الجيش الصفوي المبعوث الى الحدود العراقية مناطة الى حسـ
خان امير امراء الحدود وقاسم سلطان ايمانلو أفشار .

ومن جهة اخرى لما وصل رسول مصطفى باشا بيرام خان الى الشاه عباس في
مصيف (فريدون) استقبله بحفاوة بالغة واكرمه وحمله الهدايا الثمينة طالبا منه ابـ
مصطفى الطويل بالاستمرار في المقاومة ريثما يصله جيش الدولة الصفوية ، كما اصـ
اوامره الى امراء وجيش الحدود بالتهيؤ للتوجه الى بغداد وحثهم على عدم اضاعـ
الفرصة التي كان ينتظرها الشاه بفارغ الصبر(١). أما احداث بغداد في هذه الفـ
فانها تشير الى ان مصطفى باشا الطويل بادر بالدفاع عن قلعته ولم يحدث التحـ
مباشر بين الطرفين لان محمود باشا جغاله زاده كان يعلم عن استماتة السكبانية في
الدفاع عن ارواحهم واموالهم التي حصلوا عليها في الآونة الاخيرة نتيجة للسـ
والنهب لذا آثر الانتظار وفضل فرض الحصار وكانت تحدث يوميا مناوشات بسيطة خار
القلعة يقع ضحيتها عشرات القتلى من الفريقين ولما طال امد الحصار خرج السكبا
عن القلعة باتجاه اسواق المدينة لنهب الطعام من محلاتها فبادر فريق من الجيـ
الانكشاري بمساعدة البغداديين المتضررين وقطعوا عليهم طريق العودة الى القلـ
ووقعت في شوارع بغداد معارك ضارية تغلب فيها جيش بغداد الانكشاري واستـ
ان يقتل عددا كبيرا من السكبانية ومن الاهلين الموالين لهم وشهدت ازقة بغـ
مرة اخرى كما اعتادت ... تراكم الجثث البشرية المتناثرة في برك من الدماء المشـ
بالاوحال(٢).

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراي عباسي ، ج ٢ ، ص ٧٦٤ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٧٦٠ .

ولما علم محمود باشا بهذه الاحداث الاخيرة التي جاءت لصالحه استبشر كثيرا وارسل (مير ناصر بن مهنا) [١] رئيس عشائر قشعم مع عدد كبير من افراد قبيلته لمساعدة الجيش المحلي ضد السكبانية واستطاع هؤلاء عبور نهر دجلة ودخلوا المدينة وبذلك زادت معنوية الانكشارية وجرى الاتفاق معهم على تضييق الحصار على القلعة ، ومن جهة اخرى فان مصطفى باشا الطويل وجد نفسه عاجزا عن الاستمرار في الدفاع عن القلعة وتذكر ما حل باخيه محمد الطويل ـ حيث قتل من قبل اتباعه في اللحظات الحرجة ـ لذا لم ينتظر عودة الوفد الذى ارسله الى الشاه عباس ، وقبل ان يعرف نتيجة طلبه راسل محمود باشا جغالة زاده وعرض عليه الصلح لقاء الاستمرار في منصبه السابق كحاكم لسنجق الحلة الذى كان يشغله بموجب فرمان سلطاني [٢] لذا اغتنم محمود باشا هذه الفرصة ووافق على الصلح وقبل شروطه وعندها توجه مصطفى باشا مع حاشيته وامواله وجنده من نارين قلعة الى الحلة . وفي نفس اليوم من عام ١٠١٧هـ/١٦٠٨ م دخل محمود باشا قلعة بغداد وباشر باعماله كوال عليها [٣] . ومن جهة اخرى ان مصطفى باشا كان يرتاب في نوايا محمود باشا والدولة العثمانية ، لذا عرض يطلب سنجق كركوك

---

(١) ذكر السائح ديلا فال انه يقيم على بعد فرسخ من حصن الاخيضر في بيوت من الشعر وهو سيد تلك المناطق .
انظر :

Pietro Della Valle, The Travels of Sig Pietro Della Valle, into East India and Arabia Deserta, London, 1665. P.263.

(٢) ورد في تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص١٦٢ نقلا من الغرابي ، ص ٩١ ان محمود باشا جغالة زاده هو الذى عرض على مصطفى باشا الطويل حاكمية الحلة مقابل تنازله عن ولاية بغداد .

(٣) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص٧٦٥ .

بدلا من الحلة ليبتعد عن والي بغداد من جهة وليكون على مقربة من ايران من جهة اخرى فتمت الموافقة على طلبه واتجه الى سنجقه الجديد وكان قصده الرئيس ان ينال معونة ايران لاستعادة ولاية بغداد ، الا ان الدولة العثمانية علمت بمقاصده وحاولت ارسال جيش لتطويقه ولكنه استطاع الهرب الى ايران قبل ان تصله القوة العثمانية تاركا وراءه امواله . وعندما وصل العاصمة الايرانية اصفهان استقبله الشاه عباس بحفاوة بالغة واغدق عليه الهدايا والاموال الطائلة ومنحه اقليم قلمرو عليشكر كاقطاع لـ(1) لادخاره للظرف المناسب وفعلا استفاد الشاه من هذا المعارض وجيشه السكباني بارسال مع معارض آخر لجأ اليه هو زعيم الجلالية الى اطراف كردستان تحت قيادة امراء قزلباش لكبح جماح الامراء الاكراد الموالين للدولة العثمانية . وهكذا نجد ان احداث العراق في هذه الفترة تميزت بالفوضى والاضطراب وكانت صدى للفوضى الضاربة في العاصمة العثمانية نفسها .

---

(1) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسى ، ج ٢ ، ص ٧٨١ .

# الفصل الثالث

## ولاية بغداد قبيل وخلال العهد الصفوي الثاني

### حركة بكر صوباشي ١٠٣١ – ١٠٣٣هـ / ١٦٢١ – ١٦٢٣م

### الاحتلال الصفوي الثاني ١٠٣٣ – ١٠٤٨هـ / ١٦٢٣ – ١٦٣٨م

## ...الة العراق قبيل الاحتلال الصفوي الثاني :

تميز العراق خلال الربع الاول من القرن الحادي عشر الهجري أي السابع ...ر الميلادي بالفوضى والاضطراب وظهر بين آونة واخرى من حاول السيطرة عليه[1] ...م يستطع احد من الباشوات ان يعيد اليه الامن والاستقرار حتى ان محمود جغال... د وحافظ احمد باشا لم يستطيعا ذلك رغم ما بذلاه من جهود فاستمرت الحرب ...ئمة بينهما وبين السباهية وكان الظلم والجور يسودان العراق كله ، وما ان قارب ...ربع الاول من هذا القرن نهايته حتى زادت الحالة سوءاً لا سيما عندما بدأ الخلاف ... بغداد بين محمد قنبر[3] وبكر صوباشي[4] ذلك الخلاف الذي تفاقم الى درجة الحرب ...هلية بينهما ، بسبب بعد العراق عن العاصمة العثمانية[5] بالاضافة الى ضعف ...مبراطورية العثمانية آنئذ ، الامر الذي شجع المغامرين لا في العراق فحسب ...نما في سائر اطراف البلاد الى اعلان الثورة او المجاهرة بالاستقلال امثال ذلك ...رة اباظه باشا في آسيا الصغرى وثورة القبائل اللبنانية ، واستقلال حاكميات البربر ... شمال افريقيا وهجوم القوزاق بسفنهم على السفن التجارية في البسفور بل وفي ...عاصمة العثمانية نفسها ناهبة الاموال التجارية ، ولو اضفنا الى ذلك ما كانت ...تعانيه الخزانة المركزية من عجز في الموارد وتردٍ في قيمة العملة وتناقص في الذخيرة

---

١) انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة ، بحث ولاة بغداد ، محاولة حسن باشا الصوقلي وآل الطويل .

٢) انظر الفصل الثاني ص ١٧٤ من هذه الرسالة .

٣) هو رئيس جماعة الحزب في بغداد ، انظر التفاصيل في ص ١٨١ من هذا البحث

٤) مدير شرطة بغداد ، انظر التفاصيل في ص ١٨٠ من هذا البحث .

٥) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٩٦ .

والمؤنة.لادركنا حالة الامبراطورية عامة والعراق خاصة في تلك الحقبة [١] .

حركة بكر صوباشي الانفصالية في بغداد :

كان بكر اغا جنديا انكشاريا في بغداد تدرّج في منصبه حتى اصبح صوباشيا [٢] ثم صار رئيسا في سريته وغدت له مكانة مرموقة في حاميته [٣] وقال عنه المحبي انه رومي الاصل سكن بغداد وصار من اكابر عسكرها [٤] وذكر هيوار بانه كان انكشاريا بسيطا في حامية بغداد ثم حصّل على لقب اغا الا انه ظل يتلقب بالصوباشي [٥] ويجعله هامر من شرطة بغداد [٦] اما اسكندر تركمان فقال عنه : كان اغا وقائدا للشرطة [٧] وقد اجتمعت ثروته ومحالفاته بطموحه فعظم شأنه وزاد بطشه واستطاع ان يجمع حوله عددا كبيرا من السكبانية [٨] وحوالي الف من العزب و ٤٠٠٠ (اربعة آلاف) من الانكشارية كما ايده

---

(١) Creasy, op. cit., P. 246.

ابكاريوس ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .

(٢) انظر بحث الصوباشية في الفصل الثاني ، ص ١٣٥ من هذه الرسالة .

(٣) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ . لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص ٧١ ـ ٧٢

(٤) المحبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٥٥ .

(٥) Huart, op. cit., P. 48.

(٦) De Hammer, Histoire. L'Empire Ottoman, Vol. 9., Paris, 1837. P. 6.

(٧) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٨٦ .

فريد ، المصدر السابق ، ص ١٢١ يجعله رئيسا لشرطتها .

(٨) انظر عن السكبانية في الفصل الثاني ، ص ١٧٢ من هذه الرسالة .

بجمع غفير من الناس رغبة[1] ورهبة حتى غدا يقود مجموعة من القوات المحلية بلغ
١٢٫٠٠٠ اخذ[2] يغدق عليهم الاموال المنهوبة من الاهلين وكان ذلك مدعاة للشقاق
بينه وبين اليوزباشي محمد قنبر رئيس العزب في بغداد[3] وفي عام ١٠٣١هـ/١٦٢١
توجه مع قوته المحلية الى منطقة الفرات الاسفل[4] للقضاء على حركة الفلاحين الذين
ثاروا على جور الحكام وظلم السباهية وسوء اداراتهم وتماديهم في فرض الضرائب
الثقيلة عليهم[5] بينما يذكر نعيما بان بكر صوباشي خاض صراعا مع الجوربجية[6] وبعض
الامراء الانكشارية وثلة من اعيان البلد الذين لجأوا الى (الحرجاء والسماوة)[7] حيث

---

(١) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٦ . هامش ر ، د زلت عثمانية تاريخي ، مترجمي محمد عطا ، طقوزنجي جلد = (٩) ، دار الخلافة العلية ، اوقاف اسلامية مطبعه سي ، ١٣٣٥ هـ ، ص ١٣ . (سنشير اليه عامر الترجمة التركية) ، بينما يجعل لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٧٢ العزب ١٢٠٠ دون ان يذكر المصدر الذي اخذ منه معلوماته . ويذكر العزاوي انه كان يتبعه حوالي ١٢٫٠٠٠ من الجيش الاهلي المسمى (قول بغداد) ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٤) يحدد المدينة المؤرخ التركي نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ ويجعلها السماوه . وكذلك عامر (الترجمة التركية) ، ج ٩ ، ص ١٤ .

(٥) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

(٦) وهي مشتقة من الشوربه اي صاحب الشوربه او طباخها ، والكلمة من اسماء الرتب القديمة لضباط الانكشارية في الجيش العثماني وصارت تقابل عندهم فيما بعد رتبة يوزباشي وقيل ان الجوربجي لم يشترط فيه ان يكون طباخا للشوربة مثلا بل تسميته مجازا دليل على رتبته التي ينعمها عليه السلطان .
ـــــ سركيس ، مباحث عراقية ، ق ٢ ، ص ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٧) عامر (الترجمة التركية) ، ج ٩ ، ص ١٣ .

بدأوا هناك يجمعون حولهم الفلاحين العرب واخذوا يتمادون في اظهار عدائهم له مما الهب غضبه وقاد اتباعه الانكشارية والعزب والسكبانية وتوجه اليهم لتأديبهم بعد ان اوكل امر بغداد الى ابنه البلوك باشي(١) محمد يساعده البيكباشي(٢) محمد اغا(٣) ويجعل اسكندر تركمان توجهه الى اطراف الحلة(٤) لجباية الضرائب من الفلاحين الذين اعلنوا الثورة وامتنعوا عن الدفع الى السباهية المحليين(٥)، فانتهز محمد قنبر غيابه وارسل بعض اتباعه لتحريض الفلاحين بالامتناع عن الدفع الى بكر صوباشي في الوقت الذى قاد ثلة من جيشه الى دار بكر صوباشي في بغداد ونهب امواله وممتلكاته الا ان بعض اتباعه وعلى رأسهم ابنه محمد وكتخداة(٦) عمر استطاعوا التصدى للحركة ، ووقعت بين الطرفين معارك في شوارع المدينة سقط من جرائها عدد من القتلى من الطرفين، ولما تفاقم الامر سارع محمد باخبار والده عن التطورات في بغداد واستدعاه لوضع حدّ لها فأسرع بالتوجه اليها لا سيما انه كان قد اخمد ثورة الفلاحين(٧)، وقيل ان محمد قنبر ارسل من يخبر ابنه عبد الله الذى كان بمعية جيش بكر صوباشي في الجنوب ليقوم بتدبير اغتياله الا ان الرسالة وقعت بيد بكر صوباشي واطلع على المؤامرة التي يدبرها

---

(١) اى رئيس كتيبة الخيالة ، العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٤٨ ، نقلا من محمود شوكت ، عثماني تشكيلات وقيافت عسكرية سي .

(٢) تلفظ بين باشي أو بينباشي ، وهو قائد الف جندى ، أنظر : سركيس ، مباحث عراقية ، ق ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٣) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(٤) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٨٦ .

(٥) هم الفرسان العسكريون الذين يمنحون مقاطعات زراعية يعيشون على ايرادها مقابل اعداد الجنود المسلحين ابان الحروب .

(٦) اى نائبه ، وهي كلمة تركية وتلفظ احيانا كهيا .

(٧) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٨٩ .

له محمد قنبر لذا اسرع الى بغداد[١]، وفي طريق عودته قام بتوزيع كافة الاموال التي نهبها من الفلاحين على جنده ووعدهم بمبالغ وفيرة اخرى لو كتب له النجاح في دحر خصمه محمد قنبر ، فتحمس جماعة السكبانية كثيرا وبهذه الروحية الانتقامية اتجهوا الى مدينة بغداد[٢]، وفي بغداد كان الجيش المحلي قد انقسم الى فريقين احدهما يوالي محمد قنبر رئيس فرقة العزب[٣] والذين اعتصموا في قلعة بغداد يؤيدهم الوالي يوسف باشا الذى على ما يبدو انه كان يعلم بالخطة[٤]. والفريق الآخر يؤيد بكر صوباشي وهم السكبانية ويجعلهم المحبي اكثرية[٥] اتخذوا المدينة قاعدة لهم[٦]. وبدخول بكر صوباشي بغداد بدأ بمفاوضة الجماعة المعتصمة في القلعة واغراهم بالوعود والاموال واستطاع كسب بعضهم الى جانبه حيث غادر عدد كبير منهم القلعة باتجاه المدينة[٧]. وباشر بفرض الحصار على القلعة التي اخذت تعاني من نقص في الطعام والذخيرة . على الرغم من المحاولات الناجحة التي قام بها (الوند بن ارسلان باشا) في ايصال بعض الذخائر والمؤونة الى المحاصرين يساعده في ذلك احد مماليك يوسف باشا الذى اظهر شجاعة نادرة في فتح ثغرة في صفوف اتباع بكر صوباشي لتنفذ منها قافلة المؤونة

---

(١) لونكريك ، المصدر السابق ، ص٧٣ .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص٩٨٦ .

(٣) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص٢٦٨ ، بينما يجعله مؤلف تاريخ عالم آراى عباسي رئيسا للانكشارية ، ج ٣ ، ص٩٨٧ .

(٤) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ . كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص٣٩ . ياسين العمري ، الآثار الجلية ، ورقة ٢٠٨ .

(٥) المحبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص٣٨٢ .

(٦) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٨٦ .

(٧) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٩٨٦ .

والذخيرة الى داخل القلعة الا ان المحاصرين ظلوا يعانون من قلة الذخيرة ونقصان[1] مستمر في الطعام . واستمرت المناوشات بين الفريقين حتى قتل في احداها الوالي يوسف باشا برصاصة عندما كان يشرف بنفسه على (( الطوبجية )) ويصدّر اوامره في كيفية توجيه نيران مدافعهم الى صدور جماعة بكر صوباشي ، وكانت وفاته خيبة امل كبرى لمحمد قنبر الذى اضطر الى طلب الامان[2]. وبمقتل الوالي يوسف باشا واستسلام محمد قنبر تم لبكر صوباشي الاستيلاء على القلعة فالقى القبض على محمد قنبر وجماعته وسلب اموالهم وعذبهم ابشع انواع العذاب ووزع اموالهم على جنده من السكبانية كما استحوذ على الخزينة المحلية (( والجبه خانه ))[3] وما فيها من مال وسلاح ثم تعقب اتباع اليوز باشي محمد قنبر ووضع السيف في رقابهم كما القى القبض على بعض مشايخ ابي حنيفة المؤيدين لمحمد قنبر ووضع الجميع في قارب صبّ عليهم الزيت واشعل فيه النار وتركه ينساب في نهر دجلة[4]. كما بادر الى نهب دورهم في بغداد ومن الجدير بالذكر ان بعض اثاث وموجودات مزار ابي حنيفة قد نهبت في فترة الفوضى[5]! وامر من[6]

---

(١) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

(٣) دار السلاح .

(٤) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٨٦ .

(٥) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ . تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٨٧ .

(٦) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٨٧ .
هذا مما جعل فريق من المؤرخين الاتراك يتهم بكر صوباشي باعتماده على الشيعة في بغداد وارساله ربما تحت تأثيرهم مفاتيح بغداد الى الشاه عباس الصفوى .
انظر ص ١٨٩ من هامش رقم ٤ من هذا البحث .

ينادي في المدينة بان بغداد اصبحت ايالة تحت تصرفه وبادر الى عرض الامر على الدولة العثمانية التي رفضت ذلك وعينت ( سليمان باشا ) والي ديار بكر واليا على بغداد حيث ارسل بدوره ( علي اغا ) كمتسلم للولاية (١) وما كاد هذا يصل ابواب المدينة حتى اغلقها بكر صوباشي في وجهه قائلا : اننا لسنا بحاجة الى متسلم ارجع الى سيدك (٢) فعاد هذا من حيث اتى ليخبر سليمان باشا الذي اخبر بدوره السردار حافظ احمد باشا الذي (٣) اصدر امرا بتوجيه حملة الى بغداد لتأديب العاصي وكانت الحملة بقيادة سليمان باشا وبمعية ولاة مرعش وسيواس والموصل وكركوك كما امر ان ينضم اليهم امراء كردستان على ان يستعد هو ليلتحق بهم بنفسه ، لذا ارسل يستدعي مزيدا من قواته في اطراف مرعش ، الا ان وباءً تفشى في صفوف جيش طيار محمد باشا والي سيواس اضطره على العودة الى الاستانه ولكن على الرغم من ذلك شكلت قوة استطلاعية تضم كورحسين والي الموصل ومصطفى باشا والي السمران وابدال بيك وبستان باشا والـ

---

(١) Hammer, op. cit., Vol. 9., P.8.

المتسلم هو الذي يسبق الوالي لتسلم المنصب والاعداد له .

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ .

ويذكر لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٧٤ ان علي باشا قتل عند وصوله بغداد من قبل بكر صوباشي دون ان يذكر مصدره .

(٣) كان ابن مؤذن من اهالي مدينة فليبولي – في بلغاريا وقد التحق بخدمة السراي وتعين قبودانا عام ١٦٠٧م ثم اصبح بكلربكيا لدمشق ومكث فيها الى عام ١٦١٨م ثم تنقل بين عدة ولايات في الاناضول حتى استقر في ديار بكر وقد سعى وهو في هذا المنصب الى اخماد فتنة بكر صوباشي وحاصر بغداد ولكنه لم يفلح في منع الخصام من دخول المدينة ، ثم تعين صدرا اعظم في ١٨ ربيع الثاني ١٠٣٤هـ / ٢٨ كانون الثاني ١٦٢٥م .

مورتمان ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٧ ، ص ٢٦١ ( الطبعة العربية ) .

كركوك وسليمان باشا والي بغداد للتوجه الى العراق (١) ، فتقدم هذا الحشد الذي وصل بغداد الى حوالي ١٠،٠٠٠ مقاتل الى نهر ديالى حيث التحق بهم السردار حافظ احمد وتوجه بهم الى بغداد وبعث الى بكر صوباشي يطلب منه تسليم المدينة (٢) الا ان بكر صوباشي قابل الرسل بكل احتقار ووجه اليهم كلمات نابية واستعد للدفاع عن المدينة وقلعتها (٣). ليس هذا فحسب وانما اخذ يغير ليلا على تجمعات جيش حافظ احمد المرابط على شواطئ نهر دجلة ويسبب لها الخسائر الفادحة ، وفي احدى مناوشاته استطاع ان يقتل مصطفى بيك حاكم السمران ويلحق الاذى بسليمان باشا والي بغداد الجديد ، وعندما سمع حافظ احمد بذلك وكان يراقب الاحداث باهتمام ارسل يطلب المزيد من القوات ، فاستدعى مؤمن خان (٤) حاكم واكيل وابراهيم بيك حاكم ترجيلي وحسن بيك حاكم خربوط وسيد خان حاكم العمادية الذين سارعوا (٥) بالتوجه مع قواتهم الاقطاعية الى جهات نهر ديالى . ومن جهة اخرى فان بكر صوباشي كان يعلم باستعدادات حافظ احمد الكبيرة لذا حاول مباغتة جيش سليمان باشا

---

(١) هامر ، (الترجمة التركية ) ، ج ٩ ، ص ١٥ .

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ . كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٤٠ . وقد ذكر لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٧٤ - نفس الرواية باقتضاب ، كما ذكرها هامر ، (الترجمة التركية ) ، ج ٩ ، ص ٨ بشكل اكثر تفصيلا علما بانهما يعتمدان على نعيما ويچوى في استقاء اخبارهما ، وقد اثرت المقارنة بين ما كتبه نعيما واسكندر تركمان وهما مؤرخان رسميان اولهما للدولة العثمانية والثاني للدولة الصفوية .

(٣) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

(٤) وورد اسمه مأمون خان ايضا .

(٥) كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٤١ .

مرة اخرى قبل تجمع القوات العثمانية فأفلح وكاد ان يدحره (١)، ويذكر صاحب كلشن خلفا ان سليمان باشا وقع جريحا وانخذلت قواته (٢) ويعلق نعيما قائلا : لولا وصول جركس حسين باشا لنجدته لكان مصيره مصير مصطفى باشا حاكم السهران الذى سقط قتيلا على يد بكر صوباشي ، وهكذا توافدت القوات العثمانية على الجبهة واشترك حاكم العمادية بسبعة مدافع نصبت بامر من حافظ احمد على رواب عالية الا ان كل ذلك لم يجد نفعا لان هجمات جيش الصوباشي غير المنظمة اضرت كثيرا بالجيش العثماني لا سيما تجاوزات ( ابن قزانجي ) احد شقاوات بغداد على حد تعبير المؤرخ نعيما (٣) الذى ازعج كثيرا جيش حافظ احمد باشا وخلق في صفوفه الارتباك حتى ادى الامر ببعض القادة في احدى اجتماعاتهم العسكرية الى اقناع حافظ احمد بضرورة الهجوم على القلعة بدلا من التريث وفرض الحصار ، وصرّح حسين باشا والي الموصل بان اهل بغداد لا يؤيدون بكر صوباشي وانما يظهرون له الطاعة المشوبة بالخوف والازدراء (٤) الا ان حافظ احمد لم يقتنع بوجهة نظرهم وفضّل الحصار على الهجوم ، واستمرت المناوشات اليومية ووقع في احداها حوالي ( ١٧٠٠ ) الف وسبعمائة قتيل من الطرفين ، وفي التحام آخر خارج قلعة بغداد دام يوما وليلة خسر فيه جيش بكر صوباشي حوالي ( ٤٠٠٠ ) اربعة آلاف بين قتيل وجريح بالاضافة الى عدد من الاسرى تم ذبحهم على يد جيش حافظ احمد (٥)، وفي معركة لاحقة افلح

---

(١) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٢) نظمي زادة ، ص ٢١٦ .

(٣) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .

(٥) Hammer, op. cit., Vol. 9., P.8.

لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

الجيش المحلي بانزال خسائر فادحة بالجيش العثماني حيث قتل منهم حوالي ٣٧٠٠
ثلاثة آلاف وسبعمائة واسر قرابة ٢٥٠٠ (الفان وخمسمائة) شخص[1] لذا اسرع القادة
العسكريون العثمانيون وعقدوا اجتماعا موسعا آخر للتشاور في امر الهجوم وتم الاتفاق،
الا أن وفاة (سليمان باشا) متأثرا بجروحه قد ارجأت الامر[2] ويذكر نعيما ان حافظ
احمد اضطر الاخذ برأي القادة في اليوم الرابع من الحصار وبادر الى توزيع الهدايا
والاموال على السكبانية ايذانا منه ببدء الهجوم، حيث امر ثلة من جيشه باجتياز نهر
دجلة باتجاه قلعة الطيور في الجانب الغربي لتوجيه نيران مدافعهم الى القلعة
الداخلية التي اوكل بكر صوباشي حماية ابراجها الى لفيف من خاصته الشجعان[3] وبادر
حافظ احمد بتوجيه انذار آخر الى صوباشي يدعوه الى الاستسلام ويذكره بعاقبة
عناده الا ان هذا الاخير اصرّ على الاحتفاظ بقلعة بغداد واظهر ما ينم عن ثقة عالية
بالنفس وقدرة فائقة في الدفاع عنها . عندها بادر الجيش العثماني الى قطع كافة
طرق الذخيرة والمؤونة التي يمكن ان تصل الى المحاصرين داخل القلعة بقصد
اذلالهم وتجويعهم وفعلا اخذت القلعة تعاني كثيرا من جراء تناقص الطعام والذخيرة
من جهة أخرى وجد بكر صوباشي نفسه اضعف من ان يقاوم الجيش العثماني الجرار
وحده لذا بادر الى مفاتحة حكام الحدود الايرانيين ومفاوضة الصفويين عارضا عليهم
الصداقة وبعث بهذه المناسبة رسولا الى حسين خان حاكم لرستان يخبره بانه مستعد

---

(1) نظمي زادة المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(2) هو والي بغداد المعين حديثا والذي جرح في معركة سابقة خارج اسوار بغداد انظر ص ١٨٧ من هذا البحث .

(3) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ .

لتسليم بغداد الى الدولة الصفوية لقاء الموافقة على بقائه حاكما عليها[1] فأرسل حسين خان جماعة من اتباعه برفقة الرسول الى الشاه عباس لاعلامه بعرض بكر صوباشي[2] وفي هذا الصدد يقول المؤرخ التركي نعيما ان بعض سكان بغداد (الروافض) اظهروا ميلا الى شاه ايران وسببوا ضياع بغداد[3] ويذكر نظمي زاده ان بكر صوباشي لما وجد الخطر محدقا به جمع اتباعه وخاصته وتداولوا في الشؤون العسكرية وقرروا ارسال مفاتيح بغداد الى شاه ايران لانقاذ حياتهم التي باتت في خطر، وحمل المفاتيح احدهم وكان يدعى (عباسا)[4] ويذكر اسكندر تركمان بان الوفد وصل الى همدان

---

(١) ليست هذه أول مرة يلجأ فيها حكام بغداد الى اعداء الدولة العثمانية . انظر ص ٦٦ من الفصل الثاني .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٨٧ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٩٨٧ .

(٤) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧١ . يظهر ان الشيعة في بغداد كانوا اكثرية في هذه الفترة وكان لهم فيها نفوذ سياسي بدليل ما يذكره المحبي في خلاصة الاثر ، ج ١ ، ص ص ٥٠٠ - ٥٠١ في ترجمة (حبيب الله الشيرازي ، ثم البغدادي ثم المصري الشافعي القادري) حيث قال عنه لقد (( جاور مشهد الشيخ عبد القادر ببغداد بعد مفارقته مصر فأقام بها اياما قليلة ثم ارتحل الى البصرة لعدم راحته في بغداد لكثرة الروافض فيها وقوة شوكتهم )) . علما بأن المترجم توفي عام ١٠١٤ هـ في البصرة ، أي ان مروره ببغداد كان قبل عام ١٠١٤ هـ .

كما ان ياسين العمري في الآثار الجلية ، ورقة ٢٠٨ يقول ، ان الخبيث (يقصد بكر صوباشي) استدعى الشاه عباس لتسليمه بغداد .

(٥) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

واخبر حاكمها بمرض ولاء بكر صوباشي الذى اخبر بدوره الشاه عباس الذى اصدر اوامره الى الجيش الصفوى في الحدود بالتوجه فورا الى قلعة زنجير في دربتنك لقطع الطريق على حافظ احمد لئلا يتعرض ويتحرش بأقاليم الحدود الايرانية[١]. بينما يذكر نعيما ان هذه الفرصة نزلت من السماء على الشاه وكان ينتظرها بفارغ الصبر[٢].

وهكذا نجد ان العراق صار فريسة لفئة من الطامعين في خيراته ، فجيش الدولة العثمانية بقيادة حافظ احمد يزحف من الشمال وبكر صوباشي وزمرته من السكبانية الغرباء في بغداد والجيش القزلباشي يتقدم من الشرق ، وقد ساهمت الطبيعة في شد ازر الطامعين بافقار البلد في هذه الفترة فشحت الامطار وييس الزرع وهلك عدد كبير من قطعان الماشية وتفشى المرض وساد القحط[٣] واصبح الناس في حيرة من امرهم حتى اضطر بعض الموسرين منهم الى التنازل عما يملكون في سبيل الحصول على ما يسد رمقهم من الطعام بينما اضطر فقراؤهم الى ترك بغداد باتجاه ايران والبصرة وعربستان والحريزة وباعت بعض العوائل التي اشتهرت بكثرة اولادها بعضهم ليضمنوا لقمة العيش[٤] او على الاقل التخلص منهم . ويدعي اسكندر تركمان انه شاهد بنفسه

---

(١) تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٩٧ .

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٣) ياسين العمري ، الآثار الجلية ، ورقة ٢٠٨ .

(٤) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٩٦ .

ويبالغ مؤلف كلشن خلفا ، ص ٢١٩ قائلا : في هذا الصدد (ان الحالة وصلت حدا في بغداد دفع الآباء والامهات الى ذبح ابنائهما واكل لحومهم) ، ويكرر لك لونكريك المصدر السابق ، ص ٧ بقوله (( ولم يتورع الناس من اكل اللحم البشرى )) .

عندما كان يرافق الشاه عباس الى العراق جمعا غفيرا من العراقيين وهم في طريقهم الى ايران وكانوا في اشد حالات الفقر والفاقة يتقبلون الصدقات في الطرقات من اهل القرى ، ويضيف قائلا بانه شاهد الدراويش[1] البغداديين وهم يغادرون بغداد علما بان هؤلاء قانعون في مأكلهم وملبسهم بالشيء البسيط وهذا يدل على شحتها التامة في المدينة[2]. ونتيجة لهذه الاوضاع السيئة في بغداد ولسماع حافظ احمد بمسيرة الفرس الى اطرافها لنجدة بكر صوباشي شعر بالخطر يهدده لذا فكر بالانسحاب قليلا وباشر بحفر الخنادق واقامة المتاريس ولكي يكون جيشه نهب قرى شهربان الامر الذي ولد شعورا معاديا لدى الاهلين مما حدا بهم الى استقبال الجيش القزلباشي بالترحيب ، حيث استمر الجيش الصفوي بقيادة قرجغاي وصفي قلي خان بالتوغل في الاراضي العراقية وارسل قادته يخبرون الشاه عباس عن تقدمهم[3] فاستبشر كثيرا . وكعادة كل حكام الشرق في ذلك الزمان استشار المنجمين في اتخاذ القرار النهائي في التوجه الى بغداد[4] واضعا نصب عينيه زيارة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء

---

(١) كلمة فارسية معناها ( المتسول ) والدراويش متفرقون في الاقطار والمدن التي فيها مزارات مقدسة وهم اصبر خلق الله على احتمال المصائب والرزايا ولهم مراتب منها المنتسب والمريد والدرويش والمرشد والقلندر والرند والبير . انظر المزيد عن الدراويش : احمد حامد الصراف ، مجلة لغة العرب ، السنة السادسة ، العدد الثاني ، بغداد ، شباط ١٩٢٨ ، ص ص ٨٣ - ٨٧ .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٩٦ .

(٣) كان الشاه عباس يقيم آنئذ في مشتاه في مازندران .
انظر : تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٩٨ .

(٤) اشار عليه المنجمون في استخارة القرآن لمعرفة طالع الحملة على بغداد - فكانت الآية الكريمة التي تدل على الفتح الميسر والتي تبشر بالفتح العظيم وهكذا نجد هنا وهناك في مناسبات عديدة اخرى في هذا البحث ان السلاطين والشاهات يجعلون كثيرا من مشاريعهم الدنيوية وحتى تلك المجازر البشرية المنظمة التي نفذوها بكامل وعيهم جزء من مشيئة الله . تركمان ، تاريخ عالم اراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٩٨ .

ان وصله خبر مفاده ان بكر صوباشي بات يضرب السكة في بغداد باسم الشاه كما وصل الى مسامعه نبأ آخر يؤكد وصول الامدادات الهائلة للقزلباش بقيادة صفي قلي خان والتي اوشكت الوصول الى مرقد الامام موسى الكاظم ـ دعا الى عقد ديوان عسكري مستعجل حيث صدر منه قرار بالاجماع ينص على منح ايالة بغداد الى بكر صو باشي وسلموا قرارهم الى علي باشا لينقله اليه في قلعته،علما بان قرارات سابقة قد صدرت من الديوان كان بينها قرار بمنحه ايالة الرقة ولابنه سنجق الحلة الا ان تلك القرارات رفضت باصرار من قبل بكر صوباشي ولم يرض بغير بغداد بديلا [(١)] [(٢)] ويؤكد نظمي زاده اسناد امر الدفاع عن بغداد وقلعتها الى بكر صوباشي من قبل الديوان الحربي [(٣)] اما اسكندر تركمان فيقول لقد اصدر حافظ احمد امرا نيابة عن الدولة العثمانية يتضمن تكليف بكر صوباشي بالدفاع عن المدينة في وجه الجيش القزلباشي لقاء كسب رضا السلطان [(٤)] وعلى كل حال وبعد صدور هذا القرار انسحب الجيش العثماني الى الشمال فشمّر بكر صوباشي عن ساعديه لانتهاز هذه الفرصة التي كان يترقبها بفارغ الصبر وبدأ بمحاولات دبلوماسية اولا حيث كتب الى قادة الجيش الصفوي يظهر لهم الود والاحترام ويشكرهم على سعيهم وتعاونهم في الملمات في [(٥)]

---

(١) كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص٤٤ .
ياسين العمري ، الآثار الجلية ، ورقة ٢٠٨ .

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .

(٣) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص٢١٨ . ياسين العمري ، الآثار الجلية ، ورقة ٢٠٨ .

(٤) تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص٩٩٨ ويقول كأسلوب مبطن في منحه ولاية بغداد .

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص٩٩٨ . ويذكر نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ان بكر صوباشي كتب الى قائد الجيش الايراني يشكره على تجشمه عناء الطريق ويجعل ذلك من اولى واجبات الجوار .

وكانت هذه امنية ظلت تراوده منذ امد طويل (١) وان من الامور التي شجعته على التوجه الى بغداد هو انشغال الدولة العثمانية في هذه الآونة بمشاكلها الداخلية لا سيما ثورة الانكشارية التي اطاحت بالسلطان عثمان والتي شجعت حكام الولايات العثمانية على الانفصال ٠ لذا توجه الشاه عباس باتجاه العراق للالتحاق بطلائع جيشه التي ارسلت من قبل وعندما علم بكر صوباشي بزحف الجيش الصفوى الى ولايته راسل حافظ احمد واظهر ندمه في استدعاء الشاه وحمله مغبة ذلك الامر لانه امتنع عن التوسط لتعيينه واليا لبغداد (٢) وذكره بان هناك متسعا من الوقت لتغيير قراره ، لذا سارع حافظ احمد وجمع ديوانه الحربي لبحث الظروف الجديدة وظهرت الخلافات في الديوان وتجرأ بوستان باشا والي كركوك وطالب بمنح حاكمية بغداد الى بكر صوباشي بدلا من جعل الامور تتفاقم وتصل الى درجة الحرب مع الدولة الصفوية وتعالت صيحات التذمر واعترض كور حسين باشا والي الموصل على اعمال حافظ احمد وعناده في الوقت الذى وصلت الانباء عن قرب وصول جيش الشاه عباس الى بغداد (٣) وعندما قاربت فرق من الجيش الصفوى اطراف بغداد ارسل قائدها قرجغاى رسالة الى حافظ احمد يطلب فيها تسليمه بغداد معلنا أن بكر صوباشي قد اصبح تابعا للدولة الصفوية وعبر عن ذلك بقوله (( أن الطير قد دخل في قفصنا ، الا ان حافظ احمد اجابه بسخرية : يصح هذا فيما اذا استطاع الطيران يخرج من قفصه لينجو بنفسه )) ٠ وهكذا نجد ان الامور تعقدت الى درجة كبيرة ، فتمرد القادة العثمانيين من جهة ، وتارجح بكر صوباشي بين القوتين المتطاحنتين من جهة اخرى دعا حافظ احمد بعد

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٩٨ ٠

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ٠

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ٠

الوقت الذى طلب منهم الانسحاب لزوال الخطر عن ولايته ولكن الذى يبدو واضحا ان الجيش الصفوى لم يتقدم ويقطع كل هذه المسافة للدفاع عن بكر صوباشي واتباعه بقدر ما فكر بالاستحواذ على بغداد وسائر المدن العراقية وعتباتها المقدسة بشكل خاص الامر الذى ادى بامراء الجيش الايراني الى توجيه التهديد والوعيد الى بكر صوباشي الذى بادر هو الآخر بالدفاع عن المدينة وامتنع عن تسليمها مهما كلف الامر كل ذلك دفع قادة الجيش الصفوى الى اعلام الشاه عباس الذى كان في طريقه الى العراق عن نكوص بكر صوباشي وتحصنه في قلعة بغداد مستميتا في الدفاع عنها (١)

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٩٩ .
نصيفا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .

## ب ـ الغزو الصفوي الثاني لبغداد وموقف بكر صوباشي منه

عندما اصبح الجيش الصفوي على مقربة من مدينة بغداد كتب القـ[illegible]
القزلباش رسالة الى بكر صوباشي يعرضون عليه منصب ولاية بغداد مقابل اعـ[illegible]
التبعية الاسمية للدولة الصفوية ، وتمهيد الطريق لزيارة الشاه للعتبات المقدسة ،
وقد حمل الرسالة ( ميرولي بيك )(١) واتجه بها الى مدينة بغداد وتريث الشاه عبـ[illegible]
في الحدود في انتظار الجواب ، ولما وصل الرسول الى القلعة لم يستقبله بكر صوبا[illegible]
بما يليق به كموفد من قبل الشاه الصفوي بل بادر جمع من الاهلين بتحريض من رجال
الدين على رواية اسكندر تركمان الى قتل احد اعضاء الوفد وكان رئيس الوفد علـ[illegible]
وشك ان يقتل هو الاخر لولا جهود احد رجال الدين المسمى عبد الرحمن جلـ[illegible]
الذي حال دون وقوع ذلك ، ليس هذا فحسب وانما ساعده على الافلات من جماعـ[illegible]
المعارضة ، ولما عاد الرسل الى معسكر الشاه اخبروه عن حقيقة الاوضاع في المدينـ[illegible]
وعن نكوصوا اليهما بكر صوباشي واستعداده التام للدفاع عن قلعة بغداد وذلـ[illegible]
باصرار من رجال الدين السنة وشأنها الحرب ، ولما سمع الشاه بهذا الخبر اشـ[illegible]
غضبه واصرّ على احتلال المدينة مهما كلف الامر لانها فرصته الوحيدة حيث فشـ[illegible]
ثلاث مرات في السابق كان يتم استدعاؤه من قبل ولاتها(٢) لذا صمم على الحاق العراق
باراضي الدولة الصفوية حيث امر كل من ( عيسى خان الصفوي ) قورچي باشي(٣) وزينـ[illegible]
توشمال باشي(٤) بان يصحبا فوجا من الجيش ويتجها من طريق ( دره تنك )(٥) المعروف

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٩٩ .
(٢) استدعي من قبل احمد الطويل ومحمد الطويل ومصطفى الطويل ، انظر ص ٦٦
(٣) رئيس دار السلاح (٤) آمر الذخيرة .
(٥) تقع الى شرق قصر شرين ( وكانت من سناجق ولاية بغداد )

مل ان بكر صوباشي لا يزال على عناده ، وامرهما بان لو اتضح لهما ذلك عليهما ان يبادرا الى سدّ الطريق امام الامدادات التي قد تصل الى القلعة والمحاصرين في المدينة من الدولة العثمانية والشروع في فرض الحصار على بغداد واجبار بكر صوباشي على الاستسلام (١).

ولما علم بكر صوباشي بخطة القزلباش الجديدة ارسل مبالغ كبيرة من المال الى قادة الشاه المتواجدين في اطراف بغداد كتعويض لهم عن اتعابهم ولكن قرجغاي خان قائد الفرقة الامامية غضب من تصرفه واعتبره اهانة له وبادر الى نصب مدافعه على الروابي ايذانا ببدء الحصار الامر الذي ادى ببكر صوباشي الى ارسال من يخبر حافظ احمد باشا بالتطورات الجديدة طالبا منه امداده بالذخيرة والمؤونة على وجه السرعة ، فاستجاب له حافظ احمد وارسل قپوجي باشا (عثمان اغا) وبمعيته بعض الذخيرة والطعام في الوقت الذي اخبر الصدر الاعظم الجديد علي باشا كمانكش بتطورات الاوضاع في بغداد الا ان العاصمة العثمانية كانت منشغلة في مشاكلها الخاصة فاهملت تقرير حافظ احمد ، وعندها ارسل بكر صوباشي رسالة اخرى الى حافظ احمد يستعجله في ارسال النجدة بعث اليه هذه المرة كوز حسين باشا بكلر بكي الموصل وذلك من السكبانية على امل ان يلتحق هو بهم بعد ان يعدّ جيشه (٢) ولم يكد يتحرك باتجاه بغداد حتى وصلته رسالة من متسلم ديار بكر تؤكد على ضرورة توجهه اليها لاخماد ثورة اباظه باشا الذي فرض الحصار على ولايته (٣). وهكذا كتب على بكر صوباشي

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٠ .
(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .
امره ، (الترجمة التركية) ، ج ٩ ، ص ٢١ .
(٣) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ .

ان يوابجه لوحده جيش قرچغاى خان بحامية بغداد ، والذى عمد الى الحرب النفسية حيث اقام الافراح داخل القلعة واظهر للناس ان الجيش العثماني في طريقه الى بغداد وهو يحمل الذخيرة والطعام في الوقت الذى ارسل رسالة اخرى الى الاستانه يشرح فيها صعوبة موقفه قائلا فيها ان بغداد ستسقط بيد الايرانيين لا محاله ان لم تبادر الدولة فورا بارسال الجيش والذخيرة والمؤونة . الا ان الدولة العثمانية كانت متورطة بامور كثيرة كان منها ثورة ابازة باشا في جهات ديار بكر لذا لم تعر اذنا صاغية الى توسلات بكر صوباشي[1] ومن جهة اخرى فان الجيش المرافق للشاه عباس استمر في زحفه صوب الاراضي العراقية وتوجه الى قلعة ( زنجاب ) التي كانت تدار من قبل اولاد محمد بيك من قبائل ألك واستطاع الاستحواذ عليها[2] وتظاهر اولاد محمد بيك باعلان الولاء للدولة الصفوية وأبدوا رغبتهم في التوجه الى معسكر الشاه لتقديم مراسيم الطاعة[3] ولكن في غفلة من الجند القزلباشي استطاعوا الافلات وسلكوا طريق كركوك وشهرزور الا ان القائد القزلباشي ( جهانكير بيك ) اطلع على هذا الموقف وارسل جماعة من القزلباش لمتابعتهم استطاعت اللحاق بالفارين من ابناء هذه القبيلة وقتلت عددا منهم يتراوح بين ٦٠ ـ ٧٠

---

(١) نصيحاء المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

(٢) كانت هذه القلعة في السابق تحت امرة محمد بيك وهو من قبيلة ( ألك ) التي تقطن على الحدود العراقية الايرانية وكانت هذه القبيلة موالية للدولة الصفوية ، الا ان محمد بيك اعلن الثورة عليها ونقض ولائه للدولة العثمانية وباشر ببناء هذه القلعة التي اصبحت تابعة لسنجق ( درة تنك ) الواقعة ضمن الاراضي العراقية واخذ يتسلم جرايته السنوية من باشا بغداد بالاضافة الى ما كان يجنيه من ضرائب واتاوات من القوافل المارة بتلك الارجاء والتي كانت تقصد بغداد وحلب انظر: تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ١٠٠٠ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٠٠ .

بينهما كما تم الاستيلاء على اسلحة البقية الباقية منهم وعاد الجيش الى قلعة زهاب حيث صدر امراً من الشاه عباس بمنحها الى ( جهانكير بيك ) الذي بزغ اسمه في هذا القتال(١).

جـ – وصول الجيش الصفوي اطراف بغداد

وعند وصول عيسى خان قورجي باشي وزينل بيك شملو توشمال باشي وجيشهما الى اطراف مدينة بغداد علما بان بكر صوباشي لا يزال مصرا على الدفاع عن قلعته وهو مستعد للحرب والنزال(٢) ومن جهة اخرى قرر ( صفي قلي خان ) وثلة من امراء القزلباش الذين وصلوا بغداد قبيل وصول جيش عيسى خان وزينل بيك عبور نهر دجلة للتوجه الى الجانب الغربي لاتخاذها مقرا لفرقتهم(٣) فجاهدوا في الحصول على سفينة يستطيعون بوساطتها عبور النهر، واهتدوا بعد عدة محاولات الى سفينتين وكانوا على وشك العبور من موضع يقابل مرقد الامام موسى الكاظم عندما اطلع بكر صو باشي على خطة الايرانيين لذا ارسل حوالي ( ١٠٠٠ ) شخص من المقاتلين يقودهم حمزة اغا(٤) ويرافقه كل من عمر كتخداه وحرير اغا(٥) ويؤكد هذه الرواية نظمي زاده(٦) وبادر هؤلاء الى صد مجموعة من الايرانيين يبلغ عددهم مائة شخص كانوا قد اجتازوا النهر

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٠ .
(٢) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٠٠ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٠٠ .
(٤) هو احد اخوة بكر صوباشي حسب زعم مؤلف تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٠ .
(٥) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠٠١ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

توا مع حوالي ستين جرادا ووقع بين الطرفين قتال عنيف استطاع فيه الجيش الصفوي المستميت الانتصار على جيش بغداد الذي تقهقر باتجاه المدينة بعد ان وقع قادته الثلاثة في الاسر[١].

واستمر الجيش الايراني في متابعة جيش بغداد حتى اسوار المدينة حيث وقع قتال آخر بينهما سقط فيه حوالي ٣٠٠ قتيل من جيش بكر صوباشي ، ولم يكن الجيش القزلباشي ينتهي من هذا الالتحام الذي قاده ( صفي قلي خان )[٢] وحسين خان حتى[٣] وصله نبأ مفاده ان جيش بكر صوباشي قد استحوذ على قافلة تجارية قادمة من حلب عن طريق الصحراء وهي الآن في طريقها الى مدينة بغداد فسارع الجيش القزلباشي المتواجد في الجانب الغربي بالتوجه الى حيث طريق القافلة ووقع قتال مع جماعة بكر صوباشي استطاع فيه الجيش الصفوي الاستحواذ على القافلة وتوجيهها صوب المعسكر الايراني وهكذا رجعت هذه الاموال غنيمة بيد القزلباش[٤].

---

(١) حيث وقع عمر كتخدا اسيرا بيد كل من سهيل بيك سفرهجي وحسين خان حاكم لرستان ، اما القائدان الآخران حمزة وعريز فعلى الرغم من وقوعهما اسيرين بيد الجيش القزلباشي على رواية اسكندر تركمان ونظمي زاده ، الا ان اسكندر تركمان يقول بانه لم يتأكد من اسم الامير الذي استطاع اسرهما .
انظر تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠١ .
نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(٢) حاكم همدان .

(٣) حاكم لورستان .

(٤) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٢ .
ويقول المؤلف ان كريان القافلة ( اي رئيسها ) استنجد بالجيش القزلباشي الذي هرع لمساعدته وانقاذ قافلته من جماعة بكر صوباشي .

- محاصرة بغداد من قبل الشاه عباس :

لقد وصل الجيش الايراني الذى يقوده الشاه الى اطراف بغداد في غرة ربيع الاول من عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م عن طريق (زهاب) و(دره تنك) مارا بقلعة محمد لك سالكا نفس طريق جيشه الذى ارسله بقيادة قورجي باشي وزينل بيك وقد عسكر الى جوار مرقد الامام ابي حنيفة وعندها ارسل من يخبر بكر صوباشي بوصوله ويأمره بتسليم قلعة بغداد موجها اليه انذارا امده ثلاثة ايام والا ستكون الحرب الحد الفاصل بينهما ولا امان له بعد ذلك[1]. ولكن بكر صوباشي بدلا من أن يستجيب لمطاليب الشاه بادر الى فتح النار على الجيش الصفوى المرابط خارج الاسوار، كما لم يسمح لرسل الشاه بدخول القلعة، وهكذا وبعد انتهاء امد الانذار شرع الشاه عباس بفرض الحصار على المدينة من جميع جهاتها[2]. وفي هذه الاثناء وصله خبر مفاده ان حسين باشا حاكم الموصل قد توجه الى بغداد على رأس حملة صغيرة قوامها ٥٠٠ فارس لنجدة المحاصرين داخل القلعة وتزويدهم بالذخيرة والمؤونة التي كانت تنقصهم وكان تقدمه بناء على طلب بكر صوباشي وبأمر من حافظ احمد باشا[3] - لذا كلف الشاه عباس جماعة من أتباعه القزلباش بقيادة (زمان بيك) بمشاغلة الحملة القادمة من

---

(١) هدايت، المصدر السابق، ج ٨، ص٢٤٣٢.

(٢) تركمان، تاريخ عالم آراى عباسي، ج ٣، ص١٠٠٢.

(٣) كاتب جلبي، فذلكة كاتب جلبي، مجلد ثاني، ص ٤٦.

(٤) نسيما، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٨٤.

تركمان، تاريخ عالم آراى عباسي، ج ٣، ص ١٠٠٢.

(٥) ناظر البيوتات، منصب من مناصب الدولة الصفوية

الموصل حيث نجحوا بذلك واباد وها وقتلوا قائد ها كور حسين باشا . ومن جهة
اخرى امر جيشه بتشديد الحصار على مدينة بغداد لمنع وصول الذخيرة والمؤونة
اليها وقد احكم الحصار من جميع الجهات وباشر بالاستحواذ على الجانب الغربي
المواجه لقلعة بغداد الداخلية ثم صدرت أوامره الى المحاصرين والمختصين بالشروع
بحفر نفق تحت سور القلعة وبعد مدة عشرين يوما من العمل المتواصل وصل الامر
بالمحاصرين داخل القلعة حدا لم يستطيعوا معه الصبر او المقاومة على حد رأي
اسكندر تركمان[1] ويشاركه في الرأى نظمي زاده بقوله : أن مخازن بغداد فرغت من
المؤونة والذخيرة وظهرت على قوات بكر صوباشي حالات الاعياء لذا عجزوا عن الاستمرار
في مقاومة الاعداء لاسيما ابنه محمد الذى فاوض الايرانيين وفتح لهم ابواب القلعة[2]
ويفسر المؤرخ التركي ذلك قائلا : عندما طال أمد الحصار أخذ اليأس مطرحه في
نفوس سكان بغداد لذا اتصل درويش محمد الذى كان مكلفا بالدفاع عن أبواب
القلعة الداخلية ـ عن طريق بعض الجواسيس ! ـ بالايرانيين ووعدهم بتسليم بغداد
لهم ويضيف الى ذلك قوله أن حالة المحاصرين قد وصلت حدا من الفاقة والاعياء بحيث
ان الترهم لم يكن يستطيع النطق من شدة الجوع[3] ويذكر العمري ان محمد بك لما
رأى الغلبة أرسل للشاه عباس يطلب الامان لنفسه لقاء تسليمه القلعة[4] وذكر الغرابي
أن درويش محمد بعث خبرا الى الشاه عباس يقول فيه أني أسلمك البلاد ان انعمت

---

(١) تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٢ .
(٢) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢١٩ .
(٣) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ .
(٤) ياسين العمري ، الآثار الجلية ، ورقة ٢٠٨ .

بها علي فرعده الشاه بذلك ففتح له باب السر[١] وقال المحبي ان المعيشة ضاقت بجيش بغداد وسكانها ووصلوا حدا اكلوا فيه الآدميين !! لذا بادر (محمد علي) بن بكر صوباشي المسؤول عن حماية القلعة الداخلية الى تسليمها للاعداء وهكذا سمح بذلك والده لينجو بنفسه. ويضيف العمري ان الحصار اثر على سكان المدينة حتى اكلوا الميتة ولحوم الدواب والكلاب ثم صاروا يأكلون من لحوم الآدميين!![٣][٢]

ويسرد هيوار ما ذكره المؤرخون الاتراك عن خيانة محمد بن بكر صوباشي وفتحه ابواب قلعة بغداد[٤] وهو يلخص ما كتبه هامر مفصلا عندما قال ان محمد بن بكر صوباشي الذى انيطت اليه حماية القلعة الداخلية بادر الى فتح ابوابها حيث دخلها الايرانيون يوم ٥ صفر عام ١٠٣٣هـ المصادف ٢٨ تشرين الثاني ١٦٢٣م[٥] وعلى ما يبدو ان هامر يحدد هذا التاريخ نقلا من المؤرخ التركي نعيما الذى يجعل احتلال القلعة يوم ٥ صفر ايضا[٦] والذى يضيف بان القزلباش اخذوا ينفذون الى داخل القلعة اثنين اثنين حتى امتلأت القلعة بهم وعلا ضجيجهم الذى ايقظ من في المدينة وانتفض بكر صوباشي مذعورا ولكن بعد فوات الاوان اذا اضطر هو ودفتر داره عمر اغا

---

(١) تاريخ عيون اخبار الاعيان، علـى هامش لونكريك، المصدر السابق، ص ٧٨، تعليق جعفر الخياط.

(٢) المحبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٢. يسميه محمدعلي بدلا من محمد.

(٣) ياسين العمرى، الآثار الجلية، ورقة ٢٠٨.

(٤) Huart, op. cit., P. 57.

(٥) Hammer, op. cit., Vol. 9., P. 19.

(٦) نعيما، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٨٧.

الى الاختفاء بينما يذكر المؤرخ الايراني اسكندر تركمان وهو مرافق للعمليات[1] بعض المحاصرين داخل القلعة جاهروا باعلان التمرد ضد بكر صوباشي ولجأ قسم منهم الى معسكر الجيش الايراني ويضيف الى ذلك قوله وفي الليلة الواحدة والعشرين من الحصار هجم قسم من المسلحين الايرانيين واعتلوا اسوار القلعة بالقرب من احدى بواباتها الصغيرة حيث استطاع حوالي ( ٣٠٠٠ ) منهم اعتلاء الاسوار ليلا والنجاح بقتل حراسها وفتح بقية الابواب حيث دخل الجيش الغازي القلعة وتعالت صيحاتهم مهللين الفتح والظفر تلك الصيحات التي ايقظت السكان جميعا ومنهم بكر صوباشي الذي كان يقيم في قصره في المدينة اما درويش محمد فانه فوجيء بالغزاة وهم بداخل القلعة[2] وهكذا يخالف اسكندر ترك ان رواية المؤرخين الاتراك التي تؤكد خيانة محمد بن بكر صوباشي باغراء من الرافضي[3] اما الغرابي فيقول لقد رأيت جماعة ممن ادرك هذه الوقعة كانوا يقولون : ما سلّم درويش محمد البلد طمعا فيها بل لما رأى من القحط والغلاء ، حيث اكلت الناس الكلاب[4]

ومن خلال استعراضنا للآراء التي قدمت بشأن الفتح ، يتبين لنا ان القلعة كان لا بدّ ان تسقط بسبب انهيار المقاومة وانعدامها ولشحة الطعام وقلة الذخيرة والتأخر وصول النجدة وأمام اصرار الايرانيين الذين اعتبروا امر الفتح مسألة مصيرية

---

(١) العمري ، الاثار الجلية ، ورقة ٢٠٩ يقول عند دخول الفرس لمدينة بغداد اخذوا يدقون الطبول ايذانا بالانتصار ويئس اهل بغداد من الحياة .
انظر ايضا : نسيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

(٢) تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ١٠٠٣
نقلا عن ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٣٢ .

(٣) كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٤٩ .

(٤) تاريخ عيون اخبار الاعيان ، على هامش تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٨٠ ، اقتباس العزاوي .

بالنسبة لهم للوصول الى العتبات المقدسة لا سيما بعد فشلهم في عدة محاولات سابقة في الماضي وقد ساهم درويش محمد بن بكر صوباشي في تسهيل امر الفتح بعد ان يئس من الاستمرار في الدفاع عن القلعة .

ثانيا ـ الاحتلال الصفوي الثاني للعراق ١٦٢٣ ـ ١٦٣٨ :

آ ـ سقوط قلعة بغداد بأيدي الايرانيين :

وفي يوم الاحد ٢٣ ربيع الاول ١٠٣٣ هـ/ ١٦٢٣م[1] وقعت القلعة بيد القزلباش ، وهذا التاريخ يصحح ما رواه كل من هامر[2] ولونكرك[3] وهمد رعما نعيما[4] بأن فتح القلعة تم يوم ٥ صفر من عام ١٠٣٣ هـ ، ويخطيء كلا من مؤلف مصباح الساري الذي جعل تاريخ الفتح ٢٢ تشرين الثاني ١٠٣٢ هـ (كذا ) والمحبي[5] الذي حدد مقتل بكر صوباشي في عام ١٠٣٢ هـ[6] ويخطيء ايضا كلا من دحلان[7] والدكتور مصطفى جواد[8] في تأكيدهما على ان الفتح تم عام ١٠٣٢هـ ويخطيء ما نقله العزاوي[9] من كتاب

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراي عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٣ وهو مرافق للحملة .

(٢) Hammer, op. cit., Vol. 9., I. 19.

(٣) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٧٧ ويجعل التاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٦٢٣م وهو يقابل ٥ صفر ١٠٣٣هـ .

(٤) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .

(٥) ابراهيم افندي ، كتاب مصباح الساري ، نزهة القاري ، الطبعة الاولى ، (بيروت ، ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م) ، ص ١٦٨ .

(٦) المحبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٥٥ .

(٧) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ .

(٨) مشهد الكاظمين ، ص ١٤ .

(٩) تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٧٨ معلومات مضطربة جدا وغير دقيقة عن تحديد تاريخ الاحتلال الصفوي الثاني للعراق .

رياض العلماء الذى ينقل بدوره وبشكل غير دقيق من كتاب تاريخ عالم آراى عباسي حيث يجعل تاريخ الاحتلال ٢٣ ربيع الاول من عام ١٠٣٢ هـ ٠ واعتقد ان المؤرخ الاخير معذور في هذا الخطأ لان اسكندر تركمان يسرد احداث السنين التركية وما يقابلها بالسنين الهجرية ، فيذكر مثلا السنة التركية ( تنكوز ئيل )(١) والتي يوافق بعضها عام ١٠٣٢ هـ والبعض الاخر لعام ١٠٣٣ هـ ولما حدد المؤلف شهر ربيع الاول كتاريخ لدخول القلعة فهذا يعني انه الشهر الثالث من السنة الهجرية الجديدة من عام ١٠٣٣هـ ومما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه ذكره لاحداث السنة التركية ( سيجقان ئيل ) ويجعلها مطابقة لعام ١٠٣٣هـ ومنها نجد تحركات الشاه الى العتبات المقدسة ، ومما يزيد الحالة وضوحا وجود الشاه عباس في الكاظمين في شهر جمادى الثانية من عام ١٠٣٣ هـ(٢)، كما قام باداء مراسيم زيارة الاول من شهر رجب من عام ١٠٣٣ هـ(٣) في كربلاء ثم غادر العراق الى اصفهان حيث وصلها في ١٧ رمضان من عام ١٠٣٣(٤) ٠ وهكذا نجد ان مكوث الشاه في العراق استغرق بين ٢٣ ربيع الاول من

---

(١) ( تنكوزئيل ) باللغة التركية القديمة تعني الخنزير وعلى ما يبدو ان هذه السنين تذكر على قاعدة الابراج ٠ انظر : نعمة الله الجزائرى ، زهر الربيع ، ج ٢ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) ، ص ١١٩ ٠

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠١١ ٠

(٣) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠١٢ انظر : ص ٢١٣ من هذا البحث ٠

(٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠١٢ ويجعل كاتب جلبي ، في فذلكته ، خطأ الزيارة الى مشهد الامام علي ، انظر جلد ثاني ، ص ٥١ ٠

(٥) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠١٢ ٠

عام ١٠٣٣ هـ لغاية رجب من نفس العام وبذا يكون مكوثه فيه حوالي اربعة شهور ولا يصح ان يكون من ربيع الاول ١٠٣٢ هـ الى رجب عام ١٠٣٣ هـ اى اكثر من سنة واربعة اشهر لان ذلك يناقض سير الاحداث التاريخية المثبتة ، كما لا نجد فرقا كبيرا بين ما حدده المؤرخون الاتراك في جعل الفتح في ٥ صفر عام ١٠٣٣ هـ (١) وبين ما بينه اسكندر تركمان في ٢٣ ربيع الاول ١٠٣٣ هـ (٢).

ب ـ دخول الشاه عباس بغداد وجولاته في العتبات المقدسة :

بعد احتلال القلعة اصدر الشاه امرا بالعفو عن درويش محمد (٣) بن بكر صوباشي وكذلك عن عبد الرحمن جلبي (٤) واغدق عليهما الهدايا وحاول بوساطتهما التعرف على

---

(١) كاتب جلبي ، جهانما ، استانبول ، ١١٤٥ هـ ، ص ٦٩٥ . كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٤٦ .
بچوى ، المصدر السابق ج ٢ ، ص ٣٩١ ويجعله في ١٢ ربيع الاول ١٠٣٣ هـ وهو معاصر للاحداث .

(٢) تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٣ . ومن الجدير بالذكر ان محمد امين بن خير الله الخطيب العمرى ، في كتابه منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ، حققه ونشره سعيد الديوهجي ، (الموصل ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م) ، ج ٤ ، ص ١٣٧ يجعل الاحتلال في ٢٢ ربيع الاول عام ١٠٣٣ هـ دون ان يذكر مصدره وهو يقارب ما ذكره مؤلف تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٣ .

(٣) هذا ما جعل المؤرخون الاتراك يعتقدون بان (درويش محمد) قد خان والده لذا عفا عنه الشاه .

(٤) وهو من رجال الدين السنه الذى منع المعارضة في بغداد من الحاق الاذى بالوفد الايراني وخاصة رئيسهما ، بل وساعده على الافلات منهم .
انظر : ص ١٩٥ من هذا البحث .

اسوار المدينة ومعالمها ، كما اصدر عفوا عاما عن الشيعة الذين اضطروا حسب اعتقاده الى خوض القتال ضد الجيش القزلباشي (١) مبررا ان مذهبهم شفيع لهم ، بينما امر بانزال اقسى العقوبات وابشعها بالسكان الابرياء من اهل السنة (٢) ويذكر نعيما ان المنادي نادى في شوارع بغداد بان تسجيلا عاما سيجرى في المدينة وعلى كل شخص ان يسارع الى تسجيل اسمه ومحلته وما يملك من سلاح وبهذه الوسيلة استطاع الشاه ان يجمع كثيرا من السلاح من الاهلين ثم امر بسجن عدد كبير منهم وقد صمم على قتل جميع السكان من السنة الا ان نقيب الاشراف في بغداد السيد ( دراج ) (٣) وهو من الروافض

---

(١) وهذا ما يؤيد بان بكر صوباشي اعتمد اول الامر على رهط من الشيعة في مواجهة محمد قنبر واتباعه حيث ظلوا مخلصين له في الدفاع عن بغداد وضد الشاه .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٣ .
كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٤٠ .

(٣) من الغريب ان اسم دراج لم يرد في كتاب تاريخ عالم آراى عباسي وهو الذي يسرد تفاصيل دقيقة عن تحركات الشاه واتصالاته لا سيما ونحن وجدناه سابقا يخصص اسطرا عديدة للثناء على السيد محمد كمونه ابان احتلال الشاه اسماعيل لبغداد عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م وكل ما استطعنا الحصول عليه من معلومات في ذيل تاريخ عالم آراى عباسي لمحمد يوسف ضمن وفيات عام ١٠٤٧ هـ هو ان السيد دراج كان من اعاظم السادة في النجف دون اية اشارة اخرى .
انظر : محمد يوسف ، ذيل عالم آراى عباسي ، وفيات عام ١٠٤٧هـ ، كما ورد ذكره عند المحبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٣ .
واشار اليه عامر ، وهيوار ، ولونكريك ، نقلا عن نعيما

Hammer, op. cit., Vol. 9., I. 20.
Huart, op. cit., I. 58.

اونكريك، المصدر السابق ، ص ٧٨ . نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ . الذي سماه كليدار مشهد كربلاء



حال دون ذلك بتسجيله طائفة من السنة في السجل المخصص للشيعة لانقاذهم من الموت المحتم وهكذا انقذ الكثير منهم [(١)]. ويستمر نعيما قائلا لقد امر الشاه بقتل كل من خطيب الجامع الكبير [(٢)] محمد افندي [(٣)] الذي يجعله المحبي نائبا للمحكمة في بغداد ويجعله على المذهب الشافعي [(٤)] ويضيف هامر ان من بين من قتلهم الشاه نوري افندي نائب بغداد [(٥)] ويؤكد ذلك الغرابي [(٦)]. اما هيوار فيجعله مفتيا لا قاضيا [(٧)]. اما نظمي زاده فيلقبه بخادم السجادة [(٨)] ومن جهة اخرى فان المحبي يذكر ان الشاه احضر المنلا علي وكان سنيا حنفيا وشيخا كبيرا وطلب منه لعن الشيخين فامتنع لذا ضربه بالسيف حتى قتله [(٩)]. اما نعيما فانه يقول ان الشاه فعل ذلك مع محمد افندي خطيب الجامع الكبير حيث امره بسب الشيخين ولما رفض غضب عليه وامر بربطه بجذع النخلة ثم اطلق

---

(١) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ . بينما يذكر عثمان بن بشر النجدي الحنبلي المتوفى سنة ١٢٨٨ هـ في كتابه عنوان المجد في تاريخ نجد (( ان الشاه قتل اهل السنة اجمع وخرب المساجد وقتل العلماء واتلف كتبهم ، انظر ، ج ١ ، (الرياض ـ ؟) ص ٣٠ .

(٢) جامع الخلفاء

(٣) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .
كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٥٠ .

(٤) المحبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٢ .

(٥) Hammer, op. cit., Vol. 9., P. 20.
وكاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٥٠ .

(٦) تاريخ عيون اخبار الاعيان ، على هامش تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٨٠ . للعزاوي .

(٧) Huart, op. cit., P. 58.

(٨) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٩) المحبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٢ .

رصاصة عليه[1] ويؤكد هذه الرواية كاتب جلبي[2] ولا يستبعد أن يكون الشاه او اتباعه القزلباش قد فعلوا ذلك من الاثنين وهي جزء من عنعنات ذلك العصر . اما مصير بكر صوباشي فتتفاوت الروايات فيه ، فيذكر نعيما ، لقد وضعه الشاه في قفص وعذبه سبعة ايام بلياليها ثم جيء به الى الميدان ووضعه في قارب انزله في نهر دجله وصبّ عليه الزيت واحرقه على مرآى من ابنه ، وربما خلط نعيما بين ميتة محمد قنبر وبين مصير بكر صوباشي وجعلها واحدة كأسلوب لانتقام القدر[4] بينما يذكر نظمي زاده : ان الشاه اسرّ بكر صوباشي وأخاه عمر افندى حيث وضع القيد في أيديهما واودعهما السجن مدة شهرين ثم اعدمهما[5] ويذكر المحبي لقد قتل الشاه بكرا شر قتلة[6] بينما لا يذكر

---

(١) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .

(٢) فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٥٠ . كما ان دحلان في كتابه الفتوحات الاسلامية ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ، ينقل التفاصيل من نعيما ويضيف من عنده بان قتالا وقع بين اهل السنة والاعاجم في المدينة .

ويذكر ياسين العمري ، في الآثار الجلية ، ورقة ٢٠٩ أن الشاه عباس جمع كتب اهل السنة والقاها في نهر دجلة حتى قيل أنها صارت جسرا يمشون عليه !! على غرار ما كُتب عن هولاكو وتيمور وانه فان اللعين ( يقصد الشاه عباس ) امر بهدم مرقدى الامام أبي حنيفة والشيخ عبد القادر الكيلاني ويجعل عدد قتلى بغداد ٤٠٠٠٠ شخص والرقم مبالغ فيه جدا حسب الاحصائيات المتوافرة عن سكان بغداد . انظر الفصل الرابع ، ص ٣٥٤ .

(٣) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ . ويؤكد المؤرخ منجم باشي ، في تاريخ جلد ثالث ، ص ٦٥٩ رواية أحراقه بالنار وكذلك كاتب جلبي ، في فذلكته ، جلد ثاني ، ص ٥٠ .

(٤) انظر عن ميتة محمد قنبر ، ص ١٨٤ من هذا البحث .

(٥) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٦) المحبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٢ .

اسكندر تركمان شيئا عن مصيره . اما لونكرك فيقول : لم يترك اية وسيلة واى نوع من القسوة في تعذيبه وقتله دون ان يوضح الكيفية(١) ويسرد هامر رواية الزورق واحراقه على غرار ما فعله بكر صوباشي نفسه بخصمه محمد قنبر(٢) ويعيد هيوار نفس الرواية(٣) وعلى ما يبدو ان هامر وهيوار مصدرهما الاساسي نعيما فهما اكدا ما رواه هذا المؤرخ(٤) وفي هذا المجال يذكر صاحب مصباح الساري ان الشاه وضع بكرا في قفص حديدي وعذب ليدلي بمكامن ثروته ثم احرق في نهر دجلة بعد سبعة ايام من التعذيب(٥).

ومن الاحداث الاخرى التي تستحق التدوين في هذه الفترة في العراق وخلال مكوث الشاه عباس فيه هو توجه جمع غفير من المواطنين الى معسكره يطلبون الطعام بسبب القحط الذى دام فترة طويلة ويقول اسكندر تركمان وما ان حلت الجمعة الاولى في ٢٨ ربيع الاول ١٠٣٣ هـ حتى خطب الشاه في مسجد المدرسة المستنصرية(٦) وتليت اسماء الائمة الاثنى عشر ويضيف الى ذلك ان منابر هذه المدينة لم تعهد ذكر اسمائهم من قبل ، ومن جهة اخرى اقام الشاه شهرا في بغداد نظم خلاله شؤونها ومنح الولاية

---

(١) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٧٨ .

(٢) Hammer, op. cit., Vol. 9., PP. 20-21.

(٣) Huart, op. cit., P. 58.

(٤) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

(٥) ابراهيم افندى ، المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

(٦) يقول اسكندر تركمان ، لقد استخار الشاه القرآن في المسجد وظهرت في الصفحة اليمنى ما معناه ان تحت المدينة سيتحول الى يمن وبركة بسبب مقدم الشاه !! كما يبادر المؤرخ الى وصف المسجد بقوله : انه المسجد القديم للخليفة العباسي المستنصر بالله ويضيف قائلا : اني رأيت اسمه منقوشا على بابه .
انظر : تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٤ .

الى (صفي قلي خان) حاكم همدان بالاضافة الى ولايته ثم غادرها الى العتبات المقدسة فزار مرقد الامام موسى الكاظم حيث وزع الاموال على مجاوري القبر والسدنة[1] وزود المرقد بالافرشة والستائر المزركشة وكسا صندوق القبر بالاقمشة الثمينة[2] واضاف الى الضريحين شبكا من الفولاذ[3] ثم عاد الى بغداد ومنها اتجه الى النجف حيث

---

(١) في هذا المجال نذكر رأى (فريلاند) Vreeland بأن الشاه قام بعدة محاولات قبيل احتلاله للعراق في تحويل اذهان الايرانيين والقزلباش الى مراقد الائمة في ايران بدلا من العراق الا انها باءت جميعها بالفشل كان منها تنظيم مسيرة على الاقدام بدأت من اصفهان وانتهت في خراسان اى مسافة ٨٠٠ ميل لزيارة مرقد الامام علي الرضا وذلك لصهر المجموعات المختلفة في بلاده من الفرس والترك والعرب في امة واحدة يكون ولائها للمذهب الشيعي، الا ان الالحاح للوصول الى قبور الائمة والاولياء في العراق ظل قائما . ويعلق مالكولم بان استيلاء بغداد والنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء اعتبرت عند الايرانيين من اعظم الحملات التي قام بها الشاه عباس لان هذه الديار كانت تضم رفات بعض الائمة الاثنى عشر وكانت بمثابة قبلة القزلباش والشيعة حتى غدا الشاه عباس بعدها معبودا من قبل انظار :

Herbert. H. Vreeland, Country Survey series, Iran, ( New Haven, 1957), P. 22.

Malcolm, op. cit., Vol. I., P. 543.

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٤ .

(٣) يذكر ذلك الدكتور مصطفى جواد في بحثه : مشهد الكاظمين ، ص ١٤ ، دون يشير الى مصدره .

Scanned by CamScanner

ترجل قبل وصوله المدينة وبكل مظاهر الوقار والحشمة اتجه الى مرقد الامام علي ومكث في المدينة عشرة ايام كان يؤدى خلالها مراسيم الزيارة . ويقول اسكندر تركمان انه كان يكنس وينظف باحة المرقد يوميا كما كان يشرف على تنظيم وتنسيق ستائره ، ومن جهة اخرى امر بتجديد النهر الذى كان قد احياه من قبل جده الشاه اسماعيل كترعة توصل الماء من الفرات الى مدينة النجف حيث طمر من جراء الموجات الترابية من اطراف الصحراء ، وقد اشترك في العمل كل افراد الجيش واوصلوا الماء الى مسجد الكوفة جريا على سطح الارض . ولما كانت الارض تأخذ بالارتفاع التدريجي كلما تقدمنا باتجاه النجف لذا عزم الشاه ايصال الماء اليها عن طريق قناة تجرى تحت الارض يتم ربطها بواسطة آبار متعددة في الطريق لتتحول اخيرا الى بحر النجف وكانت الخطة حفر مدرجات في مدينة النجف ينزل اليها السكان للحصول على ما يحتاجون اليه من ماء الشرب وفي ختام زيارته وزع الصدقات والاموال على المحوزين والمقيمين والسدنة (١) ثم توجه الى مدينة كربلاء حيث صادف وجوده فيها بداية السنة الشمسية الجديدة ، التي تقابل ١٠٣٢هـ (٢) حيث امر فيها باكساء مرقد الحسين بالاغطية المناسبة كما هيأ الابسطة اللازمة له وبادر الى توزيع الاموال على سدنة وخدم ومجاوري المدينة ثم توجه مرة اخرى الى النجف لاداء مراسيم الزيارة عاد بعدها الى كربلاء واصدر امرا بمنح نائبية العتبات المقدسة والحلة الى ساروسلطان بيكدلي (٣) أخي زينل بيك ( توشمال

---

(١) تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ص ١٠٠٤ / ١٠٠٥ . الواقع انه لم ينجز سوى تأهيف النهر الذى يجرى الى الكوفة ، اما الابار والمدرجات فكانت مجرد امنيات لان المدة التي قضاها في النجف لم تكن كافية لانجاز مثل هذا المشروع الضخم لاسيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار الطبيعة الصلدة لطبقات الارض فيها ولكنه اخذ يوفد المعماريين من ايران تباعا لتحقيق ذلك .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠١١ .

(٣) يخطىء هنا ايضا المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٣٣ عندما يجعل زينل ( = = )

باشي ) حيث اصبح متولي هذه المناطق لما امتاز به من مهارة وحسن ادارة وبعد نظر في معالجة الامور واستقامة في العمل كما وضع تحت امرته حوالي ٥٠٠ من القزلباش لضبط الحالة والاهتمام بامور الزرع والادارة المدنية ، وبعد انتهائه من تفقد احوال العتبات المقدسة واطمئنانه على سير الامور فيهما توجه الى بغداد حيث عرج لزيارة مرقد الامام موسى الكاظم ولما صادف في هذه الفترة قرب حلول شهر رجب لذا استغل المناسبة وتوجه بصحبة ثلة مختارة من جيشه الى كربلاء لاداء مراسيم زيارة الاول من رجب ثم عاد الى بغداد وبعد ان مكث فيها عدة ايام تفقد فيها شؤونها توجه مع جيشه الى زيارة المراقد في سامراء وبعد عودته منها قصد اصفهان حيث وصلها يوم الخميس المصادف ٧ رمضان ١٠٣٣ هـ.(1)

## جـ - حروب الاسترداد بين العثمانيين والصفويين :

بعد عزل السلطان العثماني مصطفى ( ١٠٣٢ هـ ) عين مراد الرابع(2) سلطانا

---

(=) بيك هو الذي انيطت اليه حاكمية العتبات المقدسة ، والصحيح هو ما ورد اعلاه بناء على ما ذكره تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠١٢ .

(1) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٠١٢ .

(2) تبوأ العرش العثماني يوم الاحد المصادف ٤ ذي القعدة ١٠٣٢ هـ / ٩ ايلول ١٦٢٣ م وكان عمره احدى عشرة سنة وسبعة اشهر ابتدأ حكمه بتأديب المتجبرين من القادة الانكشاريين ، ونسبت اليه بعض الخوارق والالهامات الغيبية المرفوضة من الوجهة العلمية وذلك بعد نجاحه في استعادة بغداد من الفرس عام ١٦٣٨ بعد عدة محاولات فاشلة سبقت حملته . ووصفه المؤرخون الاتراك بالشجاعة والاقدام والعزم وجعله المحبي مؤلف خلاصة الاثر واحداً من اعاظم السلاطين العثمانيين همة واقتداراً خضعت لعظمته رؤوس الاكاسرة ، اما المؤرخون الاوربيون فكانت لهم وجهة نظر اخرى فقال ( Eton ) انه استطاع فرض سيطرته على الجيش والعلماء والقضاة لما عرف عنه من قسوة وعنف حيث عاقب كل مسيء ولم يتسامح امام اية خطيئة مهما صغرت ، فعاقب متعاطي التدخين بالموت ، ونفذ نفس العقوبة بابائه الغاص لانه لم يطع اوامره بموجب مذاته الغاص وكان من بين تسلياته اليومية توجيه السهام من شرفته المطلة على البسفور على السابلة الابرياء (=)

للدولة العثمانية ومن الجدير بالذكر ان الامبراطورية العثمانيه شهدت خلال فترة حكم

(٢ - ) او اطلاق النار على كل من يطل برأسه من نافذته للنظر اليه اثناء نزهته في
تاريه عبر البسفور . ويذكر انه امر مرة بصلب احد التجار البنادقة في القسطنطينية
لانه شك في انه يخالج النظر من سطح منزله الى قصوره الفسيح وقام مرة بسجن كافة
التجار الاوربيين بدون سابق انذار ولم يطلق سراحهم الا بعد ان دفع كل واحد
منهم ما يعادل ٤٠٠٠٠ دولار كما قام مرة اخرى بتحرى دورهم بحثا عن الاسلحة
وبارود ربما وكان بينها سيف السفير الانكليزى . انظر عن الخوارق التي نسبت اليه :
محمد امين بن فضل الله المحبي ، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادى عشر ، ج ٤ ،
بيروت ، ص ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ . وانظر كذلك :

Lane Poole , Turky, P.291.
Hammer, op. cit., Vol. 9., P. 2.

دحلان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ؛
ثره جلبي زاده عبد العزيز ، روضة الابرار المبين بحقائق الاخبار ، ص ٦٠٠ .

W. Eton, Survey of Turkish Empire, London, 1799, PP. 177-178.

ربما حاول Eton تحويل النقد العثماني الى ما يقابله بالدولار ليسهل فهم
ذلك على القارئ الاوربي او ان السلطان تقاضى الاتاوة منهم بالدولار الذى كان
معروفا ومرغوبا آنئذ وانه دولار بندقي على أغلب الظن وكان يساوى خمسة شلنات عام
١٦٣٥ م حيث ورد ان تاجرا بندقيا دفع الى احدى وكالات شركة الهند الشرقية مبلغ
٧٠٠ دولار انظر :

Ethel Bruce Sainsbury, A calender of the Court Minutes of the East India Company (1635-1639), Oxford, 1907, PP. 134, 229, 232.

Hammer, op. cit., Vol. 9., P. 2.

مصطفى وسلفه السلطان عثمان اضطرابات وفوضى كان منها قيام ثورة اباظه باشا في الاناضول ومحاولة بكر صوباشي في العراق واحتلال الفرس لها مما دعا السلطان الجديد الى اختيار حافظ احمد باشا بكلربكي ديار بكر ومعه اغا الانكشارية الجديد لقيادة حملة تضم جيش مصر والشام وحلب والروم ايلي والاناضول وانيطت حاكمية ديار بكر الى مراد باشا عام ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م خلفا لحافظ احمد (١) ، وبادر مراد باشا بارسال كل من (الياس باشا ) بكلربكي الاناضول يساعده ابدال باشا مع جيش قوامه (١٥) الف مقاتل الى جهات بغداد بناء على وصول نبأ من جواسيس الدولة العثمانية يتضمن توجه ... افراد العامية الايرانية في بغداد الى زيارة مرقد الامام علي في مناسبات معينة وتبقى آنئذ بغداد بدون حماية ، واستطاع الجيش العثماني الوصول الى اطراف الحلة وكان على وشك فرض الحصار على بغداد عندما علم الشاه عباس بذلك (٢) ، لذا استعد ... وخشية من العثمانيين شرع بتوجيه حملة الى مناطق آذربايجان لسد الطريق امامهم اذا فكروا في الاغارة على اطراف بلاده ، وكان هناك طريقان لا بد ان يسلك الجيش العثماني واحدا منهما للوصول الى آذربايجان : الاول عبر ارضروم : والثاني عن طريق ...

---

(١) كان مراد باشا بكلربكيا في حلب ويلقبه المحبي بالارنبودي ويجعله متحدما لشر... الاعاجم ويقول الا ان حافظ كان ينصحه بالتريث . انظر : ... نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ . المحبي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٨٤ .

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ . كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ص ٦١ . الصحيح ان الجواسيس العثمانيين اشاروا على الدولة في تقاريرهم بان افراد العامية يتوجهون الى النجف في مناسبات معينة من السنة — ربما يكون (بمناسبة الغدير) لذا حاولت الدولة توقيت ارسال الحملة لتتفق مع خلو بغداد من المدافعين الا ان الجواسيس الصفويين علموا بالخطة فافشلوها .

بحيرة وان ، ولما كان طريق ارضروم غير مأمون بالنسبة للعثمانيين بسبب ثورة اباظه باشا[1] الذى اظهر الود للدولة الصفوية في هذه الفترة ، لذا فان الطريق الذى كان من المتوقع ان يسلكه العثمانيون الى آذربايجان هو طريق ديار بكر – وان – لذا ارسل الشاه عباس رستم بك الى تبريز وامره بالاتصال بامراء وبكلر بكيه تلك الارجاء لتهيئتهم وجيوشهم للتوجه بهم الى وان كما أمرهم بنهب وسلب وتدمير كل ما يحتمل ان يستفيد منه الجيش العثماني فيما اذا توجه الى تلك المناطق ، واستطاع رستم بك تنفيذ ما امر به وتوجه الى ما زندران لاخبار الشاه بذلك[2] . وفي عام ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م كان الشاه يقيم في السلطانية عندما قدم زينل بك ( توشمال باشي ) من العراق واخبره عن احواله كما رفع الجواسيس القزلباش تقريرا للشاه مفاده ان حافظ أحمد باشا عازم على التوجه الى بغداد لمحاصرتها لذا قرر الشاه توجيه حملة اليها لنجدة حاميتها ، حيث سارع بارسال ميرفتاح مين باشي الى قلعة بغداد وعيّن زينل بيك قائدا عاما لجيش قوامه ٢٥,٠٠٠ مقاتل[3] ويذكر اسكندر تركمان بان زينل بك اختار من بين قواته احسن الرماة والمهندسين والمقاتلين حيث بلغ تعدادهم حوالي ( ٣٠٠٠ ) واتجه بهم الى بغداد[4] قبل تجمع باقي القوات ، وقد الحق الشاه بها حملة أخرى بقيادة ( نور الدهر بيك ) لاسناد مؤخرة جيش زينل بيك .

---

(١) اسمه محمد باشا : وارسل وفدا لتهنأة الشاه عباس بمناسبة فتحه بغداد وقد منح الشاه الوفد هدايا كثيرة كان من جملتها غنائم العراق .

انظر : تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ص ١٠١٥ – ١٠١٧ .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠١٧ .

(٣) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٣٤ .

(٤) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٢ .

## ١ ـ حملة حافظ احمد باشا لاحتلال بغداد

لقد كلفت الدولة العثمانية حافظ احمد باشا لاستعادة بغداد الا انه انشغل ردحا من الزمن في اخماد ثورة اباظه باشا في الاناضول ، وبعد تفرغه بادر الى جمع جيش كبير من مختلف ارجاء الدولة (١) وهيأ التموين اللازم للحملة بالاضافة الى المدافع والمعدات الحربية الاخرى ، واستغل المشاكل الجديدة في الدولة الصفوية (٢)

---

(١) يقدره ابراهيم افندى ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ ، ب ٢٠٠٠٠ جندى .

(٢) من بين هذه المشاكل التي عمّت الدولة الصفوية في تلك الاونة :

آ ـ مقتل قرجغاى خان ويوسف خان قائدى الجيش الصفوى في كرجستان حيث لمع اسم الاول في احتلال بغداد عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م .

ب ـ ثورة ( شير بيك ) رئيس عشيرة المكرى الكردية والذى ظل يؤيد الدولة الصفوية قرابة خمسة عشر عاما في الوقت الذى نكص عن ولائه لها عام ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م وبادر الى نهب اطراف مراغه واعلن التأييد للدولة العثمانية .

ت ـ اندحار الجيش القزلباشي في اطراف كرجستان مما حتم على الدولة الصفوية ارسال مزيد من قواتها الى الجبهة الكرجية .

د ـ اضطراب وهلع حامية بغداد من جراء الاندحارات التي منيت بها الدولة الصفوية في اطراف كرجستان وقرباغ ومبادرة الاكراد بتأييد الدولة العثمانية بحيث حامية بغداد تيأس من وصول الامدادات اليها .

ﻫ ـ ارتداد عشائر آل شمعم الحربية عن ولائها للدولة الصفوية بسبب فقدانها ما كانت تجبيه من ضرائب وما تأخذه من اتاوات في جهات البادية قرب كربلاء والنجف من القوافل التجارية المارة من البصرة الى حلب مما حدا بها الى تأييد الدولة العثمانية وتحريضها على فتح العراق لا سيما ابي طالب بن ناصر بن مهنا زعيمها الذى فاوض الدولة العثمانية بهذا الخصوص .

انظر :

تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٢٣ .

بدء بالهجوم على بغداد فعين مراد باشا بكلربكي ديار بكر الجديد قائدا للحملة
ساعده بوستان باشا حاكم كركوك ومصطفى باشا بكلربكي حلب واغا الانكشارية وكورجي
محمد باشا بكلربكي روم ايلي وحاجي الياس باشا بكلربكي الاناضول ونوغاى باشا بكلر
بكي مرعش وطيار محمد باشا بكلربكي سيواس وجركس حسين باشا بكلربكي قرمان وطائفة
من السكبانية ارسلت باتجاه العراق لتعمل مع العشائر العربية فيها للشروع بمحاصرة[1]
الايرانيين فيها ، وزحف الجيش الى بغداد بعد ان اجتاح الموصل بسهولة وفي اطرافها
التحق به ابو طالب بن ناصر بن مهنا ليقدم له المساعدة والمشورة ولما تعزز موقف مراد
باشا ارسل حاجي بيك خليفة احد زعماء عشائر ( الك ) للتوجه الى قلعة ( زهاب )
لاحتلالها كما ارسل مصطفى باشا الى قلعة مندلي[2] لسد الطريق في وجه القزلباش
المتوافدين الى العراق لنجدة حاميتها ، كما باشر باستخدام اسلوب الحرب النفسية
وذلك باشاعة الاخبار التي تعظم من قوة وعدد الجيش العثماني الزاحف في الوقت
الذي تقلل من قدرة حامية بغداد الدفاعية ، ولما اقترب مراد باشا من اطراف بغداد
قام باحتلال الحلة وكربلاء لجعلها قاعدة لهجماته على بغداد ، ولم يكتف بذلك بل
ارسل فرقة من جيشه الى النجف لاحتلالها ، وكانت حاميتها القزلباشية تتكون من ( ١٥٠ )
جنديا يتزعمهم ( بهلوان محسن عاشقا بادى ) المدفعي الذى لم يستطع الصمود في وجه
الجيش العثماني رغم ما اظهره من شجاعة فردية[3] ، ولما وصلت اخبار انتصارات مراد باشا

---

(١) كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٧٥ .

(٢) يقول كاتب جلبي ، في فذلكته ، جلد ثاني ، ص ٧٦ انها جصان .

(٣) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٤ .

الى حافظ احمد باشا تقدم هو الاخرون توقف حتى وصل اطراف مدينة بغداد ، ثم جمع قواده وباشر بفرض الحصار على المدينة وقلعتها بتاريخ ٩ صفر من عام ١٠٣٥ هـ المصادف ١٠ تشرين الثاني من عام ١٦٢٥ م وكان حصاره لها من جهاتها الثلاث.[1]

ومن جهة اخرى فان صفي قلي خان حاكم المدينة الايراني واتباعه البالغ عددهم بين ٧ - ٨ آلاف قزلباشي[2] ، باشروا ببناء الاستحكامات اللازمة محاولة منهم في الدفاع عن المدينة ، ويذكر اسكندر تركمان بان الحامية الصغيرة للمدينة وبامكانياتها المتواضعة استطاعت ارسال محاربيها عن طريق مرقد الامام ابي حنيفة لمشاغلة الجيش العثماني قبل تجمعه وقد استطاع هؤلاء احراز نصر محدود وغنموا كثيرا من الجيـاد والابل والحمير وساقوها الى المدينة[3] في الوقت الذي يشير فيه المؤرخ نعيما الى ان الجيش العثماني استطاع ان ينصب المدافع على الروابي المشرفة على المدينة وقلعتها ، كما باشر فريق من القوات العثمانية بوضع الالغام[4] تحت اسوار المدينة وافلح في قتل حوالي

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٤ . هامر ، ( الترجمة التركية ) ج ٩ ، ص ٥٨ يجعل بدء الحصار يوم ١٠ صفر ١٠٣٥ هـ المصادف ١١ تشرين الثاني ١٦٢٥ م . حاجي خليفة ، تقويم التواريخ ، ص ١٣٣ يجعل بدء الحصار في صفر ١٠٣٥ هـ . مورتمان ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٧ ، ص ٢٦١ ( الطبعة العربية ) يذكر بان الحصار استمر من ١٢ صفر حتى اوائل شوال من عام ١٠٣٥ هـ اى من ١٢ تشرين الثاني ١٦٢٥ الى اول تموز ١٦٢٦ م .

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ .

(٣) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٤ .

(٤) يخطيء المحبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٤ عندما يجعل خسرو باشا هو واضع الالغام تحت الاسوار في هذا الحصار وهو بذلك يخلط بين حصار حافظ احمد وحصار خسرو باشا ١٠٣٩ هـ .

عشرين قزلباشيا (١) ومن جهة اخرى قامت الحامية الايرانية بابطال مفعول الالغام كما سارعت بحفر خندق احتياطي خلف الاسوار تحسبا للطوارئ مما زاد في معنوية المحاصرين وولد التذمر في صفوف القادة العثمانيين مما دعا بعضهم الى اعلان العصيان والمطالبة بالعودة (٢) الا ان حافظ احمد باشا اصرّ على الاستمرار في فرض الحصار ووزع جيشه على طول الاسوار ابتداء من مرقد الامام ابي حنيفة في الجهة الشمالية الى الباب المظلم (قرا قابي) في الجهة الجنوبية (٣) واشرف على حصار هذه الباب كل من والي حلب واغا الانكشارية وكورجي محمد باشا والي الروم ايلي وحاجي الياس باشا والي الاناضول ونوغاي باشا والي مرعش وطيا محمد باشا والي سيواس وجركس حسن باشا والي قرمان بالاضافة الى جماعة السكبانية (٤) وامر باقامة جسر بالقرب من مرقد الامام ابي حنيفة على دجلة وارسل عبره مجموعة من جنوده الى الجانب الغربي (٥) للاستيلاء على قلعة الطيور واتخاذها قاعدة للسيطرة على الاراضي الزراعية الممتدة (٦) بين بغداد والحلة وقد غنم الجيش العثماني فعلا كميات هائلة من الحبوب (٧) مما شجعه

---

(١) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ .

(٢) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ .

(٣) يقول اسكندر تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٤ لقد وصل طول الجيش المحاصر حوالي فرسخ واحد .

(٤) هامر ، (الترجمة التركية) ، ج ٩ ، ص ٥٩ .

(٥) الكرخ

(٦) قوش قلعة ، اوليا جلبي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٢٤ .

(٧) كانت الفترة هي موسم حصاد وصادف ان كان الموسم الزراعي السابق موسما جيدا في كل ارجاء العراق وبشكل خاص في سنجق الحلة لذا استفاد الجيش العثماني كثيرا من تلك الغلال المتنوعة .

على الاستمرار في فرض الحصار وحثّم على الحامية الايرانية الاسراع في ارسال من يخبر الشاه عباس عن محنتهم وعن عزم الجيش العثماني في نيل القلعة طالبين النجدة الفورية ، ومن جهة اخرى كان الشاه عباس قد علم من جواسيسه عن مشروع حافظ احمد باشا بتوجيه حملة الى العراق لذا بادر الى ارسال قواته لنجدة الحامية في بغداد التي وصلت الى القلعة بقيادة مير فتاح[1] قبل استكمال العثمانيين شوؤن الحصار ، ومن جهة اخرى فان طلب صفي قلي خان الاخير حفزه على التوجه بنفسه الى العراق[2] حيث قاد جيشا قوامه ٣٠,٠٠٠ قزلباشي[3] بينما يقول اسكندر تركمان ان الشاه تحرك بمجموعة صغيرة ، ولكن التحق به على طول الطريق افواج من المقاتلين من الولايات الايرانية يحدوهم الامل لزيارة المراقد الشيعية في العراق وكلما تجمعت فرقة من المقاتلين كان يبادر الشاه الى ارسالهم الى الاراضي العراقية بقصد الالتحاق بالقائد زينل بيك الذى ارسل من قبل الى بغداد لنجدة صفي قلي خان[4] .

اما الشاه نفسه فتقدم واقام في موضع يقال له هرون آباد من اعمال ( ماهي دشت ) بالقرب من درتنك قريبا من ولاية بغداد[5] ومن معسكره هذا ارسل حوالي ( ١٠٠٠ ) من المقاتلين المتمرسين في شوؤن الحصار بقيادة خلف بيك[6] وهم يحملون

---

(١) انظر الصفحات السابقة عن هذه الحملة .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٤ .

(٣) نصيبا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٤) تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٥ .

(٥) يجعل المحبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٤ معسكر الشاه على مسافة ثلاثة ايام من بغداد وينسجم قوله مع رواية اسكندر تركمان اعلاه .
انظر ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٥ .

(٦) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٣٤ .

كميات من الرصاص والبارود لامداد الحامية الايرانية في بغداد وكان بين هؤلاء (كلب علي بيك ) بن قاسم خان ايماتلو[1] وفريدون ميرزا بن حسين خان ومرتضى قلي بيك وميرزا خان بيك قاجار وميرزا معصوم عرب غليظي الذين استطاعوا اللحاق بجيش زينل بيك بل تجاوزوه بعد ان اصطحبوا معهم من بين صفوفه ادلاء وحرسا بقيادة نور الدهر بيك للاسراع في ايصال الذخيرة والسلاح الى المحاصرين في قلعة بغداد[2]. ولما وصلت هذه الفرقة الفدائية على مقربة فرسخين من بغداد ارسلت من يخبر اهل القلعة عن مقدمهم ليكونوا على استعداد لفتح الابواب حال وصولهم حيث كانوا في طريقهم عبر مرقد الامام ابي حنيفة الى المدينة ولما علم الجيش العثماني بقدمهم اعترضهم وحدث بين الطرفين قتال مرير وقع فيه كل من برخودار بيك[3] ذى القدر وميرزا معصوم اسيرين بيد العثمانيين في الوقت الذى قتل فيه عدد آخر من القزلباش ولكن الاكثرية استطاعت الافلات والوصول الى المدينة وهم يحملون حوالي (ثلاثة آلاف من ) من الرصاص والبارود[4]. اما اسباب فشل العثمانيين في اعاقة

---

(1) يعلق اسكندر تركمان بقوله لقد تطوع (كلب علي بيك ) في هذه المهمة ليعوض عن اندحار والده قاسم خان حاكم الموصل الذى تركها هاربا امام الجيش العثماني عام ١٠٣٤ هـ تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٥ .
انظر : الفصل الرابع ، ص ٢١٩ من هذه الرسالة .

(2) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٥ .

(3) كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٧٩ .

(4) يبالغ اسكندر تركمان كثيرا عن قدرة وبطولة هذه الفرقة التي استطاعت رغم قلة عدد افرادها اجتياز جيش الدولة العثمانية الذى يقدره ب ( ١٠٠,٠٠٠ ) مقاتل كانوا قد فرضوا الحصار المحكم حول المدينة من كل جناتها . انظر : تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٥ . هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٣٤ .

القزلباش من الوصول الى المدينة فانه يعود الى اختلاف قادتهم في هذا الوقت بالاضافة الى عامل السرعة والمفاجأة الذى خلق الذعر والاضطراب بين صفوفهم كما ان هذه المحاولة الجريئة في ايصال الذخيرة الى المحاصرين رفعت من معنويات الايرانيين المحاصرين فتعالت زغاريدهم داخل القلعة وبادروا الى اقامة معالم الافراح للتأثير على اهل المدينة لا سيما الجماعات المذبذبة الولاء بين الدولتين[1] هذا ومن جهة اخرى فان الشاه عباس بادر الى ارسال حسين خان حاكم لرستان الى قلعة مندلي لاعادة احتلالها وطرد مصطفى باشا العثماني منها كما وبعث يوسف سلطان حاكم كسكر لاسترجاع قلعة (لك) من حاجي خليفة الذى جندته الدولة العثمانية[2] وما كان من مصطفى باشا حاكم مندلي الا ان اعلن الاستسلام للقوات القزلباشية واظهر الولاء للدولة الصفوية وسلّم القلعة لهم فورا ، مما جعل الشاه يقربه ويمنحه لقب سلطان ويلحقه بولاية لرستان التي كان يحكمها حسين خان هذا ولما سمع حاجي بيك حاكم قلعة لك عن احداث قلعة مندلي بادر هو الاخر لتسليم القلعة وهكذا عمل الشاه على افشال خطة حافظ احمد باشا التي تم الاتفاق فيها بينه وبين الحاكمين المذكورين للعمل على اعاقة الجيش القزلباشي الى الاراضي العراقية[3] الا ان الذى عرقل عملية زحف القزلباش الى بغداد بسرعة هو ارتفاع منسوب المياه في نهر ديالى[4] حيث كان على الجيش الصفوي الامامي الذى يقوده زينل بيك[5]

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٥ .

(٢) و (٣) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٣٥ .

(٤) نصيبا ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٦٢ . تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٥ حيث يطلق اسم نهر بهرز على نهر ديالى .

(٥) يجعل نصيبا ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ تعداد جيش زينل بيك ١٠٠٠٠ قزلباشي ، اما صاحب عالم آراى عباسي فلم يحدد عدده .

اجتياز هذا النهر لذا كلف حيدر سلطان بانشاء جسر عليه بمعاونة المعماريين القزلباش ولكن الجيش اضطر الى قضاء فصل الشتاء على ضفاف النهر انتظارا للحصول على كميات من القار كانت ضرورية لاتمام تشييد الجسر(١).

الاشتباك بين الجيش العثماني والجيش الصفوي

اخذت الفرق القزلباشية تتوافد من ايران وتتجمع على ضفاف نهر ديالى وقبل انجاز تشييد الجسر على النهر بعدة ايام اجتاز فريق من جيش زينل بيك النهر بوساطة القوارب حتى بلغ تعداد من عبر منهم حوالي ٢٥ الف مقاتل زحفوا حتى قاربوا معسكرات الجيش العثماني الا ان العثمانيين كانوا متحصنين خلف الخنادق مفضلين الاستمرار في فرض الحصار على الالتحام المباشر مع الجيش القزلباشي محاولين منع الذخيرة والمؤونة من الوصول الى المحاصرين كما انهم كانوا قد اعدوا لانفسهم مكامن من التلال والروابي نصبوا عليها المدافع لدك قلعة بغداد وابراجها في الوقت الذي عرضوا فيه مدفعيتهم الى جزء من الاسوار لاحداث ثغرات فيها تسمح لهجوم مباغت على القلعة الا أن الذي منعهم من النجاح في خطتهم هو استطاعة صفي قلي خان حاكم المدينة في الدفاع عنها ولم يكتف بذلك وانما فتح نيران مدفعيته على الجيش العثماني واعاق تقدمه وادى الى تغيير خطته للدخول الى بغداد من جهة (الباب المظلم)

---

(١) يقول اسكندر تركمان «لقد علم زينل بيك من جواسيسه بان بكر صوباشي كان قد جلب كميات كبيرة من القير ايام فتنته في بغداد لتشييد جسر على نهر دجلة وهذه الكميات كانت مطروحة قرب مرقد الامام ابي حنيفة على مسافة فرسخين من المدينة بغداد. لذا ارسل مجموعة من المقاتلين بلغ عددهم (١٠٠٠) شخص قزلباشي لجلبها وافلحت الخطة رغم وجودها بالقرب من المعسكر العثماني.

انظر: تاريخ عالم آراى عباسي، ج ٣، ص ١٠٣٥.

في النهاية القصوى من القلعة ليكونوا في مأمن من اطلاقات مدافع ابراج قلعة بغداد[1]

وفي هذه الاونة التحق بالجيش العثماني مراد باشا الذى عاد توا من مدينة النجف

حيث فشل في احتلالها بعد حصار دام شهرين[2] وباشر في بغداد بحفر نفق تحت

برج الباب المظلم وملأه بالبارود وفجره حيث تمايل البرج وهوى على الارض انقاضا

ولكن سرعان ما تناقل الخبر الجنود القزلباش المرابطين خلف الاسوار وعلم به الحاكم

الذى اسرع بارسال المقاتلين الى حيث الثغرة لفتح النار على المهاجمين العثمانيين[3]

ولكن رغم ذلك استطاع عدد كبير منهم دخول المدينة وافلح احدهم من رفع العلم

العثماني من على احدى ابراجها ، لذا امر كل من صفي قلي خان وميرفتاح مين باشي

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٨ .

(٢) يعزو اسكندر تركمان اسباب فشل مراد باشا في فتح قلعة النجف الى المعجزات التي اظهرها الامام علي فيها ويرويها بالشكل التالي :

آ ـ لقد اراد احد الانكشاريين فتح النار على قلعة النجف فعادت الاطلاقة واصابت رأسه !!

ب ـ ان صبيا صغيرا لم يكن يعرف استعمال السلاح استطاع تصويب البندقية من القلعة الى جندى انكشارى كان يوجه سبابا الى اهل المدينة وارداه قتيلا !

ج ـ لقد تراءى للعثمانيين في كل ليلة ان هناك اسدا يحوم حول الاسوار لذا لم يستطيعوا مقاربتها .

د ـ كانت اواني الزيوت المخصصة لانارة قناديل المرقد الغروي تمتليء من تلقاء نفسها كلما نفذ الزيت منها !! . تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ص ١٠٥١ ـ ١٠٥٢ . وكان لاشاعة مثل هذه المعجزات وترويجها اثر كبير على حماس المدافعين عن القلعة وهي من الامور التي كانت شائعة في الشرق سواء عند الصفويين او العثمانيين .

(٣) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٨ .

بارسال فرقة من الرماة لمواجهة الموقف حيث وجهت نيرانهم الى الجندي العثماني الذي صعد الى أحدى الابراج ورفع العلم عليها واستطاعوا قتله ، وجرى الالتحام بين الجيش العثماني انتهى بمقتل حوالي خمسة آلاف جندي عثماني بالاضافة الى عدد من القتلى الايرانيين ، ولما وصل هذا النبأ الى زينل بيك اعتبره نصرا للفرس وسارع بارسال من يخبر الشاه بذلك فسرّه ما سمع وصدّق نبوءة المنجمين[1] ! لذا تجدد الحماس في صفوف الجيش القزلباشي واشار زينل بيك بعدم جدوى الجسر الذي اقيم على نهر ديالى واقترح فكه من هناك للاستفادة من قواربه لتشييد جسر على نهر دجلة ووقع الاختيار على موضع يبعد عن بغداد قرابة ثلاثة فراسخ وعن ديالى حوالي ستة فراسخ ، وباشر الجيش الصفوي بنقل السفن الى الموضع الجديد ، ولكن سرعان ما علم العثمانيون بهذه الخطة وتقدم مراد باشا مع (١٥) الف مقاتل ومجموعة من المدافع لافشال الخطة ولكنه وصل بعد فوات الاوان لان القزلباش استطاعوا بسرعة اتمام تشييد الجسر ، ليس هذا فحسب وانما اجتازت مجموعة منهم النهر عبره بقيادة خلف بيك سفره جي باشي ، رغم انهم اكتشفوا اثناء عبورهم خطأ في التشييد ولكن المعماريين الايرانيين بادروا الى اصلاحه على الفور وبذلك اجتاز حوالي ( ٤٠٠٠ ) قزلباشي النهر الى

---

(١) في الوقت الذي كانت الحرب قائمة بين العثمانيين والصفويين في المدينة وخارج اسوارها استدعى الشاه عباس المنجمين ليعرف منهم طالع الحملة ! فاخبروه بان القلعة ستبقى صفوية وان العثمانيين سوف لا يحققون أي مكسب في هذه الحرب ! ! ومن الجدير بالذكر ان اشاعة مثل هذه الاخبار في صفوف الجيش القزلباشي كانت مقصودة حيث كانت تزيد في حماسهم وترفع من معنوياتهم .

انظر : تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٨ .

الجانب الغربي فقابلهم مراد باشا وحدث بين الطرفين قتال عنيف سقط حوالي ( ١٥٠٠ ) جندي عثماني قتيلا بالاضافة الى عدد من الاسرى كان بينهم امراء سناجق كردستان كما جرح مراد باشا نفسه[1].

اما جيش الشاه فكان لا يزال بالقرب من نهر ديالى عندما وصلته اخبار انتصارات بغداد فشجعه ذلك على الزحف صوبها .

ومن جهة أخرى فان حافظ أحمد باشا لما سمع بقرب وصول الشاه الى أطراف بغداد باشر يتفقد جنوده وعمل على رفع معنوياتهم وامر بحفر خندق واسع امام معسكراتهم وشيد الروابي لنصب مدافعه كما تأكد من ان جيشه لا يزال يسيطر على قلعة الطيور في الجانب الغربي وبادر الى امدادهم بالمدفعية والذخيرة وباتت خطته الجديدة هي التأهب التام للدفاع والاستمرار في فرض الحصار دون خوض حرب مباشرة مع القزلباش والشاه عباس لاعتقاده بان ذخيرة وموءونة المحاصرين في القلعة ستنفذ بعد حين وستضطر حاميتها الى الاستسلام[2] وكسباً للوقت ارسل وفدا الى الشاه يعرض عليه الصلح ويخبره بأن السلطان قادم بنفسه على رأس حملة الى العراق فكان جواب الشاه ، بانه استولى على بغداد بعد طرده لاحد المتمردين فيها[3] واضاف قائلا ان حركة ذاك المتمرد كانت موجهة ضد الدولة العثمانية لذا لم يكن احتلال بغداد تجاوزا على السلطة العثمانية بقدر ما كان تأديبا لمتمرد أعلن الاستقلال في ولايته

---

(١) انظر : تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٣٩ .
اما كاتب جلبي في فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٢٨١ فيقول بان بعض الامراء العثمانيين قتلوا واستشهد عدد آخر من افراد الجيش .

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٣ . كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، ص ٨٠ .

(٣) يقصد بكر صوباشي ، الذى اعلن التمرد في بغداد وارسل يستدعي الشاه عباس الذى احتل المدينة عام ١٠٣٢هـ / ١٦٢٣م .

واستطرد قائلا في جوابه ان السلطان يعتبر نفسه حامي الحرمين الشريفين ولي الحق ان اعتبر نفسي حامي الروضتين المطهرتين(١) وختم جوابه بقوله : لو وافق السلطان في التخلي عن هاتين المدينتين المقدستين لساد السلام بين القطرين(٢).
وعاد رسول العثمانيين (علي بيك) بمعية (جاني بيك) شاملو الذى حمل رسالة الشاه الى حافظ احمد باشا الذى رفض عروض الشاه وقال انه يعتبر عودة بغداد وكل العراق الى الوطن الام جزء اساسي لاى صلح مقترح بين الدولتين(٣)، وتعمد اطالة المفاوضات لتعجيز الحامية الايرانية في القلعة الداخلية ولما عاد (جاني بك) اخبر الشاه بعزم الدولة العثمانية واصرارها على فتح بغداد عندها غضب زينل بيك واصر هو الاخر للتوجه الى معسكر الجيش العثماني للالتحام المباشر معه بدل التريث في اطراف بغداد فوافق الشاه على خطته وعبر جنده نهر دجلة والتحق به خلف بيك وجيشه البالغ تعداده ٣٠ الف قزلباشي وجرى تنظيم الجيش الى قلب وميمنة وميسرة واخذ يزحف باتجاه المدينة حتى وصل مسافة لا تبعد سوى فرسخ واحد عنها ورغم ذلك لم يظهر ما يدل على الجيش العثماني بانه سيخرج لخوض القتال(٥).

---

(١) يقصد كربلاء والنجف .
(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٤٥ .
(٣) يذكر كاتب جلبي ، في فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٨١ الخبر بشكل يظهر فيه ان الشاه اراد الاحتفاظ ببغداد لابنه كشرط لتوقيع معاهدة الصلح ويضيف بان طلبه رفض من قبل الصدر الاعظم .
(٤) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٤٥ . اما بشأن تفاصيل المداولات والمفاوضات الخاصة بالصلح بين الدولتين وموقف الانكشارية من عروض الشاه واتهامهم حافظ احمد بالخيانة والتواطىء مع الاعداء فانظر : كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٨٦ وكان موافقا للعملة .
(٥) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٤٥ .

عندها ارسل زينل بيك رسالة الى حافظ احمد يستفزه فيها كخطة لاستدراجه من خلف الخنادق والمتاريس ، ومن جملة ما ذكره في الرساله قوله : لقد جئناك بفوج صغير من جنودنا وليس من شيم الرجال أن لا تخرج لمقابلتنا وانت الذى تدعي الشجاعة والاقدام ، واستمر في زحفه حتى كاد ان يقترب من مدى اطلاقات العثمانيين لذا وجد عدم جدوى ذلك حيث قفل راجعا الى معسكره .

وصول الشاه الى بغداد للمرة الثانية :

كان الشاه عباس يراقب الاحداث من معسكره الكائن قرب نهر ديالى[1] حيث جمع مجلسه العسكرى وعرض عليه الحالة القتالية واوضاع بغداد ومحنة حاميتها التي مرّ عليها حوالي أكثر من ستة شهور وهي في حالة ذعر وخوف بحيث لم يذق أفرادها خلال تلك الفترة طعم الراحة لان العثمانيين كانوا يحيطون بهم من كل جانب ويمنعون عنهم المؤونة والذخيرة ، فكان قرار المجلس هو المبادرة الى قطع الامدادات التي تصل الى العثمانيين من الاطراف لاجبارهم على التفرق بحثا عن العلف للحيوانات ، والطعام لافراد الجيش عند ذلك يمكن خوض حرب مباشرة ضدهم بعيدا عن المتاريس والخنادق[2] فوافق الشاه على الخطة وتحرك الجيش الصفوى باتجاه الموضع الذى يلتقي فيه نهر ديالى بنهر دجلة قريبا من مدينة بغداد وباتجاه الباب المظلم ومنها توجه ( خليل سلطان ) مع فوج من القزلباش الى اطراف سامراء لقطع طريق التموين من الموصل وديار بكر عبر نهر دجلة وتبعه في نفس المهمة ( رستم بك يساول ) . اما المبادرة الثانية من الجيش الصفوى فكانت تشييد جسر على نهر دجلة على مقربة من معسكر الشاه الجديد[3].

---

(١) كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٧٨ .

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٤٦ .

(٣) عند التقاء نهر ديالى بنهر دجلة .

ومن جهة اخرى عرض امام قلي خان بكلربكي فارس رأيا لعبور نهر دجلة الى الجانب الغربي بالقوارب ليباشر بقطع الامدادات التي قد تصل الى العثمانيين من جهات الحلة والبصرة الا ان عرضه رفض من قبل الشاه عباس خوفا من مداهمته من قبل العثمانيين الذين يتواجدون باعداد كبيرة في الجانب الغربي من بغداد بالاضافة الى خطورة اجتياز النهر في موسم كان الفيضان في اوجه ولكنه سمح بعد حين لفوج آخر بقيادة امام قلي بيك لعبور النهر حيث توجه الى اطراف الحلة التي كانت آنئذ تحت حكم ارسلان باشا الوند زاده[(١)] الذى خرج مع جمع من ابناء العشائر العربية لمواجهته حيث حدث القتال بين الطرفين اندحر فيه جيش ارسلان باشا وقتل من جنوده حوالي ١٠٠٠ شخص واضطر الى التوجه للفلوجة ، في الوقت الذى استطاع فيه الجيش الصفوى ان يغنم منه ذخيرة كبيرة كانت قد وصلت اليه من جهات البصرة والجزائر[(٣)] واستمر القزلباش في زحفهم حتى سيطروا على كربلاء والنجف واطرافهما[(٤)] . وبعد مبادرات الفرس هذه اخذ الجيش العثماني يعاني من قلة علف الحيوانات بالاضافة الى تناقص ما كان يدخره من حبوب ، اضطر معها الى سوق الدواب الى الجانب الغربي من النهر حيث يتوافر العشب

---

(١) وهو غير امام قلي خان حاكم اقليم فارس

(٢) الوند اوغلي ، وهو من اسرة الوند زاده الذى سبق ان كان حاكما في بغداد في عام ٩٩٢هـ/١٥٨٤م ، راجع بحث ولاة بغداد ، ص ١٠٧ في الفصل الثاني .

(٣) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٤٧ .

(٤) كان ديلا فال Della Valle في اطراف كربلاء في ٢٩ حزيران ١٦٢٥م ، ويذكر بان المدينتين كانتا بيد القزلباش ولكنه يذكر بان الصحراء كانت تحت سيطرة ونفوذ ابي طالب بن ناصر بن مهنا ( من آل قشعم ) .

Della Valle, op. cit., P. 263.

بشكل افضل ولكن سرعان ما امر الشاه كلا من حسين خان حاكم لرستان واحمد خان اميرارد لان بالتوجه لاختطاف تلك الحيوانات ، وعبر هذان القائدان النهر واخذا يتعقبان الجياد والبغال والجمال حتى عثرا عليها على بعد سبعة فراسخ من بغداد حيث يتوافر العشب واقتادوها بعد قتال مع رعاتها الى المعسكر الصفوي(١) ومن جهة اخرى وقعت قافلة كانت تحمل المؤونة والذخيرة الى الجيش العثماني قادمة من حلب بيد الجيش القزلباشي على مقربة من الفلوجة واقتيدت هي الاخرى الى المعسكر الايراني بكامل ذخيرتها وتموينها . ويذكر نعيما أن خيانة الدفتردار عمر باشا هي التي جعلت الفرس يستولون على (١٢) كلكا(٢) من المؤونة و (٢٢) كلكا(٣) من الذخيرة ، ومما ساهم في اضعاف معنويات الجيش العثماني هو نجاح القزلباش في ايصال الذخيرة والمؤونة الى المحاصرين داخل قلعة بغداد وسط ضجيج من الدعاية للتأثير على سكان بغداد ، لان العثمانيين واهالي بغداد معا كانوا ينتظرون بين يوم وآخر ، ان تفتح الحامية الايرانية ابواب القلعة وتعلن الاستسلام نظرا لما كانت تعانيه من قلة الطعام بسبب الحصار الذي دام أكثر من سبعة شهور وما كاد ان يحل شهر شعبان من عام ١٠٣٥ هـ حتى زادت الحالة سوء لان السكان اخذوا يخزنون كثيرا من المواد الغذائية أستقبالا لشهر رمضان مما ادى الى شحتها في أسواق المدينة واخذ الناس يتبادلونها خفية في البيوت لئلا تقع بيد القزلباش ، لذا ارتفعت الاسعار بشكل كبير وخيم اليأس على افراد الحامية . لذا سارع (صفي قلي خان) الى ارسال احد خاصته الى الشاه عباس ليشرح له سوء الحالة في القلعة وتأثير ذلك على سكان المدينة واستطاع

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٤٧ .
كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٨١ .

(٢) يرجعها كاتب جلبي ، في فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ٧٧ ، ١٢ كيسا من الجبه خانه .

(٣) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ .

هذا ان يوضح الامر للشاه الذى بادر بارسال كميات كبيرة من المؤن عن طريق النهر بوساطة القوارب الى القلعة من الباب المظلم على نهر دجلة المواجهة لمعسكرات الجيش العثماني في الجانب الغربي وكانت العملية مغامرة جريئة كان القصد منها ان تمر تلك السفن المحملة بالمواد الغذائية امام مرأى من سكان بغداد ليطمئنوا الى ان الجيش الصفوى يملك ما يستطيع به أن يموّن المحاصرين ليبادر الاهالي الى طرح سلعهم في الاسواق بدلا من المتاجرة بها سرا خوفا من مصادرتها من قبل القزلباش . ونستطيع ان نفهم مدى المخاطرة التي قام بها القزلباش في هذه العملية اذا علمنا ان الجيش العثماني كان يرابط على الجهة الغربية من النهر ولمسافة نصف فرسخ تقريبا وكله يقظة وحذر ، لذا فان ايصال المؤنة في مثل هذا الحصار كانت عملية انتحارية هذا وان الوسيلة التي تمّت بها العملية كانت ذات شقين خطرين اولهما انزال صفي قلي خان عشر سفن من المجموعة المحفوظة في (حريم قلعة) والمعدة لتشييد الجسور الى نهر دجلة وارسالها مع ثلة من الرماة في ظلمة الليل الى المعسكر الصفوى الكائن في موضع التقاء نهر ديالى بنهر دجلة حيث شحنت بكميات كبيرة من الحنطة والشعير والرز والسمن والدجاج ومجموعة من الاغنام وحتى الحلوى والمربيات وانواع المشروبات وغيرها واخذت تنساب الواحدة تلو الاخرى باتجاه القلعة ليلا وقد تبرع خلف بيك سفرهچي باشي[٢] لهذه المهمة ، ولما كانت السفن العشر لا تستوعب كميات من الطعام تكفي للمحاصرين الذين ظلوا

---

(١) ترکمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٤٨ .

(٢) وهو الذى نجح في السابق في ايصال البارود والرصاص الى المحاصرين في الايام الاولى من الحصار وقدوم الشاه .

يعانون الحرمان فترة تزيد على سبعة شهور ، لذا ارتأى الشاه ارسال حوالي ( ٥٠٠ ) بعير محمل بالمواد الغذائية عن طريق الشاطيء الى موضع يمكن نقلها بواسطة السفن الى القلعة [1]، ومن جهة اخرى لما علم العثمانيون المرابطون على الجهة الغربية من النهر بخطة اعدائهم القزلباش بادروا الى فتح النار عليهم ولكن بعد فوات الاوان حيث ان معظم السفن كانت قد وصلت القلعة واستطاع خلف بيك المسؤول عن حمايتها مشاغلة الجيش العثماني في الوقت الذي تعالت فيه صيحات المعاصرين الى عنان السماء من فرط فرحهم لوصول الطعام ، وبعد ان افرغ خلف بيك تلك الشحنات في القلعة عاد بسلام الى معسكر الشاه ثانية وبعودته عقد الشاه مجلسا حربيا واقترح زينل بيك الالتحام المباشر مع العثمانيين فحضى اقتراحه بالموافقة وارسلت الفرق القزلباشية لخوض غمار الحرب مع العثمانيين الذين لجأوا الى حرب الخنادق والمدفعية [2]، الا ان تفشي المرض في صفوف الجيش العثماني أجبرهم آخر الامر على طلب التفاوض مع الجيش القزلباشي حيث توجه مصطفى اغا من الجانب العثماني الى المعسكر الصفوي عارضا عليهم الصلح وبعد المفاوضات عاد ومعه ( تحفه بيك يوزباشي ) لينقل جواب الشاه الى المعسكر العثماني الا ان اتفاقا لم يتم بين الطرفين وكل ما حدث هو استغلال القيادة العثمانية لهذه المفاوضات وبادرتها الى سحب قواتها تدريجيا كخطوة

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٤٨ . ويؤكد المؤرخ كاتب جلبي في تذكرة كاتب جلبي ، مجلد ثاني ، ص ٨٢ امداد الحامية بالمواد الغذائية ولكن دون ان يحدد كميتها ونوعها .

(٢) : يدان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٤٩ .

للانسحاب التام.[1] ويقول حاجي خليفة ، لقد اضطر حافظ احمد الى الانسحاب بعد ان حل القحط في معسكره ونتيجة فقده لعدد كبير من مقاتليه.[2] ويذكر المحبي ان الغلاء عم في صفوف الجيش العثماني لذا عقد الامراء اجتماعا موسعا طالبوا بالانسحاب ، الا ان حافظ احمد باشا اقترح التريث اسبوعا آخر فوافقوا على اقتراحه الا انهم اعادوا الكرة في نهاية الاسبوع حيث وضعوا محرمة في عنقه وجذبوه :[3] ويقول دحلان ان الامراء حبسوه في قلعة خارج بغداد[4] وقيل — ان الانكشارية هم الذين اجبروه على الانسحاب[5] ولما بادروا بالانسحاب دفنوا المدافع الضخمة[6] خارج بغداد لعدم استطاعتهم جرها نتيجة اعياء حيوانات النقل والجنود معا . وفي هذا المجال يقول المؤرخ بجوى لقد عاد حافظ احمد (( بخفي حنين ))[7] اما رضا قلي خان فيقول لقد انسحب حافظ احمد نتيجة يأسه وتفشي المرض في صفوف جيشه واضطر معها الى ترك حوالي ١٠٠٠ مريض لا يستطيعون الحركة[8] بينما يجعلهم اسكندر تركمان حوالي

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٥٠ .

(٢) تقويم التواريخ ، ص ١٣٢ .

(٣) المحبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

(٤) دحلان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٣ . ابراهيم افندى ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ .

(٥) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ١٢١ .

(٦) يقول ابراهيم افندى في المصدر السابق ، ص ١٧٠ ؛ ان واحدا من هذه المدافع كان يسمى مدفع سليمان دفن خارج بغداد ، ويسميه اسكندر تركمان في تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٥٠ (( مدفع سليماني )) ويضيف بان الشاه عثر عليه وارسله الى اصفهان مع جملة الغنائم والكنوز التي ارسلها من بغداد الى هناك .

(٧) بجوى ، المصدر السابق ، مجلد ثاني ، ص ٤٠٦ .

(٨) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٣٥ .

ثلاثة آلاف مريض أما فترة الحصار فيجعلها الامير كانتمير خمسة شهور ويعزو سبب انسحاب حافظ أحمد الى رداءة الاحوال الجوية[(١)] بينما يجعل محمد امين العمرى مدة الحصار تسعة اشهر، حيث يقول : لقد لحق بالجيش العثماني ضعف بسبب القحط لذا تركها خائبا[(٢)] أما مورتمان فحدده بثمانية شهور تبدأ من ١٢ صفر وتنتهي في اوائل شوال من عام ١٠٣٥هـ اى من ١٣ تشرين الثاني ١٦٢٥م الى اول تموز ١٦٢٦م[(٣)] . ويقول بجوى لقد فشل حافظ احمد في مهمته لذا عزله السلطان من منصبه[(٤)] أما اسكندر تركمان فانه يجعل بدء الحصار في أوائل صفر وانتهاءه في ٩ شوال من عام ١٠٣٥هـ[(٥)] ويضيف : لقد استغل الجيش القزلباشي المتواجد في مناطق مختلفة من العراق تراجع العثمانيين واخذ يشن الغارات المتتالية من بغداد الى اطراف الموصل وخاصة غارات الاكراد الموالين للدولة الصفوية التواقين للحصول على الغنائم من الجيش المنسحب المنهوك ، وفي احدى تلك الغارات أفلح الجيش القزلباشي بفك اسر كل من برخوراد ربيك ذو القدر ومرافق امام قلي خان وميرزا معصوم عرب خليفطي خراساني اللذين أسرهما العثمانيون ليلا عندما تاربا التلعة في بدء الحصار[(٦)] . ويقول اسكندر تركمان ان العراق ظل بيد القزلباش وقد نصح الاطباء الشاه بعدم المكوث لشدة حرارة الجو لذا أرسل الصدقات الى كربلاء والنجف وقام باداء زيارة مرقد الامام موسى الكاظم وعاد الى بلاده عن طريق مندلي[(٧)] .[(٨)]

---

(١) تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٥٠ .

(٢) Cantemir, op. cit., Vol. III., P. 244.

(٣) محمد امين العمرى ، منهل الاولياء ، ص ١٣٧ .

(٤) دائرة المعارف الاسلامية ، م ٥ ، ص ٢٦١ (الطبعة العربية )

(٥) بجوى ، المصدر السابق ، مجلد ثاني ، ص ٤٠٧ .

(٦) و (٧) و (٨ ) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٥٠ .

## ٢- حملة خسرو باشا لاسترجاع بغداد (١)

لم تنس الدولة العثمانية بغداد مطلقا ، وكانت تعتبر استرجاعها من الايرانيين مسألة مصيرية حيث لم يكد العراق ينعم بفترة سلم نسبي حتى نظمت الدولة العثمانية حملة عسكرية اناطت قيادتها الى السردار خسرو باشا (٢) البشناقي (٣) الذى بادر الى تجهيز جيش كبير توجه به عن طريق آق شهر وقونيه الى حلب (٤) ومنها الى برجك حيث امر فيها بصنع ( الشخاتير ) الكبيرة لنقل التجهيزات الى الفلوجة (٥) ثم توجه من برجك الى ديار بكر ومنها الى الموصل (٦) حيث فكر فيها بالتوجه الى شهرزور (٧) لاحتلالها

(١) اشتهر خسرو باشا بالشجاعة والاقدام الا انه كان ميالا للدسائس وسفك الدماء فقد قضى على جميع العقبات التي اعترضته بالدم المسفوك ، وتميزت السبل التي سلكها للوصول الى اهدافه بسلسلة من احداث القتل .
انظر : كرامرز : دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ ، ص ٣٢٠ ( الطبعة العربية ) .

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٠ .
نامي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

(٣) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .
البوشناق : تعني البوسنه ، فريد ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٤) هامر ، ( الترجمة التركية ) ج ٩ ، ص ١٠٩ ويقول لقد توقف فيها سبعة عشر يوما .

(٥) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٨٧ .
ويجعلها هامر ( الترجمة التركية ) ، ج ٩ ، ص ١١٠ مائة سفينة .

(٦) نامي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ويقول المؤلف لقد احتلها وهذا يعني انها كانت بيد الموالين للقزلباش في هذه الفترة ، ويقول هامر لقد دخلها في ١ جمادى الاولى ١٠٣٩ هـ المصادف ١٧ كانون الاول ١٦٢٩ م . ويقول كاتب جلبي ، انه مكث فيها ردحا من الزمن لشراء الحيوانات لجرّ المدافع وخاصة الجاموس .
انظر : هامر ، ( النسخة التركية ) ، ج ٩ ، ص ١٠٠ . كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، مجلد ثاني ، ص ١١٦ . بيچوى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤١١ .

(٧) Huart, op. cit., P. 63.

وبجعلها قاعدة لغزواته ولتأمين مؤخرة جيشه من الخطر الاردلاني ، لان الاراضي المحيطة ببغداد في هذه الفترة كانت موحلة بسبب الفيضان[1] لذا ابقى معظم مدافعه في الموصل على امل ارسالها عن طريق نهر دجلة الى اطراف بغداد كما بادر الى ارسال القسم الاخر منها بصحبة فرقة انكشارية الى اطراف الحلة عن طريق البروصاد فوصول هؤلاء مع موسم الحصاد حيث استطاع الجيش العثماني الاستحواذ على معظم الغلال في تلك الارجاء وبذلك وفّر للحملة التموين اللازم ، اما خسرو باشا نفسه فتوجه الى شهرزور . ويجعل الايرانيون مرض احمد خان اردلاني حليفهم سببا في نجاح خسرو باشا في احتلالها حيث لم يستطع الخروج بجيشه لقتاله ، بالاضافة الى الخلاف الحاد بين الامراء الاكراد في اردلان وبخاصة بين احمد خان

---

(١) معظم الروايات تؤكد ذلك :

ويقول كرامرز ، في دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ ، ص ٣٢٨ (الطبعة العربية) بهذا الخصوص : أن السيول التي غمرت البلاد أخرت خسرو باشا سبعين يوما من التوجه الى بغداد .

ويؤكد ذلك عامر ، (الترجمة التركية) ، ج ٩ ، ص ١١١ .

ونعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ص ١٠ — ١١ .

اما نظمي زاده فانه يقول ... ان الذي اخر توجه خسرو باشا الى بغداد نحو موسم الصيهود ، حيث تعذر على الاكلاك المحملة بالمدفعية والذخيرة والمتجهة من الموصل الى بغداد السير في فترة انخفاض مستوى الماء .

انظر :

نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

واخيه مامون بك مما اربك القيادة الكردية وسهل مهمة القائد العثماني[1]. ومن جهة اخرى يذكر (لوكارت) Lockhart ان الشاه صفي الذى اعقب جده الشاه عباس لم يكن جديرا بتحمل المسؤولية العسكرية بالاضافة الى تورطه مع المغول في عمليات قندهار على الحدود الشرقية من بلاده[2] لذا استطاع خسرو باشا فتح ولاية

---

(١) اسكندر بيك تركمان ومحمد يوسف، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي، تصحيح سهيل خونسارى، چاپخانه اسلامية، (تهران، ١٣١٧ شمسي) ص ٤١. لقد توقف اسكندر بك تركمان عن الكتابة بعد موت الشاه عباس عام ١٠٣٨ هـ ثم استأنف ليكتب تحت الحاح الحاشية فأرخ السنوات الخمسة الاولى من حكم الشاه صفي اى الى عام ١٠٤٣ هـ ثم توفي واضاف المحقق بقية احداث عهد الشاه صفي اى حتى عام ١٠٥٢ هـ الى ذيل تاريخ عالم آراى عباسي من كتاب (خلد برين) لمحمد يوسف الذى الف كتابه في الفترة بين ١٠٧٨ — ١١٠٥ هـ وكان عمره قد تجاوز السبعين اى ان المؤلف شهد الاحداث في طفولته.

وفي الصفحات التالية سأشير الى الاحداث لغاية ١٠٤٣ هـ ب تركمان، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي وبعد عام ١٠٤٣ هـ، محمد يوسف، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي

(٢) Laurence Lockhart, The Fall of the Safavi Dynasty, and the Afghan Occupation of Persia, Cambridge, 1957, P. 27.

توفي الشاه عباس عام ١٠٣٨ هـ/ ١٦٢٩ م وخلفه حفيده الشاه صفي ١٠٣٨ هـ — ١٠٥٢ هـ.

انظر: ص ٢٤٢ هامش رقم ٣ من هذا البحث.

شهرزور بسهولة ويسر والسيطرة على قلعتها (كل عنبر)[1]، فاعاد بناءها[2] واسكن فيها جماعة من اتباعه ومؤيديه[3] واقام فيها قرابة شهرين[4] ومنح حاكمية الولاية الى مصطفى

---

(١) كاتب جلبي، جهانما، ص ٤٤٦ ، كاتب جلبي، فذلكة كاتب جلبي، جلد ثاني، ص ١١٨ . عامر، (الترجمة التركية)، ج ٩، ص ١١٣ . وينفرد المؤرخ بجوي في تسميتها (كل احمر) في موضعين بدلا من كل عنبر، انظر: تاريخ بجوي ج ٢، ص ٤١٢، ص ٤١٨ . ويجعلها العزاوي حلبجة الحالية، انظر تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٤، ص ١٩٨ . اما لونكريك فيجعلها (شوربال)، انظر المصدر السابق، ص ٨٨ . وعن تاريخ هذه القلعة نقول بان الشاه عباس كان قد خرب اثناء فتوحاته في جهات كردستان معظم قلاع شهرزور ومنها قلعة (ظلم)، او (زلم) وقلعة كل عنبر التي بناها السلطان سليمان القانوني اثناء احتلاله بغداد عام ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤ م على رواية كاتب جلبي ونعيما . انظر فذلكة كاتب جلبي، جلد ثاني، ص ١١٨، وتاريخ نعيما، ج ٣، ص ١٦ .

(٢) هدايت، المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٤٢ . الغرابي، تاريخ عيون اخبار الاعيان، على هامش ريجارد كوك، ج ٢، ص ٣٣ تعليق المترجمان الدكتور مصطفى جواد وفؤاد جميل .

(٣) نظامي زاده، المصدر السابق، ص ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ . كان من بين من قدم الولاء له من الامراء الاكراد ظالم علي ومأمون خان وامراء كل من هاوار وكسانه وشهربازار ودمور قبو وجنداد وخوسير ومزار ميرد ودلشواران ومركاره وحرير وويز ونيل وطاوي وزنجير كرقبو ومنزل عجوز وابراوان وبلنكان وباسكي ودوان وقزلجه قلعة وباوره برنده وقلعة غازي ونحل لب باريل وچنار كدركي ومريوان . ويعلق كاتب جلبي الذي اورد هذا ان الاكراد لا يمكن الاعتماد على ولائهم لانهم ينحازون دوما الى الدولة الاقوى (انظر: فذلكة كاتب جلبي، جلد ثاني، ص ١١٩) . ويقول نعيما ان هولاء الامراء قدموا طاعتهم رهبة ورغبة، انظر المصدر السابق، ج ٣، ص ص ١٥ و ١٦ .

(٤) الغرابي، تاريخ عيون اخبار الاعيان، هامش ريجارد كوك، ج ٢، ص ٣٣، تعليق المترجمان .

Cantemir, op. cit., Vol. III., P. 245.

باشا ، وفي هذا المجال يقول المؤرخ نعيما ان خسرو باشا اضاع وقته وارواح جنده في سبيل القيام بحملات صغيرة الهته عن مهمته الاساسية التي ذهب من اجلها وهي استرجاع بغداد .[1] ومن جهة اخرى فان الجيش الايراني البالغ عدده ٤٥ الف مقاتل[2] بقيادة زينل بيك شاملو[3] والمتواجد في اطراف شهربان[4] تقدم باتجاه ( ماهي دشت ) لمواجهة العثمانيين الا ان خسرو باشا ارسل جيشا بقيادة نبي باشا الى جهات[5] قلعة مريوان في حدود ولاية شهرزور ورغم رفض الامراء والقادة القزلباش[6] مواجهة الجيش العثماني الا ان اصرار وعزم وغرور زينل بيك[7] قاد الجيش الصفوي الى ساحة الحرب واستطاع في البداية قهر طلائع الجيش العثماني وقتل منهم قرابة ( ٣٠٠ ) انكشاري كما حصل جيشه على غنائم وفيرة اضطر معه الجيش العثماني على الانسحاب الى سفوح الجبال بعد ان اغرق المنطقة بالمياه وعندما حاول جيش زينل بيك اللحاق بهم غاصت جياد هم في الاوحال لذا امر القادة العثمانيون وهم يوسف باشا بكلربكي

---

(١) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٩ .

(٢) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

(٣) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٤١ .

(٤) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٤١ .
بينما يذكرها نظمي زاده ، مهربان ، انظر : كلشن خلفا ، ص ٢٢٥ .
وكذلك : Huart, op. cit., P. 64.

(٥) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٤١ ويجعله خطيبا جمهوري الصوت

(٦) كرامرز ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ ، ص ٣٢٩ ( الطبعة العربية ) .

(٧) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٥٢ .
ويسميه محمد امين العمري خطأ ( زين خان ) انظر : منهل الاولياء ، ص ١٣٧ .

الروملي وخليل باشا الوزير الاعظم السابق وجركس محمد باشا وحسن باشا الذين كانوا يقودون هذه المجموعة بفتح نيران مدافعهم من سفوح الجبال على الجيش القزلباشي المتورط وقتلوا منه اعدادا غفيرة اما البقية فانها لاذت بالفرار بعد ترك جيادها(١) وان اندحار زينل بيك في مهربان(٢) شجع الجيش العثماني على التوغل في الاراضي الايرانية حتى وصل همدان(٣) وبعد اقامة ستة ايام اتسمت بالنهب والتخريب توجه الى درگزين(٤) عن طريق قزوين وباد رالى تخريبها ايضا وكان مقصده مواجهة

---

(١) بيچوى ، المصدر السابق ، جلد ثاني ، ص ٤١٢ .

(٢) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٤٢ .

(٣) كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ١١٩ ويجعل تاريخ الاندحار في اوائل شهر رمضان ، اما بچوى ، فيجعله في ٢٢ رمضان ١٠٣٩ هـ انظر : تاريخ بيچوى ، ج ٢ ، ص ٤١٢ .

(٤) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ١٢٢ .

وبيچوى ، حيث يجعل دخوله همدان في اواخر شوال ١٠٣٩ هـ انظر : تاريخ بيچوى ، ج ٢ ، ص ٤١٥ ، اما محمد فريد فيجعله في حزيران ١٦٣٠ م انظر : فريد ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

انظر كذلك محمد امين العمري ، منهل الاولياء ، ص ١٣٧ .

ابراهيم افندى ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ .

و

Huart, op. cit., P. 64.

(٥) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٤٢ .

نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥ . نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥

ياسين العمرى ، الدر المكنون ، هامش ريجارد كوك ، ج ٢ ، ص ٣٤ المترجمان الدكتور مصطفى جواد وفؤاد جميل .

الشاه صفي الذى كان يقيم فيها آنئذ (١) الامر الذى اغضب الشاه ونسب مسوؤلية تلك التجاوزات الى حماقة زينل بيك وجبنه وارسل يستدعيه ولما حضر بلاطه امر خواجه سرايان بقتله ومن جهة اخرى فان خسرو باشا عندما شارف على اطراف قزوين بعث (٢) رسالة الى الشاه صفي يعزيه بموت جده الشاه عباس (٣) ويبارك له توليه العرش ويدعوه للصلح وكانت خطته كسب الوقت للتوجه الى بغداد هدفه الاصلي لا سيما بعد ان وصله امر سلطاني بالتوجه اليها ، لذا ترك الاراضي الايرانية وفي طريقه امطر نهاوند بوابل من قنابل مدفعيته وواصل سيره باتجاه حلوان حيث وصلها في (٤) ذى القعدة من عام

---

(١) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٢١ .

(٢) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٥٢ .
هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٤٢ .
كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ١١٩ .
كرامرز ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ ، ص ٣٢٩ (الطبعة العربية )

(٣) توفي الشاه عباس يوم الخميس ٢٤ جمادى الاول ١٠٣٨ هـ في طريقه بين قزوين ومازندران وبعد ثمانية ايام من موته تبوء حفيده سام ميرزا ابن صفي ميرزا ـ الذى لقب بشاه صفي ـ عرش الدولة الصفوية وكان له من العمر ثمانية عشر سنة وبرهن على انه غير جدير بتبوء مكانة جده الشاه عباس حيث فقد كثيرا من صلاحياته التي انتقلت تدريجيا الى وزرائه وامتاز هذا الشاه الصبي بالتهور والقسوة وسفك الدماء والمجون مما سببت تفكك الدولة الصفوية .

Lockhart, The Fall of the Safavi Dynasty, P.27.

(٤) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٣٧ .
[illegible] زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

Huart, op. cit., I. 64.

١٠٣٩ هـ واستمر في زحفه حتى وصل جبل بيستون ثم سلك طريق ( دره تنك ) وقصر[1] شرين متجها الى بغداد[2] حيث وصلها في اليوم الثامن من ربيع الاول[3] من عام ١٠٤٠ هـ،[4] ومكث ينتظر مدافعه التي شحنت من الموصل ويقول اسكندر تركمان انه اتخذ المنطقة القريبة من مرقد الامام ابي حنيفة معسكرا لجيشه[5] ويؤكد ذلك المؤرخ التركي نعيما حيث يقول : لقد ادى السردار في مرقد الامام ابي حنيفة فريضة الجمعة ثم خطب في جيشه قائلا : "اننا جميعا نستمد العزم والقوة من ارواح الاولياء وليكن صاحب هذا القبر مُعيننا وملهمنا في خطواتنا". ثم شرع بفرض الحصار[6] وتتفاوت الروايات في تحديد تاريخ

---

(١) كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، جلد ثاني ، ص ١٢٤ .

(٢)
Hammer, op. cit., Vol. 9., I. 149.
كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .
نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٧ .

(٣) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٥٣ . وهامر ، ( الترجمة التركية ) ، ج ٩ ، ص ١٢١ - ١٢٢ يجعل وصوله الى بغداد في يوم ٢٨ محرم ١٠٤٠ هـ المصادف ١٦ ايلول ١٦٣٠ م ويجعل وصول مدافعه يوم ١٢ صفر وعودته في ٨ ربيع الآخر من نفس العام . بينما يجعل أوليا جلبي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٠٢ رجوعه في ٢٧ صفر ١٠٤٠ هـ .

(٤) حاجي خليفة ، تقويم التواريخ ، ص ١٣٣ . وبيجوى ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤١٧ .

(٥) تتفاوت المصادر التاريخية في تحديد جيش خسرو باشا . فتراوحت الروايات في تقديره بين ٣٠٠٠٠ - ١٥٠٠٠٠ جندي . انظر تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٥٣ . دحلان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٢ .

(٦) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٧ .
وهذا يدل بشكل واضح على ان مرقد الامام ابو حنيفه كان قائما خلافا لما تكتبه المراجع الحديثة من ان الرافضة قد هدموا المرقد وحولوه انقاضا .

الشروع بالحصار حيث يجعله نعيما في ٢٠ محرم من عام ١٠٤٠هـ(١) بينما يجعل اسكندر تركمان وصوله الى بغداد في ٨ ربيع الاول ١٠٤٠ هـ(٢) . وفي بغداد مكث ينتظر مدافعه التي ارسلت عن طريق النهر من الموصل وعند وصولها باشر بفرض الحصار على المدينة ابتداء من البرج الشمالي المطل على النهر الى الزاوية الشرقية حيث اشرف عليها بنفسه الى الجانب الجنوبي (الباب المظلم) فأناط قيادتها الى زور باشا وهو احد البكلربكية الشروانيين ، اما نعيما فيقول ان مسؤولية فرض الحصار على القلعة الداخلية أنيطت الى ابير من امراء الروم ايلي هو يوسف باشا(٤) كما بادر الى تقسيم المشاة والفرسان الى اقسام

---

(١) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٧ .

(٢) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٥٣ .
ويذكر كاتب جلبي ، في تذكرته ، مجلد ثاني ، ص ١٢٤ بان وصوله الى مرقد الامام ابي حنيفة كان في يوم ٢٨ محرم ويجعل رجوعه في ٨ ربيع الاول . ويؤكد نظمي زاده شهر محرم تاريخا لوصول القوات العثمانية الى بغداد . انظر : كلشن خلفا ، ص ٢٢٦ . وكذلك الغرابي ، في تاريخ عيون اخبار الاعيان على هامش ريجارد كسوك ج ٢ ، ص ٣٣ ، المترجمان .

Huart, op. cit., P. 5.
و :
وهذه الروايات مضطربة لان قتالا حدث في بغداد بين قوات خسرو باشا والقزلباش بتاريخ ٣ ربيع الثاني ويؤكده نعيما في تاريخه . لذا لا يصح ان يكون عودة الجيش قبل ٣ ربيع الثاني من عام ١٠٤٠ هـ ومن جهة اخرى ان كل المصادر التركية والفارسية تؤكد على ان الحصار دام اربعين يوما لذا لا يمكن قبول الرأي القائل بان الحصار بدأ في شهر محرم ويصح ان يكون وصول خسرو باشا الى اطراف بغداد في هذا التاريخ .

(٣) بسبها نعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٧ قلعة سليمان لان السلطان سليمان القانوني عندما فتح بغداد عام ١٥٣٤م امر بتجديدها .

(٤) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

حيث يقول نعيما : لقد قسّم السردار جيشه الى وحدات[1] ووضع ست طوائف منها في الجانب الشرقي كما امر بنصب المدافع في الجانب الغربي من النهر حيث باشر (( الطوبجية )) المهرة بصب نيران مدافعهم على القلعة الداخلية الواقعة في الجانب الشرقي ، حيث كانت الوف الاطلاقات توجه يوميا الى سور بغداد وقلعتها[2] ومن جهة اخرى ان (كنج عثمان ) قدم الى العراق عن طريق الفرات ووصل الفلوجه ومنها توجه الى الحلة بقصد الاستيلاء عليها[3] في الوقت الذى انصرف افراد الحامية الايرانية في بغداد الى حفر الخنادق الاضافية كأجراء احتياطي ، وكانت حالتهم النفسية منهارة تماما الا ان صفي قلي خان حاكم المدينة وميرفتاح مين باشي قائد القزلباش وامير بطال احد الامراء البارزين كانوا يعملون بهمة ونشاط مستميتين في سد الثغرات التي تفتحها اطلاقات المدافع العثمانية في الاسوار ، واستمرت الحرب سجالا بين الطرفين وغامر القزلباش في الهجوم بتاريخ ١٩ ربيع الاول على الجيش العثماني ولكن القتال اسفر عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى الايرانيين[4] وتشجيع العثمانيين على الزحف باتجاه اسوار بغداد . ويذكر نعيما نقلا عن كاتب جلبي الذى كان مرافقا للحملة العثمانية قائلا[5] : (( ان جميع الجنود قد اقاموا المتاريس امام سرادقهم ولكنهم رغم ذلك

---

(١) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٥٠
كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، مجلد ثاني ، ص ٢٩٩ .

(٢) يقول نعيما كانت المدافع توجه من قلعة الطيور في الجانب الغربي . انظر : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٨ .

(٣) العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٩٩ نقلا من مصدر آخر .
يعقوب سركيس ، مباحث عراقية ، ق ٢ ، ص ٣٤٢ نقلا من مصدر آخر .

(٤) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٩
كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٥) كان يعمل كاتبا في الجيش العثماني ووصف الحصار في مؤلفه ، فذلكة كاتب جلبي ، مجلد ثاني ، ص ٢٩٩ .

خسروا كثيرا من جنود هم كان بينهم الروزنامه جي منصور افندى الجركسي بالاضافة الى فقد كبير من حيواناتهم برصاص المدفعية الايرانية وغارات القزلباش الليلية[1] ويستطرد قائـــلا وفي غرة ربيع الثاني عثر العثمانيون على ١٧ لغما استطاعوا ابطالها جميعا[2]. امـــا اسكندر تركمان فيقول : وفي يوم الجمعة الثالث من ربيع الثاني ١٠٤٠هـ حاول العثمانيون شن عدة هجمات على المدينة من جميع اطرافها[3] الا ان تلك المحاولات باءت بالفشـــل ولات مرات وفي المرة الرابعة اغار العثمانيون بشجاعة نادرة واستطاع البعض منهـــم اجتياز الخنادق والمتاريس فالتحم الجيشان وتعانقت السيوف الا ان المدفعيـــــة الايرانية افلحت مرة اخرى في ايقاف زحفهم واجبرتهم على الانسحاب وخسر خسرو باشـــا في هذه الاغارة عددا كبيرا من جنوده[4] بينما يذكر نصيبا ان المعركة الاخيرة استمرت ساعة كاملة وخسر فيها الطرفان عددا كبيرا من القتلى والجرحى[5]، ويضيف قائلا ان مدفعية خسرو باشا استطاعت ان تهدم نصف الاسوار وتسويها بالارض كما انه لم يبق من قلعـــة السلطان سليمان )[6] الا نصفها لكنه رغم ذلك كله لم يستطع الجيش العثماني التوغل الى داخل بغداد بسبب تراكم الاتربة وانقاض الاسوار اضافة لما اقامه القزلباش من روابـــي وما حفروه من خنادق ويستطرد قائلا : لقد جرت عدة محاولات عثمانية لردم الخنـــدق

---

(١) نصيبا، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٨.
(٢) كاتب جلبي، فذلكة كاتب جلبي، جلد ثاني، ص ٢٩٩.
(٣) نصيبا، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٩.
(٤) نوذان، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي، ص ٥٤.
(٥) نفس المصدر، ص ٥٤.
(٦) نصيبا، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٩.
(٧) القلعة الداخلية.

وتسوية الطريق الا ان هجمات القزلباش كانت تحول دون ذلك ويستمر نعيما في سرده لاحداث المعركة بقوله ان الخطأ الرئيسي في هذا الالتحام يتحمله بشكل مشترك رئيسا الجبه جيه والطوبجية اللذان سببا هذه الكارثة التي ادت الى مقتل مجموعة من خيرة القادة العثمانيين كان بينهم (كنج عثمان)[1] الذي اصيب برصاصة سقط على اثرها في نهر دجلة ورغم انقاذه من قبل احد اتباعه الا انه غرق اثناء محاولته عبور النهر الى الجهة الاخرى[2] وبرزت في هذه المعركة بطولات عثمانية فردية كان منها محاولة احد غلمان مرتضى باشا اعتلاء احد ابراج بغداد ورفع العلم العثماني عليه الا انه سرعان ما سقط شهيدا برصاص القزلباش[3] وفي نهاية المطاف وجد خسرو باشا ان لا مناص له من الانسحاب لذا حمل ما يمكن حمله من المدافع والمعدات وامر جيشه باجتياز نهر دجلة الى الجانب الغربي واقام معسكره الى جوار مرقد الامام موسى الكاظم عدة ايام ريثما يستكمل عملية جمع بقية جيشه ايذانا بالانسحاب والعودة ، هذا وان حصار بغداد استمر مدة اربعين يوما[4] حيث قال المصري لقد رحل خسرو باشا خائبا[5] . اما ابراهيم افندي فقال : لقد طال امد الحصار وفقد السردار جانبا كبيرا من جنده دون أن يحقق اي نتيجة لذا رجع

---

(١) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠ .
(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٠ .
(٣) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٥٠ .
(٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٥٠ ، بينما يجعله الاميركانتمير ٤١ يوما . وعلى ما يبدو ان المؤرخين يكثرون من القول بان الحصار دام اربعين يوما وان زاد أو نقص انظر :

Cantemir, op. cit., Vol. III., P. 245.

(٥) محمد امين المصري ، منهل الاولياء ، ص ١٣٧ .

عنها.[1] اما اوليا جلبي فيعزو خذلان خسرو باشا الى كثرة الغنائم التي حصل عليها في الايام الاولى في منطقة الحلة والتي وصلت حدّ الاشباع ويعلق ان الاسود لا تكون مفترسة الا اذا شعرت بالجوع.[2] اما اسكندر تركمان فيقول : أن عدد قتلى الجيش العثماني في هذه المعارك وصل الى حوالي عشرة آلاف ، لذا اضطر على التراجع دون تحقيق اى مكسب.[3] وتحوى منشآت فريدون بك اربع وثائق اصدرها السلطان مراد الرابع الى خسرو باشا وهي تدل على ان السلطان كان راضيا عنه اول الامر ويعمل على تشجيعه[4] ولكنه اقتنع آخر الامر بعدم كفايته فخلعه من منصبه كصدراعظم[5] في ٢٩ ربيع الاول ١٠٤٠ هـ (المصادف ٢٥ تشرين الاول ١٦٣١م) واقام مقامه حافظ احمد باشا للمرة الثانية[6] ، الا ان خلع خسرو باشا من منصبه كان بمثابة الشرارة التي اشعلت فتنة الجند في الاستانه وفي الاناضول وهي الفتنة التي اطاحت برأس الصدر الاعظم حافظ باشا في ١٠ شباط ١٦٣٢ وكادت ان تؤدى الى خلع السلطان نفسه.[7] ويعزو نعيما اسباب فشل خسرو باشا في استرجاع بغداد الى التصرفات الشائنة لبعض البكلربكية والقادة العسكريين امثال قره قوبنجي والمشلجية والى الصراع الذى

---

(١) ابراهيم افندى ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ ويقول ان خسرو باشا بادر الى تخريب الجسر بعد عبوره عليه .
(٢) سياحتنامه سي ، ج ٤ ، ص ٤٠٣ .
(٣) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٥٤ .
(٤) فريدون بك ، مجموعة منشآت ، ج ٢ ، استانبول ، ١٢٧٥ ، ص ص ١٧٩ ـ ١٨٨ .
(٥) كاتب جلبي ، فذلكة كاتب جلبي ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .
(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .
(٧) كرامرز ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ ، ص ٣٣٠ (الطبعة العربية) .
(٧) كرامرز ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٨ ، ص ٣٣٠ (الطبعة العربية) .

وقع بين افراد السباهية والانكشارية حتى وصل حدّ الاشتباك المسلح حيث قتل من جرائه كاتب السباهية (خيلي افندي) كما توفي زور باشا من الانكشارية ويضيف قائلا ان مائة من الانكشارية قد قتلوا كان بينهم عدد كبير من امراء الفرق ويعلق هذا المؤرخ بان المعسكر العثماني تحول الى مأتم كبير حيث أخذ خسرو باشا ينتحب بحرقة وانهمرت دموعه بغزارة وشاركه في البكاء كل من كجك احمد باشا ومصطفى باشا حاكم الشام، ووسط هذه المناحة قام زور قاسم خطيبا وطالب بالعودة فغضب خسرو باشا لا سيما عندما تجرأ المتكلم وقال اننا لسنا بحاجة الى مثل هذا الفتح[1] كما ان ارناوود اسكندر الذي كان من أشد المعارضين لسياسة خسرو باشا قال لصديقه يعقوب بيك: انني سأتف في وجه خسرو هذا حتى لو كلفني ذلك رأسي[2] ووسط هذه المعارضة السائرة قرر خسرو باشا العودة[3] بعد أن وافق على قرار يدعو الى توجيه حملة يقودها خليل باشا الى مدينة الحلة لاحتلالها[4] لان البعض أكد بان الذخائر التي تأتي الى بغداد انما تأتي معظمها من هذه البلدة[5]، ولجعلها ركيزة للجيش العثماني عند المعاودة

---

(١) نعيما، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥١.

(٢) لقد رجا صديقه في حالة قتله ان يدفنه الى جوار مرقد الامام موسى الكاظم وقد قتل فعلا عندما بادر الى توجيه كلمات نابية الى الصدر الاعظم خسرو باشا، ويبدو لي أن صراعا طائفيا حدث في صفوف الجيش العثماني. انظر: نعيما، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥١.

(٣) يقول هدايت، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٤٤٢ ان خسرو باشا كان يرغب في الاستمرار في فرض الحصار الا ان قادة الجيش اجبروه على العودة.

(٤) بجوي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٨.

(٥) الغرابي، تاريخ عيون اخبار الاعيان نقلا من هامش ريجارد كوك، ج ٢، ص ٢٤، المترجمان.

لتنخ بغداد . وهكذا رحل خسرو باشا وبقية جيشه الى الموصل(١) ومنها توجه الى ديار بكر ماردين(٢)

حصار الحلة واحتلالها من قبل الجيش العثماني بقيادة خليل باشا :

لقد قاد خليل باشا يعاونه علي باشا كسكن وذو الفقار باشا جيشا من المشاة والفرسان بلغ تعداده بين ١٢ — ٢٠ الفا(٣) توجه بهم الى الحلة(٤) وبادر بفرض الحصار عليها(٥) والذى دام من ٤٠ — ٥٠ يوما استطاع في نهايته السيطرة على المدينة واحتلالها(٦) ولما علم حاكم بغداد (صفي قلي خان) باحتلال الحلة ارسل جيشا بقيادة رستم بيك ديوان بكي اليها(٧) في الوقت الذى ارسل من يخبر الشاه صفي عن حوادث الحلة ويطلب منه النجدة الفورية ، عندها تحرك الشاه وجيشه باتجاه العراق ووصل بغداد في اليوم الرابع من شهر جمادى الثانية ١٠٤٠هـ(٨) وبعد الاطلاع على شؤونها

---

(١) الحاجي خليفة ، تقويم التواريخ ، ص١٣٣ .
(٢) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص٥٦ .
(٣) يخطئ هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص٤٤٣ عندما يجعل خسرو باشا هو قائد الحملة الى الحلة .
يذكر اسكندر تركمان ، في ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص٦٢ ان جيشه كان يضم في بداية الامر (٦٠٠٠) مقاتل ولكن التحق به عدد من اللوند وبعض افراد القبائل العربية حتى وصل تعداده ١٢ الف مقاتل . بينما يجعله العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص١٠٢ عشرين الفا نقلا من مصدر آخر . وكذلك لونكريك ، المصدر السابق ، ص٩٠ .
(٤) كانت الحلة محمية من ثلاثة جهات بالاسوار والخنادق وكان النهر يحميها من الجهة الرابعة . انظر : تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص٦١ .
(٥) نفس المصدر ، ص٦٢ .
(٦) نفس المصدر ، ص٦٢ ويسميه هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص٤٢٣ رستم بساول .
(٧) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص٦٢ . بينما يجعل هدايت (— —)

انسحب منه افراد حامية الحلة من القزلباش الذين تركوها ابان احتلالها من قبل خليل باشا ليكونوا له ادلاء وزحف بهم باتجاه الحلة للالتحاق بالجيش الذى ارسله من قبل ( صفي قلي خان ) اليها والذى باشر باقامة جسر على نهرها ولكن الجيش العثماني المرابط في المدينة والقلعة كان يمطر القزلباش بوابل من نيران مدفعيته ويحرق اعمالهم ،لذا اضطر الايرانيون الى الابتعاد حوالي ٥ ـ ٦ فراسخ باتجاه جنوب الحلة حيث استحوذوا على عدة سفن وقوارب بمساعدة الشيخ ( مهنا ) من آل شمر ، الموالي للدولة الصفوية[(١)] ،وبواسطة هذه السفن تم نقل معدات الجيش القزلباشي الى الجانب الاخر من النهر ولكن بصعوبة بالغة حيث ادت الى خسرانهم لعديد من المعدات والجمال . ولكن بالرغم من كل ذلك استطاع الجيش الايراني ان يقارب القلعة في الوقت الذى وصل فيه جيش الشاه صفي وباشر بفرض الحصار على المدينة من جانبها الاخر . وهكذا بادر رستم بيك الى توجيه انذار الى المحاصرين يدعوهم فيه الى الاستسلام ويهددهم بأن لا مفر لهم من ذلك[(٢)] الا أن خليل باشا قائد الحملة العثمانية رفض بإباء تهديد رستم بيك واستعد للدفاع عن القلعة وطال أمد الحصار واستمرت المناوشات اليومية التي ادت الى نفاذ ذخيرة المحاصرين ومن جهة

---

(= ) المصدر السابق ،ج ٨ ، ص ٤٤٣ تاريخ وصول الشاه صفي الى بغداد في ٢٧ جمادى الاولى ١٠٤٠ هـ وأن التاريخ اعلاه هو الاصح لان المؤلف كان مرافقا للحملة .

(١) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٦٢ وكانت هذه القبائل تتأرجح في ولائها بين الدولة الصفوية والعثمانية .

(٢) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ص ٦٢ ـ ٦٣ .

الغربي لم تصل الامدادات التي ارسلها خسرو باشا اليهم[1] في الوقت الذى تعزز فيه وبذلك الجيش الايراني بوصول جيش الشاه لذا بادر رستم بيك الى تشييد جسر على نهر الحلة مما ساهم في عبور مزيد من القوات الايرانية بمعداتهم واسلحتهم حيث اتخذوا لهم مواضع عسكرية ونصبوا مدافعهم ايذانا بفتح النار على الاسوار[2] ومما هو جدير بالذكر ان مدينة كربلاء وجميع القصبات القريبة منها كانت لا تزال في هذه الآونة خاضعة للدولة العثمانية لذا[3] قرر رستم بيك ارسال فرقة تضم ثلاثة آلاف قزلباشي بقيادة (قلندر سلطان توكلي )جغتاي وميركالان خفاجه مين باشي وثلة من اتباع صفي قلي خان الى كربلاء لطرد العثمانيين منها .

اما الحلة فاستطاعت حاميتها الصمود فترة شهرين ونصف تقريبا[4] ، الا ان القزلباش شددوا في الهجوم وعبر فريق منهم الخنادق واعتلى البعض الآخر الاسوار ، فاضطربت الحامية العثمانية فيها وانقسم افرادها الى فريقين يؤيد بعضهم اخلاء

---

(1) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص٢٢٨ . ويذكر اسكندر تركمان ، ان خسرو باشا اوعز بارسال المزيد من القوات لنجدة خليل باشا ابان تكليفه باحتلال الحلة وقد وفى بوعده وارسل تقي باشا نور باشا (خزينه دار) وعددا آخر من الامراء وقواد الجيش ورهطا من الانكشارية ومعهم الامدادات اللازمة الا ان هذه النجدة نكصت عندما قاربت مدينة كربلاء وعادت عن الحصار المفروض على مدينة الحلة .

(2) انظر : ذيل تاريخ عالم آراي عباسي ، ص٦٥ .

(3) نفس المصدر ، ص٦٤ .

(4) نفس المصدر ، ص٦٤ .

(5) نفس المصدر ، ص٦٥ .

(6) بينما يجعل نظمي زاده امد الحصار ثلاث الى اربعة شهور . انظر : كلشن الخلفا ، ص٢٢٨ .

المدينة للنجاة بانفسهم وهؤلاء هم الفرسان وعلى رأسهم خليل باشا نفسه ، اما الفريق الثاني فآثر الدفاع عن المدينة وهؤلاء هم المشاة[1] ولم يأبه الفرسان لاصرار المشاة بل تركوا المدينة ناجين بانفسهم وكان في مقدمتهم خليل باشا وحاشيته الذين استطاعوا اجتياز المعسكر الصفوي في ليلة الاحد الخامس من شهر شعبان من عام ١٠٤٠ هـ في ظلمة الليل[2] وتبعهم علي باشا كسكن وباقي الامراء العثمانيين ، الا ان قائد الجيش القزلباشي علم بالخطة فقسّم جيشه الى فرقتين ارسل واحدة منها لتعقب الفارين في الوقت الذي أمر الثانية بالهجوم على المدينة .

واستطاعت الفرقة الاولى ان تتعقب الفارين الى مسافة عشرة فراسخ وتلقي القبض على معظمهم حيث احتفظت بالبارزين منهم كأسرى وقتلت البقية[3] . ويقول نظمي زاده ان الذين نجوا بانفسهم من أفراد الجيش العثماني سرعان ما وقعوا اسرى بيد القزلباش الذين اقتادوهم الى بغداد حيث تم اطلاق سراحهم فيها[4] . وان الذي استطاع النجاة من بين الامراء هو خليل بيك وحوالي ٢٠ ـ ٣٠ شخص من اتباعه

---

(١) ترکمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٦٥ . ويقول ان سبب اصرار المشاة في الدفاع عن المدينة لانهم كانوا عاجزين عن الافلات من كمائن القزلباش لانهم لا يملكون وسيلة الهرب ، اما الفرسان فبأستطاعتهم النجاة بانفسهم لسرعة جري خيولهم .

(٢) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٠ يقول : الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ؛ ويقول محمد امين المحمي ان خليل باشا وقع في الاسر ولكني لا اعتقد بصحة هذه الرواية ولو كان ذلك صحيحا لتبجح بها الفرس . انظر : منهل الاولياء ، ص ١٣٧ .

(٣) ترکمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٦٥ .

(٤) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ وروايته تتفق مع رواية الايرانيين . انظر : ترکمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٦٧ .

اما البقية الباقية من افراد الجيش العثماني والبالغ عددهم ١٢ الف جندي فقد لاقوا حتفهم في الصحراء بسيوف القزلباش (١) .

اما الفرقة الثانية فدخلت المدينة بسهولة وباشرت بقتل عدد يتراوح بين ٤ ـ ٥ آلاف من العثمانيين المشاة والاهالي الموالين لهم (٢) . ويقول نظمي زاده لقد اثارت جماعة القزلباش فسادا في المدينة وفتكت بالسكان الابرياء من المساء حتى الصباح وقد رأينا من القتل والتدمير ما لا يمكن وصفه (٣) ومن جهة أخرى كان الشاه صفي قد عزم على زيارة المراقد في كربلاء والنجف وقبل وصوله اليها بلغته انباء نجاح القزلباش في اغتنام مدينة الحلة لذا اسرع اليها ووصلها يوم ١١ شعبان من عام ١٠٤٠ هـ واستقبله رستم بيك وسائر الامراء الذين بادروا الى اقامة جسر جديد على نهر الحلة لعبور الشاه الى المدينة وبعد دخوله اليها وتفقد شؤونها عرض عليه الاسرى وكان بينهم علي باشا الكسن وذو الفقار باشا وصنع الله بيك حيث اصدر قرارا باطلاق سراحهم على الفور وسمح لهم بالتوجه الى الديار العثمانية ليكونوا رسل محبة وصداقة بين البلدين (٥) .

ويذكر اسكندر تركمان المرافق للحملة (( ان عدد الرؤوس التي شاهدها مقطوعة سواء في المدينة او في اطراف الصحراء من افراد الجيش العثماني يمكن تقديرها بعدد يتراوح بين ٨ ـ ٩ آلاف رأس ويقدر الاسرى بألفين ، والغنائم من الجياد والجمال

---

(١) نوائي ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٦٧ .
(٢) نفس المصدر ، ص ٦٧ .
(٣) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨
(٤) منشي ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٠ يقول لقد قتلوا اهل السنة في المدينة .
(٥) حاجي خليفة ، تقويم التواريخ ، ص ١٣٣ .
(٦) هامر ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٤٥ .

والبغال بحوالي ٤ر٠٠٠ رأس ويعلق هذا المؤرخ قائلا : لقد خسر الجيش العثماني حوالي[2] ٢٥ر٠٠٠ مقاتل منذ دخوله الاراضي العراقية عام ١٠٣٩هـ سواء كان ذلك في شهرزور او اثناء حصار بغداد او بعد فتح الحلة ويذكر اسكندر تركمان انه لم يقرأ في الكتب التاريخية في الماضي سواء كان ذلك في عهد جنكيز خان او تيمور بانه قتل في معركة واحدة حوالي ٢٥ر٠٠٠ شخص[3] وهكذا فشلت

---

(١) ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص٦٨ .

(٢) حملة خسرو باشا الى العراق بين ١٠٣٩ ـ ١٠٤٠ هـ .

(٣) ويستطرد هذا المؤرخ قائلا : وحتى في حروب الصفويين والعثمانيين وبشكل خاص المعركة الشهيرة التي وقعت بين الشاه اسماعيل والسلطان سليم في جالديران لم يقع مثل هذا العدد من القتلى )) .

~~ولنني تعمدت ان اذكر تحليلات هذه لانها توضح لنا حقيقة تاريخية مهمة وتدحض المبالغات التي تروى عادة عن القتل والنهب والدمار الذي حدث في جيش جنكيز وهولاكو وتيمور سواء كان في العراق او في غيرها من الاقطار حيث ان المؤرخ لا يجعل خسائر تلك الاحداث في الارواح بمستوى خسارة خسرو باشا ولو علمنا بان ما فقده خسرو باشا من جنود على رواية نفس المؤرخ والتي لا تخلو من مبالغة ايضا [illegible] شخص يوضح لنا بان الارقام الخيالية التي تصل بعض الاحيان الى الملايين من القتلى التي تظهر في بعض المراجع الحديثة هي بعيدة عن الصواب وان رقم القتال وقلة عدد السكان في العالم تدحض تلك المبالغات [illegible] لا [illegible] من خلال هذا البحث ان عديدا من الاحداث التي رافقتها النكبات والامراض والقتل المتعمد كانت لا تختلف عن [illegible] هولاكو وتيمور .~~

~~والاختلاف الوحيد~~ ~~ان المؤرخين~~ كتبوا عن تلك الاحداث وبالغوا ~~فيها بينما لا تزال احداث هذه الفترات غامضة~~ نسبيا .

هذه الحملة كسابقتها في استرجاع العراق الا ان الانظار العثمانية كانت لا تـزال شاخصة صوبه .

## الاحوال العامة في ولاية بغداد في اعقاب فشل الحملات العثمانية لاستردادها :

## ١٠٤٠ — ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٠ — ١٦٣٨ م

بعد دخول الشاه صفي مدينة الحلة امر باعادة تشييد اسوارها وتعميق خنادقها وترميم ما انهدم من بيوتها واصلاح ما اهمل من اراضيها الزراعية كما بادر الى توزيع الاموال على المتضررين الفقراء من سكانها[1] وفي اليوم الثاني اتجه ركبه الى مدينة كربلاء ووصلها يوم ١٤ شعبان ١٠٤١ هـ[2] وبعد اداء مراسيم الزيارة توجه الى النجف ولما وصلها وجد ان مرقد الامام علي ضيق جدا لذا امر بتوسيع الحرم واشار بتجديد التبة التي ظهرت عليها آثار الانهيار فرفعت وشيدت مكانها واحدة اعلى واكبر ، وقد اوكل امر الاشراف على ذلك الى ميرزا محمد تقي[3] المشهور بساروتقي وزير دار المرز[4] ، وعاد الى بغداد . ويقول رضا قلي خان ان الشاه صفي ارسل بعد عودته الى بلاده في عام ١٠٤٢ هـ المعماريين الى النجف لغرض تجديد وتوسيع الحرم الشريف وايصال ترعة ماء الى المدينة ، وقد مكث المعماريون ثلاثة اعوام للقيام بالمهام التي انيطت اليهم كان منها حفر ترعة تبدأ من نهر الفرات وتمر بمحاذاة مسجد الكوفة ثم قصر الخورنق[5] فمقبرة

---

(١) نظامي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(٢) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٤٥ .

(٣) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٨٠ .

(٤) اشرف في السابق على بناء عمارة انيقة وعالية في مازندران .

(٥) وزير الحدود .

(٦) هدايت ، المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٤٤٦ .

الصفا ثم تصب في بحر النجف[1] واستمرت عملية حفر هذه الترعة ستة شهور .

ومن جهة اخرى فان الشاه عاد الى بغداد بعد اداء مراسيم الزيارة للمراقد المقدسة ووصلها في اليوم الاول من شهر رمضان عام ١٠٤١ هـ واقام فيها مدة عشرة ايام ، ثم قصد سامراء لزيارة المراقد فيها[2] ثم عاد مرة اخرى الى بغداد وفيها امر بتعيين بعض القورچية والعبيد والرماة الماهرين لمساعدة صفي قلي خان (الملقب بشير علي)[3] بكلر بكي العراق في الوقت الذي امر المعماريين بتجديد بناء قلعة بغداد الداخلية وتشييد برج جديد لها قام بالاشراف عليه مجيد خان استاجلو وبعد استتباب الامن في المدينة وتفقد شوؤنها توجه الى بلاده عن طريق طقوز اولوم (نهر ديالى) وبالقرب من الزارونية امر كبار قواده وجيوشهم بالانصراف كل الى اقليمه .

اما العراق فساده هدوء نسبي خلال العقد الخامس من القرن الحادي عشر الا انه كان من ذلك النوع الذي يسبق العاصفة عادة ، لان المحاولات العثمانية لاسترجاعه استمرت وان توقفت بعض الاحيان فكان ذلك بسبب مشاغلها الداخلية ولكن في تلك الفترات ايضا كانت الطبيعة تعوض عنها حيث فاض نهر دجلة عام ١٠٤٥ هـ وسبب انهيار اجزاء كبيرة من سور بغداد لذا امر الشاه صفي بكلر بكي شيران

---

(١) تركمان ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٩٤ .

(٢) يذكر مؤلف ذيل عالم آراى عباسي ، ص ٨٠ ان سكان سامراء تضرعوا لدى الشاه صفي طالبين انقاذهم من هجمات البدو في اطرافها لذا امر الشاه بتخصيص محلة في بغداد لاسكان لفيف من اهالي سامراء (وربما كانوا من الفرس المقيمين الى جوار العتبات هناك ) .

(٣) يخطئ هدايت في ملحقات روضة الصفا ، ج ٨ ، ص ٤٤٥ عندما يجعل الشاه صفي هو الذي لقب صفي قلي خان بشير علي لشجاعته والصحيح أن من لقبه هو الشاه عباس عندما افلح في صد هجمات حافظ احمد عن بغداد عام ١٠٣٥ هـ انظر ، تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٨٨ .

(قزاق خان) بالتوجه اليها لتجديد قلعتها وترميم اسوارها كما ارسل اغا صادق (١)
بن باشي مع الف قزلباشي لحراستها من هجوم عثماني متوقع ، اضف الى ذلك تفشي (٢)
مرض الطاعون في اليوم الثالث من شهر شعبان من نفس العام والذي فتك بأرواح
الناس فتكا ذريعا وتوفي الوف منهم في اليوم الواحد حتى صارت الجثث تنقل الى
المقابر على ظهور الحمير (٣).

---

(١) محمد يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ص ١٦٦ــ١٦٧ يؤرخ هذا المؤلف منذ عام ١٠٤٤ هـ في نفس الكتاب ولغاية ١٠٥٢ أى نهاية حكم الشاه صفي .

(٢) هو ابن مير فتاح مين باشي الذى ساهم والده في الحروب السابقة ضد حافظ احمد وخسرو باشا والذى عاد الى ايران واناب عنه ابنه اغا صادق للقيام بمهمة الدفاع عن بغداد .

(٣) نظمي زاده ، المصدر السابق ، الذى يقول : لقد ركن الناس الى المساجد يستغيثون ويتضرعون الى الله ان يزيل البلاء من البلاد ويعلق هذا المؤرخ بقوله : ما أن حلّ عيد الاضحى حتى خفّ المرض ويعزو ذلك الى استجابة الله لاستغاثة الحجاج في جبل عرفات . ولو علمنا بان الطاعون قد اعقب الفيضان المدمر لعام ١٠٤٥ هـ وبدأ يحصد الناس في شهر شعبان واستمر الى ذى الحجة حيث خف على رأى نظمي زاده فهذا يعني انه استمر مدة أربعة شهور بمعدل مئات الوفيات في اليوم الواحد لاتضح لنا ما كانت تعانيه المدن العراقية من الاهوال والمصائب سواء كانت تلك حروب مستمرة بشعة او فيضانات مدمرة أو امراض فتاكة مهلكة مما سبب نقصا في السكان حدا بالسائح تافرنييه الى تقدير سكان بغداد بـ ٠٠٠ر١٥ نسمة فقط عام ١٦٣٨م لا سيما وان اعدادا كبيرة من السكان اخذت تهجر العراق الى الاقطار المجاورة . تاورنيه ، سفرنامه تاررنيه ، ص ٢٢٥ محمد صادق الحسني ، عمران بغداد ، مطبعة السلام ، بغداد ، ١٩٣٠ ، ص ٢٠٨.

## ٣– حملة السلطان مراد الرابع الى بغداد عام ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م

منذ اندحار خسرو باشا عام ١٠٤٠ هـ لم تنقطع المحاولات العثمانية لاسترجاع العراق حيث ارسلت الدولة العثمانية حملة عام ١٠٤٤ هـ الى الحلة لاحتلالها ، فعلم بها بكتاش خان حاكم بغداد الجديد وبادر الى اعلام الشاه صفي الذي انجده بجيش قاده كل من شاه وردي خان بكلربكي لورستان وخان احمد خان حاكم اردلان وبعض امراء كردستان الاخرين الذين استطاعوا ايقاف الزحف العثماني (١) ، كما بادر الشاه بارسال اغا صادق ميلا باشي مع الف قزلباشي في العام التالي الى بغداد لنجدة حاميتها من غزو عثماني متوقع وان نجاح الايرانيين في صد العثمانيين عدة مرات في العراق شجعهم على توجيه حملة عام ١٠٤٧ هـ الى ارمنيا تمخضت عن احتلال قلعة ايراون (٣) ، لذا حاول السلطان مراد الرابع مواجهة هذا التحدي السافر فصمم على استرجاع بغداد لكبح جماح الايرانيين (٤) فأمر

---

(١) يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراي عباسي ، ص ١٥٦ .

(٢) انظر ص ٢٥٨ من هذا الفصل ، هامش رقم ٢

(٣) فريد ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٤) ~~ان اسباب الحملة واضحة ولا تحتاج الى استدلال لان السلطان مراد تام بعدة محاولات فاشلة سابقة لاسترداد بغداد بينما يرد في كتاب تاريخ الديوانية للشيخ ودلع العطيه صوره من شجرة نسب عائلة آل الغنيمي في العراق وفي الزاوية اليمنى السفلى من هذه الشجرة تقرأ بعض العبارات المتناقضة والذي يهمنا هو الادعاء بان السيد احمد تيمور ذهب الى الاستانه عن طريق الحلة وهناك تعرف ب(ببجلي) واعلمه عما يفعله الفرس في بغداد واتفقا على الذهاب سوية الى الاستانه المثول بين يدي السلطان مراد واعلامه عن اعمال الفرس في بغداد وكيف انتشر ... مرتدي الالباس البجيلي ، وابي ... لتنبيههم ... هذه الوثيقة الركيكة ان السلطان بادر الى قتل خسرو باشا ... الذي توجه الى بغداد وبرفقته السيد احمد تيمور وبجلي ودخلوها (٥)~~

...جيش كبير (١) لهذا الغرض حيث ... اعدادات للحملة في شهر شوال من عام ١٠٤٧ هـ / مارت ١٦٣٨م في ... تركها في يوم السبت ٢٣ ذي الحجة ١٠٤٧ هـ المصادف ٢٨ نيسان ... باتجاه العراق وتوقف في حلب (٣) - حيث منتصف الطريق - ستة عشر يوما ... (٤) ويقول السائح تافرنيه انه لاحظ عرضا كبيرا للجيش العثماني فيها (٥) ومن حلب توجه ... على الفرات • ويقول تافرنيه أن السلطان بعث منها ذخيرته ومدافعه عبر ... الى اواسط العراق (٦) وقيل انه صب في هذه المدينة خمسة مدافع كبيرة اثنان

---

~~... ٢١ جمادى الاولى ١٠٤٩ هـ (كذا) من الباب الوسطاني ...~~
~~... الاخير نحكم على عدم دقة معلوماتها لان الاجماع حاصل بان السلطان~~
~~... عام ١٠٤٨ هـ وبعد عدة محاولات فاشلة من قبل .~~
~~... العطيه ، تاريخ الديوانية قديما وحديثا ، المطبعة الحيدرية ،~~
~~... ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م ، ص ٢٨٦ .~~

... والي مصر قبوجي باشي جوان محمد باشا المعروف بسلطان زاده ، ... ١٥٠٠ جندي ارسلوا مع امير الحج تانصوبك الى العراق للعمل مع ... مراد الرابع لاحتلال بغداد • سرهنك ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

... ون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ .

... ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣١٠

Hammer, op. cit., Vol. 9., P. 311.

... الطريق الى مائة وعشر مراحل ، ويجعلها نحيما ١١٥ مرحلة اما كريسي Creasy فيجعلها مائة وعشرة ايضا ويحدد فترة الاستراحة فيها ٨٦ يوما

Creasy, op. cit., P. 255.

... تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢١٠ .

Hammer, op. cit., Vol. 9., P. 319.

... سفرنامه تاورنيه ، (الترجمة الفارسية الكاملة) ، ص ١٥٢ .

... ، ص ١٥٢ .

منها يتسعان لحشوة عشرين اوقية من البارود[1] وثلاثة منها تتسع لـ ١٨ اوقية ، كما امر السلطان بصنع ٨٠٠ سفينة لنقل الذخائر والاطعمة الى الفلوجة[2] ثم واصل سيره وبالقرب من منزل جلاب توفي صدره الاعظم بيرام باشا[3] والذى صادف في ٦ ربيع الثاني ١٠٤٨ هـ[4] حيث خلفه محمد باشا الطيار[5] واستمر الجيش العثماني في زحفه حتى وصل الرها[6] ومنها الى ديار بكر حيث وصلها في ٢٣ ربيع الثاني من نفس العام واقام فيها عشرة ايام لاراحة جنده من عناء الطريق[7] ثم غادرها الى ماردين حيث وصلها يوم ٤

---

(١) عامر (الترجمة التركية) ، ج ٩ ، ص ٢٤٤ . ويذكر تافرنيه ، بان السلطان كان يصطحب معه شخصا فرنسيا يسمى السنيور ميكائيل اختص بصب المدافع الضخمة ، تاورنيه ، سفرنامه تاورنيه ، ص ٢٢٠ .

(٢) عامر (الترجمة التركية) ، ج ٩ ، ص ٢٤٤ .
ويخطيء العزاوى في تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢١٠ عندما يجعل مكان صنع السفن في مدينة الفلوجة ، لان السلطان لا يحتاج في النارجة الى السفن حيث ترسل الذخيرة منها عادة عن طريق الابل الى بغداد .

(٣) عامر ، (الترجمة التركية) ، ج ٩ ، ص ٢٤٦ ؛ نعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ . اما بيچوى ، فانه يقول بان الصدر الاعظم توفي في مكان قريب من بيرجك انظر : تاريخ بيچوى ، ج ٢ ، ص ٤٤٦ ، اما منزل جلاب فانه يقع على رافد الجلاب وهو من روافد الفرات قرب الرها وحران . انظر : كاتب جلبي ، جهانما ، ص ٤٤٣ .

(٤) نعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ . عامر ، (الترجمة التركية) ، ج ٩ ، ص ٢٤٦ ويجعلها تصادف في ١٧ آب ١٦٣٨ م .

(٥) Huart, op. cit., P. 69.

(٦) في ١٥ مايس

Ibid, P. 69.

(٧) العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢١٠ .





جمادى الاولى المصادف ٣ ايلول ١٦٣٨م ومنها ارسل طلائع جيشه التي كانت تضم تشكيلات حلب وطرابلس وبيره والبادية الشامية بقيادة كل من درويش باشا بكلربكي الشام وابي ريشه زعيم الاعراب الى الموصل حيث دخلوها في ٢٩ جمادى الاولى من عام ١٠٤٨هـ المصادف ٧ تشرين الثاني ١٦٣٨م (١) حيث التحق بهم السلطان فيها ومن الموصل ارسلت تسعة مدافع (٢) عن طريق نهر دجلة الى بغداد (٣) وذلك لان حيوانات النقل التي كانت تسحب هذه المدافع قد انهكها طول الطريق وقسوته ولم يبق بمعية السلطان سوى عشرين مدفعا (٤)، وفي الاراضي العراقية بادر السلطان مراد الى تنظيم جيشه، فعيّن بكلربكي ديار بكر قائدا للطليعة وسحمد علي باشا (بكلربكي مرعش) لحماية الساقة واوكل شؤون المدافع الى بكلربكي حلب نوغاي باشا زاده، واخذ الجيش يتقدم بموجب خطة مرسومة مسبقا حيث توجه الى (يارمجه) ومنها الى خضر الياس ثم نهر الزاب الاعلى، ووصل الى شماملك واستمر في زحفه حتى وصل آلتون كوبري (٥) في ٢ رجب من عام ١٠٤٨هـ وواصل سيره وعبر الزاب الاسفل ودخل كركوك واجتازها وانحدر من طاووق ومن هذه المنطقة ارسل ثلة من جيشه الى شهرزور لكبح جماح الاكراد الموالين للدولة الصفوية ثم واصل زحفه باتجاه يعقوبا ومنها الى الخالص ومن ثم الى

---

(١) عامر (الترجمة التركية)، ج ٩، ص ٢٤٧.

(٢) نفس المصدر، ج ٩، ص ٢٤٨.

(٣) ربما كان واحدا من هذه المدافع ما اصطلح عليه في العراق باسم (طوب ابو خزامة) والذي حيكت حوله الخرافات والاوهام ـ واختلف البعض في مكان صبه فاعتقد البعض انه صب في الاستانه وقيل في بروجك ومنهم من تطرف وقال انه صب في سامراء. انظر المساجلات الطريفة عن هذا الموضوع بين محمد امين زكي وكاظم الدجيلي في جريدة العراق اعداد ٣٠ ايلول و ٢٩ آب ١٩٢٢م، ومصادرها كتب تركية اساسية وكتاب عامر من ترجمتها التركية.

(٤) نفس المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٦.

(٥) وربما قال كلمته المأثورة .. بعد ان خاض نهرها .. دع النهر

(--)

باشد ولاب حيث وصلها في ٧ رجب وفي ٨ منه من عام ١٠٤٨هـ المصادف ٥ تشرين الثاني ١٦٣٨م وصل الى جوار مرقد الامام ابي حنيفة واستغرقت رحلته حوالي ١٩٧ يوما قضى منها ٧٦ يوما للاقامة والاستراحة في الطريق(٢).

ومن جهة أخرى فان بكتاش خان حاكم بغداد كان قد كتب في وقت سابق الى الشاه صفي يخبره بانه علم من كنعان بن ناصر بن مهنا(٣) بان السلطان العثماني

---

( = = ) يجرفك ماؤه ولا تعبر من قنطرة الجبان ودع الاسد يلتهمك ولا تركن الى حماية الثعلب . (العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢١٤ نقلا من مصدر آخر . عن حملة السلطان مراد الرابع الى بغداد يراجع مقالم للاستاذ خليل ساحل اوغلو

(١) الذي يؤكد مرور الجيش العثماني على التون كوبري .

Creasy, op. cit., P. 255.

Hammer, op. cit., Vol. 9., P. 331.

(٢) لقد اعتمدت على العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ٢١١ في سرد تفاصيل الرحلة وهو يعتمد بدوره على قره جلبي عبد العزيز افندي في كتابه (روضة الابرار في فتح بغداد من قبل السلطان مراد) وهو غير كتابه المطبوع ، حيث يصفه العزاوي بانه بمثابة كتاب المطراقي في سرد التفاصيل رغم انه لم يكن مرافقا للحملة . وكذلك على :

Hammer, op. cit., Vol. 9., PP., 311-331.

Creasy, op. cit., P. 255.

(٣) هو اخو ابي طالب بن ناصر بن مهنا من آل قشعم وعلى ما يبدو ان آل قشعم كانوا متعاونين مع الصفويين في هذه الفترة ومما يؤكد ذلك توجه كنعان وخالد بيك واتباعهما بتحريض من الدولة الصفوية الى اطراف الموصل لشن غارات على الحاميات العثمانية التي لم تستطع الصمود في وجه هذه القبائل بل فرّت الى جهات الجزيرة ، تاركة وراءها اغنامها وابلها التي غنمتها تلك العشائر وعادت بها الى مناطقها في اطراف كربلاء والنجف .

انظر : يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ١٦٢ .

يستعد بشكل واسع لارسال حملة الى ايران[1] لذا سارع باعداد جيش لمواجهة الدولة العثمانية انيطت قيادته الى حسين خان بيك (ناظر البيوتات الخاصة) الذي جمع المقاتلين من منطقة كردستان وامر باخلاء مناطق قزل رباط والمناطق الشرقية من ولاية بغداد من سكانها لجعلها ساحة قتال ليس هذا فحسب وانما عزم الشاه على قيادة حملة تتجه الى الاراضي العراقية لتعزيز الحامية الايرانية في بغداد وكانت الحملة تضم كلا من رستم خان، القائد العام للجيش الصفوي وبكلربكي آذربايجان، وحاكم اردبيل وبعض القادة القزلباش امثال أغا خان مقدم وساروخان طالش، كما اصدر الشاه امرا في نفس الوقت الى نقدي خان بكلربكي ولاية كوه كيلويه وعيار خان قرابلي ومراد خان بيك بن مهدي خان سلطان عرب الدورق نيابة عن والده ومرتضى قلي بيك طوبجي باشي وجمع من اليوزباشية والمين باشية ورجال المدفعية وجيوشهم بالتوجه على الفور الى بغداد لنجدة حاميتها[2] كما هيأ كميات كبيرة من الرصاص والبارود والزيت ومعدات الحصار وآلات الدفاع والمدافع لارسالها الى العراق، يقول محمد يوسف لقد وصل تعداد الحملة التي كانت على وشك التحرك الى العراق عشرين الف مقاتل قزلباشي ويضيف : ولم يكد يتحرك الجيش حتى استغل الازبك خلو المناطق الشرقية من الجيش الصفوي وبادروا بالتحرش بالاراضي الصفوية، مما دفع بالشاه صفي الى التريث في قزوين وكلف ميرفتاح مين باشي لينوب عنه في قيادة الحملة الى بغداد وامر خلف بيك جرخجي باشي بالالتحاق بالحملة لخبرته السابقة

---

(١) حصل كنعان على المعلومات عن استعدادات الجيش العثماني من القوافل القادمة من حلب الى العراق لشراء الابل .

انظر، يوسف، ذيل، تاريخ عالم آراي عباسي، ص١٥٦ .

(٢) نفس المصدر، ص ٢١٥ .

في حروب العراق[1].

د – الاحتلال العثماني الثاني لبغداد ١٠٤٨هـ / ١٦٣٨م

لما وصل السلطان مراد الرابع الى بغداد في ٨ رجب ١٠٤٨هـ / ١٥ تشرين الثاني ١٦٣٨م بصحبة جيش تضاربت المصادر في تحديد عدده . فتراوح التقدير بين ١٠٠ – ٣٠٠ الف جندي[2] وباشر باعلان الحصار على المدينة وقلعتها[3] وشدد في ذلك فعين محمد باشا الطيار ( الصدر الاعظم )

---

(١) يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٢١٥ .

(٢) دحلان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٣ . وصل تعداد الجيش العثماني ٢٦٠ الف

(٣) تقع مدينة بغداد وقلعتها في ارض سهلية فسيحة في الجانب الشرقي من نهر دجلة وهي مربعة الشكل مشيدة من صخور بيضاء وحمراء ومبنية بالجص . واسوارها على وصف اوليا جلبي : تدخل الرهبة في نفس كل من نظر اليها والمدينة لا يعتبر عميقا على رأى اوليا جلبي . اما تافرنيه فيجعل عمقه ١٢ ذراعا عدا القسم الواقع في جهة الباب الابيض وعرضه يبلغ على وجه العموم ٦٠ ذراعا وتدعم السور من الداخل دعائم قوية ويبلغ ارتفاع اسوار القلعة من سطح الخندق الى اعلى مرتفعاتها ٦٠ ذراعا ويبلغ عرضها من اعلاها في بعض جهاتها ١٠ اذرع وفي جهاتها الاخرى ١٥ ذراعا وان اقوى الابراج واكثرها احكاما يقع بالقرب من الباب الابيض ويسمى برج العجم وبرج آخر يقع بالقرب من باب الامام ابي حنيفة وآخر بالقرب من الباب المظلم يحيط سور بغداد مخافر حصينة ، وهناك مئات من الجنود في هذه المخافر يتولون الحراسة ليلا ونهارا ويبلغ طول محيط اسوار بغداد حوالي ١٠ آلاف قدم تخمينا . اما تافرنيه فيقول أن طول مدينة بغداد ١٥٠٠ قدم وعرضها ٧٠٠ – ٨٠٠ قدم ويبلغ محيطها ثلاثة اميال . اما ابواب بغداد فهي :

(١) باب الامام ابي حنيفة ( الامام الاعظم ) يقع في الجهة الشمالية الغربية وهو باب محكم وعلى برجه مدافع كبيرة موجهة نحو الخندق .

(٢) باب الظلام او الباب المظلم يقع في الجهة الشرقية من بغداد وهو باب رصين له خندق وجسر ومدافعه نحوه ويوجد في هذا الموضع برج حصين تحكم فيه الفرس وقاتلوا العثمانيين قتالا مريرا .

( = = )

(١) رئيس الانكشارية وعلي باشا (٢) بكلربكي الروملي

...حسن اغا ... الانضباط الخ ... الهجوم على الجهة الشمالية

... رأس ... اي مقابل الباب الابيض (آق قبو) ومعهم عشرة مدافع ، وامر كلا من القبودان

... الشرقية بساعده قائدان من الانكشارية وكلا من بكلربكي الاناضول وسيواس والخزينه دار

... باشا ابراهيم باشا ) وامراء بعض السناجق واربعين جورجيا (٣) ورئيس الصامسونجية (٤) حسين

---

(٣) الباب الابيض : يواجه من الجهة الشرقية جانب ديالى له خندق وجسر .

(٤) باب الجسر ، يواجه صوب القبلة وليس له خندق واقع على شاطئ النهر ، وجسرها يتكون من ٣٣ قاربا .

(٥) باب الطلسم : باب صغير يقع بين باب الظلام والباب الابيض .

اما القلعة الداخلية في موقع ( وزارة الدفاع الحالية ) هي قلعة مربعة الشكل مشيدة بالحجر والطابوق تقع في الجانب الشرقي من السور الكبير حولها خندق ولها باب في جانب القبلة يواجه داخل المدينة وباب اخرى يعرف بالباب ( المشؤوم ) مغلق باستمرار وسماه العثمانيون مشؤوما لان درويش محمد بن بكر صوباشي فتحه للايرانيين .

حسين الداقوقي ، مشاهدات اوليا جلبي في بغداد ، مجلة الاخاء ، بغداد ، ١٩٦٨ . هامر ، الترجمة التركية ، ج ٩ ، ص ٢٥١ .

تاورنيه ، سفرنامه تاورنيه ، ص ٢٣٤ . انظر مخطط قلعة بغداد في ملحق رقم (٥) .

Huart, op. cit., P. 70.

Hammer, op. cit., Vol. 9., P. 331.

انظر ص ١٨١ هامش ٦ من هذا البحث .

... محرفة من صكسون ، وهو نوع من الكلاب الكبيرة التي كانت تستخدم في الحروب ... والصامسونجية صنف من السكمنات او السكبان ، اي مربي الكلاب

Hammer, op. cit., Vol. 9., P. 332.

... بيرون ، المجتمع الاسلامي والغرب ، ج ٢ ، هامش ، ص ١٧٠ .

اغا ورئيس الزغرجية حيدر اغا زاده محمد اغا وحمص عشرة مدافع المرابطة امام الباب الجنوبي الشرقي ( الباب المظلم ) . اما السلطان نفسه فقد اقام سرادقه بالقرب من مزار الامام ابي حنيفه[2] . هذا واستمرت التعزيزات تتوافد على الجيش العثماني حيث وصلت في اليوم التاسع عشر من رجب ١٠٤٨هـ ثلاثة مدافع كبيرة من الموصل عن طريق نهر دجلة كان قد شحنها مراد الرابع منها اثناء وجوده فيها ، وبمجرد وصولها ارسلت الى قلعة الطيور[3] في الجانب الغربي من بغداد لمواجهة ( باب الجسر ) وفي اليوم العشرين منه وصلت ستة مدافع اخرى عززت المدفعية العثمانية ومن الجدير بالذكر ان السلطان اخذ بنظر الاعتبار كل الاخطاء العسكرية التي وقع فيها كل من حافظ احمد وخسرو باشا اثناء حصاريهما لمدينة بغداد في عامي ١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م و ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م على التوالي حيث اخذ يبحث عن نقاط الضعف في قلعة بغداد واسوارها واستطاع عن طريق جاسوس ايراني مطلع يدعى مير محمد[4] تم القاء القبض

---

(١) مم الموكلون بحفظ كلاب صيد السلطان الا ان اللقب تغير حتى غدا منصبا عسكريا في الجيش الانكشاري ولم يشترط بصاحبه ان يكون مربيا للكلاب شأنه شأن الصامسونجية ايضا . انظر : يعقوب سركيس ، مباحث عراقية ، في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد ، القسم الاول ، وهي المباحث المنشورة في مجلة لغة العرب في سنة ١٩١٢/١٩١٤ وسنة ١٩٢٧/١٩٣١ ، بغداد ، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م ، ص ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(٢) جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٣) ايضا ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٣ .

(٤) نعمل بجوى ، في تاريخه مجلد ثاني ، ص ٤٤٧ عدد المدافع التي وصلت بغداد ... وقد ارسلت الى قلعة الطيور بمعية السلحدار باشا .

... ( الترجمة التركية ) ، ج ٩ ، ص ٢٥٢ .

عليه في اطراف الموصل ان يتوصل الى ان اضعف ابواب المدينة هو الباب المطل على نهر دجله لان الايرانيين اهملوا امر الدفاع عنه لمواجهته للنهر[1] وبالغ السلطان مراد في الاستعداد للقتال وكان يعمل مع جنوده ليل نهار بجد وعناء واعتبر فتح بغداد قضية مصيرية[2] . ويقول لين بول ( Lane Poole ) ان مراد قاد رجاله بنفسه وكان يساهم في حفر الخنادق ونقل الاتربة كما انه اشترك عدة مرات في المبارزات الفردية ووصل حماسه حدا انه كان لا يأكل ولا يشرب بل لا ينام عدة ايام متتالية يشرف على مدافعه التي كانت تقذف القلعة وابراجها بحممها وقنابلها[4] ومن جهة

---

(١) من الحكايات التي روجت باتقان في فترة الحصار للتأثير على المقاتلين ما يلي : قيل ان احد قواد السلطان مراد الرابع اجرى كشفا عن تحصينات الايرانيين ليرى نقطة الضعف فيها ويجعلها هدفا لهجومه وفي اثناء ذلك اخذته سنة من النوم فرأى في منامه ان الشيخ عبد القادر الجيلي تمثل له كالباز الاشهب على احد ابواب سور بغداد وأمره ان يوجه هجومه من تلك الباب ، فاستيقظ وتيقن ان الله تعالى سينصر الجيوش العثمانية في استرداد بغداد فيما اذا وجه هجومه من تلك الناحية وقد اخبر السلطان بتلك الرؤيا واستبشر الجميع ثم نفذت الخطة ونجح السلطان في استرداد بغداد . ونحن نعلم ان السلطان كان يعلم مسبقا ان ضعف هذه الباب من الجاسوس الايراني مير محمد الذي القي القبض عليه .
انظر : ابراهيم الدروبي ، الباز الاشهب ، ص ص ٢٣ – ٢٤ .
يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٢١٦ .
نوسف ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

Lane Poole, Turkey, P. 219.

يقول لقد بارز السلطان احد القادة الايرانيين واستطاع ان يشق جمجمته الى نصفين الى حد ذقنه .
قاضي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

اخرى فان المعاصرين في قلعة بغداد اظهروا بسالة متناهية في الدفاع عنها وعن مصيرهم معا حيث يقول نظمي زاده لقد بذل الايرانيون المستحيل في سبيل الحفاظ على القلعة حيث كانت مدافعهم تمطر العثمانيين بوابل من القنابل باستمرار وصل حدا يئس فيه مراد الرابع من النصر وفي سورة من الغضب رمى صدره الاعظم بالجبن فما كان من هذا الاخير الا وضحى بنفسه ليبرهن على اخلاصه لسلطانه حيث اصطحب معه ثلة من الانكشارية وهجم على الاسوار بوضعية انتحارية واستطاع مقاربة الاسوار وافلح في تدمير معظم اقسام الباب الابيض الا ان احدى اطلاقات مدفعية الايرانيين اصابته ووقع على اثرها قتيلا ويصفه نظمي زاده بالشجاعة والاقدام [٢] وبقتله فقد السلطان واحدا من اخلص جنوده في الوقت الذي فقد فيه صوابه ايضا لانه اخذ يشعر بذنب كبير لما وجهه من اهانات الى صدره الاعظم محمد طيار باشا قبيل استشهاده [٣]

---

(١) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ .

(٢) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٣١ . انظر كذلك :
قره جلبي زاده ، المصدر السابق ، ص ٦٠١ .

(٣) هو بن مصطفى باشا المعروف بصاروقجي احد ولاة بغداد السابقين وبعد استشهاده سار السلطان في جنازته ودفن الى جوار والده في مقبرة الامام ابي حنيفه ورثاه السلطان قائلا : ان مائة مدينة مثل بغداد لا يمكن ان تعوض عن فقدك . ويقول عنه نعيما ، انه (عاش سعيدا ومات شهيدا ) . وكانت وفاته في يوم ١٧ شعبان ١٠٤٨ هـ المصادف ٢٤ كانون الاول ١٦٣٨م . انظر :

Cantemir, op. cit., Vol. III., P. 248.

نعيما ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ .

Hammer, op. cit., Vol. 9., P. 335.

Huart, op. cit., P. 71.

حيث يجعل يوم ١٧ شعبان يقابل يوم ٢٥ كانون الاول ١٦٣٨م

Richard Coke, Baghdad the City of Peace, First Published, London, 1927, P. 207.

ان بعض الصفحات من كتاب ريتشارد كوك الخاصة بفتح السلطان مراد الرابع لبغداد قد سقطت من الترجمة العربية ـ لذا رجعت الى الاصل الانكليزي .





ولكن سرعان ما عيّن مصطفى باشا في مكانه واستنفر كامل قطعاته لنيل بغداد بأى ثمن .

ويذكر محمد يوسف نقلا من اولئك الذين شهدوا حصار بغداد ويصفهم بالناس الثقاة ، ان العثمانيين وجهوا في يوم واحد الى قلعة بغداد واسوارها وبرجها الابيض بشكل خاص قرابة ( ٤٥ ) الف قذيفة مدفع تزن الواحدة منها ( ٢٤ ) من تبريزى[1] ويذكر كريسي Creasy أن ثغرة حدثت في سور بغداد بعرض ٨٠ باردة[2] ويقول محمد يوسف ان الجيش العثماني استطاع ايصال معداته ومدافعه الى اسوار القلعة مما اربك الحامية الايرانية واحدث بين قادتها خلافا حادا[3] فأراد بعضهم الدفاع عن القلعة لا سيما انهم كانوا قد اتخذوا احتياطات كافية عندما حفروا خندقا اضافيا خلف الاسوار وشيدوا سورا آخر خلفه[4] ، وكان يترأس هذه المجموعة شابيك جرخجي ، أما الفريق الآخر الذى كان يتزعمه بكتاش خان حاكم المدينة فمال الى الاستسلام لا سيما بعد ان سقط احد القادة القزلباش المسمى سياوش قتيلا[5]

---

(١) يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٢١٧ .

(٢) Creasy, op. cit., P. 255.

(٣) يقول تافرنيه ، أن احتلال بغداد لم يحدث بسبب اصرار مراد الرابع او لمدافعه الكبيرة ، وانما للخلاف الذى حدث بين القادة القزلباش داخل القلعة ، تاورنيه ، سفر نامه تاورنيه ، ص ٢٢٠ .

(٤) Coke, op. cit., P. 207.

(٥) واحد اتباع صفي قلي خان حاكم بغداد السابق . انظر : يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٢١٧ .

وهو الذى ابلى بلاء حسنا في الدفاع عن بغداد ايام حصار حافظ احمد باشا كما ارتبط اسمه بانقاذ بغداد ابان حصار خسرو باشا لها[1] ولما عقد اجتماع موسع بين الفريقين حضره بكتاش باشا وخلف بيك ونقدى خان وعلي يارخان ومير فتاح لم يتوصلوا الى قرار حاسم مما حدا ببكتاش خان حاكم بغداد ـ نظرا لتفاقم الخلافات بينه وبين خلف بيك ـ الى اعلان الاستسلام لوحده[2] وارسل من يخبر الصدر الاعظم العثماني بقراره، واعتبر السلطان مراد الرابع ذلك فوزا عظيما له ولما توجه بكتاش خان الى المعسكر العثماني[3] أكرمه السلطان ومنحه الامان[4] وطلب منه العودة الى القلعة لاخبار حاميتها بقراره .

اما ريجارد كوك، فانه يكتب نقلا عن شاهد عيان ـ بان امطارا غزيرة هطلت في اليوم الثامن عشر من شهر شعبان ١٠٤٨ هـ بحيث لم يستطع افراد الجيش العثماني الابقاء على مصابيحهم متقدة ، لذا شنت غارة عامة على المدينة ورغم الامان الذى منح به السلطان فان الانكشارية بادروا الى سلب ونهب السكان وقتل من صادفهم من الفرس فيها[5] . ويقول الفرس ان الانكشارية سرعان ما نكثوا بعهد مراد واتجهوا الى الامراء

---

(١) يوسف، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي، ص ٢٢٧ .

(٢) لان الشاه صفي قد فضل خلف بيك على بكتاش خان .

(٣) يقول قره جلبي زاده ، الصدر السابق ، ص ٦٠٢ أن بكتاش خان توجه الى سرادق السلطان بوضعية مشينة للغاية . اما ريجارد كوك فيقول : أن وضعه كان يوحي بالسخرية والذلة

Coke, op. cit., I. 207.

(٤) ويقول بيچوى في تاريخ بچوى ، جلد ثاني ، لقد اهداه السلطان خنجرا مرصعا انظر، ص ٤٥٠ . وكذلك انظر ناصر (الترجمة التركية) ، ج ٩ ، ص ٢٥٧ .

( )

Coke, op. cit., P. 207.

الايرانيين ووضعوا القيد في أيديهم ورافق ذلك القتل وهتك للاعراض[١]. اما نظمي زاده، فيقول ان الفرس هم الذين نقضوا العهد واستمروا في رفع السلاح حتى اضطر السلطان الى تأديبهم وامر بقتلهم[٢]. ومهما يكن من شيء فان الجناح المعارض من افراد الحامية الايرانية التفت حول زعامة (ميركلان خفاجه) مين باشي ومراد خان بن مهدي خان سلطان عرب الدورق وتمركزوا في احدى ابراج القلعة التي كانت لاتزال بايديهم وبادروا الى فتح النار على الجيش الانكشاري الذي دخل المدينة ورغم ان هذه الحامية كانت تعاني من نقص كبير في الغذاء وشحة في الماء الا انهم ظلوا يقاتلون ثلاثة ايام بلياليها واستطاعوا قتل عدد كبير من العثمانيين الذين دخلوا القلعة ولما وصل خبر هذه الاحداث الى مراد الرابع اضطر الى كتابة عهد امان واقسم بان يلتزم به مقابل تسليمه الابراج عندها توقف القزلباش عن اطلاق النار

---

(١) يوسف، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي، ص ٢١٨. عندما منح السلطان مراد الامان للايرانيين داخل القلعة تقدم اليه جندي من الروم ايلي قائلا: ايها السلطان ليس من حقك أن تعطي الامان! فاستغرب السلطان من جرأته ومن غرابة اعتراضه فسأله لماذا؟ أجاب الجندي: ايها السلطان انت تعلم كم عانينا خلال السنوات الماضية في سبيل نيل بغداد وانفقنا في سبيل ذلك الاموال والارواح وبالنسبة لي فقد هلك ابي وعمي واخوتي في هذا الميدان. والآن فقط سنحت لي فرصة الانتقام فلماذا لا اشفي غليلي، لهذا أكرر بانه ليس من حقك منح الامان)). ومن جهة اخرى ان بعض مشايخ بغداد من رجال الدين حرضوا السلطان على الانتقام وحذروه من الامان، ولما وصل خبر انفجار مخزن البارود في المدينة اصبح ذلك ذريعة للموافقة على القتل العام. انظر: ايضا، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥٥.
نعيما (الترجمة التركية)، ج ٩، ص ٢٥٨.

(٢) نظمي زاده، المصدر السابق، ص ٢٣٢.



وتركوا القلعة متجهين الى ايران دون المرور بالمعسكر العثماني (١)،ان هذه الاحداث لا يذكرها المؤرخون الاتراك وكل ما يذكرون هو خضوع بكتاش خان وبقية الامراء الذين توجهوا الى السلطان معتمدين على عهده وقسمه حيث بالغ السلطان في اكرامهم وبخاصة بكتاش خان الذى ميّزه عن سائر الامراء ويؤكد المؤرخون الفرس اكرام السلطان لبكتاش خان الا ان محمد يوسف يقول ان بكتاش خان وجد نفسه بعد عدة ايام قد انحدر من القمة الى الحضيض،لذا آثر الموت على الحياة وتناول كميات كبيرة من الافيون وانتحر ويؤكد (٢) هذه الرواية المؤرخ التركي نظمي زاده بقوله ان بكتاش خان انتحر متأثرا بالغم الذى اصابه نتيجة انخذال قواته (٣). اما ريجارد كوك فيقول انه تناول كميات كبيرة من السم ووجد في اليوم الثاني جثة هامدة (٤). وبعد خروج المعتصمين من افراد الحامية الايرانية من ابراج بغداد وبعد موت بكتاش خان استولى السلطان على المدينة ورافق عملية الاحتلال النهب والسلب ويقول محمد يوسف ان سكان المدينة وقعوا ضحية بريئة لحادث الحريق الذى شبّ في مخزن البارود في القلعة والذى اعتبره العثمانيون متعمدا لذا اصدر السلطان مراد امرا بقتل اهل القلعة جميعا (٥).

---

(١) يوسف، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي، ص ٢١٨.

(٢) نفس المصدر، ص ٢١٩.

(٣) نظمي زاده، المصدر السابق، ص ٢٢٣.
هامر، (الترجمة التركية)، ج ٩، ص ٢٥٩ ويقول توفي بعد العشاء فجأة.
ثريا، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣.

(٤) Coke, op. cit., P. 210.

(٥) يوسف، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي، ص ١٩.

ويذكر لين بول Lane Poole ان مذبحة مفزعة رهيبة وقعت في بغداد فلم ينج من افراد حامية المدينة سوى ٣٠٠ شخص من اصل ٣٠٫٠٠٠ جندي[1] ويقول شاهد عيان عثماني : أن رجالنا قتلوا كل من صادفهم في المدينة وان الله وحده هو الذى يعلم عدد القتلى الايرانيين ويستمر قائلا في صباح اليوم الثاني أمر السلطان بذبح افراد الحامية الايرانية البالغ عددهم خمسة عشر الفا[2] وقد قتل منهم اربعة عشرة آلاف وسمح للبقية بمغادرة المدينة الا انهم وقعوا في كمين انكشاري خارج المدينة وابيدوا عن آخرهم . ويقول ريجارد كوك ، لقد كان في بغداد حوالي (٣١) الف جندي نظامي ايراني وعشرين الف متطوع ، اعمل السيف في رقابهم جميعا[3] ويقول التنبرلقد قتل في مدينة بغداد حوالي ٣٠٫٠٠٠ ايراني[4] ويجعلهم بجوى ٣٤ الفا[5] ونعيمي عشرين الفا[6] . اما دحلان فيجعلهم خمسين الفا[7] ، وهكذا نجد ان هناك خلافا في تقدير عدد القتلى . وأني ارى ان كل الارقام مبالغ فيها لان افراد الحامية الايرانية في بغداد في كل الاحوال لم يتجاوزوا ال ١٢٫٠٠٠ مقاتل ولا اظن انهم

---

Lane Poole, Turkey, P. 219.

Coke, op. cit., P. 208.

Ibid, PP. 208-209.

Cantemir, op. cit., Vol. III., P. 248.

تاريخ بجوى ، جلد ثاني ، ص ٤٥١ .

نعيمي ، المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٩ . وكذلك العمري ، في الاثار الجلية ، ورقة ، ص ٢١٢ . قره جلبي زاده ، المصدر السابق ، ص ٦٠٢ . وابا كريوس المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .

دحلان ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣٣ .

قتلوا جميعا [1]. وعلى كل حال لقد سفكت دماء غزيرة ولعبت الاحقاد دورها وعمت الفوضى والاضطرابات بين السكان وكانت سببا لخراب البلاد [2] ويقول حاجي خليفة لقد امر السلطان بتنظيم مجزرة لعموم الشيعة في بغداد [3] اما محمد يوسف فيقول وكلامه لا يخلو من مبالغة ان ما حدث من القتل والتخريب في مدينة بغداد اثناء وبعد احتلال مراد لها لم يشهد التاريخ مثله لا في عهد فرعون او نمرود او شداد [4].

لقد عانى السلطان مراد الرابع كثيرا من سوء الاحوال الجوية التي رافقت فترة الحصار التي دامت اربعين يوما والتي اثرت على صحته بل وسببت وفاته بعد عام ان سلطانا يقضي اربعين يوما خلف الاسوار في ظروف قاسية يفقد خلالها من جملة من يفقد صدره الاعظم محمد طيار باشا الذي كان يكن له التقدير ـ لا بد له من الانتقام من الحامية الايرانية في المدينة بعد فتحها ولا بد ان يصحب ذلك اعمال عنف وتجاوزات على اهل المدينة ، اما ما ذكره المؤرخون عن المذبحة لعموم الشيعة فاني اعتقد بأنها كلمات جاهزة لا صحة لها تقال في مثل تلك المناسبات وهي من جملة مبالغات المؤرخين في ذلك الزمان .

---

(١) لان هناك اشارة صريحة بان عددا كبيرا من افراد الحامية توجهوا الى ايران قبل دخول السلطان مراد الى بغداد .
يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٢١٨ .

(٢) فائق ، المصدر السابق ، ص ١ .

(٣) حاجي خليفة ، تقويم التواريخ ، ص ١٣٤ . ويذكر ابن بشر ، المصدر السابق ، ص ٤٦ أن السلطان فعل بهم مقتلة عظيمة .

(٤) يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص ٢١٩ .

(١)
وبدخول السلطان مراد الرابع بغداد عام ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م تبدأ فترة الاحتلال العثماني الثاني للعراق .

هذا، ان السلطان مراد الرابع لم يمكث طويلاً في بغداد بل توجه ركبه في اليوم الثاني عشر من شهر رمضان ١٠٤٨هـ المصادف ١٧ كانون الثاني ١٦٣٩م الى الجانب الغربي ومنها سلك طريق سامراء وتكريت وواصل سفره حتى وصل الموصل في يوم ٢٢ رمضان ١٠٤٨ هـ ٢٧ كانون الثاني ١٦٣٩ وبعدها ترك حدود العراق قاصداً القسطنطينية تاركاً صدره الاعظم لتدبير شؤون العراق .(٢)

---

(١) ويقول كريسي نقلاً من الحكايات الشرقية القديمة لقد تحققت (( النبوءة التي شاعت آنئذ في الشرق بان بغداد لا يمكن ان يقهرها الا السلطان وهو ( سر ) فشل حملتي حافظ احمد وخسرو باشا في الماضي )) !!
Creasy, op. cit., P. 256.

(٢) العزاوي، المصدر السابق، ج٤، ص ٢٠٥

# الفصل الرابع

## الاحداث السياسية الهامة في مناطق البصرة والموصل وشهرزور

١٥٣٤ — ١٦٣٨م

## اولا – ولاية البصرة

### ١- الاحتلال العثماني للبصرة ٩٥٣ هـ / ١٥٤٦م :

ان المعلومات المدونة عن تاريخ احتلال البصرة من قبل العثمانيين مضطربة وغير دقيقة حيث يشير بعض المؤرخين الى بدء تبعيتها للدولة العثمانية في عام ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤م بينما يقول البعض الاخر ان ذلك تم في عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م . ويختلط معظمهم في تحديد اسم الامير العربي الحاكم فيها ابان الاحتلال او التبعية، فقد سماه كل من نظمي زاده [1] وبيچوى [2] راشداً [3] بينما زعم ابن غملاس انه (مغامس) [4] [5] وقد ذكر نظمي زاده ان راشداً قدم ولاءه للسلطان اثناء وجود الاخير في بغداد عام ٩٤١هـ/ ١٥٢٤م [6] ويهدف المؤرخ هو التأكيد على الحاق البصرة واميرها بالدولة العثمانية ابان فتح بغداد عام ٩٤١ هـ/ ١٥٣٤م وعلى هذا الغرار يكتب لونكرك ويزيد ان السلطان امر بتعيين راشد حاكما على البصرة وقال ان درجة البصرة اصبحت ايالة [7] ~~واعتقد ان لونكرك يختلق هذه~~

---

(١) المتوفى ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م .

(٢) المتوفى ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م .

(٣) انظر: كلشن خلفا، ص١٩٩ . بيچوى، المصدر السابق، جلد اول، ص٢٠٦ .

(٤) ولاية البصرة وتسلموها، ص ٥٥ .

(٥) لونكريك، المصدر السابق، ص ٤٠ .

(٦) كلشن خلفا، ص ٢٠١ .

(٧) لونكريك، المصدر السابق، ص ٤٠ .

الا ~~استنادا دون الاعتماد على نصوص تاريخية مؤكدة بدليل انه ينفرد في جعل البصرة ايالة في الوقت الذي نعلم ان نظام الايالات لم يظهر في الدولة العثمانية الا في عهد السلطان مراد الثالث ( ١٥٧٤ – ١٥٩٥م~~ )(١) ويبدو لي ان راشدا لم يعرض ولائه على السلطان عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م وانما بارك للسلطان على فتحه بغداد . ويناقض نظمي زاده نفسه عندما يجعل توجه مانع بن راشد بن مغامس امير البصرة بصحبة وزيره صبر محمد الى الدولة العثمانية عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م لعرض الولاء وتسليم مفاتيح المدينة الى السلطان سليمان(٢) ويضيف منجم باشي ان مانعا تعهد امام السلطان بذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة(٣) اما بجوى فانه يصف الهدايا التي حملها مانع الى القسطنطينية(٤) . بينما يتخبط ابن غملاس في تحديد تاريخ التبعية عندما يذكر بالحرف الواحد :–

(( في سنة ٩٤٥هـ شرف بغداد السلطان سليمان ( ! ! ) ، فارسل ( مغامس) وكان حاكم البصرة مفاتيح المدينة مع ولده راشد الى السلطان في بغداد وعرض له الطاعة والانقياد ))(٥) علما بان السلطان لم يكن في بغداد عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م كما لم يكن

---

(١) دني ، ~~J. Deny ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ١ ( الطبعة العربية ) ، ص ٢٥٤ نقلا من دوسون الذي لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه .~~

(٢) گلشن خلفا ، ص ١٩٩ ويؤكد نفس الرواية الدكتور اسرار في اطروحته عن السياسة الدينية للدولة العثمانية في عهد السلطان سليمان القانوني . انظر :

Asrar, op. cit., P. 206.

(٣) منجم باشي تاريخي ، جلد ثالث ، ص ٤٩٤ .

(٤) اللؤلؤ والمرجان والاقمشة الفاخرة والسكر والعطور ومختلف انواع البخور والمسك والعنبر . تاريخ بجوى ، جلد اول ، ص ٢٠٧ .

(٥) ولاة البصرة ومتسلموها ، ص ٥ .





مغامس حيا في ذلك التاريخ (١).

وعلى نفس الشاكلة يكتب صاحب تاريخ البصرة قائلا (( اصبحت البصرة عام ٩٤٥هـ / ١٥٣٨م جزءا من الدولة العثمانية الا ان العرب في اطرافها ظلوا ثائرين وتواقين للاستقلال (٢) ويذكر اوليا جلبي (( لقد فتحت ولاية البصرة عام ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م )) (٣) وهكذا نجد تخبط المؤرخين في تحديد تاريخ الولاء او التبعية او الاحتلال ، بينما يؤكد رواية المؤرخ الشيخ نعمان بن محمد بن العراق (٤) بان امارة البصرة استمرت الى عهد

---

(١) انظر : ص ٢٨٠ الهامش

(٢) حسن خان ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(٣) سياحتنامه سي ، برنجي جلد ، ج ١ ، ص ٢٠٤ .

(٤) صدر في الآونة الاخيرة كتاب باسم معدن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر ، تأليف الشيخ نعمان بن محمد بن العراق ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، مجمع البحوث الاسلامية اسلام آباد ، باكستان ـ ١٩٧٣ .

والمؤلف من رجال القرن العاشر الهجري ورغم ما سرد في كتابه احداث معروفة تتعلق بالعصور الاسلامية السابقة الا انه اشار الى امراء البصرة المعاصرين له وبذلك صحح اخطاء شائعة وان النص الآتي يعطينا معلومات قيمة عن تاريخ امراء المنتفق وهم آل فضل حيث يقول :ـ

(... اخذها ( يقصد البصرة ) محمد بن مغامس قهرا ووليها مدة طويلة ثم مات شهيدا ووليها بعد ذلك اخوه راشد بن مغامس نحو سنتين او اكثر ثم اخذها مانع بعد وفاة ابيه وجلس فيها مدة ثم اخذها عثمان بعد مانع ووليها مدة ومات ثم وليها يحي بن فضل ثم اراد الله تعالى لهذه البلاد خيرا .. حيث الهم السلطان سليمان ايده الله بنصره اخذ هذه البلاد وتملكها .. ) .

وان الروايات تشير الى ان راشدا كان معاصرا لاحتلال سليمان لبغداد ٩٤١هـ ، بينما تأخر احتلال البصرة الى عهد اميرها يحي بن فضل ٩٥٣هـ/١٥٤٦

( == )

اميرها يحيى بن فضل وهذا يعني ان البصرة لم تلتحق بالدولة العثمانية في عهد
( = = ) وهو ما يصح اعتباره تاريخا لاحتلال البصرة .

ومن الجدير بالذكر ان محقق هذا المخطوط الدكتور محمد حميد الله ذكر في
ص٣ من كتابه ما يلي :

(( .. المخطوطة تأليف الشيخ نعمان بن محمد بن العراق ، الا اننا لا نجد
ذكر الشيخ نعمان وقد كتبنا الى بعض اولي العلم في بغداد ورجعنا ايضا الى
بعض المتخصصين في المعارف الشرقية من المستشرقين الفرنسيين والايطاليين
والالمانيين ورغم ذلك فاننا لم نظفر بما كنا بصدده )) .

وعندما يحدد المحقق استفساره من علماء بغداد دون سائر الاقطار
العربية يوحي للقارئ وكأن المؤلف عراقي ، بينما ورد في كتاب النور السافر
في اعيان القرن العاشر ، للعيدروسي ترجمة موسعة لوالد المؤلف وهو ( محمد
ابن العراق ) واشار الى انه عربي كناني من دمشق اقام في المدينة ، وذكر الحنبلي
في شذرات الذهب ، مؤلفاته التي منها المنح الغنائية والنفحات المكية وكتاب
هداية الثقلين في فضل الحرمين وكتاب مواهب الرحمن في كشف عورات الشيطان
ورسالة كتبها الى من انتسب الى الطريقة المحمدية في سائر الآفاق خصوصا بمكة
المكية والمدينة المرضيه وكتاب السفينه العراقية .. وكتب اخرى ، كما ذكر وفاته
في عام ٩٣٢هـ واضاف بان اولاده الثلاث سيدى ( علي ) والشيخ عبد النافع
والنعمان )) اخذوا عنه . والاشارة صريحة الى ان النعمان هو بن محمد بن
العراق الدمشقي الاصل والمدني الاقامة . كما حدد الغزى مؤلف الكواكب
السائرة ولادة محمد بن العراق والد المؤلف وجعلها في عام ٨٧٨هـ وقال عنه
لقد تعلم الحساب ، والخط والرماية والشطرنج والنرد ، وجعل كنيته ابو علي شمس
الدين ، ونقتبس من اقواله في كتاب السفينة العراقية ما يلي : وهو رد على ما
حدث في القرن العاشر من البدع والمنكرات !! (( اني أرى الخمول نعمة
كل احد يأباه ، وأرى الظهور نقمة وكل واحد يتمناه الا ان في الظهور قصم
الظهور )) .

( = = )

واحداً من الامراء الذين ذكرهم المؤرخون المارة اسماؤهم وانما استمرت مستقلة الى زمن يحيى بن فضل* حيث زحف اليها اياس باشا والي بغداد عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م بأمر من السلطان سليمان القانوني لاحتلالها، فسار بمحاذاة نهر الفرات مارا بمدينة النجف وشنت في اطرافها قبائل آل قشعم الثائرة(1) ضد الدولة العثمانية واستمر في

---

(*) كما دفعنا هذا المخطوط المحقق الى احتمال تبعية قاضي البصرة الى المدينة بينما كان قاضي بغداد يتبع حلب وعندها نستطيع القول بان النعمان ربما توجه الى البصرة قاضيا او قصدها مع احد القضاة واطلع على تاريخها وشغف به مما شجعه على تأليف كتابه معدن الجواهر وربما كانت وفاته في البصرة او في مكان آخر غير المدينة بدليل ان صاحب الشذرات لا يشير الى وفاته في الوقت الذي يدون فيه وفاة اخويه عبد النافع وسيدي علي في اعوام ٩٦٢هـ، ٩٦٣هـ على التوالي ويحتمل المحقق واحتماله صحيح ان تكون وفاة المؤلف بعد عام ٩٥٣هـ وقبل ٩٦٦ (كذا) والصحيح ٩٧٤هـ لانه يذكر احداثا تتعلق بضم البصرة الى الدولة العثمانية كما يذكر السلطان سليمان القانوني كسلطان قائم والتاريخ الاول يشير الى احتلال البصرة والثاني الى وفاة السلطان سليمان وقد اخطأ المحقق عندما جعل وفاة السلطان عام ٩٦٩هـ. انظر: محي الدين عبد القادر بن شيخ عبد الله العيدروسي، تاريخ النور السافر عن اخبار القرن العاشر، صححه وضبطه الاستاذ محمد رشيد افندي الصفار، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م ص ص ١٩٢، ١٩٦؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٨، ص ص ١٩٨، ١٩٩، ٢٣٢، ٢٣٣؛ الغزي، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥٩.

(1) قشعم او جشعم، لقب ربيعة بن نزار والمشهور عنهم انهم بني ماء السماء يعني من قحطان وان شيخ قشعم في فترة بحثنا كان يلقب بشيخ العراقيين اي شيخ برية الكوفة والبصرة، ومن جهة اخرى كان الشيعة في المشاهد المقدسة وأبناء العشائر الاخرى القاطنون في الارياف المجاورة لها يقاومون بعنف السلطة القائمة في بغداد لا يستطيع الحكام الاتراك حتى في اوج قوتهم التغلب عليهم. انظر:
يعقوب سركيس، مباحث عراقية، ق ١، ص ٩٠.
لونكريك، المصدر السابق، ج ٢، ص ص ١٠-١١.

اعتقد انه من اسرة آل مناصير وهي اسرة آل المنتفق.

تقدمه صوب البصرة للاستيلاء عليها ، وعلى رواية اخرى ان الحملة كانت عن طريق نهر دجله وبثلاثمائة سفينة شراعية يسندها عشرة آلاف مقاتل من البر تبغي قتال آل مغامس المتحصنين في الجزائر فوقع الاشتباك بينهما وبعد قتال عنيف اندحر جيش الامارة وفر اميرها الى جهات نجد ودخل أياس باشا مدينة البصرة ، وشرع على رواية ابن غملاس بالغاء الضرائب التي كان يجمعها الامير العربي واحل مكانها الضرائب السنية يأمر بها الشرع الاسلامي (١) وبادر الى تنظيم شؤونها وتبجح باعلان ولاء اهالي واسط والجوازر له ومكث فيها ريثما عيّن السلطان سليمان لها بعض الموظفين والامراء لادارتها كان بينهم بلال محمد بك الذى صار بكلربكا للبصرة براتب سنوى قدره مليون اقجه وساهم في تنظيم شؤون الولايه حيث جدد دار ضرب النقود للمباشرة بسك النقود العثمانية (٢) (٣).

ب ـ مقاومة العشائر العربية في اطراف البصرة للاحتلال العثماني :

ان العشائر العربية في اطراف البصرة اعلنت الثورة واتخذت من الجزائر مركزا (٤)

---

(١) ابن غملاس ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .
(٢) انيد ليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .
(٣) Stripling, op. cit., P. 83.
(٤) انها اراضي يابسة تحيط بها الانهار والشطوط من كل الجهات ويقيم فيها سكان المنطقة من العشائر العربية ونهرها الرئيسي الفرات والترع المتفرعة منه من الجهتين وقد اعتنى سكانها ببناء القلاع في تلك الاراضي حتى صار في مساحة صغيرة من الارض قلعتان أو ثلاث وسكان الجزائر بواسل مقاتلون واراضيهم صعبة المسالك وكل من ملك قلعة او اكثر لقب بالامير وقيل : ولم يسمع في سالف الزمان ان احدا من الملوك او السلاطين استطاع قهرهم او اخراجهم من ديارهم وعاصمة المنطقة في فترة بحثنا ( التديّنه ) وهي مدينة بني منصور ومن قراها الصباغية ونهر صالح وبني حميد ونهر عنتر وديار بنو اسد واشهر قبائلها ربيعة ومن افخاذها بنو اسد وكانت الجزائر في السابق جزء من بلاد المشعشعين ثم آلت لآل عليان . انظر : ( = )

لبلاد تغير على مواقع الحاميات العثمانية كلما سنحت الفرصة لها ، كان منها تلك الهجمة الموفقة بزعامة آل عليان[1] عام ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م على الحامية العثمانية محاولة منها لقطع الطرق التجارية من والى البصرة ، ولا نجانب الصواب اذا قلنا أن معظم تلك الغارات كانت تتم بتحريض من لدن الدولة الصفوية التي كانت تواقة الى بسط نفوذها على ميناء البصرة وبذا تتحول المنطقة الى ميدان جديد للصراع العثماني الصفوي ويضطر حاكم المنطقة العثماني علي بيك الى الاستنجاد بوالي البصرة ولما لم يكن في استطاعة هذا الاخير تقديم المعونة لحراجة موقفه لذا كتب الى والي بغداد يطلب المساعدة العسكرية لاخماد ثورة العشائر التي باتت تهدد البصرة[2] ، وتوسعت الثورة حتى وصل صداها الى الاستانه فصدرت[3] الاوامر الى والي بغداد (تمرد علي باشا) ليتولى قيادة

---

(=) عبد علي بن ناصر بن رحمه الحويزي ، السيرة المرضية في شرح الفرضية ، اسماه المحقق محمد الخال ب (تاريخ الامارة الافراسيابية) ، بغداد ، ١٩٦١ ، ص٣٣ . الشيخ فتح الله بن علوان الكعبي ، زاد المسافر ولهنة المقيم والحاضر . فيما جرى لحسين باشا ابن افراسياب حاكم البصرة ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٩٢٤م ، ص٢٨ .

M.Streck and Saleh El-Ali, Al-Bataih, in the Encyclopaedia of Islam, New Edition, Volume, I., Leiden, 1966., F. 1097.

(١) عليان من قبيلة شمر الطائية وتتزعم عشائر بني سعيد وبني مالك وآل أجود وبني منصور وبني اسد والمزيرعة وغيرها وهي نفس قبائل المنتفك . انظر : حسن خان ، المصدر السابق ، ص١٠٨ . عباس العزاوي ، عشائر العراق ، القديمة والبدوية الحاضرة ، ج١ ، بغداد ، ١٩٣٧م ، ص ص١٧٧ـ ١٧٩ .

(٢) العزاوي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٣) ابن فلاس ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

كلشن زاده ، المصدر السابق ، ٢٠ ، ٢٠ .

الجيش الذى سيتوافد عليه من الاراضي العثمانية كما صدر امر آخر الى امير امراء سيواس محمد باشا البالطه جي (١) ليتولى قيادة جماعة من الانكشارية ويتجه بهم لمساعدة تمرد علي باشا وليذهبا سوية لاخماد ثورة الجنوب (٢). وعندما وصل الجيش المشترك الى واسط عن طريق نهر دجله استقبلهم علي بيك حاكمها واصبح دليلا لهم وقادهم الى حيث يقيم آل عليان في بلدة (المدينه) في الجوازر ولكن دون جدوى حيث توارى الثوار في منطقة تفرعات الانهار الكثيرة وتوزعوا على القلاع المنتشرة في جزرها الصعبة المنال ليخرجوا ليلا لشن غاراتهم ضد الجيش العثماني من تلك المتاهات التي لا يعرف شعابها سوى الثوار انفسهم مسببين الذعر والفزع في نفوس العثمانيين الذين انهاروا امام الجرأة الخارقة التي كان يتمتع بها الثوار وامام اقدامهم وبسالتهم التي لا تلين، لذا اضطر والي بغداد الى التقهقر والعودة الى ولايته حيث عزله السلطان من منصبه لفشله في اخماد الثورة وعين مكانه محمد باشا البالطه جي (٣).

## ح ـ الصراع العثماني البرتغالي في الخليج العربي بعد احتلال البصرة :

ظل موقف والي البصرة حرجا لا سيطرة له الا على المدينة ذاتها دون اطرافها معتمدا على واردات دار الكمرك والميناء لان الامارة السابقة لم تستكن وانما كانت تعمل بشتى السبل في سبيل استعادة البصرة من ولاتها العثمانيين، فالتجأ امراؤها الى

---

(١) عن البالطه جي انظر الفصل الثاني ص ١٥٢ من هذه الرسالة .

(٢) نظمي زاده، المصدر السابق، ص ص ٢٠٢ ... ٢٠٣ .

(٣) نفس المصدر، ص ٢٠٣ بينما يدعي ابن غملاس، في كتابه، ص ٥٧ ان العثمانيين انتصروا على آل عليان واخمدوا ثورتهم والحقوا منطقتهم بالدولة العثمانية وهذا خلاف للواقع التاريخي الذي يؤكد استمرار الثورة في هذه المنطقة .

البرتغاليين في هرمز يطلبون مساعدتهم (١) وبذلك ساهموا في فتح صراع عثماني برتغالي
في منطقة الخليج العربي ، حيث اضطر السلطان سليمان الى ارسال بيرى رئيس
قائد القوة البحرية في البحر الاحمر عام ٩٥٩هـ/ ١٥٥١م الى الخليج العربي على
رأس قطعة بحرية تتكون من ثلاثين سفينة متنوعة (٢) استطاع بها ان يبسط نفوذه على
السواحل العربية ونجح في نهب هرمز وعاد بالغنائم الى بلاده (٣) عن طريق البصرة
التي فكرت الدولة العثمانية بربطها بمصر الا ان بيري رئيس كان يخشى الاسطول
البرتغالي لذا اختار ثلاث سفن ملأها بالغنائم وترك باقي السفن بالبصرة وتوجه الى
البحر الاحمر وفي عرض البحر غرقت احدى سفنه ووصل باثنتين منها الى مصر ولكن
وجهت اليه تهمة الخيانة واعدم بسببها (٤) بوشاية من والي البصرة (قباد باشا) (٥)
وباعدامه فقدت الدولة ابرز (قبودان) بحر شجاع (٦) ومن جهة اخرى لما غادر
بيري رئيس البصرة ابقى فيها مراد بيك كقائد لبقية السفن التي تركها هناك واستطاع

---

(١) ولسن ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ مقابل وعد من الامارة للبرتغاليين بالسماح
لهم ببناء قلعة في ميناء البصرة عند عودتهم اليها .
(٢) منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، مجلد ثالث ، ص٥٠٦ .
(٣) ولسن ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .
(٤) منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، مجلد ثالث ، ص٥٠٦ لقد تم اعدامه فيما بعد
في عام ٩٦٢هـ/ ١٥٥٤م .
(٥) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٤٠٦ (الطبعة العربية) .
(٦) له بعض المؤلفات في فن الملاحة (لا سيما في بحر ايجه والمتوسط) وعنوان كتابه
(بحريه) ومعه اطلس جغرافي ، ويصف في الكتاب جميع الشواطئ التي رحل اليها
مع ذكر التيارات والاراضي الضحلة والمراسي والخلجان والمضايق والثغور واهدى
كتابه الى السلطان سليمان القانوني ، وبعد اعدامه لم تستطع الدولة العثمانية
فرض هيمنتها على الخليج العربي لعدم كفاءة قادته بعده انظر :
دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٤٠٦ (الطبعة العربية) .

هذا ترميمها وتنظيمها والتوجه بها الى مضيق هرمز ثانية ، لقتال البرتغاليين الا انه اندحر في المعركة وعاد الى البصرة ـ يجر اذيال الخيبة ـ ببعض السفن المحطمة بعد ان تكبد خسائر جسيمة في الارواح والمعدات[1]. ولما علمت الدولة العثمانية بذلك اوكلت مهمة اعادة السفن الراسية في البصرة الى سيدي علي رئيس الذي توجه اليها لأداء هذه المهمة عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م عن طريق برجك والرها ونصيبين والموصل وبغداد ومنها اتجه الى البصرة على ظهر سفينة في نهر دجله ووصلها في اواخر شهر صفر من عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م وكان واليها آنئذ مصطفى باشا ومكث فيها قرابة خمسة شهور حتى يحين أوان الرياح الموسمية التي يستطيع بوساطتها الاقلاع ، واما كان والي البصرة متورطا آنئذ مع القبائل العربية في الجزائر ومع المشعشعين في الحويزة ـ شأنه شأن الولاة الذين سبقوه ـ استغل وجود سيدي علي رئيس وكلفه بقيادة حملة بحرية ضد آل عليان في منطقة الجزائر ، ليستطيع هو التفرغ لقتال المشعشعين ، الا ان سيدي علي لم يفلح في غزوته تلك بل اندحر أمام الثوار وقتل من افراد طاقمه وجيشه حوالي مائة شخص[2] لان الثوار كانوا معتادين على القتال في تلك

---

(١) ولسن ، المصدر السابق ، ص ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ص ٧٠ ـ ٧١ .

(٢) Sidi Ali Reis, The Travels and Adventures of the Turkish Admiral, In India, Afghanistan, Central Asia and Persia, during the year (1553-1556) Translated from the Turkish with Note by A. Vambery, London, 1899, P.7.

المتاهات المائية في الوقت الذى كان يجمل سيد ى علي شعابها لذا عاد خائبا الى البصرة (١) ولما ابحر منها عند بدء الرياح الموسمية باتجاه مضيق هرمز كان حذرا للغاية لئلا يواجه الاسطول البرتغالي ولكن رغم ذلك اعترضت سبيله خمس عشرة سفينة برتغالية خاض ضدها حربا مريرة استطاع في نهايتها الافلات منها باتجاه بحر عمان ، وبعد ابحار دام سبعة عشر يوما واجهته قطع من الاسطول البرتغالي مرة أخرى ووقعت بين الاسطولين معركة خسر فيها الجانب العثماني حوالي مائتين من الرجال بالاضافة الى عدد من السفن ، وارغم على الابتعاد من الساحل العربي باتجاه المحيط الهندى ى سواحل بلوجستان ولما عاود الابحار من جديد صوب اليمن والبحر الاحمر دفعته الرياح الى عرض المحيط الهندى لان الموسم لم يكن في صالحه وتكبد نتيجة ذلك الخسائر الفادحة في المعدات ، بالاضافة الى ماعاناه من مشقة ومتاعب من الامواج ، وهذا يفسر لنا جهل رجال البحرية العثمانيين ببحار الهند ويوضح فشلهم امام البرتغاليين (٢) الذين تمرسوا في تلك البحار منذ امد بعيد ، لذا لم يفلح العثمانيون في بناء قواعد (٣) في الخليج العربي وغدت حملة سيدى علي في بحار الهند هي الاخيرة ولم يكسبوا

---

(١) Reis, op. cit., P.7.

(٢) ظل سيدى علي يتخبط مدة عشرة ايام بين صرير الريح وهدير الموج وهطول الامطار حتى استطاع الوصول الى ميناء ( دمن ) التابع لملك كجرات الذى نصحه بالتوجه الى سورات لتجنب البرتغاليين وقبل النصيحة وتوجه الى سورات وباع جميع سفنه وتفرق عنه رجاله وعاد عن طريق البر عبر ايران الى بغداد ومنها قصد الموصل في طريقه الى بلاده .
انظر : العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ص ٧٤ — ٨٩ .

(٣) حسن ، المصدر السابق ، ص ٢١٧ .

فيها سمعة حسنة كما لم يوفقوا الى بسط نفوذهم على السواحل العربية بسبب انشغالهم في حروب كثيرة وفي جهات متعددة الامر الذى لم يوفر لهم الفرصة للتفكير بشكل جاد او الاستعداد للهيمنة على مياه الخليج العربي وسواحله .

د ـ تجدد ثورة آل عليان في البطائح ٩٧٤ ـ ٩٧٥هـ / ١٥٦٦ ـ ١٥٦٧م :

نتيجه فشل العثمانيين في السيطرة على مياه الخليج العربي وتقهقرهم امام البرتغاليين حلفاء الصفويين واعداء الامراء العرب الغازين من القطيف والبصرة، تجددت ثوره آل عليان واخذت تشن غاراتها المتواصلة على مقر الحامية العثمانيه في البصرة ، ومما يؤكد ذلك ما كتبه السائح قيصر فرد ريك Casar Fredricke عام ١٥٦٣م/ ٩٧١ هـ عند مروره بالبصره حيث قال عنها ، انها مدينه عربية قديمة الطراز كانت تحكم الى وقت قريب من قبل العشائر العربيه التي تقطن الجزائر فهو يذكرها محرفة Zizarii شأنه شأن كل السواح الاجانب عندما ينطقون بالمصطلحات العربية ، ويردف قائلا اما اليوم فانها تدار من قبل حامية عثمانية مزودة بالجند والسلاح اما تلك العشائر فانها انسحبت الى البطائح[1] والجزر ولا يستطيع الاتراك تجهيز جيش

(١) هي تلك المساحات المائية الممتدة بين واسط شمالا والبصره جنوبا وهناك اشارات الى وجودها منذ العهد البابلي واستمرت تذكر في العهد الساساني والاسلامي وكانت تسمى بطائح الكوفة وبطائح واسط وبطائح البصرة وكانت تفرعات الترع من نهر الفرات تكوّن مجموعة من الاراضي اليابسة على شكل جزائر كانت تشتهر بزراعة قصب السكر والارز والتي كانت تسمى بالجوازر ايضا وهي بدورها كانت تتاخم بطائح البصرة التي كانت مخبأ للثائرين لصعوبة الوصول اليها ، ولاستطاعة الثوار التسلل الى السفن الكبيرة التي تمخر المجارى الرئيسة للانهار للاغارة عليها وسلبها ثم الاختفاء في القنوات الصغيرة التي لا حصر لها والتي تتعذر على تلك السفن السير فيها . انظر : كاتب جلبي ، جهانما ، ص ٤٥٩ .

( = = )

باستطاعتهم لا عن طريق النهر ولا عن طريق البر ويضيف ان سكنة هذه الجزر رجال اقوياء اشداء ومحاربون شجعان (1) وان ما يؤكد مشاهدات هذا السائح تجدد الثورة في الجزائر عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م بزعامة آل عليان في عهد والي بغداد خضر باشا بسبب الضغط الذى مارسته الدوله العثمانية في جباية الضرائب منها ولو علمنا بأن هذه العشائر كانت تعاني من ضنك العيش من جراء تزايد المساحات المائية على حساب الاراضي اليابسة نتيجه اهمال الحكام المتعاقبين في العراق صيانه السدود منذ عصور سابقة الامر الذى ادى الى حرمان هذه المجاميع التعسة من ابسط متطلبات العيش ولم يبق امامها طريق سوى الثورة ، تلك التي أستغلتها الدولة الصفوية لصالحها .

ومما ساعد الثوار على الصمود ، استراتيجية منطقتهم نتيجة تشعب انهارها وكثرة قلاعها التي كانت اقرب ما تكون الى جزائر عائمة وسط بحيرات واسعة من المياه الضحلة التي يصعب على السفن الكبيرة الوصول اليها ، الا ان الثوار انفسهم كانوا ...بثون ...يادة مشاحيفهم وبسرعة خارقة لمعرفتهم التامة بشعاب تلك المناطق وكانوا ينزلون الخسائر المفاجئة بحاميات السلطة العثمانية ثم يعودون الى مراكزهم التي يصعب على الدولة الوصول لها . ولما اشتدت غارات آل عليان على البصرة في عام

---

(1) سترك ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٣ ، ص ص ٦٨٢ — ٦٩٠ (الطبعة العربية)

Streck and El-Ali, The Encyclopaedia of Islam New Edi[...]
Vol. I., P. 1093.

Asrar , op. cit., P.208.

Caesa Frederick, The Voyage and Travell of M. Caesa Fredericke, Merchant of Venice into the East India, in the Richard Hakluyt Voyages, Vol. III., Last repriuted, London, 1962, PP.201-203.

٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م بدعم من الدولة الصفوية اضطر واليها درويش علي باشا الى طلب النجدة من الدولة فاصدر السلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م) امرا الى حامية شهرزور[١] والموصل بالاستعداد للتوجه الى بغداد[٢] كما امر بارسال مايقرب من اربعمائة وخمسين سفينة عن طريق برجك عبر نهر الفرات مزودة بمائتي مدفع واناط قيادة الحملة الى اسكندر باشا والي بغداد[٣] ومما هو جدير بالذكر ان الحملة النهرية جهزت من برجك في ٤ محرم سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م ومرّت بجعبر والرقه والرحبة وعانه وحديثه وهيت والفلوجه وبعد استراحة عدة ايام فيها اتجه الاسطول مع حوالي (٢٠٠٠) من الانكشارية صوب الحلة ورسا على شواطئها مدة شهرين بسبب اشتداد حرارة الجو منتظرا حلول فصل الخريف لمعاودة السير باتجاه القبائل العربية الثائرة في الجنوب، وفي الخريف تحرك من الحلة الى لواء الرماحية[٤] ثم السماوه وفي طريقه مرّ بنهر (أبوكلبين) واجتاز عدره ووصل ملتقى نهري دجله والفرات وقارب موضعا يقال له (صدر الدار) يشرف على رأس (الجزائر) وضارب العشائر العربية فيها[٥] [٦].

وفي هذه الفترة من عام ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م كان اسكندر باشا والي بغداد وقائد الجيش البرى قد خرج منها قاصدا مقر الثائر ابن عليان[٧] فالتقى الجيشان البرى والنهرى

---

(١) ابن غملاس، المصدر السابق، ص ٥٧.
(٢) منجم باشي منجم باشي تاريخي، جلد ثالثي، ص ٥٢١.
(٣) هامش ريجارد كوك، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢ تعليق الدكتور مصطفى جواد وفؤاد جميل نقلا من مخطوط الدر المكنون، لياسين العمري.
(٤) ابن غملاس، المصدر السابق، ص ٥٧.
حاجي خليفة، تقويم التواريخ، ص ١٢٤.
(٥) انظر عن الرماحية، الفصل الثاني، ص ١٢٩ من هذه الرسالة.
(٦) رولو، المصدر السابق، ص ٤٣٤.
(٧) حاجي خليفة، تقويم التواريخ، ص ١٢٤ ويجعل ابن عليان حاكما على بلاد المشعشع.

قرب قلعة زرتوك[1] استعدادا منهما لمواجهة الثوار الذين كانوا قد شنوا هجوما عنيفا على بعض القرنة التابع للحامية العثمانية وسببوا له خسائر فادحه رغم ضآلة ما كانوا يملكونه من السلاح الناري وانما ببعض الاسلحة البسيطة من السهام والرماح وبروح قتالية عالية وعجيبة كانوا يمخرون عباب الانهر سباحة على قرب منفوخة ويفاجئون الحامية بوابل من النيران والرماح والسهام، وفي احدى غاراتهم استطاعوا فرض الحصار على مدينة البصرة برا ونهرا[2]. ففي النهر كان المقاتلون يدحرجون امام قواربهم جذوع النخيل الضخمة ويتقدمون بسرعة فائقه باتجاه قلاع العثمانيين ولما كانت الحاميات العثمانية تفتح النار على الثوار كانت لا تصيب سوى جذوع النخل الطافية على سطح الماء والتي تخفي سفن الثوار السريعة الجرى ، وعندما كان يصل هؤلاء الى موضع قريب من الحاميات العثمانيين كانوا يبادرون الى صب الزيت على الجذوع ويضرمون فيها النار ويحركونها بسرعة فائقة باتجاه حصون وقلاع الحاميات العثمانية في الوقت الذى كانوا يتوارون فيه عن الانظار خلف اشجار النخيل في المنطقة ، وكان الدخان الكثيف المتصاعد من هذه الحرائق يجبر افراد الحامية على الفرار طلبا للنجاة من الاختناق ولكنهم سرعان ما كانوا يقعون فريسة سهله بيد الثوار المنتشرين في تلك الارجاء من الممرات المائية واشجار النخيل الكثيفة مجهزين على كل من يقع بين ايديهم ويبقون على عدد منهم يطلقون ارلارسالهم الى الحاميات المجاوره كشهود عيان لشرح الحالة التي عليها

---

(1) العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٠٧ .

(2) Stripling, op. cit., P. 84.

يقدر عدد الثوار بعشرين الف مقاتل واعتقد انه يبالغ في ذلك قياسا الى الاحصائيات المتوفرة لدينا عن سكان العراق في ذلك التاريخ . انظر ص ٣٥٤ من هذا البحث .

الجيش العثماني المندحر والمذعور كأسلوب من اساليب القتال والحرب النفسية.(١)

وصادف في هذه الفترة ان التحق باسطول الدولة العثمانية اسطول نهري يتألف من ١٥٠ سفينة مقبلة من بغداد عن طريق نهر دجلة وباشر الجيش العثماني ببناء قلعتين متقابلتين في كل جانب من (صدر الدار) وقلعتين اخريين في (زرتوك) ثم مضى الجيش الى حيث تجمعت العشائر العربية في جزيره يقال لها (صدر البحران) ووقعت بين الطرفين حرب قاسية وبالرغم من تضحيات الثوار الا انهم استطاعوا قتل واسر عدد كبير من قادة العثمانيين المشهورين ولم يستطع هذا الجيش البرى والنهرى الضخم للدولة العثمانيه ان يحرز اى انتصار على الثوار مما اضطره في النهاية الى القيام باعمال تخريبية بقصد الاضرار بالموارد الاقتصادية الشحيحه لهذه القبائل الثائرة (٢) حيث بادر العثمانيون الى قطع معظم اشجار النخيل في تلك المنطقة ولكن رغم ذلك ورغم ادعاء قادة الجيش وولاة الدوله العثمانية باستسلام وطاعة هذه القبائل ، الا ان الاحداث التاريخية تؤكد استمرار ثورتهم وتبرهن على ابائهم التام ومحاربتهم المطلقة للحكم العثماني .

وان ما يشير اليه (كاتب جلبي)(٣) عن قدوم ابن أخ ابن عليان ومفتي المنطقة

---

(١) Stripling, op. cit., P. 84.

(٢) حيث ذكر ياسين العمري ، الدر المكنون ، لقد خرّب اسكندر باشا تلك البلاد . انظر هامش ، ريجارد كوك ، بغداد مدينة السلام ، ج ٢ اقتباس فؤاد جميل ومصطفى جواد . كما قال منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، جلد ثالث ، ص ٥٢١ (( لقد احرق اسكندر باشا قلاعهم )) وكتب حاجي خليفة في ، تقويم التواريخ ، ص ١٢٢ ، (( بانه خرّب بلاد المشعشعين )) .

(٣) هو مصطفى بن عبد الله الملقب بـ (حاجي خليفة) المتوفى عام ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م وقد توفي والده في الموصل اثناء حصار حافظ احمد باشا لبغداد عام ١٠٣٥هـ/١٦٢٥م وهو مؤلف كتاب كشف الظنون وجهان نما وتحفة الكبار ، وتقويم التواريخ ، ولقبه كاتب جلبي ، .. الخ . انظر دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٧ ، ص ٢٣٥ . (الطبعه العربيه) .





(محمد الحارث) الى قيادة الجيش لطلب الصلح (١) مرسلا من قبل ابن عليان ربما يفسر

بان ارسال قدما لعرض وجهة نظر الثوار على القيادة العثمانية بناء على طلب هذه القيادة

المتورطة في تلك المتاهات المائية في الجنوب وقد بادر اسكندر باشا الى اكـــرام

الرسل واغدق عليهم الهدايا الثمينة بقصد استمالتهم وكسب ودهم ، في الوقت الذي

...ون عليهم طاعة الدولة والموافقة على دفع مبلغ قدره (١٥) الف دينار (٢) من الذهـــب

...يا الى خزانة البصرة كرمز للولاء وارسال بعض اولادهم كرهائن الى البلاط العثماني

...ض ما يبدو ان علي بن عليان قد رفض عرض الدولة العثمانية وعلى رواية كاتب جلبي

...ن اخا ابن عليان مير سلطان قدم بخمسين سفينة واظهر الطاعة للدولة (٣) وهـــذا

...يعني ابدا استسلام كل القبائل بدليل (٤) ان المؤلف نفسه يؤكد ان عرب الطويـــل

...ين يقطنون مقابل قلعة الرحمانية لا يزالون على عنادهم وتصلبهم ، كما ان رئيـــس

...ه القبائل لم يأت الى الوزير لعرض الطاعة (٥). كما ان اية اشارة عن طاعة ابن عليان

---

...العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٠٨ نقلا عن كاتب جلـــبي (تحفة الكبار) ويؤكد حسن روملو ، المصدر السابق ، ص ٤٣٤ توجه الرسل الـــى القيادة .

...يذكرها حسن روملو في المصدر السابق ، ص ٤٣٥ (١٥) الف فلوري ، ويجعـــل الدفع الى الخزانة السلطانية لا خزانة البصرة كما اوردها العزاوي نقلا عن تحفة الكبار . ويبدو انه رغم موافقة الثوار على هذا الشرط الا انهم لم يدفعوا ذلـــك نهائيا ، انظر نص رسالة السلطان الى علي بن عليان في فريدون بك ، مجموعـــة منشآت ، ج ٢ ، ص ص ٥٦٦ ـ ٥٦٨ .

...العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٠٨ .

...انظر :

Beazley, op. cit., Vol. I., P. 311.

...العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٠٩ .

نفسه لم ترد في سرد كاتب جلبي المطول عن هذه الحادثة وكل ما يبدو ان هذا الجيش الضخم للدولة العثمانية قام بأعمال تخريبية دمر فيها بعض القلاع كما قلع كثيرا من اشجار تلك المناطق بقصد الاضرار بالعشائر الثائرة .

وعلى كل حال لقد تبجحت الدولة العثمانية بالرغم مما تكبدته من خسائر فادحة في هذا القتال ـ بانها انتصرت على الثوار وكان ذلك محض ادعاء لان الثورة استمرت عارمة ودائمة ضد العثمانيين مسببة لهم المتاعب الكبيرة ولم تجد نفعا كل رسائل التهديد والوعيد التي بعثها اسكندر باشا والي بغداد الى قادتهم (١)، فأجابه الثائر ابن عليان باخرى أعنف منها فيها بلاغة في التعبير وثقة عالية بالنفس (٢) ولما تفاقم الامر واتسعت الثورة وعجز ولاة بغداد والبصرة عن التصدي للثوار كتبوا الى الدولة طالبين عونها ، فأرسل السلطان العثماني سليم الثاني رسالة مطولة باللغة العربية الى الثائر (علي بن عليان) (٣) يرغبه ويهدده ولكن دون ان يجازف في ارسال جيش لمحاربته وهكذا استمرت ثورة الجنوب ولم تستطع الدولة أن تجد لها حلا عسكريا وعندما مرّ السائح الانكليزي نيوبري Newbery بجنوب العراق عام

---

(١) ورد في الرسالة ... خيولنا سوابق وسيوفنا بوارق ورماحنا خوارق وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال فمن رام سلمنا سلم ومن طلب حربنا ندم .. انظر نص الرسالة في : الجزائري ، زهر الربيع ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

(٢) ( ... فالعجب العجب تهددون الليوث بالتيوس والسباع بالضباع والكماة بالقراع خيولنا سوابق برقية وترستنا مصرية وأسيافنا يمانية وأكتافنا شديدة المضارب وسلطاننا شاع ذكره بالمشارق والمغارب ... ) .
الجزائري ، زهر الربيع ، ج ٢ ، ص ص ١٢٦ ـ ١٢٩ .

(٣) ... فاما الذين هم بغوا وعصوا لامرنا وطغوا وخالفوا وتكبروا وأبوا واستكبروا ولمقتضى الشريعة الغو وتوهموا ان سدتنا السنية بعيدة مسافة وكثيرة مساحة وعملوا بما خطر ببالهم من عدم اطاعتهم وامتثالهم لامرنا فلنجزينهم بما كانوا يعملون ... انظر نص الرسالة المطولة في : فريدون بيك ، مجموعة منشآت ، ج ٢ ، ص ص ٥٦٦ ـ ٥٦٨ .



١٥٨٢م ذكر أن العثمانيين لم يستطيعوا لحد الآن اخضاع العرب في اطراف البصرة تماما لان الثوار يلجأون الى الجزر والقلاع المنتشرة بين الانهار الكثيرة العدد واضاف قائلا بأن هذه العشائر لاتستقر في مكان معين بل هي دائمة التنقل مع دوابها ونسائها واطفالها لذا لاتستطيع الدولة السيطرة عليها (١). وهذه الملاحظة تؤكد ما ذهبنا اليه في الصفحات السابقة من ان الدولة العثمانية كانت عاجزة عن اخماد ثورة تلك القبائل ، وكل ماكان يفعله الولاة هو اغراؤهم ببعض الوعود او التوقف عن جباية الضرائب لذا كان يبدو وكأن الغارات تتوقف لحين ولكنها كانت تنطلق من جديد بتحريض من الدولة الصفوية . وظلت الدولة العثمانية تعاني كثيرا من جراء أستمرار هذه الثورة في منطقة الجزائر طيلة عهد السلطان سليم الثاني (١٥٦٦-١٥٧٤م) وحتى اواخر عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م) حيث ترد اشارة في رسالة بعثتها السلطانة صفية الى الملكة اليزابيث الاولى ملكة انكلترا في عام ١٠٠٠هـ/١٥٩٣م بأن زوجها قد ملك (الجوازر) ... من جملة ماملك من بلاد الدنيا ومن هذه الوثيقة الهامة نفهم أهمية ثورة آل عليان في الجزائر التي دوخت الدولة العثمانية الى درجة أن الانتصار عليها او موالاتها للدولة صار مجالا للمباهاة امام ملكة انكلترا ونحن نجهل بالتأكيد اين كان موقع بلاد الجوازر ؟ في الوقت الذي تناست السلطانة صفية ذكر بلاد مهمة خاضعة للدولة مثل القاهرة ودمشق (٢). وانـــي أرى

(1) Beazley, op. cit., Vol. I., P. 311.

(2) S.A. Skilliter, Three Letters from the Ottoman sultana-safiye to Queen Elizabeth, in the Documents from Islamic chancerie Edited by S.M. Stern, Oxford, 1965, P. 124.

ترد في الرسالة عبارات الصداقة والود والمباهاة حيث تذكر السلطانة صفية (==)

ان الدولة حتى هذا التاريخ وبعده لم تستطع كبح جماح الثورة العربية في منطقة الجنوب رغم ادعاء السلطانة او الدولة العثمانية وكل ماذكر هو رد فعل لعجزها عن الانتصار على تلك العشائر الثائرة .

هـ ـ امارة افراسياب في البصرة ١٠٠٥ ـ ١٠٧٨هـ/١٥٩٦ ـ ١٦٦٨م :

ظل موقف الوالي العثماني في البصرة مزعزعا طيلة النصف الثاني من القرن السادس عشر ، ونظرا للتطورات التجارية التي عمت المنطقة خلال هذا القرن (١) ، نجد أن ايرادات البصرة باتت لا تكفي لسد نفقاتها (٢) ، في الوقت الذى تزايدت فيه غزوات

(==) ان زوجها مراد الثالث ... هو ملك الاقاليم السبعة والاركان الاربعة من المعمورة وهو امبراطور الروم والعجم وهنغاريا وارض التاتار وقرمانيا والحبشة (والجوازر) وشيروان وبلاد المغرب (ليبيا) والجزائر والقيروان وحامل تاج الهند والسند وبغداد وبلاد الفرنج وبلغراد .

هذا وان كلمة الجوازر وردت عند كاتب جلبي في كتابه جهانما ، ص ٤٦٥ حيث يذكرها بأنها قلعة تقع بالقرب من التقاء دجلة والفرات وكانت احد طريقين بين البصرة وبغداد . وذكرها فريدون بيك في منشآت سلاطين ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ . وكذلك أوليا جلبي في كتابه سياحتنامه سي ، وكان المفروض بالجوازر ان تكون مركزا لسنجق يترأسه بكلر بكي بغداد بموجب تنظيمات السلطان سليمان القانوني منذ عام ١٥٥٤م .

ويجدر بنا ان نذكر أن الرسالة اعلاه مؤرخة في اول شهر ربيع الاول سنة ١٠٠٢هـ حيث نجد نصها التركي في ص ١٢٤ وترجمتها الانكليزية في ص ١٣١ في المصدر المشار اليه في هامش رقم (٢) ص ٢٩٥ .

(١) انظر البحث التجاري في الفصل الخامس من هذا البحث .

(٢) الكعبي ، المصدر السابق ، ص ١٧ حيث ذكر ان الباشا عجز عن دفع رواتب الجيش المحلي .

القبائل العربية في الجزائر على المدينة بسبب شحة مواردها هي الاخرى[1] ، الامـــر الذي مكّن افراسياب[2] وهو اغا لجماعه السكبانية[3] وكاتب للجند المحلي في المدينـــة[4] ، استغلال سوء الاوضاع الاقتصادية وضعف الوالي العثماني[5] درويش علي باشا عـــام ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م ، لشراء منصب الولاية لقاء[6] دفع ثمانية اكياس رومية[7] كان في كـــل كيس (٣٠٠٠) محمدي[8] أو ما يساوي ٤٠٠٠٠ قرش[9] على[10] ان لا يقطع الخطبة باســم

---

(١) الكعبي ، المصدر السابق ص ١٧ .

(٢) هو افراسياب ابن احمد بن فرحشاد بن افراسياب بن سناد ست التركي . انظر : سركيس ، مباحث عراقية ، ق ٢ ، ص ١٢٨ نقلا عن فهرست مخطوطات فينـــا المطبوع سنة ١٨٦٥م .

وورد بانه من بقايا آل سلجوق وان اهل الدير اخواله لذا لقّب بالديـــرى ايضا . انظر : سيد احمد كسروى ، تاريخ بانصد ساله خوزستان ، مطبعة مهـــر طهران ، ١٣١٤ ، ص ٦٩ . علي الشرقي ، مجلة لغة العرب ، السنة الرابعـــة ، العدد ١٠ ، ١٩٢٧ ، ص ٥٧٦ .

(٣) عن السكبانية انظر : الفصل الثاني ، ص ١٧٢ من هذه الرسالة .

(٤) علي الشرقي ، مجلة لغة العرب ، السنه ٤ ، العدد ١٠ ، ص ٥٧٦ .

(٥) انظر : جزء من رحلة ديلا فال Della Valle المترجم في نشرة الاحـــد العدد (٥١) المطبعة السريانية الكاثوليكية ، بغداد ) ١٧ كانون الاول ١٩٢٢ ، ص ٨١٨ .

(٦) العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٣٩ .

(٧) يقول علي الشرقي ان : الكيس على نوعين ـ كيس رومي وكيس مصرى ، وكان مبلغ كـــل واحد من هذين الكيسين يختلف باختلاف سعر القرش والمكان والزمان . انظـــر : مجلة لغة العرب ، السنه ٤ ، العدد ١٠ ، ص ٥٠٦ .

(٨) انظر بحث النقود في الفصل الخامس ، ص ٤٣٣ من هذه الرسالة .

(٩) انظر بحث النقود في الفصل الخامس ، ص ٤٣٠ من هذه الرسالة .

(١٠) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

السلطان ونجح افراسياب في تهيئه بعض الاشخاص لاعاده الامن الى المدينه وتوسع في بسط نفوذه على الاطراف . ويذكر تافرنيه[٢] ويشاركه كل من لونكرك[٣] وهارتمان[٤] وكسروى[٥] في رأيه ان افراسياب استطاع ان يخلع النير العثماني عن المدينه ويؤسس امارة مستقلة ، ويمتنع عن دفع الجزاية السنوية للسيد مبارك امير الحويزه ولكن يجب ان نأخذ هذه الاراء بتحفظ لان افراد اسره افراسياب على الرغم من انفرادهم في حكم البصرة كانوا يصرحون دوما بولائهم للدولة العثمانيه ويؤكدون ذلك في رسائلهم المستمره الى السلطان العثماني كما ان السلاطين العثمانيين يبعثون بالفرامين والخلع لهؤلاء الامراء كلما استجد منهم احد ، الا اننا نستطيع القول بان هذا الولاء كان اسميا .

لقد اضطربت الاراء عن المده التي حكم فيها افراسياب في البصرة[٦] ولكنه من

(١) الكعبي ، المصدر السابق ، ص ١٧ . وكسروى ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٢) باتريست تافرنيه ، العراق في القرن السابع عشر ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ، ١٩٤٤) ، ص ٩٧ .

(٣) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

(٤) هارتمان ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٣ ، ص ٦٧١ (الطبعة العربية) .

(٥) كسروى ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

(٦) لقد جعلها فتح الله الكعبي سبع سنين ١٠٠٥هـ - ١٠١٢هـ/ ١٥٩٦ - ١٦٠٣م بينما حدد الحويزى وفاته في عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م ، والمؤلف عاصر الفترة (١٠٣٣ - ١٠٥٣هـ) وكتب عنها وله شعر بالعربية والفارسية والتركية وله قطر النظام في شرح كلام الملوك ملوك الكلام والمعول في شواهد المطول . واستنتج لونكريك بان افراسياب كان حيا الى عام ١٦٢٥م . ومن دراسة الاحداث التاريخية واستنادا الى رأى الحويزى المعاصر للاحداث يتضح لنا بأن لا صحة لرأى لونكريك ولا دليل بل نستطيع القول بان افراسياب انفرد في حكم امارة البصرة طيلة السنين السبع الاولى ثم اناب عنه ابنه علي باشا في ادارة جزء من

(= =)

الوائح تماما انه استطاع في بداية عهده ان يبسط نفوذه على القبان وينتزعها من (بكتاش اغا) وكذلك يقضي على نفوذ حاكم الدورق بدر بن السيد مبارك، ويكبح حاكم الحويزه السيد مبارك انتقاما من تجاوزاتهم وغاراتهم المستمرة على مدينة البصرة في الماضي لا سيما في عهد واليها العثماني السابق علي باشا الدرويش[1] ومما يعطينا صورة واضحة عن هذه الامارة وحالة البصرة في الفترة الاولى من عهد افراسياب ذكره السائح تاكسيرا عندما زارها عام ١٦٠٤م / ١٠١٣هـ حيث يقول عنها : انها مدينة يسكنها العرب وتقع على بعد ميلين من غرب شط العرب في سهل فسيح ، وان دورها تتوزع داخل الاسوار وخارجها وهي حوالي ١٠،٠٠٠ دار كبيرة واسعة الى جانب الدور الصغيرة الاخرى . وذكر ان جدران تلك الدور مبنيه من الطين المجفف الذي يترك ثلاثة اعوام قبل استعماله في البناء ويصف بيوت فقراء الناس بانها مصنوعة من القصب لتوفره بمقادير هائلة على ضفاف الانهار المتفرعة من شط العرب ، ويشير تاكسيرا الى مقر الحكومة والحامية التي جعل تعدادها (٣٠٠٠) مجند من العرب والاكراد والاتراك بالاضافة الى اولئك المكلفين بحماية الحصون ، ويصف الباشا بقوله انه القوة

(١) ... من شؤون المدينة مع استمراره في الاشراف على شؤونها العامة حتى عام ١٠٣٢ / ١٦٢٢م .

... الكعبي ، المصدر السابق ، ص ١٧ . الحويزي ، المصدر السابق ، ص ٤ . السيد علي صدر الدين المدني المعروف بابن معصوم ، سلافة العصر ، في محاسن الشعراء بكل مصر ، عنيت بنشره المكتبة المرتضوية (القاهرة ، ١٣٢٤هـ) ، ص ص ٥٣٨ _ ٥٣٩ .

... الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

... العزاوي ، العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٤٠ .

الوحيدة للشؤون المدنيه والعسكريه في المدينه واطرافها[1] ويضيف قائلا : (( ان بامكان الناس عبور النهر بزوارق صغيره تسمى دنفوز Danequas مصنوعة من الواح صغيرة من الخشب مطليه بالقار ويروى لنا حادثه يمكن ان توضح مقدار ما كان يكتنزه افراسياب من الذخيره استعدادا للطوارئ من جهه كما تبين لنا اهتمامه بشؤون المدينة ومقدرته العاليه في الاعمار من جهه اخرى حيث يقول : (( لقد انفجر مخزن البارود الذي كان يحوي قرابه ( ٥٠٠٠ ) كيس منه مما ادى الى انهيار الاجزاء القريبة من المخزن وحوّل المنطقه المجاورة الى انقاض ولكن سرعان ما اعيد بناء الدور وبسرعة فائقة[2] )) ، كما يشير السائح الى الحمامات العامة في المدينه ويثني على الخدمات الجيدة التي تقدمها ويوضح بانها كانت تستقبل الرجال منذ الصباح الباكر الى حدّ الظهر حيث يبدأ دور النساء وحتى غروب الشمس ويقول مهما كان الشخص ذا حضوة فانه يعاقب اذا ما خالف هذه الاوامر كما يذكر السائح انه قابل الشيخ محمد بن راشد[3] الذي يقطن على بعد مسيرة يوم كامل من البصرة ويقول انه يمتلك اراضي شاسعة ، وهنا يعتقد السائح بانه اول شخص اوربي يشاهده هنا لان هذا الشيخ حيث ظل يتفحص ملابسه ويلاحظ تصرفاته ويذهبت لكلامه باستغراب[4] .

---

(١) Teixeira, op. cit., P.16.

(٢) Ibid, P. 17.

(٣) هو من آل مناسر وعلى ما يبدو انه قد انحسر نفوذهم عن البصرة واقتصر على اطراف المدينة في هذه الفترة .

(٤) Teixeira, op. cit., P. 17.

وبعد استقرار افراسياب في البصرة وسيطرته التامة عليها فكر في بسط نفوذه على المناطق المجاورة لها ، فبدأ بخصومه الواحد بعد الاخر ، فجهز جيشا لمقابلة (حسن بن مازيجي ) احد اقرباء السيد راشد بن السيد مبارك حاكم عربستان عام ١٠٢٩ هـ/ ١٦١٩م ، مما دفع الامير حسن الى طلب النجدة من قريبه راشد الذى استجاب له على جناح السرعة وارسل ثله من افراد العشائر العربيه المسلحة لردع افراسياب ، الذى اضطر جيشه الى التراجع صوب البصرة ولم يكتف راشد بذلك وانما ارسل يدعو فريقا من ابناء عشيرته كانوا قد تركوا الحويزة للعمل في صفوف جيش افراسياب منذ انفراده في حكم المدينة ، الاان دعوته تلك لم تجد اذنا صاغية من لدن جماعته وانما ارتابوا في أمر الدعوة وطلبوا من افراسياب تجهيز حمله اليه لوضع حد لتجاوزاته فقبل افراسياب دعوتهم وخرج على رأس جيش يضم عددا كبيرا من ابناء عشيره آل فضيل وهي القبيله التي ينتمي بها الشيخ راشد نفسه ووقع بين الطرفين قتال قتل فيه راشد الا ان افراسياب لم يستطع ضم عربستان اليه وانما استمرت تحكم من قبل ابناء السيد مبارك ولم تنضم اليه منهم (١)

ولا نجد ما يثير الاهتمام من الاحداث بعد هذه الفترة حيث كانت الامور تسير على شاكلة واحدة حتى انفراد علي باشا في حكم البصرة بعد وفاة والده ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م . ففي عام ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م اصدر الشاه عباس الصفوى أمرا الى خان شيراز امام قلي خان لمعالجة الوضع الشاذ في البصرة على حد تصوره . اثر بشكل واضح على حركة بندر عباس التجارية لا سيما بعد ان رفض

(١) ... تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ٩٥٢ .

افراسياب في السنه السابقه ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م طلبه في التخلي عن تابعيته العثمانية وتقبل التبعيه الايرانية كما امتنع عن سك النقود باسم الشاه او الموافقة على ذكر اسمه في الخطبة والمناسبات الدينيه رغم ما عرضه الشاه من وعود منها ابقاؤه حاكما وراثيا للبصرة لا يدفع شيئا من الجرايه السنوية ويتصرف بولايته كيفما يشاء[1]. ويعلق (ديلا فال) بقوله : ان افراسياب كان رجلا حكيما لذا لم يجازف بما كان يتمتع به من امتيازات واستقلال لقاء وعود براقة[2] وقد جدد الشاه عروضه لعلي باشا افراسياب عند تبوئه الحكم ولكنه رفض هو الاخر كوالده جميع عروض الشاه وعلى ما يبدو انه كان يعتمد على قوته المحليه والتفاف الاهلين حوله والى ما كان ينتظره من دعم عسكري من البرتغاليين[3] عند الشده ، كما انه كان لا يثق بوعود الشاه من جهه اخرى ، لذا ارسل الشاه عباس الصفوي جيشا من شيراز عن طريق شوشتر الى البصرة ، الا ان مدافع السفن البرتغالية فتحت نيرانها على القوات الايرانية وردتها على اعقابها[4] اذ لم تكن لدى الايرانيين سفن كبيرة سواء في البحر او النهر لمواجهه تلك السفن الكبيرة التي كان يملكها البرتغاليون[5] وبعد فشل حملة الشاه تفرغ علي باشا افراسياب لخصومه في المنطقة وكان على رأسهم عبد الله بن مانع زعيم قبائل المنتفك

---

(١) الحويزي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧ ـ ٢٨ .

(٢) Della Valle, op. cit., P. 249.

(٣) Ibid, P. 249.

(٤) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج ١ ، ص ٦١ .

(٥) Della Valle, op. cit., P. 249.

في البادية الصحراوية ، ونعمة الله بن عليان زعيم قبائل الجزائر(1) وعيسى الحويشي(2)
وناصر الدين الزبيدي ، واستطاع الاستعداد لهم في القرنة(3) بجيش كبير الامر الذي
ادى بزعماء الجزائر الى طلب العون من امام قلي خان حاكم شيراز — الذي صادف
وجوده في هذه الفترة في الحويزة حيث قصدها لطرد حاكمها السيد منصور بن مطلب
وتعيين السيد محمد خان بن مبارك مكانه — الا ان النجدة تأخرت مما حدا بالثوار
الى طلب الصلح من علي باشا الذي هب لاستقبال السيد منصور بن مطلب المطرود
من الحويزة وبادر الى اكرامه(4) كما استوزر الخواجه عبد الواحد(5) وهو احد الوزراء

---

(1) انظر ، ص ٢٨٢ من هذا البحث .

(2) عيسى الحويشي : هو عيسى بن محمد ، استطاع ان يستقل بامور نهر صالح في منطقة الجزائر واكثره اموال واموال اخيه (علي الحويشي) اصبح له رجال مقاتلون وكان في بداية امره مواليا لعلي باشا افراسياب ثم اعلن الثورة ضده واخذ يحرض اهل البصرة على ذلك ايضا . الحويزي ، المصدر السابق ، ص ١٣ .

(3) وقد اطلق عليها اسم (العليه) نسبه الى علي باشا افراسياب بعد ان توسعت في عهده وازدهرت ، انظر :
حامد البازي ، البصره في (الفترة المظلمة) بغداد ، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠ ص ٤٤ .

(4) الحويزي ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(5) كان وزيراً لدى السيد مبارك المشعشعي في الحويزة ، وعندما حكم ابن اخ هذا الامير صادر امواله كما امر بسجنه ولكنه استطاع الهرب ولجأ الى علي باشا افراسياب الذي بادر الى تعيينه وزيرا والاستفادة من خبراته .

المشعشعين وسلمه اموره واوكل اليه مخاطبات الاصدقاء والاعداء ، وغدا محسودا من قبل علي اغا (مسؤول الميناء) وجمعه اغا اللذين اوغرا صدر علي باشا ضده حتى اضطر الى الهرب قاصدا (عيسى بن محمد الحويشي) الامر الذي ادى بعلي باشا افراسياب الى توجيه حملة الى الجزائر لتأديب (الحويشي) وناصر الدين الزبيدي حيث كانا قد اعلنا الثورة عليه . وتحصن الاول منهما في قلعة عنتر اما الثاني فانه اتخذ القرنه حصنا له ، لذا توجه اليهما علي باشا وكان يرافقه في تلك الحملة حشد من الامراء والقادة وكان بينهم عبد العزيز شقيق زوجته وجمعه اغا صهره وعمر اغا ابن حبيب احد اصدقائه القدامى وعمر اغا القبطان وباقي المتجندة من اهالي البصرة والغرباء الذين استخلصهم لنفسه حيث توجه بهذا الجيش من البر والنهر في شهر ربيع الثاني ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م وحاصر قلعة القرنه من الطرف الغربي لذا اضطر المحاصرون الى طلب الامان(١) ثم توجه من هناك الى نهر عنتر ونهر صالح حيث يقيم الحويشي نفسه ووقع القتال بين الجيشين من الصباح الباكر حتى الظهر انتصر فيها علي باشا على خصمه في الوقت الذي فقد فيه الحويشي كثيرا من ماله ورجاله وفرّ هاربا من المعركة الا ان علي باشا استطاع ان يلحق به ويلقي القبض عليه وعلى اخيه وعلى الخواجه عبد الواحد وزيره السابق والمسبب الرئيسي لهذه الحملة ، وقتلهم جميعا في قلعة الرحمانية . وهكذا نجد ان علي باشا اخذ يوسع مملكته بالاستحواذ على اطرافها واستطاع السيطرة على بعض املاك الجزائر التي دوخت ثورتها الدولة العثمانية وهذا

---

(١) الحويزي ، المصدر السابق ، ص ١٤ . كما ان علي باشا استخدم خواجه آخر يسمى (نجم) ذكره ديلا فال في رحلته ، وكان واسع الاطلاع وله المام دقيق بالاحداث التاريخية استفاد منه السائح في سرد معلوماته :

Della Valle, op. cit., P. 250.



يفسر لنا سبب اعتماد الدولة العثمانية على آل افراسياب وعدم محاسبتهم طالما استمروا يذكرون اسماء السلاطين في خطبهم وينوبون عنهم في اخماد ثورة العشائر العربية في الجزائر التي عجزت هي وولاتها السابقون عن ردعهم اوكبح جماحهم .

وفي عام ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م عاود خان شيراز امام قلي خان (١) تحرشاته بالبصرة وجهز جيشا قوامه ٣٠٠٠٠ ثلاثون الف مقاتل بقيادة سبعة (خانات) ، الا ان (ديلا فال) Della Valle يذكر : ان منسوب الماء كان عاليا جدا لذا لم يكن هناك اى خطر حقيقي على البصرة كما اخبره بذلك الخواجه نجم (٢) لان كثيرا من الحفر والخنادق اصبحت مملوءة بالماء ويقول بالرغم من ان البصرة كانت غير مسوّرة الا ان الماء جعلها الآن حصينة ومنيعه ولا يتوقع ان ينحسر عنها قبل مدة ثلاثة شهور على أقل تقدير وربما تتعرض عند ذاك للخطر ثانية (٣) . ويذكر ايضا ان الايرانيين حاولوا توجيه حملة اخرى من أطراف الحله الى البصرة لانهم تملكوها منذ احتلالهم بغداد عام ١٦٢٣م لذا اضطر علي باشا الى طلب النجده من الامير مدلج ابي ريشه (٤)

---

(١) يسميه عبد الكريم محمود غرايبه صفي قلي خان وهذا خطأ واضح لان صفي قلي خان كان حاكماً لبغداد بينما امام قلي خان هو حاكم اقليم فارس القريب من البصرة انظر كتابه : مقدمه تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ – ١٩١٨ ، العراق والجزيرة العربية ، ج ١ ، د دمشق ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م ، ص ٩٤ .

(٢) احد الوسطاء الذين كانوا يعملون في التجارة ، انظر هامش رقم ١ ص ٣٠٤ من هذا البحث .

(٣) Della Valle, op. cit., PP. 250-251.

(٤) كان يتزعم العشائر العربية في الصحراء الغربية الامير شديد بن احمد الملقب بابي ريشه وأرجعه المحبي في نسبه الى جعفر البرمكي ، وقال انه كان يحكم بلاد حلب وعانه وحديثه وقد قتله ابن عمه مدلج بن ظاهر عام ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م وتزعم القبائل وقال عنه انه كان شديدا وقاسيا وذكر نديما مدلج وقال عنه (= =)

امير الصحراء لانه لم يكن في مقدوره الحصول على نجدة من الاتراك بسبب احتلال الايرانيين لبغداد ويذكر ( ديلا فال ) ان البرتغاليين بلغهم في ٢٢ آذار ١٦٢٥ ان جيش الشاه انسحب كليا عائدا الى بلاده وعلى عجل الى درجة ترك وراءه قطعانا من الماشية والاغنام والمؤن والملابس والخيام وربما كان سبب انسحابهم هو الاستعداد لمواجهة خطر اشد في ايران ، او للدفاع عن هرمز امام محاولات البرتغاليين المتكررة لاستعادتها او لمواجهة العثمانيين في اطراف بغداد ، أو المغول في قندهار حيث كان الشاه عباس قد استولى عليها مؤخرا ويبدو لي أن انسحابهم كان لمواجهة الحملة العثمانية التي قادها حافظ احمد لاستعادة بغداد ٠ وفي ٥ نيسان ١٦٢٥ عاد علي باشا افراسياب مع كافة افراد جيشه من جبهة المواجهة الى البصرة وبذلك زال الخطر الايراني عن مدينة البصرة[1] ٠

الا ان علي باشا افراسياب تورط من جديد في محاربة عبد الله بن مانع زعيم عشائر المنتفك واميربادية البصرة وتوابعها وكان هذا حليفا لخصميه (عيسى بن

---

(= = ) انه ابن ابي ريش امير اعراب البادية الذى تحت أمرته بدو نواحي بغداد والموصل ، ونعته الاب باسيليك الكبوشي الذى مرّ به في طريقه الى حلب في ٢٨ حزيران ١٦٢٦م بملك العرب ٠ وذكر صاحب الاعلام بان موطن هذه القبائل بين الشام والعراق ، انظر :

المحبي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ٠

سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ٣٤١ نقلا من نصيما والاب الكبوشي ٠

خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ج ٣ ، الطبعه الثانية ، مطبعه كوستا توماس وشركاه ١٩٥٤ ، ص ٢٣٣ ٠

(١) Della Valle, op. cit., P. 252.

...مد الحويزي) ونعمه الله بن عليان امير الجزائر وبدأت الحرب عندما هجم ابن عليان
على القلعه المعروفه (بالمدينه) اولا ثم تابع هجومه على قلعه (الفتحيه) وكان حاكمها
من قبل علي باشا الامير (زنبور)، فلما سمع علي باشا بذلك جهز السفن ومعـــدات
القتال واعد جيشه في شهر ذى الحجه من عام ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م وتقدم هو علـى رأس
قوة بريه لمواجهه ابن عليان، لذا استغل عبد الله بن مانع خلو البصرة من المدافعين
...توجه اليها وفرض الحصار حولها الامر الذى دفع علي باشا الى ارسال ثله من مقاتليه
...السفن بقياده ربيع (بلوك باشي) وعباس قلي الكردى الى البصرة للدفاع عنهـــا
...وتوجه هو الى الفتحيه لمحاربة ابن عليان (1). وفي البصرة عجز عبد الله بن مانع عـــن
الاستمرار في حصارها لذا تركها متجها الى قلعة (كوبيده)(2) ليكون على انتظار ما يؤول
اليه امر ابن عليان حليفه، في الوقت الذى بادر الى ارسال جماعه من رجال الديـــن
للتوسط بينه وبين علي باشا للتوصل الى صلح مشرّف بين الطرفين، وقد تم ذلك فعلا،
...على اثره قابل عبد الله بن مانع علي باشا وطلب منه ان يعقد صلحا مشابها مع ابـــن
...عليان شريطه استمراره في حكم المقاطعات التي كانت تحت تصرفه في الجزائر فوافق على
...ذلك(3) وأمر جيشه بالانسحاب وكان يرافقه الامير ابو طالب بن ناصر بن مهنا القشعمي(4)

---

(1) العويزي، المصدر السابق، ص ١٨

(2) يذكر (ديلا فال) في رحلته بأنها كانت مقرا للشيخ عبد الله حيث كان يتقاضـــى
...فيها الرسوم من القوافل التجارية: Della Valle, op. cit., P.258.

(3) يذكر العويزي انه كان حاضرا أثناء مقابلة (عبد الله بن نانع) و (ابن عليان) لعلي
باشا افراسياب ويعلق بقوله ((كان يظهر عليهما الثقة بالنفس والبسالة والعزم)).
المصدر السابق، ص ١٩.

(4) ص ٢٨١ من هذا البحث.

امير امراء العراقين [١]. وعاد الى البصرة بعد التوصل الى هذا الصلح الموقت مع الثوار في اطراف امارته [٢] هذا الصلح الذى لم يستمر طويلا حيث بادر بن مانع عام ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م الى اعلان الثورة والتجاوز على حدود علي باشا افراسياب الامر الذى حدا بهذا الاخير الى توجيه حمله الى قلعه الثائر في (كويبده) وبادر الى حرقها ومر عام دون تجدد القتال في اطراف امارته لذا انصرف فيها الى مجالسه الخاصة حتى كان عام ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م عندما اعلن نعمة الله بن عليان ثورته في ناحية (الفتحيه) و (ابوغريه) مستميلا الى جانبه الامير ناصر الدين بن عاشم احد امراء الجزائر لذا استعد لهما علي باشا بجيش كبير ووقع بين الطرفين قتال مرير اندحر فيه ابن عليان وحليفه وارسل يطلب الصلح [٤] بعد ان انسحب الى شعاب امارته ومتاهاتها مختفيا بين الجزائر كأسلوب محلي للقتال بدليل ان الحويزى نفسه يقول ما ان عاد علي باشا الى البصرة حتى أعلن ابن عليان ثورته مجددا والتي استمرت حتى عام ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م حيث اضطر علي باشا افراسياب الى تجهيز اسطول نهرى ينهم (الخربان) قاصدا به قلعة ابن عليان حيث كان يقيم حينذاك في (نهر صالح) ووصل الموضع ليلا وشرع في هدم القلعة مما اضطر ابن عليان الى تركها وذلك في شهر

---

(١) يقصد الكوفة والبصرة .

(٢) الحويزى ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢١ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٥ .

سفر من عام ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م قاصداً الحويزة[1] (الحويزه) وكان حاكمها يومئذ حسن اغا وهو ممن يعطفون على حركة ابن عليان وابن مانع فاجتمع رأيهما على ان يقصد ابن عليان (امام قلي خان) مستنجداً به ولتحريضه على اخذ ثأر قتلاه في معركة (القبّان) السابقة وفعلا تم الامر وتحرك امام قلي خان بعد اخذ موافقة الشاه عباس الصفوى باتجاه البصرة لقتال علي باشا وتوجه مع ابن عليان كدليل له في سفره[2] كما امر الشاه الجيش المرافق له في جهات بغداد بالتوجه الى البصرة لانه كان قد تفرغ توا من محاربة الجيش العثماني الذى حاول استرداد بغداد من الصفويين وهكذا تقدم الجيش الايراني واصطحب في طريقه جمعا من قبائل الخزاعل من حلفاء آل مانع وكذلك جيش حسن اغا في الحويزة وقاتلي الجزائر حتى خلت الجزائر وقلاعها من ابناء العشائر الذين توزعوا بين مؤيد لجيش الشاه والثوار وبين نصير لعلي باشا افراسياب نزل امام قلي خان في الطرف الغربي من البصرة ، ويذكر الحويزى في هذا الصدد "لقد نزل على اهل البصرة بلاء عظيم وخطب جسيم يئست به الاحياء من الحياة واحسوا من الاحياء بالزفاة فمنهم من اشار بالخروج منها ومنهم من اشار بتسليمها اليه او

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٦ .

(٢) ذكره ديلا فالي في رحلته وقال عنه انه حاكم الحويزه وهو كردى الاصل ويذكر ان الايرانيين اثناء احتلالهم لبغداد ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م استمالوه الى جانبهم وارسلوا اليه التاج القزلباشي وقد قبل التاج ولكن الدولة العثمانية ظلت ترسل اليه الاموال بقصد استمالته من جديد . ويروى (ديلا فالي) بان مبعوث السلطان لتقديم الهدايا لحسن باشا كان في معيته اثناء رحلته من البصرة الى حلب ويقول بان القافلة تأخرت عدة ايام في منطقة بالقرب من الحويزة لانتظار الرسل المبعوثين اليه انظر : سركيس ، مباحث عراقية ، ق ٢ ، ص ص ٣٨٢ — ٣٨٤ نقلا من رحلة ديلا فالي .

(٣) الحويزى ، المصدر السابق ، ص ٢٦ .

الدخول في طاعته)) وان الذى انقذ المدينة من السقوط المحقق في يد الايرانيين هو وصول خبر وفاة الشاه عباس الى معسكر الجيش الايراني الذى اضطرت قيادته وساري امام قلي خان بفك الحصار والعوده مسرعا الى اصفهان[٢]. وهكذا استغل علي باشا هذه المناسبة وتعقب ساقه الجيش المنسحب وغنم منه الكثير من الاموال والمعدات واستطاع السيطرة على الجزائر . وفي العام التالي ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م استطاع قتل ابن مانع وبذلك تخلص من خصم عنيد آخر حيث ركز جهوده لمواجهة حسن اغا حاكم الحويزاء الذى بادر الى اعلان الندم . وهكذا انفرد علي باشا افراسياب في حكم البصرة وتوابعهما وسارع في عقد صلح مع امام قلي خان حاكم شيراز عام ١٠٤١هـ / ١٦٣١م وتبودلت بينهما الهدايا[٣] وسادت المنطقة فترة من الاستقرار استمرت الى عام ١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م حيث ثار اهل الجزائر مرة اخرى ، وتزعم آل عليان من جديد ثورتهم لذا خرج لهم علي باشا الى القرنه في العشر الاوائل من شهر رجب ١٠٤٣هـ/١٦٣٣م وفي اليوم السابع منه وصل قلعة الفتحيه ومنها توجه الى ( طريحه ) وباشر ببناء قلعة فيها لتكون مركزا لجيشه[٤] ثم وقعت المعركة بين الطرفين استطاع علي باشا فيها احتلال ما يقرب من اربعين قلعة من الثوار وبادر الى تعيين فريق من اتباعه عليها وقفل راجعا

---

(١) الحويزى ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٨ . وللاستزاده عن استمرار الاطماع الايرانية في منطقة الخليج العربي عامة والبصرة خاصة يراجع كتاب الدكتور عبد الامير محمد امين ، القوى البحرية في الخليج العربي ( في القرن الثامن عشر ) ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ١٩٦٦م .

(٣) الحويزي ، المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٤ .

الى البصرة عن طريق شط العرب حيث لجأ اليه السيد محمد خان بن السيد مبارك فارا من عمه السيد منصور خان الذى تغلب عليه وحكم بلاد الحويزة واستقبله علي باشا بحرارة رغم ما كان بينهما من جفاء واسكنه دار ابنه حسين بك موءقتا حتى اخليت له دار علي أغا المطلة على شط العرب (٢)، وبعد تغلب علي باشا على خصومه في المنطقة بادر الى تحسين علاقاته مع ايران ليضمن الاستقرار لامارته فراسل الشاه الصفوى حفيد الشاه عباس وتبودلت بينهما الهدايا وقد ارسل علي باشا اليه جوادا يسمى سحلان قدر ثمنه بالف تومان (٣) .

وهكذا نجد أن الفترة المتبقية من حكم هذه الاسرة المتعلقة ببحثنا والممتدة ١٠٤٢–١٠٤٨هـ / ١٦٣٣ – ١٦٣٨م تميزت بالهدوء والاستقرار ولم نسمع عن ثورة العشائر او تجاوزات ايران وهذا ما جعل الامارة تتقدم شوطا كبيرا صوب الرخاء والبناء قياسا على سائر مدن العراق الاخرى التي كانت لا تزال تتخبط في المتاهات السياسية ويتسابق على حكمها ولاة جشعون (٤) ٠ ان نجاح اسرة أفراسياب في البصرة في تأسيس امارة متطورة تنعم بالرخاء الاقتصادى وتنهل من العلم وتستقبل الشعراء والادباء لخير دليل واضح على حماس الحاكم المحلي الذى يتفانى في الدفاع عن ارضه ويعمل على تطوير اقتصادياته خلاف حكام ولايات العراق الباقية التي استمرت (*)

---

(١) الحويزى ، كان مع علي باشا افراسياب في نفس السفينة التي عاد بها الى البصرة عن طريق شط العرب ٠

(٢) الشهبندر ( مسوءول الميناء )

(٣) انظر بحث النقود في الفصل الاقتصادى ، ص ٤٣٠

(٤) انظر البحث العسكرى في الفصل الخامس ، ص ٢٩٤ من هذه الرسالة ٠

(*) استمرت هذه الاسرة تحكم البصرة حتى عام ١٦٦٧ حيث انتهج الفاتحان [illegible] بعض جيشه [illegible] احتدول حملة التركية ومنها دخل الجيش العثماني البصرة دون مقاومة حيث هرب حاكمها حسين باشا بن علي باشا افراسياب وبذلك كانت نهاية هذه الاسرة ٠

واقعة تحت نير حكام اغراب ، جبلة يستنزفون ثرواته باقصر السبل لانهم كانوا ينتظرون العزل في اية لحظة . لكن مهما قيل عن هذه الاسرة وهيمنتها الا ان هناك عوامل اخرى ساعدتها على الازدهار منها المنافسة التجارية بين الشركات والمصالح التجارية الاوربية في الخليج العربي عامة والبصرة خاصة والتي كانت تفضل التعامل مع الاسرة المحلية والحصول على امتيازات منها بدون التوجه الى الدولة العثمانية لنيل ذلك(١)

---

(١) يا حبذا لو تصدى لهذه الامارة المتميزه في البصرة من يدرسها بعمق لا سيما لو يتناول علاقه الاماره بالخليج العربي من جهه والشركات الاوربيه من جهه اخرى وباستطاعه الباحث ان يخرج باطروحه برأسها من خلال دراسه الرسائل والنصوص الكثيره المبعثره في مجلدات English Factories الثلاثه عشر ومجلدات ال Court Minutes وجلها خارجه عن الفترة التي نحن بصددها حيث يبدأ نشاطها الاقتصادى بعد عام ١٦٣٨م .

ولاية الموصل :

ضمت الدولة العثمانية الموصل الى اراضيها عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م في اعقاب معركة جالديران[1] الا ان حكامها الاكراد استمروا في حكم مقاطعات الولاية ، وباحتلال بغداد عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م من قبل سليمان القانوني اصبحت الموصل سنجقا عثمانيا[2] ارسل اليها محمد باشا كحاكم عثماني مباشر وبوشر بتطبيق نظام الاقطاع العسكري فيها[3][4]. ولما كان هذا النظام يمثل واجهة ادارية وعسكرية بالاضافة الى كونه تنظيما زراعيا[5]، لذا فقد اعيد تنظيم ملكية الاراضي بموجب القوانين العثمانية المتمثلة في الخاص والزعامت والتيمار ودونت في سجلات خاصة وخصصت الاوقاف الكثيرة من ارض وعقار للجوامع والمراقد[6] الكبيرة في الموصل وظلت هذه الولاية مرتبطة بحكام الجزيرة اكثر من ارتباطها بـولاة

---

(١) انظر معركة جالديران : الفصل الاول ومراحل احتلال الموصل .

(٢) استمرت الموصل سنجقا عثمانيا حتى عام ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م ثم غدت ولاية بعد ذلك

(٣) Pitcher, op. cit., P. 128.

ومما يؤكد هذا الرأي ما ورد في السجلات العثمانية دفتر رقم ( ١٩٥ ) لوحة ٤٩ بتاريخ ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م بخصوص التشكيلة الادارية للموصل حيث وضع على رأسها امير لواء واحد ( سنجق بكي ) لا بكلربكي الذي يرأس الولاية عادة .

(٤) ياسين العمري ، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ، ص ٧١ .

(٥) ورد في السجلات العثمانية دفتر رقم ( ١٩٥ ) لوحة رقم ( ٤٩ ) في الفترة بين ٩٤٩ - ٩٥١ هـ / ١٥٤٢ - ١٥٤٤م ان في الموصل خمسة زعامات و ( ٦٧ ) سباهي و ( ١٢٦ ) مزرعة و ( ٥٢ ) جماعة و ( ٨٫٧٨٩ ) شخص منهم ( ٦٤٩٧ ) رجل و ( ٢٢٩٢ ) امرأة .

(٦) انظر التقسيمات الادارية للولاية على هامش التنظيمات الادارية لولاية بغداد في الفصل الثاني ، ص ١٢٨ ، انظر كذلك :
سجلات الدولة العثمانية ، ولاية الموصل ، دفتر ( ٦٦٠ ) لوحة ٢٨ ،
عبد السلام العطار ، ولاية الموصل في عهد آل الجليلي ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٢

بغداد (1) ولم تظهر فيها حركات مناهضة للدولة كتلك التي ظهرت في ولايات بغداد والبصرة وشهرزور وتشح اخبارها في المصادر التي تناولت العراق العربي بالبحث وكلما استطعنا العثور عليه من نتف اخبار هو توافد رجال الدين المسلمين والمبشرين المسيحيين عليها ، فقدمها الشيخ قاسم العمري من مكة بايعاز من الدولة العثمانية لنشر المذهب الحنفي بين سكانها وهو المذهب الرسمي للدولة العثمانية (2) .

كما ظهرت فيها نشاطات تبشيرية للطائفة الكاثوليكية التي خاضت صراعا مذهبيا مع النساطرة في المنطقة ، حيث عقد السريان المشارقة اجتماعا موسعا في مدينة الموصل في شباط ١٥٥٢م / ٩٦٠هـ حضره اساقفة كل من اربل وسلماس وآذربايجان وشارك فيه مجموعة من الكهنة والشمامسه والرهبان ووكلاء الكنائس المنتشرة في بغداد والجزيرة وتبريز ونصيبين وماردين وآمد وحصن كيفا وذلك لاختيار الاسقف ( سولاقا ) بطريركا وارساله الى روما ليسمى هناك ، وقد توجه الى الفاتيكان واظهر ايمانه الكاثوليكي

---

(1) ورد في التقويم العثماني الاول المنشور عام ١٧٠٠م ( السالنامه ) بان ولاية الموصل وديار بكر واورفه ( الرها ) تشكل ايالة ديار بكر وترتبط بالدولة مباشرة وورد بان ايالة العراق العربي تتكون من ولاية بغداد والبصرة ، ونستطيع ان نجعل هذه التنسيقات امتدادا لما كان معمولا به في فترة بحثنا وان حدثت تغيرات كثيرة على اوضاع الولايات والسناجق طيلة القرن السادس عشر . انظر :
عصبة الامم ، مسألة الحدود بين تركيا والعراق ، ص٢٧ .

(2) سعيد الديوه جي ، جوامع الموصل ، في مختلف العصور ، مطبعة شفيق ( بغداد ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م ) ، ص١٣١ نقلا من تاريخ الموصل سليمان صايغ

مصطحبا معه وفدا تعداده سبعون شخصا رافقوه الى القدس لاداء مراسيم الحج
وصحبة ثلاثة منهم الى روما حاملين رسالة المؤتمر التي تؤكد مناقب ( سولاقا ) وقد
استقبلهم البابا يوليوس الثالث وطلب من ( سولاقا ) القسم على ايمانه الكاثوليكي والموافقة
على ان يكون الابن المطيع المستعد دوما لتنفيذ جميع الاوامر والوصايا التي يصدرها
البابا ، وفي ٢١ نيسان ١٥٥٣ وفي احتفال رسمي كبير جرى في كنيسة مار بطرس تمت
تسمية سولاقا بطريركا من قبل البابا وابدل اسمه باسم يوحنا وسلمه ( الباليون ) القدسي
والبراءة الرسولية المؤرخة في ٦ نيسان ١٥٥٣ ، واعلن حقوقه على بلاد المليبار والصين
التي كانت خاضعة لجاثيليق ( المدائن ) والبسه الدرع القدسي كرمز لبدء مهامه ،
وبإزائه الاستفادة من ايرادات النذور والبت في درجات الزيجه المحرمه ومنح الغفران
الكامل في بعض ايام السنة وامتيازات اخرى . وبعد عودة سولاقا ( يوحنا ) الى الموصل
وهو يحمل الهدايا البابويه الكثيرة التي كان بينها تاج من الذهب ، بدأت المشاكل من
( شمعون برما ) بطريرك النساطرة الذي شعر بان نفوذ جماعته سيتلاشى ، فخطط
لاغتيال سولاقا بالاتفاق مع باشا العمادية الذي اغرى بمبلغ من المال مقابل اغتيال
المنشق . واتماما للمؤامرة ارسل والي العمادية يدعو ( سولاقا ) اليه وبمجرد وصوله بادر
بسجنه ثم امر بخنقه بعد شهور اربعة والقى بجثته في النهر وهكذا مات هذا الاسقف
الكاثوليكي بتحريض من بطريرك النساطرة في عام ١٥٥٥ م [١] .

من هذه الاحداث نستخلص صورة من الخلافات المذهبية التي شاعت في العراق
مسيحيين في القرن السادس عشر والتي كانت صدى للخلافات الكنسيه في اوربا
ذلك القرن بالاضافة الى ما لمسناه من سعة مركز وصلاحيات بطريرك الموصل وشمولها

---

(١) المطران بطرس نصري الكلداني ، كتاب ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان ، المجلد الثاني ، طبع دير الاباء الدومنيكيين ، في الموصل ، ١٩١٣ ، ص ص ١٣٨ ـ ١٤٣ .

لبلاد الملبار والهند والصين .

ولم يظهر في الادبيات التي تناولت ولاية الموصل ما يشير الى احداثها ولم نطلع على غير اسماء ولاتها بعد عام ١٠٠٠ هـ (١) ومن الاحداث الجديرة بالتدوين موقف

---

(١) وليها عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م حسين باشا ثم اعقبه بياله باشا عام ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م وتقدمه بعده سنان باشا عام ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م الذي اشتهر بعدله وشجاعته ثم حسن باشا الذي حكم الى نهاية عام ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م ثم وليها محمود باشا في مفتتح عام ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦ وتقدمها بعده عبد الله باشا عام ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م ثم علي باشا في عام ١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م ثم حسن باشا والي العمادية عام ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م الذي اقام فيها الى عام ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م وعزل عنها ليتولاها محمد باشا الذي نجح في ضم سنجار الى ولايته وبعده تولاها احمد باشا عام ١٠١٥/ ١٦٠٦ ثم محمد باشا الذي عزل عام ١٠١٧هـ/ ١٦٠٧م ثم اعيد احمد باشا واليها السابق واقام فيها الى عام ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م ثم محمد باشا الذي استمر الى عام ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م وبعده حكم كل من علي باشا ومحمد باشا حتى عام ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م ثم تقدمها الحاج احمد باشا وبعده محمد باشا مرة اخرى ثم وليها والي البصرة محمد باشا عام ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م اعقبه مؤمن باشا الذي استمر لنهاية عام ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م وبعده حسن بوستان باشا الذي عزل عام ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م وحكمها بعده ولأول مرة رجل من اعيان الموصل يدعى بكر باشا الموصلي ثم اعقبه يونس باشا وبعده الدفتردار مصطفى باشا ثم كور حسن باشا الذي كان واليا عليها ايام فتنة بكر صوباشي ثم حكم اخو حاكم الحسة احمد باشا ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م ، وسباهي احمد باشا عام ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م وسليمان باشا ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م ، ومحمد باشا ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م ، وبكر باشا بن محمد باشا ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م ، واحمد باشا ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م . انظر : محمد امين بن خير الله العمري ، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ، ص ص ١٣٥ — ١٣٦ ، سالنامه ولاية الموصل لعام ١٣٠٨هـ ، ص ص ٣٨ — ٣٩ ، ياسين العمري ، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ص ص ٧١ — ٧٢ . تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٥ .

ولاية الموصل من فتنة بكر صوباشي في بغداد عام(١) ١٠٣٢هـ - ١٠٣٣هـ / ١٦٢٢م - ١٦٢٣م ، حيث امر السردار حافظ أحمد والي الموصل كورحسن باشا بالتوجه الى بغداد لمساعدة حاميتها امام الغزو الايراني ، فقصدها مع خمسمائة من الفرسان المشاة الا ان " زمان بك " احد القواد الايرانيين المكلفين بحماية الجهات الشمالية من ولاية بغداد أعترض سبيله بالقرب من رباط قديم ووقع بين الطرفين قتال تراجع فيه كورحسن باشا ليستنفر العشائر الكردية الموالية للدولة العثمانية في المنطقة ولما عاود الكرة لخوض معركة اخرى وقع قتيلاً في المعركة وفرّ جيشه الى جهات الموصل لا سيما عند علمهم انباء سقوط بغداد بيد الصفويين .

وبعد ان افلح الشاه عباس في احتلال بغداد عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م جهز حملة بقيادة (قرجغاى خان ) وارسلها الى الموصل قصد احتلالها ، في الوقت الذى امر فيه (خان احمد ) خان اردلان بالتوجه الى كركوك ، الذى استطاع السيطرة على قلعتها واستمال سكانها بعد فرار حاميتها العثمانية الى جهات ديار بكر . اما الحملة التي ارسلها الشاه الى الموصل فانها شرعت بفرض الحصار على المدينة بعد أن تحصن اهلها في القلعة وباشروا بالدفاع عن مدينتهم ببسالة ، ولما طال امد الحصار اضطر الى ارسال نجدة بقيادة قاسم سلطان افشار الى ( قرجغاى خان ) واستطاعت القوات الايرانية المشتركة في الحصار وقطع جميع الطرق المؤدية الى المدينة لمنع وصول المؤن الى المحاصرين ، مما اضطر سكان المدينة الى طلب الامان ووافقوا على فتح ابوابها للناس ، عندها دخل الغزاة المدينة وقتلوا كثيرا من سكانها وسلبوا اموال الكثيرين وعندما هدأت الحالة ونجح الايرانيون في فرض هيمنتهم على المدينة عاد قرجغاى الى بغداد تاركا امر المدينة الى قاسم سلطان الذى منحه الشاه لقب خان(٢).

---

(١) بحث بكر صوباشي في الفصل الثالث من هذه الرسالة .

(٢) اسكندر بك ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٦ .

للجهود التي بذلها ابان حصار الموصل كما اناط اليه حاكمية الولاية وخصص له حامية من القزلباش لمساعدته في الاستحواذ على اطرافها والدفاع عنها امام هجمات العثمانيين المتوقعة ، وافلح قاسم خان في اعادة الامن والمباشرة باصلاح ما تهدم من اسوار المدينة[1] الا ان عامه الاول لم ينته حتى داهمته حملة عثمانية قوامها ٣٠٠٠ مقاتل تضم خليطا من الاكراد والاتراك والعرب ارسلهم حافظ احمد بقيادة حسن باشا لاستعادة الموصل واستطاع قاسم خان وحاميته الصغيرة المتكونة من ثلثمائة قزلباشي واربعمائة من اليوزباشية والتورجيه الصمود[2] بل وافلح في التصدى للعثمانيين وقتل حوالي الف شخص منهم وحصل على غنائم كثيرة في تلك المعركة وبمجرد عودته الى الموصل تفشى مرض الطاعون في صفوف جيشه ومات عدد كبير من قبيلة الافشار من خلال افراد حاميته ، فاضطربت اوضاع المدينة واستغل المعارضون تلك الظروف واتصلوا بالدولة العثمانية يطلبون عونها للتخلص من الايرانيين ، ولما وصلت تلك الانباء الى الشاه عباس بالاضافة الى ما سمعه من اخبار ثورة ابي طالب ابن ناصر مهنا في اطراف الحله والنجف ، تنبه الى الاخطار التي كانت لا تزال تهدد املاكه التي استحوذ عليها في العراق ، لذا ارسل زينل بيك توشمال باشي شاملو وهو من بين قادته المشهورين بالخبرة والاقدام يصحبه مير فتاح مين باشي آمر المدفعية ورهط من حملة البنادق الى العراق للدفاع عن حدودها امام هجمات العثمانيين ، ولم يكد يصل هذا الجيش الحدود الايرانية العراقية حتى داهمت حملة عثمانية الموصل واستطاعت السيطرة عليها بعد طرد حاكمها قاسم خان الذى لم يستطع المقاومة لفقده عددا كبيرا من افراد جيشه ولقلة ذخيرته . ولم تكتف الحملة العثمانية بما سجلته من انتصار وانما تعقبت

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٠٧ .

(٢) نفس المصدر [illegible]

...يبن قاسم خان باتجاه الجنوب واحتلت كركوك والقلاع التابعه لها في تلك المنطقة ،
...ن الانتصارات شجعت ( جركس حسن باشا ) قائد الحملة العثمانية على التوجه الى
...زاب ) ليستطيع فيها عبور النهر ويتجه بعدها الى بغداد . لقد وصلت انباء
...ذه التطورات العسكرية الى زينل بيك في الحدود لذا سارع لمواجهة الحملة
...عثمانية والتقى بطلائعها بعد يومين وانتصر عليها قبل ان تستكمل الحمله
...عثمانيه وحصل الجيش القزلباشي على غنائم كثيرة بعد فرار حسن باشا جركس الى
...بات الموصل ، لذا امر زينل بيك مير فتاح بالتوجه الى قلعه بغداد لمساعدة حاميتها
...م الغزوات العثمانيه المتوقعة وعاد هو الى السلطانيه (1) دون ان يستطيع استعادة
...وصل . وهكذا عادت الموصل لتصبح عثمانية في عام ١٠٣٦ هـ بعد ان خرجت من
...يدها ثلاثه اعوام فقط (٢).

<u>...ـ مشاكل الحدود العثمانية الصفوية والصراع على كردستان :</u>

٩٤١ ـ ١٠٤٨ هـ / ١٥٣٤ ـ ١٦٣٨ م

كانت منطقة كردستان تحكم قبل قيام الدوله الصفويه في عام ٩٠٦ هـ / ١٥٠١ م
...بل امراء اكراد متعددين نال بعضهم شهرة واسعه وظهر وكأنه امير مستقل في
...ه وكانت امارته تسمى باسم عشيرته رغم انضواء عشائر اخرى تحت لوائه كامارة سوران

---

...زلان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ص ١٠١٩ ـ ١٠٢٠ .
...ي المؤلف انه سمع القصة في السلطانية من زينل بيك قائد الحملة الى الاراضي
...ثمانيه .

...ين العمري ، الاثار الجليه ، ورقه ، ٢٠٩ .
...الجدير بالذكر ان القبائل التركمانيه ( القره قوينلو والآق قوينلو ) التي حكمت
...عراق قبل الاحتلال الصفوي كانت تشن في مختلف المناسبات الغارات على
...ق كردستان وتسخرها وتبادر الى منح الاقطاعيات فيها الى اتباعها ، وعند
...سياسي تلك الزعامات الكرديه بضعف الحكومه المركزية كانت تبادر الى فرض
...نفسها على مناطقها وتمتنع عن دفع الجرايه السنوية الى الخزينة في بغداد .

وبابان واردلان ، وامتلك البعض الآخر منهم قلاعا كبيرة او استقر في مدن شهيره فاصبح حاكماً باسم تلك القلاع مثل حاكم حصن كيفا وحاكم بدليس وحكام العماديه والجزيرة ـ وعند قيامها ( الدوله الصفوية ) تمكنت ان تفرض هيمنتها على معظم الامارات الكردية في المنطقه رغم استمرار بعضها بالتمتع بما يشبه الحكم المستقل وقدم الولاء لها معظم الامراء في الجزيرة والعمادية واردلان ومنطقة لورستان .

وعند بدء الصراع بين الدولتين الصفويه والعثمانيه وقيام معركة جالديران عام ١٥١٤م وانتصار العثمانيين في تلك المعركة نجحت الدوله العثمانية في ضم بعض المناطق الكرديه الى اراضيها كما اطاعها امراء العماديه وبدليس والجزيره في الوقت الذي ظل امراء اردلان والامراء الآخرين خاضعين اسميا للدوله الصفويه وموالين لها .

وبانتصار سليمان القانوني على بغداد عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م بدأت سلسلة من الحروب والمشاكل بين الدولتين العثمانيه والصفويه على مناطق كردستان عامة وشهرزور خاصة حتى اصبح العراق مسرحا لكثير من تلك الحروب والمحن .

ويحسن بنا قبل تناول ذلك الصراع الرهيب على الحدود العراقية الشرقية في القرنين السادس عشر والسابع عشر ان نوضح توزيع تلك الامارات الكردية في منطقة كردستان ليسهل علينا تتبع تأرجحها بين تينك الدولتين :ـ

٢ ـ الامارات الكردية في شرقي وشمالي العراق

ـ حكام العمادية(١)

وكان يحكم هذه الامارة ابان استيلاء الصفويين على آذربايجان عـــام ٩٠٦هـ /

(١) قلعة العمادية بناها عماد الدين زنكي ومن قلاع المدينة الشهيرة قلعة عقره وقلعة دهوك ومن نواحيها وملحقاتها زاخو ، ومن عشائرها المزوري والزيباري ورادكان وبروري .. الخ . انظر : البداريسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ .

١٥٠١م الامير حسن بن سيف الدين البهدنياني [1] الذى توجه الى بلاط الشاه
اسماعيل في تبريز ليعرض عليه ولاء امارته ، وبذلك نال ثقة الشاه الصفوى الذى اقره
حاكما على العمادية ، ولما توفي ترك سبعة اولاد تقلد حاكمية الامارة اكبرهم سنا
حسين بك الذى مال الى تأييد الدوله العثمانيه في اعقاب معركة چالديران عام
١٥١٤م وبذلك ابقاه السلطان سليم الاول ١٥١٢ – ١٥٢٠م كحاكم للعمادية
...نائها واصبح واحدا من المقربين للسلاطين العثمانيين الذين اخذوا يعتمدون
عليه في اخماد حركات الاكراد الموالية للدولة الصفوية في مناطق كردستان المختلفة
طيلة الثلاثين سنه التي حكم فيها الامارة ولما توفي خلف خمسة اولاد تولى اكبرهم
...راد بن حسين بك الحاكمية بموجب مرسوم صادر من السلطان سليم الثاني ١٥٦٦ –
١٥٧٤م الا انه انصرف الى الزهد وحياة ( الدروشة ) وترك امر الامارة لذا نفرت منه
العشائر ولجأت الى اخيه بيرام بيك تطلب منه استلام السلطة الا أن محاولته للوصول
الى الحكم فشلت لذا اضطر الى اللجوء لايران علّه يحصل على عون من الشاه اسماعيل
الثاني ( ١٥٧٦ – ١٥٧٨م ) فيها وهناك اتصل به زينل بيك حاكم الحكارى وعرض عليه
...عاون لطرد اخيه قباذ من العمادية مقابل اقتسامها بينهما فسرّ لذلك العرض
...حف مع زينل بيك باتجاه العمادية ولما علم قباذ بذلك لاذ بالفرار الى جهات الموصل
...سار تاركا شؤون الحكم لاخيه بيرام ، الا ان الدوله العثمانية بمجرد علمها بذلك
...درت اوامر مشدده الى باشا بغداد وشهرزور والى سائر الامراء الأكراد الموالين

---

(1) نسبة الى بهاء الدين وهو اول من حكم منهم العمادية في حدود القرن السابع الهجري قدمها من ولاية شمدينان ( البدليسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

للدولة العثمانية بالزحف على بيرام بيك لطرده من العمادية بعد أن اصدرت امرا بتعيين ( سيدى خان ) ابن قباذ حاكما مكانه (١) وهكذا نجد أن هذه الامارة كانت عرضة للاطماع الايرانية والعثمانية بالاضافة الى كونها ميدانا للصراع بين الامراء الطامعين في الحكم شأنها شأن كافة الامارات الكردية التي شهدت صراعا من هذا النوع طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر .

٢ ـ حكام سهران (٢) :

سهران امارة كردية موطنها بالقرب من اربل ، واصبحت موالية للدولة الصفوية منذ قيامها عام ١٥٠١ م ، وعندما فتح السلطان سليمان القانوني بغداد عام ٩٤١ هـ / ١٥٣٤ م قدم له بعض الامراء الاكراد في المناطق فروض الطاعة الا أن الامير عز الدين شير حاكم اربل لم يفعل ذلك ، الامر الذى دفع السلطان الى معاقبته في طريق عودته الى بلاده ، فاقام في اربل قرابة شهر ووجه اليه حملة واستطاع النيل منه وقتله وضم اقليم سهران ( سوران ) الى سنجق اربل ومنحها الى حسين بك داسني اليزيدى ولجأ الامراء السهرانيون الى امارة اردلان الموالية للدولة الصفوية (٣) واستطاع أحد امرائها المسمى سيف الدين الزحف على اربل والاستيلاء عليها بمجرد مغادرة السلطان سليمان للمنطقة ولم يفلح حسين بك داسني باستعادة ملكه رغم محاولاته المتكررة الفاشلة . ولما علم السلطان بذلك أمر بمعاقبته لجبنه وكلف حسين بيك البيدناني حاكم العماديه بالزحف الى اقليم السهروان لاستعادته ولكن هذا لم يوفق

---

(١) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ١٠٢ ، ١١٠ .

(٢) تعني اصحاب الصخور الحمراء ( سنك سرخي ) بالفارسيه . اما الاكراد فانهم يلفظون سرخ بـ سهر او سور وسهران ، وسوران ، او سوران هي صيغة الجمع . انظر البدليسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦٩ .

(٣) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٧١ .

ابنا ، وظلت[1] منطقة السوران هدفا لغارات اليزيديين وحكام العماديه الامر الـذى دفع اميرها سيف الدين للتوجه الى القسطنطينيه ليعرض الولاء عليها ويعلن طاعته تخلصا من اطماع جيرانه الا ان امرا صدر باعدامه هناك مما جدد الصراع بين الامراء السورانيين وبين اليزيدية في المنطقة حول السلطة وقدمها قلي بيك احد امرائها الفارين الى ايران واستطاع انتزاع الحكم من طائفة اليزيدية بمساعدة حسين بيك حاكم العمادية ولما توفي دب الخلاف بين ولديه بوداق بك وسليمان بك فسيطر الثاني على الاماره ولما اشتد ساعده زحف على جيرانه الاكراد الموالين للدولة الصفوية وغنم منهم اموالا طائلة قدم بعضها الى بلاط السلطان مراد الثالث ١٥٧٤ - ١٥٩٥م واعلن تبعيته له[2] ولكن الامارة ظلت هدفا للاطماع الصفوية طيلة ذلك الوقت وبعده .

- امراء بابان

اصلهم من لاهيجان[3] الا انهم استوطنوا بالقرب من سروان ووسعوا امارتهم وضموا اليها بعض الاقاليم على حساب ولايتي سيران واردلان ، وكانت كركوك ... من قبلهم الا ان الاسرة البابانية اندرست وحكم بعدها مماليكهم وكان اول من حكم منهم رجلا يدعى ( بير نظر بن بيرام ) الذى استطاع انتزاع ناحية كفرى التابعة لبغداد وضمها الى امارته ولما توفي لم يترك خلفا فانقسمت الاماره بين اميرين متنافسين في الحكم هما سليمان وميرابراهيم استطاع الاول التغلب على خصمه وقتله الامر الذى ادى ب ( حاجي شيخ بن ابراهيم ) للجوء الى بلاط الشاه طهماسب يطلب

---

(1) البدليسي ، المصدر السابق ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(2) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .

(3) انظر عن لاهيجان ، الفصل الاول ، ص ٣٠ هامش رقم ٢ من هذه الرساله .

عونه ولكنه لم يفلح في مسعاه فعاد خائبا ، ولما فتح السلطان سليمان بغداد ٩٤١هـ / ١٥٣٤م سعى شيخ حاجي بن ابراهيم للحضور بين يديه لطلب النجده ضد خصومه الا ان اكراد ( مركه ) تصدوا له في الطريق وقتلوه ولما علم السلطان بذلك بعد عودته من بغداد الى كردستان امر بتعيين ابنه بوداق حاكما على امارة بابان الا ان هذا الامير اظهر ميلا للدولة الصفوية بعد حين لذا وجه اليه السلطان سليمان حملة بقيادة حسين بيك حاكم العمادية للاستيلاء على الامارة وقد توسط حسين بيك حاكم العمادية لدى السلطان سليمان القانوني للعفو عن بوداق بيك فوافق السلطان على رجائه وعينه واليا على عينتاب ، الا ان بعض الامراء البابانيين لجأوا الى بلاط الشاه طهماسب طالبين العون لاستعادة الاماره فارسل الشاه حملة بقيادة عبد الله خان استاجلو الذى وصل الى جبل (كلاله ) ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليه لصعوبة مسالكه وتكبد الجيش الايراني عددا كبيرا من القتلى الامر الذى اثار الشاه طهماسب فغضب على الامير حسين البابانى واخوته فأمر بسجنهم الا ان الامير استطاع الفرار واللجوء الى الدوله العثمانية التي عفت عنه وأمرت بتعيينه اميرا على بابان الا ان الامارة اصابها الضعف والتمزق وخضعت تدريجيا الى ولاية شهرزور حيث كانت تدفع لها جراية سنوية تدرها اربعة اكياس من الذهب(١)

٤ ـ امراء لورستان

كان امراء لورستان على العموم تابعين للدولة الصفوية فان اظهر بعضهم او بعض الاعيان ميلا للاستقلال ، كانت الدولة الصفوية تجابههم بالقوه لاخماد حركاتهم الاستقلاليه ، ولما حاول جهانكير بن رستم الانفصال وجه اليه الشاه طهماسب ١٥٢٤ ـ

---

(١) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٢٧٦ ـ ٢٨٣ . عن قيمة اكياس الذهب انظر : الفصل الخامس ، بحث النقود ص ٤٣٣ من هذه الرساله .

١٥٧٦م حملة استطاعت قتله عام ٩٤٩هـ/ ١٥٤٢م وخلف هذا الامير ولدين هما رستم ومحمدى امر الشاه طهماسب بالقبض على رستم وسجنه وبعد سنين اطلق سراحه وعينه حاكما على (خرم اباد) عاصمة لرستان فظهر الخلاف بين الاخوين الا انهما اتفقا على حكم الاقليم سوية ، وفي عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م ظهرت بوادر الخلاف بينهما ثانية الامر الذى دفع الشاه طهماسب الى القاء القبض على محمدى وسجنه الا ان اولاده الاربعة علي خان واسلمز وجهانكير وشاهوردى قاموا بثورات مستمره في اقليم لرستان دوخوا عمهم رستم والدوله الصفوية معا ، اضطر على اثرها الشاه طهماسب الى اطلاق سراح محمدى لقاء تعهده بدفع ثلاثين الف رأس من الخيول والاغنام الى بلاطه فوافق الامير وعند وصوله الى الحدود نكث بالعهد ودخل لرستان وطرد اخاه رستم وصار حاكمها المطلق وبعد موت الشاه طهماسب مال الى تأييد الدوله العثمانية في عهد سلطانها مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥م) الذى منحه بالاضافة الى ولايته مناطق مندلي وجسان وبدراني (بدره) وترساق من الاملاك الخاصه السلطانية التابعة لولاية بغداد والتي قدر ايرادها العام بمبلغ اثني عشر كيسا من الذهب العثماني ، الا ان خلافا حدث بينه وبين باشوات بغداد استغله الشاه محمد خدابنده الصفوى (١٥٧٨م ـ ١٥٨٧م) وطلب يد ابنته لنجله الميرزا حمزه وذلك لكسبه الى جانبه بالمصاهره وبعد ذلك تولى الاقليم ابنه شاهوردى الذى ظل مخلصا للبلاط الصفوى ولما حكم الشاه عباس (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) ايران بادر الى الزواج من اخته للحفاظ على صلات الموده بينهما (1) الا ان خلافات كانت تحدث بين الامراء اللر في المنطقة فلجأ المعارضون منهم الى باشوات بغداد لطلب نجدتهم مما كان يسبب القتال بين الدولتين الصفوية والعثمانية منطقة الحدود .

---

(١) [illegible] المصدر السابق ، ج ١ ، ص ص ٤٨ ـ ٥٥ .

## ٥- امارة اردلان

ينتسب حكام اقليم شهرزور[1] الى بابا اردلان[2] الذي قدمه من ديار بكر في اواخر ايام الدوله الجنكيزية[3] وسيطر عليه واتسع نفوذه وصار وكأنه حاكم مستقل فيه ولما توفي حكم بعده ابنه (كلول) وظل اولاده واحفاده يتوارثون حكم الاقليم حتى تولى امره (مأمون بن منذر)[4] وبعد وفاته ترك ثلاثة اولاد هم بيكيه خان وسرخاب ومحمد بك ،كان اولهم اكبرهم سنا ، لذا تولى منصب الاقليم بعد وفاة والده الا ان اباه كان قد قسّم شهرزور في حياته بين اولاده الثلاثة فكانت نواحي قلعة ظلم[5] وشميران وهاور وسليمان وراودان

---

(١) أونسيم اردا (يعني منتصف الطريق بين المدائن ومعبد النار الزرادشتي في آذربايجان) ،بناها الملك الساساني قباذ ،وجعلها صاحب صور الاقاليم (مدينة القوه) باعتبار شهر تعني بالفارسيه مدينه و زور قوه ،وكان يتبوء كرسي الحكم فيها دائما من يتغلب على الامراء الاخرين من الاكراد .أما الاقليم فانه يشمل كركوك ورانيه واربيل وكفري ورأوندوز .

Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 106.

تقرير عصبة الامم ، ص ٢٤ .

(٢) ان الاسره الاردلانيه كورانيه من حيث الاصل وتنتمي الى فرع (ماتولي) . محمد امين زكي ،خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ترجمة محمد علي عوني ،القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٢٧٧ .

(٣) البدليسي ،المصدر السابق، ج ١، ص ٨٠ .

(٤) مأمون بن منذر بن بابلو بن حسن بن خضر بن الياس بن خضر بن كلول بن بابا اردلان الآنف الذكر انظر : البدليسي ، المصدر السابق، ج ١، ص ٨١ .

(٥) ظلم او زلم ، تسمى اليوم قلاي خان في ناحية كل عنبر . انظر هامش ، البدليسي ، المصدر السابق ، ج ١، ص ٨٢ تعليق امين زكي بك .

زكل عنبر من حصة بيكه بك اما باقي ارجاء المنطقه فاصبحت تحت تصرف اخويه مناصفة ولكن يبدو ان حصة الاسد اصبحت لبيكه بيك الذى حكم قرابة اثنين واربعين عاما[1] ولما توفي خلف ولدين هما مأمون واسماعيل حيث تولى مأمون الحكم بعد ابيه الذى مال[2] الى الدوله الصفويه لذا وجه اليه السلطان سليمان القانوني حملة بقيادة حسين بيك حاكم العماديه يساعده رهط من الامراء الاكراد للاستيلاء على اقليم شهرزور[2] ووصل حسين بيك وجيشه الى المنطقه وباشروا بفرض الحصار على قلعة ظلم عام ٩٤٥هـ/١٥٣٧ التي كان يتحصن فيها مأمون بيك ولما طال امد الحصار تم الاتفاق بين الطرفين على عقد صلح بينهما كان من شروطه ان يتوجه مأمون بيك الى بلاط السلطان سليمان ليعرض الولاء عليه فوافق مأمون على ذلك وما ان توجه الى القسطنطينيه حتى انتهزعمه سرخاب[3]

---

(١) كان معاصرا للسلطان سليم الاول العثماني ، وفي هذا الصدد يذكر لونكرك في كتابه ان امارة اردلان خضعت مثل الامارات الكرديه الاخرى لنفوذ الدولة العثمانية بعد انتصار العثمانيين على الصفويين في معركة جالديران ١٥١٤م .

الا ان محمد امين زكي يخالفه في رأيه ويشك في الولاء اعتمادا على معلومات البدليسي في كتابه شرفنامه :

زكي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .

(٢) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٢ .

مينورسكي ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٣ ، ص ٤٢١ (الطبعه العربيه)

زكي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .

(٣) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٢ .

بينما ذكر زكي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ نقلا من مصدر آخر بانه وقع اسيرا بيد السلطان سليمان واقتيد الى اسطنبول .

المناسبه وضم مقاطعات ابن اخيه اليه (١) وجاهر بولائه للدوله الصفويه واعلن اخلاصه للشاه طهماسب (٢). ولما سمع السلطان سليمان بتلك التطورات اقتنع ببراءة مأمون بك واكرمه ومنحه منصب سنجق الحله التابع لولاية بغداد كاقطاع له مدى الحياة وعيّن اخاه اسماعيل بيك بمنصب سنجق بكي سروجك (٣).

ومن جهة اخرى فان سرخاب بيك الذى استطاع الاستيلاء على معظم ارجاء منطقة شهرزور بادر بالاستحواذ على البقيه الباقيه من أملاك اخيه الآخر محمد بك وهكذا اصبح حاكم شهرزور المطلق (٤) الا ان اخاه محمد بك لجأ الى الدولة العثمانية بقصد الحصول على عون عسكرى منها لاستعادة املاكه (٥) فساعده الصدر الاعظم رستم باشا واصدر امرا بتكليف امير امراء بغداد بالتوجه مع امراء كردستان الموالين للدولة العثمانية الى اردلان للاستيلاء عليها. واما الشاه طهماسب فانه هرع لمساعدة حليفه

---

(١) كانت تلك المقاطعات تتكون من لوى ومشيله ومهران وتنوره وكلوس ونشكاس: البدليسي، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٢.

(٢) نفس المصدر، ج ١، ص ٨٢. ويبدو أن تاريخ هذا الولاء المتأرجح يعود الى العقود الاولى من القرن السادس عشر عندما غزا السلطان سليم الاول القسم الغربي من كردستان في الوقت الذى تركزت سيطرة الشاه اسماعيل والشاه طهماسب بعده في الاقسام الشرقيه منها. انظر: ن. أ. خالفين، الصراع على كردستان المسأله الكرديه في العلاقات الدوليه في القرن التاسع عشر - ترجمة الدكتور احمد عثمان ابو بكر، مطبعة الشعب، (بغداد ١٩٦٩)، ص ١٢.

(٣) البدليسي، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٢. وسروجك، سنجق تابع لشهرزور.

(٤) البدليسي، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٣.

(٥) نفس المصدر، ج ١، ص ٨٤.

سرخاب الذى استطاع الصمود في وجه الجيش العثماني ردحا من الزمن ، ولما توفي سرخاب الذى احتفظ طيلة حياته بعلاقات ودية مع الشاه طهماسب[1] تولى الحكم بعده ابنه سلطان علي بك الذى دام حكمه ثلاث سنوات وبعد وفاته خلف ولدين صغيرين هما تيمورخان وهلوخان فانتهز عمهما بساط بك بن سرخاب الظرف الجديد واستحوذ على حكم الاقليم واضطر نجلا سلطان علي بيك ( تيمورخان وهلوخان ) الى اللجوء الى بلاط الشاه اسماعيل الثاني طالبين منه النجدة لاستعادة املاكهما ، وفي عهد الشاه محمد خدابنده[2] شرع تيمورخان في الاغاره على املاك عمه ونهب ممتلكاته مما ادى الى استمرار العداء بينهما وانقسام الاقليم بين الدولتين الصفوية والعثمانية ولما توفي بساط سلطان انفرد تيمورخان في اموراره لان ثانية ولكنه في عام ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م انحاز الى الدولة العثمانية واعلن طاعته للسلطان مراد الثالث الذى اكرمه وخصص له راتبا سنويا قدره ٠٠٠ر١٠٠ اقجه عثمانيه من ايراد بعض المقاطعات الخاصة السلطانية الواقعة في اقليم شهرزور ، كما وزع بعض الزعامات والتيمارات في حسن آباد ، وقزلجه قلعه وقره طاغ ومهروان وشهر بازار على اولاده ، فشجعه هذا الدعم على ضم مقاطعة الدينور اليه التي كانت خاضعة لحكم القزلباش ونتيجة لذلك حصل على لقب بكلربكي من السلطان العثماني ولما ازداد نفوذه وهيمن بشكل تام في اقليم شهرزور ، وامتنع عن دفع الجباية السنويه للدولة العثمانية واعلن استقلاله فيها واخذ يشنّ الهجمات على املاك جيرانه من الاكراد الموالين للدولة الصفوية ،

---

(١) انظر : ص ٣٤١ من هذه الرسالة ،

(٢) لقد اغتيل اسماعيل الثاني في ١٣ رمضان ٩٨٥ هـ / ١٥٧٨ م وتم اختيار محمد خدابنده شاها لايران عام ١٥٧٨ م . دكتور عبد الحسين نوائي ( محقق ) شاه عباس ، جلد اول ، چاپخانه زر ، تهران ١٣٥٢ شمسي ، ص ٦ .

ولما اغار على اراضي بن عمر بك كلهر اوعزت الدولة الصفوية الى شاه وردى خان حاكم لرستان بالتصدى له وتأديبه فباد رامير لرستان يساعده ابن عمر كلهر الى نصب كمين له بعد عودته وهو محمل بالغنائم واستطاعا اسره بعد ان ابادا معظم افراد حاشيته الا انهما اطلقا سراحه بعد حين بعد ان أعلن ولائه للشاه طهماسب ولكنه لم يعمر طويلا حيث وافاه الاجل عام ٩٩٨هـ/١٥٨٩م وتولى الامارة بعده اخوه (١) هلو خان الذى عاد ليعلن ولاءه للدولة العثمانية وخضوعه لسلطانها مراد الثالث في الوقت الذى استطاع فيه الاحتفاظ بالعلاقات الودية مع الشاه عباس الصفوى حيث (٢) ارسل الى بلاطه ابنه احمد ليتربى مع الامراء الصفويين ، ولما ظهرت عليه بوادر الشيخوخة انتهز الشاه عباس ذلك وارسل الامير احمد الى اردلان بحجة مساعدة والده في ادارة شؤونها ولكن الغرض الحقيقي من وراء ارساله كان تنحيته والحاق الامارة بالدولة الصفوية الا ان تلك الخدعة لم تنطل على هلو خان فشرع في الدفاع عن امارته واشتبك مع ابنه في معركة فاصلة استطاع فيها الابن بمساعدة الدولة الصفويه وثلة من العشائر الكردية التحصن في قلعة ظلم والسيطرة على خزائنها والمباشرة في توزيعها على المقاتلين الامر الذى ادى بالوالد الشيخ الى الاذعان (٣)

---

(١) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٤ ــ ٨٥ .

(٢) كان هلو خان ، يمقت اعمال السلب والنهب ويستنكرها ولكنه لم يستطع آنئذ ان يمنع العشائر الكردية من ممارسة ما تعودوا عليه . انظر :
زكي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

(٣) كان قد تجاوز العقد التاسع من عمره ولكنه بالرغم من ذلك كان يبدو وكأنه في السبعين وقد توفي عام ١٠٣٦ هـ . انظر :
تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٣ ، ص ١٠٧٠ .

للامر الواقع وتقبل زعامة ابنه للاقاليم في حدود عام ١٠١٤هـ / ١٦٠٥م تلك الزعامة التي اعلنت ولاءها السافر للدولة الصفويه واستطاع احمد خان بتحريض من الشاه عباس الاستيلاء على قلعتي راوندوز والعمادية ونصب عليهما نوابا عنه كما انه اخضع كلا من كوى وحرير وصار يحكم منذ ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م معظم الحدود ابتداء من العماديه ومرورا براوندوز وانتهاء بجبل حمرين[1] ومن الواضح ان العشرين سنه الاولى من حكمه للامارة اردلان كانت فترة ازدهار وتقدم للمنطقه حظي خلالها بعطف من لدن الشاه عباس الذى زوجه اخته[2] واستمر احمد خان في توسيع رقعة املاكه ولكن دون ان يثير الدولة العثمانية مركزا هجماته على الامارات الكردية المحلية واستطاع الاستحواذ عليها الواحده تلك الاخرى ، واستمر مخلصا للشاه عباس الصفوى حيث تقدم مع اتباعه الاكراد لتقديم العون العسكرى للشاه عباس عندما زحف لاحتلال بغداد عام ١٠٣٣/ ١٦٢٣م ، وفي عام ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م استطاع خسرو باشا القائد العام للجيش العثماني استعادة قلعة ظلم اثناء هجومه لاسترداد بغداد من الصفويين وصرف وقتا في ترميمها وتزويدها بالسلاح[3] الا ان المنطقة ظلت في تأزجحها الى عام ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م حيث تم الاتفاق على توقيع معاهده بين الدولتين تم بموجبها منح السنجق

---

٩٢٦ . ص ٦٣ ، ج ٢ ، ص ٨٦٧ ، ج ٣ ، (١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسى ، ج ٢ ، ص ٨٦٧ ، ج ٣ ، ص ٩٢٦ .

(٢) بادر الشاه عباس بتجريد حصن ظلم ، او ( زلم ) أو ( ظالم قلعة ) من معداته العسكريه وهدم القلعة . مينورسكي ، دائرة المعارف الاسلاميه ، ج ١٣ ، ص ٤٢١ ، ( الطبعه العربيه ) .

(٣) Pitcher, op. cit., P. 141.

(٤) زكي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

(٥) انظر الفصل الثالث ، ص ٣٣٩ .

الغربي لجبال اورمان بما فيه قلعة ظلم ( زلم ) الى الدوله العثمانية [١].

ب - اثر مشاكل الحدود على الاوضاع العامة في العراق :

١ - تجاوزات ايران على المناطق التي خضعت للدولة العثمانيه :

بعد ان استعرضنا الامارات الكرديه في منطقة كردستان وبعد ان بينا مدى تأرجحها بين الدولتين الصفويه والعثمانيه ، نحاول هنا توضيح الصراع العسكري بين تينك الدولتين على طول الحدود العراقيه الشرقيه طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ومن الجدير بالذكر ان السيطره العثمانيه لم تكن كامله على ارجاء العراق عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م رغم تظاهر بعض الامراء في الحدود بالولاء لها لان احداث الحدود بعد عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م تشير الى انها كانت لا تزال مطمح انظار الدوله الصفويه بدليل ان الشاه طهماسب ارسل اخاه بهرام عام ٩٤٦ هـ/ ١٥٣٩م ، لاخماد ثوره مواليه للدوله العثمانيه في كردستان الذى استطاع القضاء على تلك الثوره وعاد بعد ان نهب ممتلكات السكان في تلك الجهات [٢] وكان ردّ الفعل العثماني لذلك الحدث هو استنفار جيش بغداد لمواجهة تلك الاحداث ، وما كادت تنتهي تلك المشكله بين الدولتين حتى وجه الشاه طهماسب عام ٩٤٨هـ/ ١٥٤١م حملة الى خوزستان ضد علاء الدوله رعناشي [٣] حاكم دسفول الذى اعلن الثوره ضد طهماسب بتحريض من العثمانيين ولكنه لم يستطع المقاومة فهرب الى بغداد ودخل الشاه امارته ومنحها الى

---

(١) مينوريسكي ، دائرة المعارف الاسلامية ، ج ١٣ ، ص ٤٢١ ( الطبعه العربيه ).

Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East Volume I., ( New York, 1958), P. 21.

(٢) روملو ، المصدر السابق ، ص ٢٩٣ .

(٣) رعناشي ، قريه بالقرب من دزفول ( دسبول ) انظر ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٩٥

حيدر قلي سلطان[1] من قبله أفشار[2] وهكذا نرى ان حوادث الحدود لا تزال قائمة وان الفارين من ايران كانوا يجدون لهم ملجأ امينا في بغداد ويحرضون القادة العثمانيين وولاتها على حرب ايران لاستعادة مقاطعاتهم ، كل ذلك كان يجدد الاطماع الايرانية باستمرار ويجعلها تخطط لاحتلال العراق من جديد وقد عمل الشاه طهماسب على الاستفادة من اية فرصة على الحدود العراقية لهذا الغرض ، ولما بان وجوده في دسفول راسل السيد سجاد بن بدران حاكم الحويزة واغراه بالانضواء تحت السيادة الصفوية مقابل استمراره في حكم الامارة[3] ليضمن صداقته على الحدود العراقية الايرانية ويستطيع تحريكه متى شاء ، كما ارسل حملة عام ٩٤٨هـ / ١٥٤١م بقيادة ابراهيم خان ذي القدر حاكم شيراز للاستيلاء على قلعة بيات[4] ضمن الاراضي العراقية وارسل حملات متتالية عام ٩٥٠هـ / ١٠٤٣م الى قبائل كلهر الكردية القاطنة على الحدود العراقية ناهبا تلك المقاطعات محاولا فرض هيمنته على تلك الاقاليم[5]

---

(١) يجعله البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٢ أبا الفتح بك الافشاري ، ولا تناقض في الامر لان ابا الفتح هو كنية حيدر قلي وسلطان هي مرتبته الجديدة التي حصل عليها عند ما ولي حاكميه دسفول .

(٢) رولو ، المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

(٣) رولو ، المصدر السابق ، ص ٣٠١ .

(٤) بيات : تقع جنوب طريق بغداد - خراسان عند حدود خوزستان يسقيها نهر ينبع من جبال كردستان ولا يصل الى دجله . والظاهر ان بيات كانت حيث بلدة الطيب ... وقال ياقوت عن اهل الطيب انهم ( نبط ولغتهم نبطيه ) وكانت ضمن سناجق ولاية بغداد ( وهي غير بيات المعروفه قرب كركوك الحاليه ) .
لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقيه ، ص ٨٩ . انظر موقعها في ملحق رقم ( ٣ )
Pitcher, op. cit., Map, XXXIII.

(٥) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٣ .

وكان على ولاة بغداد الاستعداد دائما لصد تلك الغارات .

## ٣ـ التطورات على الحدود العراقيه نتيجة لجوء القاص ميرزا[1] الى الدولة العثمانية :

من الاحداث المهمه التي اثرت على اوضاع العراق السياسيه والعسكريه هو لجوء القاص ميرزا الى الدولة العثمانيه عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م . وكان هذا حاكما على مدينة شيروان[2] منذ عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م من قبل اخيه طهماسب[3] الا ان (الامه تكلـو) حرضته على الثوره ضد اخيه عام ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م وعندما عزم الشاه طهماسب على تجهيز حملة عليه اعلن الندم واظهر الطاعه الا انه اعلن بعد حين استقلاله وشرع في ضرب النقود باسمه[4] ، لذا وجه اليه طهماسب حملة لتأديبه ولما وجد القاص ميرزا نفسه غير قادر على مواجهة جيش اخيه فرّ مع خمسين من اتباعه الى اطراف داغستان ثم توجه الى ... بسفينة وقصد استانبول عام ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م ولجأ الى السلطان سليمان القانوني ... السلطان ووعده بالمساعده لاسترجاع ملكه[6] . والواقع ان القاص ميرزا اتخذ

---

(١) ـ ... مختصر لكلمة اميرزاده وتعني بالفارسيه ابن الامير . انظر هامش : تعليق لسترنج . Don Juan, op. cit., P. 32..

(٢) ـ ... شيروان في الفصل الاول ، ص ٣١ من هذه الرساله .

(٣) ـ ... المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(٤) ـ ... بين الاخوين رهط من الامراء المسنين المقربين للشاه طهماسب منهم : ... وهو السيد سلطان بن السيد ... الذى حاول الدفاع عن ... ضد العثمانيين عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م . وعندما لم يفلح هرب الى ايران ... آخرين الى القاص ميرزا وطلب منه ... بأن لا يخون اخاه ثانية ، وان ... ارسال الف تومان تبريزى سنويا الى الخزينه المركزيه وان يجنّد الفا فارس . انظر : روملو ، المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

(٥) ـ ... تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٦) ـ ... ، الاثار الجليه ، ورقه ١٨٩ .

(٧) ـ ... المصدر السابق ، ص ٣٢١ .

يحرض الدوله العثمانيه على غزو ايران لسنوح الفرصه نظرا لانشغال الشاه في محاربة الازبك آنئذ . واستعدادا من السلطان سليمان لغزو ايران قبل صلحا مع فردينـــاد امبراطور النمسا عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٧م ليحشد كامل قواه الى الشرق فجمع جيشا جــرارا من جنود الشام ومصر وقرمان وديار ربيعه (الموصل) والعراق العربي (بغـــداد والبصره) وهيأ عددا كبيرا من المعدات العسكريه وارسل (الامه تكلو) ليفـــرض الحصار على قلعة (وان) كما ارسل القاص ميرزا بمعية اربعين الف مقاتل لمحاصـــرة مدينة (خوى) واحتلالها[1] وتوجه السلطان نفسه مع بقيه الجيش الى اطراف تبريز[2]، الا ان الظروف الطبيعيه ساعدت الشاه طهماسب حيث هبت الريح القاسيه واشتد البـــرد وهطل المطر ونزل الثلج وانتشرت المجاعه الامر الذي ادى بالسلطان الى العـــوده[3]

---

(١) خوى، مدينه غنيه تقع على مفترق الطرق بين الدوله العثمانيه وايران وتقع ضمـــن اقليم آذربايجان يمر بها نهر يجري شمالا ويصب في نهر (آرش) وهي تقع الى غرب مدينة (مرند) والى شمال شرق مدينة سلماس . انظر: لسترنج، بلدان الخلافه الشرقيه، ص ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٢) روملو، المصدر السابق، ص٣٢٧ .

(٣) لقد وصل السلطان الى تبريز يوم الخميس ٢٠ جمادى الآخرة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م، واضطر الى مغادرتها بسبب قلة الطعام في المدينه يوم الثلاثاء ٢٥ جمـــادى الآخرة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م اي بعد خمسة ايام فقط من دخولها وكان انسحابه الـى قلعة وان بعد ان خسر حوالي الف رأس من حيوانات النقل المختلفه بسبب قلـــة العلف . انظر: غفاري، جهان آرا، ص٢٩٧ . روملو، المصدر السابق، ص٣٢٧ تركمان، تاريخ عالم آراى عباسي، ج ١، ص٧١ .

الى بلاده ولكي ينسحب الجيش العثماني بأمان ارسل السلطان كلا من اولامه تكلو والقاص ميرزا لمشاغلة جيوش الشاه طهماسب لكي يصبح في مستطاع جيشه الانسحاب باطمئنان (١)، ثم صدرت اوامر اخرى بارسال القاص ميرزا مع خمسة آلاف رجل عن طريق كركوك وشهرزور الى العراق العجمي على ان يتبعه اولامه تكلو مع اثني عشر الف مقاتل في حين توجه السلطان بجيشه عن طريق بدليس الى ديار بكر (٢) أما القاص ميرزا الذى توجه الى شهرزور فانه استطاع اختطاف اولاد اخيه بهرام ميرزا ثم استدار نحو العراق العربي ليجمع جيشه المحلي حسب اوامر السلطان ويتجه به الى العراق العجمي لقتال اخيه والاستيلاء على عاصمته وكنوزه في قزوين (٣) الا ان الشاه طهماسب علم بقدوم القاص ميرزا عن طريق بغداد (٤) وسمح باجتيازه دركزين واخبر بانه في طريقه الى همدان (٥) لذا أرسل جيشا بقيادة ابنه اسماعيل ميرزا لمواجهته والتصدى لجيش بغداد الذى كان يقوده محمد باشا الصولاق (٦). واستمر القاص ميرزا وجيشه في زحفه حتى وصل

---

(١) ولكن بالرغم من ذلك استطاع جيش الشاه طهماسب تعقب مؤخرة جيش سليمان القانوني والحاق اضرار كبيرة به واما حاول القائد العثماني عثمان باشا الالتفاف مع ستمائة مقاتل بتطويق جيش طهماسب فشل في خطته واضطر على الانسحاب.

انظر : غفاري ، جهان آرا ، ص ٢٩٨.

(٢) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٧٣.

(٣) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٦.

تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٧٣.

(٤) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٦.

(٥) ياسين العمري ، الآثار الجلية ، ورقة ١٩٠.

(٦) منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، جلد ثالثي ، ص ٤٩٦.

همدان وفيها نهب الخيام الموقتة لبهرام ميرزا[1] ومنها اتجه الى مدينه قم[2] واستولى عليها ونهب ممتلكاتها وارسل جماعه من الاكراد لاحتلال الرى[3] في الوقت الذى عاد محمد باشا الصولاق وجيشه بعد ان حصل على غنائم كثيرة في تلك الحروب[4]، اما القاسم ميرزا فانه توجه من قم الى كاشان ومنها قصد اصفهان الا ان سكان المدينة لم يفتحوا له ابوابها بل استعدوا للدفاع عنها[5].

---

(١) يذكر بچوى في تاريخه ، ج ١ ، ص ٢٧٩ ان القاسم ميرزا عاد محملا بالغنائم كان بينها المخطوطات النفيسه المرصعه بالذهب ومنها المصاحف وكتب التفسير والتاريخ والشاهنامه والسيوف المرصعه بالماس والياقوت والجواهر والملابس الفاخرة .

(٢) مدينه قم : تقع الى شمال مدينة كاشان وهي مشهورة الآن عند الشيعة بمشهدها (مشهد فاطمه المعصومه اخت الامام علي الرضا ) .

Laurence Lockhart, Persian Cities, London, 1960, PP. 127-131.

لسترنج ، بلدان الخلافه الشرقيه ، ص ٢٤٥ .

(٣) في الطرف الشمالي الشرقي من اقليم الجبال وقد كانت الرى في المئه الرابعه للهجرة (العاشرة للميلاد) اكبر القصبات الاربع لاقليم الجبال وقال عنها ابن حوقل ليس بعد بغداد في المشرق مدينة أعمر من الرى الا نيسابور وقد خربت تماما في عهد المغول ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م . انظر :
لسترنج ، بلدان الخلافه الشرقيه ، ص ص ٢٤٩ ـ ٢٥١ .

(٤) يذكر ياسين العمري ، في الآثار الجليه ، ورقه ، ١٩٠ بان الجيش المرافق للقاسم ميرزا انتصر في معظم معاركه وعاد وهو يحمل الغنائم الكبيره للسلطان .

(٥) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٧٤ .

ومن جهة اخرى فان الشاه طهماسب تحرك من تبريز الى قزوين عن طريق طلشال[1] وطارم[2] ومنها امر بعودة بهرام ميرزا وابراهيم خان ذى القدر لمواجهة القاص ميرزا . ولما علم هذا الاخير بذلك ترك حصار اصفهان وقصد اقليم فارس في الجنوب وكان يقتل في طريقه كل من يصادفه من السكان لا يفرّق بين طفل او شيخ انتقاما من سكان تلك المناطق الذين اظهروا الولاء لاخيه الشاه . وهكذا ظل القاص ميرزا يفرّ من مدينة الى اخرى في الجنوب حتى وصل بهبهان[3] ومن هذه المدينه اتجه الى وشتر[4] وفرض عليها الحصار في شهر ذى الحجه عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م[5] ولكن مير عبد

(١) طلشال : تقع على بعد ١٢ فرسخا جنوب اردبيل على بحر قزوين ( بحر الخزر ) وعندها مصائد السمك . انظر :
لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ص ٢٠٥ ، ٢٠٠ .

(٢) تقع الى شمال زنجان .
لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢٦٠ .

(٣) لم يذكر احد البلدانيين العرب اسم بهبهان ، واول من ذكرها علي اليزدى في وصف زحف تيمور من الاهواز الى شيراز في ربيع عام ٧٩٥هـ / ١٣٩٣م وصارت بهبهان منذ هذا التاريخ اجل مدينه في هذه الناحيه التي كانت تعرف قبلا بكورة ارجان . انظر لسترنج ، بلدان الخلافه الشرقيه ، ص ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٤) تقع على بعد ستين ميلا شمال الاهواز بخط مستقيم وضعف هذه المسافه عن طريق نهر دجيل ( الكارون ) . لسترنج ، بلدان الخلافه الشرقيه ، ص ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

Lockhart, Persian Cities, PP. 142-151.

(٥) غفارى ، جهان آرا ، ٢٩٨ .

الوهاب الشوشترى تصدى له وتبعه اهل المدينه ولما يئس من استمالتهم قصد دزفول[(١)] حيث لم يحصل على تأييد سكانها اقام فيها مذبحة مريعه[(٢)] وقرر التوجه منها عن طريق قلعة بيات[(٣)] الى بغداد ولما وصلها مكث فيها حتى عام ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م[(٤)] حيث وقع الخلاف بينه وبين احد الوزراء فيها[(٥)] يسميه بجوى الوزير محمد باشا الصولاق[(٦)] ابن فرهاد باشا الصولاق الذى كتب الى السلطان سليمان القانوني يوضح له نشاط القاصميرزا[(٧)]

---

(١) عبد الله بن نور الدين بن سيد نعمت الله الحسيني الشوشترى ، كتاب تذكرة شوشتر ، بتصحيح خان بهادر مولى بخش ، بيبتسمشن بورس ، كلكته ، الهند ١٩٢٤ ، ص ٤٢ .

(٢) وتكتب دسفول ودسبول ودزبول ، وتعني قنطره دز او قنطرة القلعه على نهر دز جنوب (جند يسابور) التي تبعد ثمانية فراسخ الى شمال غرب شوشتر وكانت جند يسابور عاصمة خوزستان في عهد الساسانيين . ويسمي مدينة دسفول نهر باسمها حيث يأخذ ماءه من بروجرد في اللر الصغرى والى جنوب غرب دزفول تقع اطلال الوس وهي (سوسه) القديمه قرب نهر كرخه .

لسترنج ، بلدان الخلافه الشرقيه ، ص ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

Lockhart, Persian Cities, PP. 152-156.

(٣) غفارى ، جهان آرا ، ص ٢٩٨ .

(٤) انظر تعريف قلعة بيات وموقعها في ص ٣٣٢ هامش رقم ٤ من هذا الفصل .

(٥) روملو ، المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .

(٦) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(٧) ياسين العمري ، المصدر المذكور ، على هامش
لونجارد كوك ، بغداد مدينة السلام ، ج ٢ ، ص ١٢ .
بجوى ، المصدر السابق ، جلد اول ، ص ٢٨٢ .

وطموحه واضافة الى ذلك ان وجوده في بغداد يثير الحزازات ويخلق الاضطرابات ويسيء الى الامن ومن جملة التهم التي وجهت اليه من قبل والي بغداد هو كثرة تردده لزيارة المراقد الشيعيه واظهاره الرفض مما اثار اهل السنه (١)، وربما كان يتصل في زياراته المتكررة بالعشائر العربيه الشيعيه في الجنوب ويحرضها على الثورة ضد الدوله العثمانيه وضد ولاة بغداد لينفرد هو في حكمها ، لذا عندما وصلت رسالة محمد باشا الصولاق الى القسطنطينيه وعرضت على رستم باشا الصدر الاعظم الذى كان يبغض القاص ميرزا كثيرا استبشر بذلك وعرض الامر على السلطان بشكل اوغر صدره واثارة غضبه (٣) لذا أمر السلطان سليمان باستدعاء القاص ميرزا على الفور الى القسطنطينيه وعندما حاول والي بغداد ذلك هرب القاص ميرزا مع ثلة من اتباعه باتجاه شهرزور لاجئا الى أمير الاكراد المعروف بالباباً لانه كان يعلم ما بينه والي بغداد له وفطن للمكيده (٤) (٢) أحد بويه له ولكنه وقع بين قطبي الرحى حيث علم الشاه طهماسب بوصول أخيه الى كردستان لذا ارسل جيشا بقيادة بهرام ميرزا وشاه قلي صاحب الاختام وابراهيم خان ذى القدر

---

(١) منجم باشي ، منجم باشي تاريخي ، جلد ثالثي ، ص ٥٠٠ ، القرماني ، المصدر السابق ، ص ٣٣٢ ، بجوى ، المصدر السابق ، جلد اول ، ص ٢٧٧ نقلا عن جلال زاده نشانجي بك ( مؤلف كتاب طبقات الممالك ) وعالي افندى ( مؤلف كتاب كنه الاخبار ) وهما معاصران للاحداث . انظر عنهما هامش رقم ٢ ص ١٢٠ من الفصل الثاني من هذه الرسالة .

(٢) بجمله بجوى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٢ صوفي محمد باشا الوزير الثالث وزاني بغداد .

(٣) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

(٤) ياسين العمري ، الدر المكنون ، هامش يجارد كوك ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢ .

ع ٠٠٠ر٢٠ مقاتل لسد الطريق عليه وبالقرب من قلعة مريوان (١) التقى الجمعان ولما

يئس من المقاومه او الفرار لا سيما ان جيش بغداد كان يتعقبه (٢) لذا اضطر الى اللجوء

الى سرخاب حاكم أردلان وسلم نفسه اليه (٣) عندها ارسل الشاه طهماسب وفدا الى

سرخاب لاستمالة القاص ميرزا والتوجه به الى ايران وقد نجح الوفد في مهمته (٤) وقام

سرخاب بتسليمه مع عشرين من رجاله الى وفد الشاه لقاء مبلغ ( ١٠٠٠ ) الف تومان

يخصص له كجرايه سنويه من خزينة الشاه (٥) وعندما مثل بين يدى طهماسب اخذ يؤنبه

على اعماله وطيشه (٦) ويعيّره بالتجائه الى اعداء ايران ويذكره بالندماء الخزيرة التي اريقت

من جراء ثورته وعصيانه واكتفى الشاه بارساله الى قلعة قهقهه (٧) وبعد مضي عام امر بقتله

---

(١) واحدة من قلاع ولاية شهرزور .

(٢) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٣) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٧٤ .

(٤) ياسين العمري ، الآثار الجليه ، ورقه ١٩٠ .

(٥) Malcolm, op. cit., Vol. I., PP. 509-510.

(٦) ياسين العمري ، الدر المكنون ، هامش ريجارد كوك ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١

Malcolm, op. cit., Vol. I., PP. 510.

يقول : "اخذ الشاه يوبخه وشتمه ثم القاه في بئر وطمة" !!

(٧) تكرر ورود اسم هذه القلعة التي تعتبر سجنا للامراء الصفويين آثرت ذكر بعض التفاصيل عنها لا سيما وأننا نرى في معظم كتب التراجم العربيه دون توضيح لموقعها .

قلعة قهقهه : تقع في قره باغ في ناحية ( يافت ) التابعة لقراجه داغ في اعالي جبل سولان بين اردبيل وتبريز وقد نحتت القلعه في الجبل وان الطريق اليها ضيق وسعد ولا يتسع لسير اكثر من فارس واحد وان طول هذا الممر يصل الى ... وان باستطاعة حارس واحد للقلعه يحمل بندقية ان يعرقل مسيرة ... ( = )

فالقي من اعلى القلعه وكانت نهايته (١) .

---

(= = ) بجيش كامل ، وكانت سجنا سياسيا للامراء الصفويين وقد قضى في هذا السجن كل من القاص ميرزا وسام ميرزا وكذلك اسماعيل ميرزا وخان احمد كيلاني حاكم كيلان ، وقد ورد اسم القلعه في كتاب تراجم الاعيان للبوريني عند ذكر سجن احمد الكيلاني من قبل الشاه طهماسب وقد اعتمد محقق الكتاب المذكور الدكتور صلاح الدين المنجّد على الاستاذ الدكتور حسين محفوظ في تصريف القلعة ونسب اليه انه رجح أن يكون اسم القلعه قهقه زاو قهقهابه وذلك لعدم ورود اسمها في معجم البلدان . وقد أخبرت الاستاذ الدكتور محفوظ بما توصلت اليه من معلومات عن هذه القلعه وقد سرّه ذلك . وللاستزاده عنها انظر :

تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ٢ ، ص ٨١٩ وج ١ ، ص ٧٥

بروكلمان ، المصدر السابق ، ص ٥٥١ .

دائرة المعارف الاسلاميه ، ج ٤ ، ص ٥٣٦ (الطبعه العربيه) تحديد موقع جبل سولان .

البوريني ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٧ .

البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٨ وج ١ ، ص ٨٣ .

حاجي خليفه ، تقويم التواريخ ، ص ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

Don Jaun, op. cit., P. 129. (ويجعل القلعة بين قزوين وتبريز ، حيث يقول أنها تبعد عن الاولى ١٥٠ فرسخا وعن الثانيه ٣٠ فرسخا ) وهو ماذكرناه اعلاه .

جنابذي ، المصدر السابق ، مجلد اول ، ص ٢٨٣ .

فلسفي ، زندكاني شاه عباس ، مجلد اول ، ص ٧ ، هامش ٢

الغياثي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ من المحقق و ص ٢٨٢ من الاصل عند ذكر سجن حسن علي بن جهانشاه عام ٨٧٠ هـ

(١) البدليسي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٢ .

حاجي خليفه ، تقويم التواريخ ، ص ١٢٢ .

## د- استمرار التجاوزات على الحدود العراقيه رغم الصلح الذى عقد بين الدولتين العثمانية والصفوية عام ٩٦١ هـ/ ١٥٥٣م :

تجددت اشتباكات الحدود في اعقاب تسليم القاص ميرزا الى الشاه طهماسب لا سيما بعد أن تحولت منطقة شهرزور تدريجيا الى الاكراد القزلباش الذين اعلنوا الولاء التام للدوله الصفويه ولما علم بذلك والي بغداد (تمرد علي باشا) عام ٩٥٩هـ/ ١٥٥٠م ارسل الى السلطان سليمان يخبره باضطراب الاوضاع في شهرزور طالبا العون من لدن الدوله فأوعز السلطان الى محمد باشا البالطه جي امير امراء سيواس بالتوجه الى العراق كما أمر امير امراء حلب عثمان باشا ليتولى قيادة فرقة الانكشاريه ليصبح هدف الجميع شهرزور لاسترجاعها من القزلباش ، ونجحت الحمله في تحقيق اهدافها وابلى فيها محمد البالطه جي بلاء حسنا حيث نال بذلك استحسان السلطان الذى اصدر امرا بتعيينه قائدا عاما للجيش ومنحه لقب الباشويه وكلفه بالقضاء التام على بؤر الثوره في منطقة شهرزور ولكن سرعان ما عاد الشاه طهماسب عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢ [١] الى هيمنته مجددا على منطقة كردستان [٢] لذا اضطر محمد باشا البالطه جي الى التوجه الى شهرزور ونزل في (كسك چنار) واستطاع ان يستميل حاكم الاكراد سرخاب الى جانبه عندما بادر الى اعادة زوجته التي كان قد خطفها عثمان باشا في الغزوة السابقة كما قبل الاذعان والانقياد اوغلو بك وعديد من امراء تلك المناطق حيث اسرعوا بارسال مفاتيح قلاعهم الى ممثل السلطان وكان قسم منهم من القزلباش وهكذا عادت

---

(١) ... زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) ... ، جهان آرا ، ص ٣٠١ .

(٣) ... زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

اجزاء من شهرزور لتصبح جزءاً من الدوله العثمانيه منها قلعة عاور وقلعة نقود وقلعة باسكه وقلعة شميران وقلعة غرزنجه (١) ثم بادر محمد باشا بوضع حاميه من الجند في شهرزور وتوجه بعدها الى همدان (٢) وكان السلطان العثماني في هذا العام قد عاود الكرة لمحاربة ايران بتحريض من اسكندر باشا أمير امراء (وان) وكان آنئذ في حدود نخجوان (٣)، وحاول محمد باشي البالطه جي الالتحاق بالسلطان الا ان هذا الاخير منعه وامره بالعوده الى بغداد خوفاً من انعطاف الشاه طهماسب اليها لخلوها من المدافعين واحتلالها (٤).

وهكذا نجد ان الاطماع الايرانيه كانت لا تزال شاخصه والشاه يتحين الظرف لاعادة احتلال بغداد وعلى ما يبدو ان السلطان سليمان القانوني من جهة اخرى كان يبذل الجهود الكبيره في سبيل الاحتفاظ بما حصل عليه من ممتلكات جديده لا سيما العراق لما كان له من سمعة تاريخيه عريقه وبذلك ساهم بشكل غير مباشر في منع تحوله الى اقليم ايراني مباشر.

والواقع انه منذ حوادث القاص ميرزا عام ٩٥٥ هـ/ ١٥٤٨م والتي سببت حربا بين الدولتين العثمانية وايران لم تقع حرب اخرى بينهما سوى بعض المناوشات

---

(١) حاجي خليفه، تقويم التواريخ، ص ٢١٢. ولكن ظلت الاطماع الصفويه شاخصه الى اقليم شهرزور حتى عام ١٠٩٠ عندما اعترفت بتبعيتها للدوله العثمانيه بموجب معاهده بين الدولتين، لونكريك، المصدر السابق، ص ٦٣.

٢) نظمي زاده، المصدر السابق، ص ٢٠٥ وهي مجموعة قلاع تحيط بشهرزور عن شهرزور انظر: دائرة المعارف الاسلامية، ج ١٣، ص ٤٢١ (الطبعه العربيه)

٣) تقع شمال نهر آراس في اقليم آذربايجان. انظر:

G.Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate, Cambridge, 1905, P.167.

٤) نظمي زاده، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

والاضطرابات على الحدود التي كانت تثار من جراء تذبذب بعض رؤساء العشائر الكرديه بين الدولتين وبسبب استمرار تدخل الدوله الصفويه في شؤون الاكراد ومحاولة استمالتهم بالتهديد تارة والاغراء اخرى . وقد حدث ما قطع حبل الامن وجدد القتال على نطاق واسع نتيجة تحرشات امير امراء (وان) اسكندر باشا بالمقاطعات الايرانيه على الحدود المتاخمه لولايته ونجح في ضم بعض الاراضي الى الدوله العثمانيـــه ، عندما بادر الشاه طهماسب الى ارسال وفد ايراني يترأسه (مير شمس) وليخانـــه الى العاصمه العثمانيه ليعرض على السلطان الصلح الدائم لوضع حدّ لتلك التجاوزات الا ان السلطان رفض عرض الشاه بتحريض من اسكندر باشا الذى كان قد سيطر آنئـــذ على خوى[1] وايروان[2] واخذ يتوغل في الاراضي الايرانيه مما ادى بالشاه طهماسب الـــى مواجهة الموقف فارسل جيشه الى المناطق الكرديه التي اظهرت الولاء للدولة العثمانيه وقتل سكانها ونهب اموالهم والتحم بالجيش العثماني واستطاع ان يأسر سنان باشا احد المقربين للسلطان[3] ثم جرت مفاوضات للصلح بين الطرفين ساهم فيها كل مـــن

---

(١) انظر عنها في ص ٣٢٥ من هذا البحث .

(٢) اروان او ايروان عاصمة ارمينيا التي تمتد بين بحيرة وان وبحيرة كوكجه (البحيره الزرقاء) في منطقه جبليه فيها مخرج نهر (ارس) وروافد الفرات .
لسترنج ، بلدان الخلافه الشرقيه ، ص ٢١٦ .

(٣) انظر تفاصيل هذه المعركه في :
تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ص ٧٧ ـ ٧٨ .
القرماني ، المصدر السابق ، ص ٣٢٢ ويجعل بدء الحمله في عام ٩٦٠ هـ بـــدلا من ٩٦١ هـ .



محمد باشا الصدر الاعظم العثماني وشاه قلي بيك انتهت بعقد صلح عام ٩٦١ هـ / ١٥٥٣م تم بموجبه[١] تحديد المناطق المتنازع عليها في الحدود ، الا ان الصـــراع العثماني الصفوي ظل قائما رغم هذا الصلح الذي تم توقيعه وتصديقه على شكل معاهده في (اماسيا)[٢] من قبل الدولتين حيث كانت اشتباكات الحدود تتجدد كلما ســـنحت الفرصة لها ، فمن الاحداث التي كادت ان تشعل لهيب الحرب بينهما هو توجـــــه معصوم بيك الصفوي الى الديار المقدسه لاداء فريضة الحج عن طريق العراق عـــام ٩٧٦هـ / ١٥٦٨م فداهمه الجنود العثمانيون وقتلوه مع ثمانية واربعين شخصا مـــن مرافقيه في عرض الصحراء ونسبوا الحادث الى قطاع الطرق . ولما علم السلطان سـليم الثاني بذلك ارسل وفدا عثمانيا الى بلاط الشاه طهماسب لاعلان اسفه الشديد عـــن الحادث وتقديم الاعتذار[٣] ، وهكذا عولجت هذه المشكله قبل ان تتفاقم وتسبب الحـــرب بين الدولتين . وبعد سنوات من هذا الحادث وقعت اضطرابات في ايران نتيجـــــة

---

(١) لقد ارخ الايرانيون هذا الصلح بلفظة (( الصلح خير )) ويقابل ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م
منهي اقبال درا ين كينه ديـ.. غلغله انداخت كه (( الصلح خير ))
بينما ارخت المصادر الاوربيه هذا الصلح عام ١٥٥٥م وهو تاريخ معاهدة اماسيا
تلك المعاهده التي اعقبت الحرب الايرانيه العثمانيه . وكان تاريخها في ٨ رجب
٩٦٢ هـ المصادف ٢٩ مايس ١٥٥٥م . وكان من بنودها ان يستولي السلطان
سليمان على بلاد باشي اجيق من اقاليم ارمنيا ويحتفظ بالعراق العربي بينمـــــا
يحتفظ الشاه طهماسب ببلاد مسق (مسخي) من اقليم ارمنيا ، انظر :
دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٥ ، ص ٣٩٢ (الطبعة العربيه) . شاكر صابر الضابط ،
العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران ، بغداد ، ١٩٦٦م ، ص ١٨ــ١٩ .
Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Tarihi, II cilt.,
Ankara, 1949, PP. 349-350.
اما (بچر) فانه حدد تاريخ المعاهدة في ١٥٥٥/٧/٣١م . انظر :
Pitcher, op. cit., P. 112

(٢) Huart, op. cit., P. 40.

(٣) روملو ، المصدر السابق ، ص ٤٤٣ .

الصراع على السلطه انتهت بتبوء اسماعيل الثاني العرش الايراني[1] ، الذى صرّح في مناسبات متعدده بانه سيعلن الحرب على الدولة العثمانيه وسيجعل هدفه الاول احتلال بغداد ليترأس العالم الاسلامي ويجعل من نفسه زعيما له في عاصمة العباسيين كما فعل سليمان القانوني من قبل[2] . وهذا يوضح بان العراق كان لا يزال هدفا للاطماع الايرانيه وكثيرا ما كان سببا لتجدد القتال بين الدولتين وان الذى اخّر القتال هو رفض القزلباش الانصياع لرغباته لانهم كانوا يميلون آنئذ الى استمرار الصلح مع الدوله العثمانيه[3] ، ولما ارتد الشاه اسماعيل الثاني عن المذهب الشيعي[4] وبادر الى قتل ارباب

---

(١) عندما تمرض الشاه طهماسب عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م اراد القزلباش ان يكون المرشح الجديد للعرش واحدا من ابنائه على شرط ان يكون من ام تركمانيه بينما رغب طهماسب ان يخلفه حيدر ميرزا وهو من ام كرجيه وبعد موت طهماسب في ١٥ صفر ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م استمر الصراع بين القزلباش حول هذه المسأله وانقسموا الى فريقين رشح احدهما محمد خدابنده وهو نصف اعمى لكونه الابن الاكبر وتجاوزه الفريق الآخر الى اسماعيل الثاني الذى كان سجينا في (قلعة قهقهه) منذ (٢٠) عاما ونجحت كفة جماعة اسماعيل الثاني . انظر : فلسفي ، زند كاني شاه عباس اول ، جلد اول ، ص ص ٩ _ ١٤ ؛ كسروى ، المصدر السابق ، ص ٦٠ . حاجي خليفه ، تقويم التواريخ ، ص ١٢٥ أ .

(٢) بسبب تبرئه العريش بسبب جام غضبه ضد قبيلة استاجلو المتهمين في عهد والده الشاه طهماسب وقتل عددا كبيرا من القزلباش بتهمة اشغالهم مناصب بارزه سببت في اعتقاله في السابق . انظر :

C.E. Bosworth, Islam and Iran, Edinburgh, 1971, P. 461.

(٣) فلسفي ، زند كاني شاه عباس ، جلد اول ، ص ٣٠ نقلا من مصادر الفاتيكان ، تاريخ كشيشان كرملـيت جلد اول .

Bosworth, op. cit., P. 461.

(٤) وأورد الغزى أن اسماعيل عاد الى مذهب اهل السنه واظهر الاحترام للخلفاء الراشدين الثلاث الاول ابي بكر وعمر وعثمان . انظر : الغزى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .





الطريقه الصفويه سارع الجيش المعارض بالتآمر عليه ونفذ خطة لاغتياله وبعد مقتله نصب (١) القزلباش اخاه محمد خدابنده شاها (٢)، واستغلت الدوله العثمانيه الفوضى والاضطرابات في ايران وبادرت الى التحرش بالمقاطعات الايرانيه المتاخمه لحدودها الشرقيه (٣) ولما تعين سنان باشا جغاله زاده واليا على بغداد عام ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م استطاع استرداد بجمجمال وقلعتين اخريين قريبة منها من الايرانيين وذلك في عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م . وبعد عام استطاع الاستيلاء على دسفول كما افلح في ربط اقليم لرستان بولاية بغداد (٤) والذى استمر الى عام ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م وهذا يعني انه استغل فترة وجوده في بغداد (٥) لضم بعض الاراضي على طول الحدود العراقيه الايرانيه الى الدوله العثمانيه، ولما انشغل الشاه عباس - الذى تبوأ العرش بعد وفاة والده (٦) - في حربه في جهات خراسان

---

(١) وقع صريعا في ١٣ رمضان ٩٨٥هـ / ٢٤ تشرين الثاني ١٥٧٧م بعد ان خلط السم بالحلوى التي اعتاد تناولها في ليالي رمضان .
حاجي خليفه، تقويم التواريخ، ص ١٢٥ .
ابراهيم افندى، المصدر السابق، ص ١٤٥ .
Bosworth, op. cit., P. 461.

(٢) حاجي خليفه، تقويم التواريخ، ص ١٢٥ .
الغزى، المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٦ .

(٣) كسروى، المصدر السابق، ص ٦٠ .

(٤) تركمان، تاريخ عالم آراى عباسي، ج ١، ص ٤٠٦ .

(٥) Pitcher, op. cit., P. 141.

(٦) لقد تبوأ الشاه عباس عرش الدوله الصفويه عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م فبادر الى تنظيم مملكته فقضى على قطاع الطرق واهتم بفتح الطرق التجاريه وكان اعتلائه للعرش فاتحة تغيرات اساسيه في ايران حيث وجد ان مواجهة الدوله العثمانيه تتطلب تأسيس جيش نظامي جديد، وادرك انه لا بد من الاستفاده من المدفعيه وهذا لا يتم الا بمساعدة اوربا لذا طلب مساعدتها بعد ان نبذ سياسة اسلافه (= =)

من الازبك ، انتهز سنان باشا جغاله زاده والي بغداد تلك المناسبه وقاد حملـــه
تضم جيش بغداد المحلي والاكراد الموالين للدوله العثمانيه في شمال العراق باتجاه
اقليم قلمرو عليشكر بقصد احتلاله وحاول (قورخمس) خان شاملو حاكم همدان التصدى (١)
له ولكنه لم يفلح فسارع يطلب النجده من شاه وردى خان العباسي حاكم لورســـتان
ولما قدم لمساعدته وقع بين الخانين اختلاف جعل شاه وردى خان يتجنب القتـــال
مما وفر فرصة ذهبيه لجيش العراق وقائده سنان باشا لينفرد بجيش (قورخمس خان )
الذى سرعان ما اندحر ووقع قائده اسيرا بيده وعندما علم شاه وردى خان بأسر غريمه
نرماريا الى جهات لورستان عند ذلك استطاع سنان باشا من نهب ممتلكات سكان

---

(=) في التعصب الديني بل اخذ يقرب المسيحيين الى بلاطه الذين دربوا لـــه
جيشا نظاميا سمي (بالشاه سوان) اى محبي الشاه وكانوا مزودين بالاسلحـــه
الحديثه على غرار الجيش الانكشارى . انظر :

Vreeland, op. cit., P. 21.

كيلاني ، المصدر السابق ، ص ٣٦٤ .
صادق نشأت ومصطفى حجازى ، صفحات عن ايران ، الطبعه الاولى ، القاهـــره ،
١٩٦٠م ، ص ٧٩ .

Iran, Journal of the British Institute of Persian
Studies, Vol. XI. London, 1973, P. 75 .

Richard N. Frye, Persia, London, 1968, PP. 63-64.

(١) يقع ضمن اقليم العراق العجمي الذى كان يسمى باقليم الجبال ايضا والذى كـان
يحوى مدن اصفهان وقزوين وطهران وقم وساوه وكاشان وهمدان التي كانـــت
مناطقها الغربيه تسمى قلمرو عليشكر .

Lockhart, The Fall of the Safavi Dynasty, P.5.

همدان والمناطق المجاوره لها[1] ثم تقدم الى نهاوند[2] واحتلها وعيّن عليها ( كتخداه ) محمد باشا واليا وباشر ببناء قلعة فيها تمهيدا لاحتلال لرستان[3] ولكي تصبح تلك القلعه في منتصف الطريق بين ما استولى عليه من مقاطعات في اقليم قلمرو عليشكر وبين ما ينوى احتلاله من اراضي في لرستان كما ابتنى قلعة اخرى بجهود العراقيين في موضع يقال له سعد بن ابي وقاص بالقرب من نهاوند[4] وترك فيها حامية وذخيره كبيرة ثم عاد الى بغداد مصطحبا معه قورخمس خان[5] وكتب الى السلطان يعلمه بانتصاراته التي سربها وايدها ، الا انه لم يمضي وقت طويل حتى باد ر سكان نهاوند والمناطق المجاوره لها الى احراق مزارعهم وممتلكاتهم لاحراج موقف الحاميه العثمانيه فيها ثم اخلدوا في طردها بعد حين ، الامر الذى دفع السلطه العثمانيه الى اعادة سنان باشا الى بغداد واليا لانه كان قد عيّن في منصب آخر في اعقاب انتصاراته في ايران ، واستطاع هذا حال وصوله الى بغداد قيادة حاميتها وحامية شهرزور والتوجه بهما

---

(١) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ص ٤٠٦ - ٤٠٧ .

(٢) فلسفي ، زندكاني شاه عباس ، جلد اول ، ص ١٤٨ .
بجوى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١١ يجعل فتح نهاوند عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧

(٣) نظامي زاده ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

(٤) ورد هذا الموضع باسم سعد آباد في رحلة نصوح المطراقي

Yardaydin, Matraci Nasuh, P. 57.

(٥) تركمان ، تاريخ عالم آراى عباسي ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

الى الاراضي الايرانيه وبعد معارك ناريه مع القزلباش في الحدود استطاع فتح نهاوند من جديد وعين عليها حاكما عثمانيا ووضع فيها حامية كبيره وزودها باسلحة وذخيره كافيه ، كما عرج على اقليم لورستان واخضع قسما منه وعاد الى بغداد[1] ، ولم يتعرض الشاه عباس لتلك الاحداث بسبب انصرافه الى شؤون مملكته الداخليه واهتمامه باخماد الثورات المحليه التي كانت لا تزال مندلعه هنا وهناك في ارجاء دولته الواسعه في اعقاب فترة الفوضى التي شهدتها ايران في عهد اسلافه[2] ، بل ارسل وفدا ايرانيا[3] عام ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م الى القسطنطينيه ليعرض الصلح على السلطان العثماني مراد الثالث ولم تكن محاولته تلك سوى مناورة منه لكسب الوقت والتفرغ لاعدائه في الداخل

---

(١) يخطيء نظمي زاده في مؤلفه ، كلشن خلفا ، ص ٢١٠ عندما يذكر بان سنان باشا استطاع اسر تور خمس خان في هذه المعركه والصحيح انه اسره في حملته الاولى عام ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م كما مر بنا .

ويقع في نفس الخطأ العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .

(٢) انظر ص ٣٤٧ من هذا البحث .

(٣) وكان الوفد الايراني يضم مهدى قلي خان وحيدر مرزا ابن أخ الشاه عباس وحوالي ١٠٠٠ فارس قزلباشي يحملون الهدايا ورسالة ودية الى السلطان مراد الثالث وكان موعد وصول الوفد الى استانبول في شهر صفر من عام ٩٩٩ هـ/ ١٥٩٠م ، وقد استقبلهم السلطان العثماني بحفاوه بالغة . انظر :

فلسفي ، زندكاني شاه عباس ، جلد اول ، ص ١٤٨ .

البدليسي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .

ويسمي (دون جوان) رئيس الوفد بـ قره حسن خان بدلا من مهدى قلي خان انظر :

Don Juan , op.cit., P.212.

حيث استطاع بعد توقيع المعاهده(١) مع الدوله العثمانيه اخماد الثورات الداخليه(٢) لان كثيرا منها لا سيما تلك التي شهدتها مناطق الحدود كانت تغذى من لدن الدوله العثمانيه وولاتها(٣)، وبعد ان افلح الشاه عباس الصفوي في فرض هيمنته التامه على بلاده وقضى قضاء مبرما على معارضيه توجه الى تنظيم جيشه على اسس جديدة يسده

---

(١) كانت بنود المعاهده كالاتي :

آ - تبقى مدينة تبريز واقسام من غرب آذربايجان وولاية ارمنيا وشروان وكرجستان، وقرباغ وقسم من لورستان مع قلعة نهاوند في حوزة الدوله العثمانيه .

ب - يكون نهر آرس الحد الفاصل بين الدولتين في منطقة آذربايجان .

ت - يسمح للتجار والسفراء عبور هذا النهر ويحرم على الجنود في كلا البلدين تجاوزه

د - يتعهد الشاه عباس بمنع رعاياه من سب الخلفاء الراشدين الثلاثة الاول ابي بكر وعمر وعثمان وكذلك أم المؤمنين عائشه .

ث - يبقى حيدر ميرزا رهينة لدى البلاط العثماني . انظر :

نوائي، (محقق) شاه عباس، جلد أول، ص ٥٥ . الضابط، المعاهدات الدولية، ص ٢١ . خليل مطران، كتاب مرآة الايام في ملخص التاريخ العام، ج ٢، مطبعة الجوائب المصريه، ١٩٠٥م، ص ١١٤ . فلسفي، زندگاني شاه عباس، جلد أول، ص ١٤٢

Don Juan, op. cit., P. 212.

(٢) تقضي على ثورات شيراز وكرمان وفارس وكوه كيلويه . انظر :

كيلاني، المصدر السابق، ص ٣١٩ . فلسفي، زندگاني شاه عباس، جلد اول، ص ١٤٨ .

(٣) ثار خان احمد كيلاني في مقاطعه كيلان بتحريض من الدوله العثمانيه فتوجه اليه الشاه عباس واجتاز الطرق الوعره للوصول اليه وحاول الثائر المقاومه الا انه لم يفلح لذا هرب الى ساحل بحر قزوين ومنها توجه الى القسطنطينيه مستنجدا بالسلطان محمد الثالث (١٥٩٥ - ١٦٠٣) لمساعدته في استعادة كيلان واشار عليه السلطان بالتوجه الى بغداد لينال مراده فيها - وبعد ان تقبل منه هدية عباره عن شمعدان من الذهب مرصع بالاحجار الكريمه قدرت قيمته بحوالي ٨٠٠٠٠ دينار ذهب - وتوجه خان احمد الى بغداد فعلا وأخذ يحرض ولاتها ضد الدوله الصفويه الا ان الاجل وافاه في بغداد عام ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م (= =)

مستعينا بالخبره الاوربيه وبسلاحها الناري واخذ يخطط(١) لا من اجل استعادة اقاليم الحدود التي خسرها امام العثمانيين في احداث ومعارك سابقه وانما اخذ يعمل في سبيل توسيع رقعة بلاده على حساب الاملاك العثمانيه المتاخمه لايران فقادته مغامراته العسكريه تلك لا الى الاستحواذ على لرستان(٢) واسترجاع اذربايجان(٣) فحسب بل للتوجه

---

(..) قبل ان يحقق امنيته . انظر :
Don Juan, op. cit., PP. 213,215.
البوريني، المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٧ .

(١) لقد استقدم الشاه عباس الى ايران عددا من المغامرين الانكليز منهم الاخوان شيرلي Sherly اللذان بادرا الى تأسيس جيش نظامي جديد لايران مزود بالمدفعيه وباشرا بتدريبه وصار يسمى بالشاه سوان (اي فدائي الشاه) على غرار الجيش الانكشاري العثماني . انظر :

Vreeland, op. cit., P. 21.
كيلاني، المصدر السابق، ص ٣٦٤ .

(٢) لقد ثار شاه وردي خان في خرم آباد عاصمة لرستان عام ١٠٠١هـ/١٥٩٢م ، بتحريض من ولاة بغداد الا ان الشاه عباس توجه اليه على الفور وفاجأه في عقر داره الا انه استطاع الهرب باتجاه العراق والتجأ الى حاميه عثمانيه تبعد مسافة اثني عشرة فرسخاً عن بغداد الا ان الشاه ارسل احد قادته المسمى (الله وردي خان) يصحبه حوالي اثني عشر الفا من الفرقه الكرجيه لتعقبه واستطاعت الفرقه اختطافه قبل وصوله الى بغداد وصدر امر باعدامه وتعيين مهدي قلي خان مكانه . انظر :
Don Juan, op. cit., P. 217.
ويجعل اسم الحاكم الذي حلّ محل شاه وردي خان بعد اعدامه حسين بك .
البدليسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٩ .

(٣) للاستزاده عن حرب الاسترداد في منطقة آذربايجان عام ١٠١٢هـ/١٦٠٣م يراجع تركمان، تاريخ عالم آراي عباسي، ج ١، ص ٦٤١ .
دائرة المعارف الاسلامية، ج ٤، ص ٥٥٣ (الطبعه العربيه) .

الى بغداد عام ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م[١]. وهكذا يمكننا ان نستنتج من كثرة حوادث الحدود واستمرار القتال بين الدولتين العثمانيه والصفويه ما كان يفقده العراق من ابنائه حتى ان الاحصائيه المتوافره لدينا عن الفترة الواقعه بين (١٥٧٠ـ ١٥٩٠م) تشير الى ان نفوس ولاية بغداد والسناجق التابعه لها لم تكن تتجاوز الـ ٦٨٦٣٦ نسمه بما في ذلك سكان الارياف والاقليات المسيحيه واليهوديه كما تشير نفس الاحصائيه الى ان تعداد ولاية البصره كان ١٩٦٦١ نسمه[٢]، ولو اضفنا رقما مشابها لهذا كبديل عن ولاية الموصل[٣] لاصبح سكان مدن العراق وارياقها لا يتجاوزون الا قليلا الـ ١٠٠٠٠٠ نسمه (مائة الف نسمه) ويجب ان لا نستغرب ابدا من قلة نفوس مدن العراق آنذاك اذا علمنا ان مدن العالم كلها كانت قليلة السكان[٤]، واذا اخذنا بنظر الاعتبار المحن والامراض الفتاكه والكوارث الطبيعيه والمجاعات وبخاصه الحروب

---

(١) جودت، تاريخ جودت، جلد اول، مطبعه عثمانيه، استانبول، ١٣٠٢، ص٣٩. استانلي لين بول، طبقات سلاطين الاسلام، ترجمه للفارسيه عباس اقبال، ترجمه عن الفارسيه، مكي طاهر الكعبي، حققه علي البصرى، مطبعة البصرى، بغداد، ١٩٦٦م، ص ٣٣٩.

انظر ايضا: الفصل الثالث، بحث الاحتلال الصفوى الثاني للعراق، ص ٢٠٤.

(٢) Omer, Lutfi Barkan, Research on the Ottoman Fiscal Surveys, in Studies in the Economic History of the Midd East from the rise of Islam to the present day, Edited by M.A. Cook, London, 1970, P. 171.

(٣) ورد في السجلات العثمانيه عن ولاية الموصل رقم (١٩٥) لوحه ٤٩ بتاريخ ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م بان تعداد سكان المدينة ٨٧٨٩ نسمة.

(٤) على سبيل المثال كان تعداد سكان المدن الشهيره التاليه في الدوله ( = = )

المريرة المستمرة بين الدولتين العثمانية والصفويـة التي تعرض لها الشعب في العـراق •

(٠٠) العثمانيه كما هو مؤشر ازاؤها من افراد • وفي نفس الفترة المعاصره التي نحن بصددها اوردتها للمقارنه :ـ

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| مدينه حلب | ٤٥ر٣٣١ | نسمة | سيواس | ١٦ر٨٤٦ | نسمة |
| مدينه دمشق | ٤٢ر٧٧٩ | = | ادرنه | ٣٠ر١٤٠ | = |
| البورصه | ٧٠ر٦٨٦ | = | انقره | ٢٩ر٠٠٧ | = |
| آمـد | ١٣ر٤٤٣ | = | قونيه | ١٥ر٣٥٦ | = |
| اثينا | ١٧ر٦١٦ | = | سيراجيفو | ٢٣ر٤٨٥ | = |

كما ان مدنا كانت لها شهرة عالميه في حينها كانت قليلة السكان ايضا مثل :ـ

البندقيه (فنيسيا) ١٠٠ر٠٠٠ نسمه وكانت جمهوريه قائمه بذاتها •

نابولي وميلانو ١٠٠ر٠٠٠ نسمة لكل منهما •

روما وفلورنسا ٥٠ر٠٠٠ نسمه لكل منهما • انظر :

Cook. op. cit., P. 168.

# الفصل الخامس

## الاحوال الاقتصاديه في العراق

## بين الاحتلالين العثمانيين

## ٩٤١ ـ ١٠٤٨ هـ

## ١٥٣٤ ـ ١٦٣٨ م

اولا ـ الزراعـــــــــة

أ ـ الاراضي الزراعية قبيل الاحتلال العثماني الاول :

كانت الاراضي السائده في العراق في اواخر العهد العباسي تنقسم الـى اراضي الخليفه واراضي الديوان واراضي الوقف والملكيات الفرديه ، واحتفظت في العهد الايلخاني بنفس المميزات التي كانت عليها في العهد العباسي الاخير باستثناء فـروق محدوده حيث ان الايلخانيين اكثروا من اقطاع المدن والبلاد من اجل الحصول علـى الخدمات العسكريه[1] ويبدو ان تغييرا هاما حدث في نظام الاراضي في العهـــد الجلائري[2] واستمر طيله العهود اللاحقه[3] ، ذلكم هو استحداث نظام (( السـويرغال[4] )) Soyurgal الذى ساد في الاقسام الغربيه من ايران[5] والسويرغال امتياز وراثـي للارض يمنح من قبل السلطان او الحاكم الى احد اتباعه وكانت الارض السويرغاليـــه

---

(١) للاستزاده عن دراسة نظام الاراضي في اواخر العهد العباسي وفي العهـــد الايلخاني • يراجع : خصباك ، المصدر السابق ، ص ص ٩٩ ـ ١٠٦ •

(٢) Bausani, op. cit., P. 131.
حدث التغير في منتصف القرن الرابع عشر الميلادى ، وان الفتره الجلائريه تمتـد بين ١٣٣٦ ـ ١٤١١م •

(٣) Bausani, op. cit., P. 131.
اى في فترة حكم القره قوينلو والاق قوينلو وفي العهد الصفوى الاول بالنسبة للعراق

(٤) السويرغال : لفظه مغوليه تعني الهبه او المنحه •

(٥) Bausani, op. cit., P. 131.
لا يستبعد ان يكون قسم من الاراضي العراقيه واقعه ضمن هذا النظام لان هـذه الكيانات السياسيه حكمت العراق بل واتخذته حاضرة لها في بعض الاحيان •

تتراوح في سعتها بين قريه واحده ومقاطعه كامله وان متسلم تلك الاراضي كان يسمى صاحب السويرغال وكان عليه ان يخدم سيده في المجالات العسكريه وان يهيئ عددا معينا من الفرسان المسلحين من بين اتباعه ،وان الفرق الاساس بين نظام السويرغال واسلوب منح المقاطعات هو بالاضافه الى استثنائها ( اراضي السويرغال ) من الضرائب المركزيه ،كان اصحابها الوراثيون يتمتعون بحقوق قانونيه تجعلهم ساده مستقلين تقريبا في مقاطعاتهم يحق لهم تعيين كافه رجال الاداره ضمنها . وان هـــذا الامتياز يجعل اصحاب السويرغالات يتمتعون بحكم مطلق سواء كان ذلك في النواحي العسكريه او القضائيه . ومن جهه اخرى كان يقوم صاحب الارض بجمع الضرائب من رعيته لصالحه لا لصالح الدوله[(١)] ، ليس هذا فحسب ،وانما كان له الحق في تقسيم اراضيه الى مساحات صغيره يقوم بتوزيعها على اتباعه ،في الوقت الذي يحتفظ فيه بجيش مدرب يكون على اهبه الاستعداد لخوض القتال في ايه لحظه[(٢)] .وعدا هـــذا التغيير فقد استمرت باقي اقسام الاراضي في العراق كما كانت عليها في السابق مع بعض التطورات الطفيفه حيث ان السلطات الحاكمه اخذت تستولي تباعا على اراضي

---

(١) ان الضرائب في الاراضي الاقطاعيه كانت تجبى لصالح الخزينه المركزيه ( بيت المال العام ) بينما في نظام السويرغال كان صاحبها يحتفظ بالاموال لقاء الخدمات العسكريه التي يقدمها ولكن ليست لدينا اشارات اكيده بان هذا النظام اتبع في كل الاراضي العراقيه وانما شاع في ايران الغربيه وبشكل خاص في كردستان حيث منح قره يوسف سلطان القره قوينلو مائة قريه بين كبيره وصغيره الى مير حاجي . اما الاراضي العراقيه فكثيرا ما كانت تمنح الى اولاد السلاطين ،حيث اظهر بعضهم الاستقلال في مقاطعاته . انظر :عن اسبان واخوته في عهد القره قوينلو في كتاب التاريخ الغياثي . انظر كذلك :
Pausani,op.cit., P. 132.

(٢)

Pausani, op. cit., P. 13?.

لك التي اخذت تتناقص على حساب تزايد السويرغالات ، وكمثل على ذلك منح قـــره
يوسف سلطان القره قوينلو اربع مقاطعات واسعه في جنوب ارمنيا ( منطقه كردستان ) الى
شمس الدين رئيس عشائر روزاكي (Ruzaki) الرعويه الكرديه كسويرغال له (١)

اما في عهد الاق قوينلو ( ١٤٦٧ – ١٥٠٨ ) فلا تطور جديدا في نظـــــام
الاراضي سوى ما يشير الى محاوله البعض من الملاك تحويل اراضيهم الخاصه الى الوقف
لذلك تخلصا من الضرائب الكثيره من جهه ولحمايتها من جشع الحكام من جهة اخرى ،
بين ايدينا وثيقه تاريخيه هامه تشير الى هذا الاتجاه حيث نجد ان الشيخ أمين الدين
بن علي بن جعفر قد وقف بعض اراضيه في قرية الجعفريه والتي انتقلت اليه بالارث الشـــرعي
والتي يحدد موقعها في الجانب الغربي من نهر الفرات صوب مرقد الامام الحسين ، بطالها
بطالها للحائر الحسيني للاستفاده من ريعها لشراء شمع الاضاءه و ( البواري ) والحصر
واجراء الترميمات لمرقد الامام وذلك في عهد الامير باريك برناك حاكم بغداد في عهد
الاق قوينلو كما ورد ذلك في نص الوثيقه (٢)

اما في العهد الصفوي الاول في العراق ( ١٥٠٨ – ١٥٣٤ ) فقد بـــادر
الشاه اسماعيل الى تخصيص بعض الاراضي الزراعيه كأوقاف للعتبات المقدسه الشـــيعيه

---

(١) Pausani, op. cit., P. 132.

(٢) هناك صخره كانت تحتفظ بها مديريه الاوقاف في كربلاء عليها صوره هذه الوقفيـــه
المؤرخه في شهر جمادى الاولى من عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م وقد صورها الاستاذ السيد
محمد حسن مصطفى آل كليدار والحقها بكتابه مدينة الحسين ، او مختصر تاريـــخ
كربلاء الطبعه الاولى ، ( ايران ، ١٩٤٩ ) ، ص ١٦٥ .

ومنح خادم بك طالش قسماً من اراضي ولاية بغداد[١]. كما منح اراضي اخرى في جهات الحله والعتبات المقدسه الى السيد محمد كمونه بعد ان استحوذ عليها في حـــرب خانهما ضد العشائر العربيه من آل مهنا التي كانت تدير المقاطعات الواسعه فـــي تلك الجهات[٣]. وبعد مقتل خادم بك طالش في چالديران ( ١٥١٤ )[٤] منحت حاكميـــة بغداد الى ابراهيم خان ، الذي لم يمكث طويلا حتى استطاع ابن اخيه ذو الفقـــار الذي كان يدير اراضي سويرغاليه في كردستان من التوجه اليه في عام ٩٣٤هـ/ ١٥٢٨م ، للاستحواذ على املاكه[٥]. ولكن الشاه طهماسب افلح عام ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م في القضـــاء على حركته . واسند الولايه الى محمد خان شرف الدين اوغلي تكلو وعشيرته[٦]. كما منـــح

(١) القزويني ، لب التواريخ ، ص ٢٤٩ .

(٢) الشوشتري ، مجالس المؤمنين ، ج ١ ، ص ١٤٥ .

(٣) خصباك ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ . بشأن تملك آل مهنا لتلك الاراضي في العهد الالخاني

(٤) يمكننا ان نجعل هذه الاراضي سويرغالات بدليل ان كلا من خادم بك طالش والسيد محمد كمونه سارعا عام ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م بالتوجه الى جالديران مصطحبين معهمـا الفرسان العرب كجزء من واجبهما الاقطاعي وقتلا معا في تلك المعركه .
انظر الفصل الاول ، ص ٦٧ .

(٥) عندما قامت الحركه الانفصاليه في العراق في عهد ذى الفقار بادر سلمان بك كمونه ابن السيد محمد كمونه الى تجهيز اربعمائة فارس عربي للتصدى له كجزء من واجباته الاقطاعيه .
انظر : رومـــلو ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

(٦) غفاري ، جهان آرا ، ص ٢٨٥ .
تذكرة طهماسب ، ص ١٦ .
عالمي زاده ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

اتباعه ادارة بعض المقاطعات في كركوك وكلهر(1) ومندلجين(2) في الوقت الذى ابقى السيد سلمان بك كمونه على الحله وتوابعها(3) بالاضافه الى تعيين المتولين على اراضي الاوقاف(4).

## الزراعة وملكيات الاراضي الزراعية في العهد العثماني الاول ١٥٣٤-١٦٢١:

بعد استعراضنا لطبيعة وانماط الاراضي الزراعيه التي كانت سائده في العراق قبيل الاحتلال العثماني . نستطيع القول بأن العثمانيين ورثوا عند احتلالهم له اراضي زراعيه ووقفيه واملاكا خاصه ولكنهم في نفس الوقت وجدوا امامهم قرى خربه وزراعه متدهوره يعزى ذلك الى الاوبئه والامراض والكوارث الطبيعيه والحروب المدمره المستمره التي شهدتها البلاد في الماضي حيث اكتسحت المستنقعات مناطق واسعه على حساب الاراضي الزراعيه ، كما نمت الادغال في الترع والسواقي واهمل تدريجيا نظام الري

---

(1) كان يديرها ذو الفقار قبل توجهه الى بغداد للاستحواذ عليها .

(2) نظمي زاده ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ . ويذكر انه منحها الى غازى خان .

(3) نفس المصدر ، ص ١٨٨ . يسميه سيد بك كمونه والصحيح هو اعلاه .

(4) ~~هناك فرمان مؤرخ في شهر ذي القعده من عام ٩٥٢هـ/١٥٤٥م صادر من الشاه طهماسب الى معصوم بك صفوى متولي بعض القرى الزراعيه الوقفيه ، يوصيه فيها بعدم التجاوز على حقوق الرعايا ويذكّره بالعمل بموجب شروط التعاقد مع الفلاحين ومنع من الحاق اي ضرر باحد منهم . ومما لا شك فيه ان هذا التاريخ يشعر بأن العراق كان خارجا عن النفوذ الصفوى ، الا ان الوثيقه تعطينا فكره عن اسلوب تعامل الصفويين مع العراقيين .~~

~~B.G. Martin, Seven Safawid Document from Azarbayjan, In the Oriental Studies, in Documents from Islamic chanceries, Edited by S.M. Stern, Oxford, 1965, P. 180.~~

لذا لا يمكن ان نجعل وزر التأخر الزراعي وتدهوره على عاتق السلطه العثمانيه وولاتها وحدهم ، ~~وان كان المؤرخ توينبي يحمل الاتراك العثمانيين عبء من الوجهه الاقتصاديه على الاقطار التي فتحوها~~ (١). ومن جهه اخرى استمرت الطبيعه بأوبئتها وامراضها (٢) وكوارثها (٣)

---

~~(١) ارنولد توينبي ، مختصر دراسه التاريخ ، ترجمة فؤاد محمد شبل ، محمد شفيق غربال (القاهرة ، ١٩٦٠) ، ج ، ص ٢٩ .~~

(٢) ان الامراض والاوبئه التي تفشت طيلة العهد العثماني الاول والتي دونتها بعض المصادر التاريخيه كثيره نذكر منها : وباء عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م والذي دام شهرين ومات فيه خلق عظيم . وطاعون عام ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م . ووباء عام ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م ، حيث بلغ من مات في بغداد وحدها وفي شهر واحد ٣٥٧٧ شخصا وطاعون عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م مات بسببه عدد كبير من السكان . هذه الامراض والاوبئه التي كانت تحصد الالوف من البشر كانت تؤثر دون شك على الحاله الزراعيه . انظر : ياسين العمري ، الاثار الجليه ، ورقه ١٩٠ ، ١٩٦ . ياسين العمري ، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدباء ، ص ١٧٣ ، العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٤ ص ٩٨

(٣) لقد اكتسح الجراد النجدي الاصفر العراق عامه والموصل خاصه واكل الزرع كله عام ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م وعم غلاء فاحش في مدينه الموصل في نفس العام بسبب شحة الامطار وفي عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م حدث غلاء فاحش في كل مكان من العراق .
وفي عام ٩٩٨هـ/ ١٥٨٩م حدث قحط في الموصل بسبب شحة الامطار .
وفي عام ١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م حدث غلاء في الموصل حتى بيع رطل الخبز بدرهمين .
وفي عام ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م فاض نهرا دجله والفرات حتى اشرفت بغداد على الغرق
وفي عام ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م الغلاء الفادح في الموصل حتى اضطر الناس الى اكل الميتة .
وفي عام ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م اكتسح الجراد العراق واكل زرعه وحدث الغلاء والقحط .
هذا جزء من الاشارات الكثيره التي تجعلنا نؤكد استمرار تدهور الزراعه بسبب هذه الكوارث الطبيعيه . ياسين العمري ، الاثار الجليه ، اوراق ١٨٩ ، ١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ . ياسين العمري ، منية الادباء ، ص ١٧٣ .

تهمل جنبا الى جنب مع سوء اداره بعض الولاة العثمانيين في العراق الذين اهملوا الاراضي الزراعيه وتقاعسوا عن صدّ هجمات اللصوص على القرى[1]. كل ذلك ساهم في استمرار تدهور الزراعه طيلة العهد العثماني الاول وبخاصه اذا اخذنا بنظر الاعتبار عدم اهتمام الولاة العثمانيين بتطوير الاساليب الزراعيه او العمل الى اعادة نظام الزي الى طبيعته[2]، بل كل ما كانت تفعله السلطه العثمانيه هو الابقاء على نظام قائم طالما ينسجم مع الشريعه الاسلاميه ومصالحها الخاصه . وعلى هذا الاساس فانهم لم يغيروا اسلوب توزيع الاراضي كما لم يضيفوا ما هو جديد في نظام الضرائب الزراعيه وانما استمرت الاراضي كما كانت عليه في العصور السابقه خراجيه وعشريه مع استمرار تزايد منح المقاطعات الزراعيه لصالح النظام العسكري الجديد الذى لم يكتف بأراضي الديوان وانما تجاوز على الملكيات الخاصه واسندت الى ملتزمين جائرين .

ويمكننا تصنيف الاراضي التي كانت سائده في العراق في العهد العثماني الاول بالشكل التالي :

---

(1) ان الفلاحين كانوا يضطرون الى بذر بذورهم والسلاح في ايديهم وانهم كانوا يسرعون في جني المحصول قبل اكتمال نضجه خوفا من غارات اللصوص المستمره من الصحراء .
حبيب شيوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٩ نقلا عن فولني ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

(2) وردت اشاره في ( فرمان ) مؤرخ في عام ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م جوابا على عريضه رفعها درويش شيخ مشايخ آل عزه يشتكي من خراب اراضي اجداده بسبب اهمال الترع والقنوات واجاز الفرمان السماح له بتجديدها . كما وردت اشاره اخرى عن اهمال النهر المسمى ( يعقوبيه ) الواقع في ناحية الخالص وخراب الاراضي الزراعيه المحيطه به ( انظر نصوص الفرامين ) : سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ص ٣١١ - ٣٢٠ .

(3) Lybyer, op. cit., P. 31.

١ ـ اراضي الملك :

كانت اراضي الملك قليله في العراق قياسا الى اراضي الوقف والاقطاع ، وكان لصاحبها حق التصرف بها كيفما يشاء اذ يستطيع بيعها او اهداءها او الايصاء بها الى ورثته وكان من الممكن ان تنتقل ملكيه الارض من شخص الى آخر في نطاق القريه نفسها الا ان انتقالها الى الاغراب كان امرا نادرا جدا [(١)]. ويذكر لوتسكي ان الاراضي المملوكه كانت تعود الى كبار المالكين [(٢)] الا ان هذا لم يكن دائما حيث تشير السجلات العثمانيه الى ملكيات صغيره في ولايه بغداد كان انتاج بعضها اقل من (( طغار )) واحد من المحاصيل الزراعيه المتنوعه ولم يتجاوز انتاج اكبرها الـ ( ١١١ ) طغارا [(٣)].

وكامثله على ذلك نورد هذه النماذج من الاملاك الخاصه التي دونتها السجلات العثمانيه ، كان بينها ملكيات خاصه في منطقه الخالص بلغ تعدادها ٤٥ بستانا أو ارضا زراعيه تراوح أنتاجها بين طغار واحد من المحاصيل الزراعيه المتنوعه الى حوالي ١١١ طغارا كانت تعود لمالكين متعددين [(٤)] وفي منطقه طريق خراسان كان هناك سبع

---

(١) جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٤ .

(٢) لوتسكي ، المصدر السابق ، ص ١ ، دون ان يذكر مصدره .

(٣) السجلات العثمانيه لولايه بغداد دفتر رقم ( ١٠٤٩ ) لوحات ١٣٩ ـ ١٤٤ .
عن الطغار انظر : بحث الموازين ص ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .

(٤) نفس المصدر ، لوحات ١٣٩ ـ ١٤٤ . حيث الاشاره الى البساتين وعدد فلاحيها ونوع الحاصل ومقداره .

مساحات زراعيه صغيره خاصه تراوح انتاجها بين ١١٢ رطلا من المحاصيل الى اكثر من ١٢٠ طغارا وسجل في بلوك مهروت بستانان الاولى انتاجها عشرة طغارات والثانيه ١٢٢ رطلا فقط من المحاصيل المتنوعه (١). اما منطقه الدجيل فسجل فيها سبع مساحات زراعيه تراوح انتاجها بين ١٢٩ رطلا الى حوالي ١٥ طغارا (٢). وفي زنگي آباد (٣) ست قطع من الاراضي الزراعيه تراوح انتاجها من ١٥٦ رطلا الى ٤٣ طغارا (٤) ومناطعة كركوك ضمت، تسع عشرة مساحه زراعيه تراوح انتاجها من ٦٩ رطلا الى (٥٥) طغارا (٥). ومنطقه داقوق احتوت على ست اراضي زراعيه خاصه تراوح انتاجها بين ثلاثة طغارات الى ٣٧ طغارا (٦). ومنطقه العامريه القريبه من بغداد والتي ضمت ثماني قطع من الارض الزراعيه تراوح انتاجها بين ثلاثه طغارات و ١٥٢ رطلا الى ٧٥ طغارا، و ١٧٠ رطلا (٧). ومنطقة حربي وفيها ثلاث مساحات زراعيه خاصه تراوح انتاجها بين

(١) السجلات العثمانية لولاية بغداد دفتر رقم ١٠٤٩ ،لوحات ١٤٥ ـ ١٤٦ ،وعن الرطل انظر بحث الموازين ص ٤٣٦ من هذا البحث .

(٢) نفس المصدر ، لوحات ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٣) تقع بالقرب من مندلي او الى غرب خانقين وهي تابعه لولايه بغداد وتعتبر حدود لولايه الموصل انظر :

تبارزاده ابراهيم حلمي ،ممالك عثمانيه ،جيب اطلاسي ،دولت عليه عثمانيه نك احوال جغرافيه ،كتابخانه اسلام وعسكري ،١٣٢٣ هـ ، ص ٥٠ .

(٤) سجلات ولاية بغداد ،دفتر رقم ١٠٤٩ لوحات ١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٥) نفس المصدر ،لوحات ١٤٨ ـ ١٥١ .

(٦) نفس المصدر ،لوحه ١٥١ آ .

(٧) نفس المصدر ،لوحات ١٥٢ ـ ١٥٢ .



ثلاثة طغارات و ٤٧ رطلا الى ٤٥ طغارا و ١٤ رطلا .(١)

هذه نماذج من اراضي الملك الزراعيه في ولايه بغداد والتي وردت الاشاره بشأنها في السجلات العثمانيه لولاية بغداد والمؤرخه في عام ٩٤٦هـ/ ١٥٣٩م .
وهناك اشارات الى الاملاك الخاصه في ولاية الموصل(٢) وتأكيدات على ان معظم اراضي ولاية البصره كانت عشريه مملوكه لاصحابها .(٣)

٢ - الاراضي الاقطاعيه :

كان العثمانيون يقسمون اراضي البلاد المفتوحه الى مقاطعات بعضها صغيره وبعضها كبيره ويمنحون المقاطعات الصغيره الى الجنود المحاربين والكبيره الى القواد والامراء(٤) وذلك بعد ان يخصصوا بعض المقاطعات الكبيره الى السلطان .(٥) ومن الجدير بالذكر ان منح المقاطعات الى الاشخاص لم يكن يعني تمليكهم القرى والاراضي التي تؤلف المقاطعه الممنوحه ، وانما كان يعني تفويضه حق جبايه العشور وسائر الرسوم والضرائب المترتبه عليها وكانت الاراضي والقرى والمزارع تبقى تحت تصرف مالكيها أو

---

(١) السجلات العثمانية لولاية بغداد دفتر رقم ١٠٤٩ ، لوحة ١٥٣ .
(٢) السجلات العثمانيه لولايه الموصل ، دفتر رقم ١٩٥ و ٦٦٠ ، لوحات متعدده .
(٣) السجلات العثمانيه لولاية البصره ، دفتر رقم ٥٣٤ و ١٠٢٢ ، لوحات متعدده .
سليمان فيضي ، البصره العظمى ، عني بنشره الدكتور عبد الحميد فيضي ، دار التضامن (بغداد ، ١٩٦٥) ، ص ٣٤ .
(٤) Lybyer, op. cit., P. 31.
Hammer, op. cit., Vol. 5., P. 220.
(٥) السجلات العثمانيه لولايه الموصل ، دفتر رقم ١٩٥ ، خاص السلطان .
السجلات العثمانيه لولايه البصره ، دفتر رقم ٥٣٤ ، لوحه ٩٤ .
السجلات العثمانيه لولاية بغداد ، دفتر رقم ١٠٤٩ ، لوحه ١١٦ .

مستغليها على ان يدفعوا الضرائب التي تفرض عليها الى ملتزم المقاطعه (١).

واتبع العثمانيون في الموصل نظام التملك الاقطاعي العسكري للارض (٢). اما في سائر ارجاء العراق الاخرى فان الارض ظلت في حوزه مالكيها المحليين الذين استمروا في استغلالها لقاء دفع خراجها او عشورها لملتزميها في الولايات الاقطاعيه (٣). اما في الولايات التي خلت من التنظيمات الاقطاعيه فان ضرائبها كانت تدفع الى ولاتها (٤).

وفي منطقة كردستان كانت الاراضي محصوره بايدي البكوات الاكراد الذين كانوا يترأسون العشائر الكرديه وبلغت ممتلكات بعضهم احيانا عشرات القرى وكان عليهم تجنيد الفرسان ابان الحروب. ولعدم استقرار ولاء هذه المنطقه للدوله العثمانيه فان ضرائبها كانت تدفع تارة للعثمانيين واخرى للصفويين واحيانا كان بكواتها يمتنعون عن الدفع لكليهما (٥). اما اراضي البصره فانها استمرت عشريه كما كانت عليه في السابق (٦) وفي كل الاحوال لم يكن هذا النظام يشبه النظام الاقطاعي الذي ساد اوربا في العصور الوسطى. وفيما يلي اصناف الاراضي الاقطاعيه التي سادت في العراق في القرنين السادس عشر والسابع عشر :ـ

---

(١) الحصري : المصدر السابق ، ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) السجلات العثمانيه لولاية الموصل ، دفتر رقم ١٩٥ ، لوحه ٤٩.

(٣) Lybyer, op. cit., P. 31.

(٤) لقد ساد النظام الاقطاعي في سبعه سناجق من مجموع السناجق الثمانية عشر لولاية بغداد ، اما البقيه فكانت ساليانه . انظر التقسيمات الاداريه . الفصل الثاني ، ص ١٢٦.

(٥) انظر بحث كردستان والامارات الكرديه في الفصل الرابع ، ص ٣٢٠.

(٦) Lybyer, op. cit., P. 31.

**التيمار (١)** :

وهي مقاطعات زراعيه تدر سنويا دخلا يتراوح بين ٣٠٠٠ - ٢٠٠٠٠ (٢) ...

وكانت تمنح عادة للجنود الذين لمعت اسماؤهم في الحروب او اظهروا مقدره ...

فيها (٣) او الى رؤساء العشائر الصغيره المحليه (٤) والى بعض رجال الدين و (٥) ...

---

(١) التيمار : عباره عن منح ارض لقاء خدمه عسكريه ، وهو ما اصطلح عليه بالاقطاع ... العثماني ، ويتوسع مدلول الاصطلاح ويشمل الانواع الاقطاعيه الثلاثه ، التيمار ، الزعامه ، والخاص . والكلمه مشتقه من الفارسيه وهي بمعنى عنايه او تضميد جرح . ويعتقد ديني J. Deny ان نظام التيمار مقتبس من الروم لا من الفرس ، اما الفون هامر Hammer فيجعل اصله يونانيا . انظر :
ديني J. Deny ، دائره المعارف الاسلاميه ، ج ٦ ، ص ١٣١ (الطبعة العربية)

(٢) انظر بحث النقود ، ص ٤٢٨ من هذا الفصل .

(٣) Hammer, op. cit., Vol. 5., P. 220.

(٤) سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ص ٣١٣ - ٣١٥ و ٣٢٣ . انظر كذلك هامش رقم ٤ ص ٣٧٠ من هذا البحث .

(٥) كان لابراهيم بن والي الامير تيمار وهو من رجال الدين العراقيين كما ذكره الحنبلي في :
شذرات الذهب في وفيات عام ٩٦٠هـ . حيث قال انه توفي في طريقه بين حلب وبغداد لانه سلك غير الطريق المعتاد . انظر :
الغزي ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٨١ .
الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج ٨ ، ص ٣٢٥ .

والكتبه كبديل عن رواتبهم[1] وكان من الممكن دمج عده تيمارات لجعلها (( زعامــــه ))
في الوقت الذى لا يمكن فيه تجزئه الزعامه الى تيمارات وكان على كل ملتزم يبلغ ايراده
بين ٣٠٠٠ ــ ٦٠٠٠ اقجه ان[2] يحضر بنفسه عندما يدعو داعيه الحرب وعليه ان يحضر
معه فارسا مسلحا واحدا كلما زاد دخله على خمسه آلاف اقجه جديده . فعلى سبيل
المثال ان ملتزم التيمار الذى يبلغ ايراده ٢٠,٠٠٠ اقجه وهو الحد الاقصى للتيمـــار
عليه ان يتوجه بنفسه مع ثلاثة فرسان الى جبهة القتال مع كامل اسلحتهم وخيولهم عندما
يقتضي الامر ذلك[3] .

وفي حالة موت صاحب التيمار او (( السباهي ))[4] فان اولاده كانوا يبدأون ــ
بتيمارات صغيره مجددا ريثما يبرهنون على اهليتهم العسكريه في اعداد المقاتلـــين

---

(1) جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(2) ان التيمار الذى كان يدر ايرادا اقل من ٦٠٠٠ اقجه كان لا يحتاج الى ( تذكره )
ويسمى ( تذكره سز ) اى بدون تذكره . اما اذا كان يدر اكثر من ٦٠٠٠ اقجه وهو
شأن تيمارات بغداد وشهرزور فكان يحتاج الى تذكره ومنذ عهد السلطان سليمان
القانوني اصبح صاحب التيمار الذى يملك تذكره هو الجدير بحمل لقب ( السباهي )
في حين أطلق على الآخرين مجرد اسم تيمارجي اى صاحب التيمار .

(3) Lybyer, op. cit., P. 63.

جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٣ .
عندما ضعفت الدوله العثمانيه وبخاصه في عهد السلطان احمد ١٦٠٣ ــ ١٦١٧م
اخذت السباهيه لا تلتزم بذلك حتى ان الدفتردار ( عيني علي ) اخذ يشكو مـــن
ان رجلا واحدا من اصل عشره من اصحاب التيمارات الذين كانوا يتنازعون علـــى
موارد ايام الحصاد ــ لم يكن يبرز الى الميدان عندما يطلب اليهم خدمه العلم .
بروكلمان ، المصدر السابق ، ص ٤٦٢ .

(4) يطلق على صاحب التيمار اسم ( تيمار صاحبي ، او تيمار آرى ، او تيمار سباهي ،
سباهي فقط ) والكلمه الاخيره مشتقه من الفارسيه وتعني العسكرى .    ( = = )

ويجعل اوليا جلبي عدد تيمارات اياله الموصل حوالي ١٠٠٤ تيمارا، وايالة شهرزور ٨٠٦ تيمارات[1] ولا يجعل في اياله البصره اى تيمار وانما يجعلها ( ساليانه[2] )

---

( = - )

الدكتور محمد التونجي، المعجم الذهبي، فارسي - عربي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩م، ص ٣٣١.

(١) سياحتنامه سي، ج ١، ص ١٧٥. ومن الجدير بالذكر ان المؤلف يؤرخ في النصف الاول من القرن السابع عشر. علما بان عدد التيمارات في القرن السابق كان اقل بكثير استنادا الى مدونات السجلات العثمانيه، على سبيل المثال كانت تيمارات الموصل عام ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م (١١٠) تيمارات فقط.
انظر سجلات الموصل رقم ١٩٥، لوحات متعدده.

(٢) الساليانه : اما ان تكون ملكا خالصا لواليها مثل السناجق الكرديه او ان يلتزمها ولاتها عاما في كل مره ويتقاضون رواتبهم وفقا لهذا النظام من دخل الولايه الذى يقوم بجبايته القائمون على الشؤن الماليه في الولايه ( الدفترداريه ). وكثيرا ما كانت تحدث المنازعات بين الحكام حول حدود الاراضي التي تقع ضمن صلاحياتهم الاداريه والتزاماتهم.

وبين أيدينا وثيقة مؤرخة في ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م تشير الى النزاع بين حاكم العرجاء ( محمد اغا ) وحاكم الطره ( بدر بك ) حول هور الزرقان الذى يقع في جنوب العراق حيث افتى القاضي بارجاعها الى محمد اغا حاكم العرجاء بعد استحضار الشهود الذين اكدوا عودتها الى العرجاء منذ عهد ( حسن اغا ) حاكمها عام ١٦٢٥م.

انظر :

ديني J. Deny، دائره المعارف الاسلاميه، ج ٦، ص ١٣٨ ( الطبعه العربيه )

سركيس، مباحث عراقيه، ق ٢، ص ٣٧٦.

اما بغداد فيجعل في سبعه من سناجقها الثمانية عشر تيمارات وزعامات (١)، اما السناجق الباقيه فكانت ساليانه (٢) يقوم والي بغداد اومن ينوب عنه بجباية ضرائبها . ومن الجدير بالذكر ان عمليه منح التيمارات في العراق استمرت منذ احتلاله على يد سليمان القانوني ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م (٣) حتى احتلاله مجددا من قبل السلطان مراد الرابع (٤) ١٦٣٨م .

الزعامات (٥) : وهو الاقطاع الذي يدر دخلا يتراوح بين ٢٠,٠٠٠ - ١٠٠,٠٠٠ اقجه (٦).

---

(١) عني : بغداد - الحله - زنگي آباد - الجوازر - الرماحيه - جنگوله - قره طاغ .
اوليا جلبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٥ .

(٢) انظر الفصل الثاني ، بحث التقسيمات الاداريه ، ص ١٢٦ في هذا البحث .

(٣) انظر الفصل الثاني ، بحث سليمان القانوني في بغداد ، ص ٧٠ من هذا البحث .

(٤) بادر مصطفى باشا الصدر الاعظم للسلطان مراد الرابع اثناء وجوده في بغداد عام ١٦٣٨م الى منح الشيخ درويش من شيوخ آل عزه تيمارا في اطراف تكريت معينا بستة آلاف اقجه على ان يدفع الى (البارود خانه) خمسمائة كلك من الاحطاب سنويا وعلى ان يقوم بالوظائف والخدمات الواجبه عليه .
انظر : الوثيقه وفرمان السلطان في :
سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ص ٣١٣ - ٣١٥ .

(٥) ومن الجدير بالذكر ان كلا الاقطاعين التيمار والزعامت كان من الممكن ان تتكون من جزأين هما الارض الاصليه المسماة (قلبيج) التي حصل عليها صاحبها لاول مره والاضافات المسماه (ترقي) التي حصل عليها تباعا نتيجه جهوده الاداريه والعسكريه . انظر :
المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧١ .

(٦) Lybyer, op. cit., P. 100.

ويجعل اوليا جلبي عدد الزعامات في الموصل في عهده ٦٦ (١) وفي شهرزور ٨٥ (٢) وكانت توزع عادة على الدفتراميني ومساعديه ومن هم بدرجتهم من موظفي الولايه حيث يعيشون على دخلها (٣).

الخاص (٤): وكان دخلها اكثر من ١٠٠,٠٠٠ اقجه (٥) وكانت اياله بغداد تشمل الخواص التاليه وايرادها المؤشر ازاءها:

خاص زنكي آباد: ٢٧٠,٠٠٠ اقجه

الحله: ٩٥١,٠٠٠ اقجه

الجوازر: ٢٢٠,٠٠٠ اقجه

روم ناحيه (الرماحيه): ٤٤٥,٠٠٠ اقجه

جنكوله: ٢٠٠,٠٠٠ اقجه

قره طاغ: ٢٨٧,٤٠٨ اقجه

درتنك: ٤٢٠,٠٠٠ اقجه

سماوات (السماوه) ٢٥٥,٠٠٠ اقجه

درنه: ١٣١,٤٠٦ اقجه

ده بالا: ٢٦٠,٠٠٠ اقجه

كرند: ٢٣٩,٢٠٠ اقجه

واسط: ٢٢٠,٠٠٠ اقجه

تيمورتبو: ٢٠٠,٠٠٠ اقجه

قزانيه: ٢٠٠,٠٠٠ اقجه

---

(١) اوليا جلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٥ في اوائل القرن السابع عشر. في الوقت الذي سجلت الوثائق العثمانيه لعام ٩٥١هـ/١٥٤٤م ١٦ زعامه فقط في الموصل. انظر: دفتر رقم ١٩٥٦، لوحات متعدده.

(٢) اوليا جلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٥.

(٣) جب وبوون، المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٤) والجمع: خاصلر أو خواص، وهو في الغالب اقطاع الولاه وامراء السناجق. انظر دينى J. Deny، دائرة المعارف الاسلاميه، ج ٦، ص ١٣١ (الطبعه العربيه)

(٥) Lybyer, op. cit., P. 100.

كيلان : ٠٠٠ر٢٠٠ اقجه — الصاع (ال صايج) ٠٠٠ر٢٠٠ اقجه(١)

وايالة الموصل تتكون من خاص مير لواء

باجوانين : ٠٠٠ر٢١٥ اقجه — تكريت : ٢٨٤ر٢١٨ اقجه

هروان : ٠٠٠ر٢٠٠ اقجه — يانه : ٠٠٠ر٣٠٠ اقجه(٢)

٢- اراضي الوقف

وهي اراضي واسعه مصدرها التبرعات الخيريه من الدوله على حساب الاراضي الاميريه او من الاشخاص على حساب املاكهم الخاصه وكانت توقف لجهات متعدده منها المساجد والمدارس الملحقه بها والتكايا والزوايا ومراقد الائمه والمشايخ والقناطر والجسور وتكون عاده معفاة من الضرائب وكانت الاوقاف تنقسم الى قسمين : اوقاف خيريه واوقاف ذريه والنوع الاخير عمد اليه اصحابها للتخلص من المصادرات حيث يوصي اصحابها بان تصبح ايرادات اراضيهم لصالح جهه خيريه معينه عند اندراس ذريتهم .

وتشير السجلات العثمانيه الى اوقاف كثيره في العراق لمختلف الجهات . فنجد من املاك السيد محمد كمونه في النجف عشر وحدات بين ارض وحمام وبستان وعقار للامام علي . وهناك اشارات الى مثل هذه الاوقاف باسم السيد حسن مساعد في الجانب الشرقي والغربي من بغداد بينها دكاكين كما له اوقاف في النجف وشفاثا(٣)

---

(١) اوليا جلبي ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ .

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ، ص ص ١٩٣ _ ١٩٤ .

(٣) السجلات العثمانيه ، دفتر رقم ١٠٤٩ ، لوحه ١٥٤ .

كما ان هناك ارض وقفيه للامام موسى الكاظم في سنجق كركوك يعمل فيها ٤٧٣ فلاحا واخرى يعمل فيها خمسه انفار وثالثه ٦٩ شخصا (١) . كما ان هناك اوقافا للامام علي والامام الحسين واخيه العباس في النجف وكربلاء والحله . ففي النجف ارض باسم جماعة السادات تضم ٥٩ رجلا و ٣٨ امراه (٢) واوقاف في الحله لنفس الائمه كان يعمل في احداها ٤٩٤ فلاحا والاخرى ٣١ والثالثه ٧٨٤ كما كان لجماعه السادات فيها ارض يعمل فيها ٤٠ فلاحا . وجماعه اخرى تعدادها ٣٨٣ تعمل في ارض وقفيه مثلما كانت تعمل مجموعه تعدادها ٣٢ شخصا في ارض و ٢٤٨ فلاحا في ارض اخرى في الحله (٣) . وفي النجف اشارة الى خمس مقاطعات وقفيه كان يعمل فيها على التوالي ٣٨٥ و ٥٥ و ٢٨٦ و ١٤ و ٢٦ فلاحا كانت وقفا للامام علي (٤) .

وهناك اراضي وقفيه للعباس بن الامام علي في كربلاء ضمت عددا من الفلاحين على التوالي ١١ و ٦ و ١٢ (٥) . كما نجد اشارات متعدده في السجلات العثمانيه الى اوقاف للامام ابي حنيفه وللشيخ عبد القادر الكيلاني (٦) ولقنبر علي وسلمان الفارسي (٧) . وهناك بعض الاراضي الوقفيه لصالح جسر الحله والمدرسه الزينبيه (٨) فيها وتشير

---

(١) السجلات العثمانيه ، دفتر رقم ٣٨٦ ، لوحات ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٢) نفس المصدر ، لوحه ٢٩٥ .

(٣) نفس المصدر ، لوحات ٢٩٥ ـ ٣٠٤ .

(٤) السجلات العثمانية ، دفتر رقم ٣٨٦ ، لوحات ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

(٥) نفس المصدر ، لوحه ٣٠٩ .

(٦) السجلات العثمانيه ، دفتر رقم ١٠٤٩ ( ولايه بغداد ) لوحات ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٢ وقد تزايدت اوقافهما في العهد العثماني ، انظر كذلك : التادفي ، قلائد الجواهر ، ص ٥٦ .

(٧) السجلات العثمانيه لولايه بغداد ، دفتر رقم ١٠٢٨ ، لوحه ١٨ .

(٨) نفس المصدر ، لوحه ٢٠ .

سجلات ولاية الموصل الى اوقاف للحرمين في حطاره (١) وفي قرى اليزيديه (٢) كما فيها قرى موقوفه على الجوامع الكبيره والمراقد المشهوره . فقريه تلكيف كانت وقفا على جامع النبي جرجيس (٣).

٤ - الاراضي المشاعه

وهي الاراضي التي لا تعود ملكيتها الى شخص معين وانما يتصرف بها سكان القريه باجمعهم وكثيرا ما حاولت السلطه العثمانيه في العراق انتزاع هذه الاراضي من الفلاحين وضمها الى الاراضي الاميريه ومن ثم توزيعها كأقطاعات على (السباهيه) اوعلى شيوخ العشائر الموالية لهم ، وما صراع العثمانيين مع آل عليان في منطقة البطائح (٤) الا صوره لهذه الظاهره علما بانهم كانوا لا يزرعون الا جزءا صغيرا من المساحات اليابسه في منطقتهم بصوره مشتركه (٥) ولكنهم رغم ذلك كانوا يوفرون ما يكاد يقرب من مجموع الارز الذي كانت تستهلكه ولاية بغداد (٦). ومن الاراضي المشاعه الاخرى المراعي التي كانت تمتد في مناطق واسعه من العراق وبخاصه تلك التي تقع بين بغداد والبصره (٧).

---

(١) السجلات العثمانيه لولاية الموصل ، دفتر رقم ١٩٥ ، لوحه ٦٠ .

(٢) نفس المصدر ، دفتر رقم ٦٦٠ ، لوحه ٢٦ .

(٣) نفس المصدر ، لوحه ٢٨ .

(٤) انظر الصراع العثماني مع هذه القبائل في الفصل الرابع ، ص ٢٨٨ .

(٥) جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٩ .

(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٠ نقلا من روسو Roasseau ، ص ٥٩ .

(٧) نانزنيه ، العراق في القرن السابع عشر ، ص ٩٢ .

ح — المحاصيل الزراعية في العراق :

كانت المحاصيل الزراعيه في العراق في الفتره التي نتناولها بالبحث اعتمادا على ما ورد منها في السجلات العثمانيه والمصادر الاخرى هي :

الحنطه والشعير والعدس والماش والباقلاء والسمسم والدخن واللوبياء والحمص والقطن والبرطمان حيث كانت تتم زراعتها في معظم ارجاء العراق وبخاصه في ولايه بغداد وسناجقها[1] وكان الارز يزرع في البطائح[2] والتبغ في جهات بعقوبه والعماديه[3] وقصب السكر في منطقه الاهوار في الجنوب[4] والفواكه الحمضيه في بعقوبه وطريق خراسان[5] والعنب الرازقي والتين والمشمش والتفاح في بغداد وواسط[6] والزيتون والرمان في عانه[7] والتوت

(١) انظر السجلات العثمانيه ، لوحات متعدده .

(٢) جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٠

Fredericke, op. cit., Vol. III., P. 203.

(٣) جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٥ نقلا عن روسو .

دي لا فال في رحلته ضمن احداث عام ١٦١٦ — ١٦١٧م

Della Valle, op. cit., P. 240.

سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ١٤٧ نقلا عن هربرت في رحلته عام ١٦٢٦

(٤) كاتب جلبي ، جهانما ، ص ٤٥٩ .

(٥) السجلات العثمانيه ، دفتر رقم ١٠٤٩ ، لوحه ١٤٥ .

(٦) كاتب جلبي ، جهانما ، ص ٤٥٩ .

(٧) دي لا فال ، ( جزء من رحلته ) ، نشره الاحد ، ص ٣٨٤ .

تافرنييه ، العراق في القرن السابع عشر ، ص ١٧١ .

و (( تكي الشام )) والخوخ والعرموط في مناطق مختلفه من العراق والتمور في البصره كانت ذات شهره تستحقها بجداره حيث الغله الطبيعيه الوحيده، التي كانت تصدر الى الخارج[(١)] . ويذكر اوليا جلبي في رحلته الى العراق قوله : ان جنان النخيل تمتد من البصره الى الاحساء وتجدها في الكوفه والنجف وبغداد وديالى ، ويقول ان انواعها تبلغ السبعين بينها تمور جيده ، كأنها العقيق اليماني[(٢)] .[(٣)] [(٤)]

وكانت الخضروات تزرع في مناطق مختلفه من العراق منها الرقي والبطيخ والباذنجان والباميه والبصل والشلغم والبنجر والجزر والثوم وبخاصه في المناطق المحيطه ببغداد والتي تسقى بواسطه الكرود[(٥)] .[(٦)]

---

(١) سالنامه بغداد ، لعام ١٣٠١ هـ ، ص ٦٦ .

(٢)

Teixeira, op. cit., P. 16.

Beazley, op. cit., Vol. I., P. 311.

جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٩ وهو ينقل من اوليفيه .

(٣) الحلاوى ، اسطه عمران ، الخضراوي ، الاشرسي ، البريم ، مكتوم ، الخستاوى ، الدكل الزبدى ، اصابع العروس ، البراهيمي والبربن عي من جمله الانواع التي كانت سائده في ذلك العصر .

(٤) عباس العزاوى ، النخل في تاريخ العراق ، ( بغداد ، ١٩٦٢ ) ، ص ٩٠ نقلا من اوليا جلبي .

(٥) سالنامه بغداد ، ١٣١٨ هـ ، ص ٤٦٢ .

(٦) سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ٢٥١ .

ورد ذلك في وثيقه مؤرخه في عام ١٠٩٤ ولا بد انها كانت معروفه قبل هذا التاريخ

## ثانيا- التجـــــــــــارة

آ- التجاره الداخليه : لقد كانت التجاره الداخليه في العراق تجرى في العهد العثماني الاول كما كانت عليه في العهود السابقه وذلك عن طريق طرح السلع والحاجيات في الاسواق الاسبوعيه في المدن الكبيره والمراكز الزراعيه[(١)] حيث تبادل كل منطقه الفائض من منتوجها مع الفائض من منتوج اقليم آخر وكانت هناك اسواق موسميه[(٢)] سنويه ونصف سنويه تعرض فيها عاده منتجات بدو الصحراء من سمن ووبر ، ونتاج الاقاليم المختلفه من زراعيه وحرفيه ويمارس التجاره في هذه الاسواق الصناع او المنتجون انفسهم في الغالب[(٣)]. اما الاسواق الرئيسيه في المدن الكبرى كبغداد والبصره فكانت مزوده بشكل دائم بالمنتجات الصناعيه المختلفه والحاصلات الزراعيه العديده المحليه منها والخارجيه .

ومن الجدير بالذكر ان العمليات التجاريه الكبرى والبيع بالجمله كانت تجرى في ميادين وساحات كبيره تقع الى جوارها (خانات) واسعه[(٤)] يؤمها التجار وهناك

---

(١) جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(٢) يصف تكسيرا سوقا موسميه في البصره عام ١٦٠٤ م قائلا : كان يعرض فيها منتجات مختلفه وتجرى فيه عمليه البيع والشراء وتمارس فيه بعض الفعاليات والالعاب .
جعفر الخياط ، مشاهدات تكسيرا في العراق سنه ١٦٠٤ م ، ملخصه عن الترجمه الانكليزيه ، مجلة الاقلام ، السنه الاولى ، ج ٤ ، كانون الاول ١٩٦٤ ، ص ١٣٦ .

(٣) هامش جب وبوون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(٤) انظر :
Teixeira, op. cit., P. 40.
في وصفه خانات بغداد ، حيث يقول انها كانت تغلق ليلا بسلاسل حديديه ثم يوضع على ابوابها قفل يسمى (بنجه علي) اى كف الامام علي لحفظها .

بارات الى وجود العديد منها في بغداد والبصره والموصل (١) وعلى الرغم من ان
بيارة الداخليه في العراق في العهد العثماني الاول كانت امتدادا لها في العهود
ابقه الا ان بعض المعوقات اخذت تعترضها في هذا العهد ، منها الفقر العام
ي اصاب السكان من جراء تحول طرق التجاره العالميه عن المنطقه وبسب اهمال
ولاه نتيجه جور الملتزمين وقسوتهم في جبايه الضرائب اضف الى ذلك تأخر وسائل
واصلات حيث لم تكن هناك طرق تستحق الذكر وكانت معظمها نهريه تتم بوساطة
فن بدائيه كان التاجر يضطر في كثير من الاحيان الى تحويل سلعه من سفينه الى
خرى ، تلك السلع التي لم تكن تحزم او تغلف لذا كانت معرضه دوما للتلف .

وفي البر كانت البضائع تنقل على ظهور الحيوانات ( الجمال والبغال والحمير )
ربات النقل لم تكن تستخدم آنئذ في العراق (٢) لافتقاره الى الطرق البريه الصالحه
يرها . ومن الامور الاخرى التي ساهمت في عرقله التجاره في العراق هي التهديدات
متكرره من قبل قطاع الطرق واللصوص الذين كانوا يرابطون على شواطئ دجله والفرات
مفترقات الطرق بحثا عن السفن او القوافل المحمله بالسلع التجاريه للاغاره عليها
(٣) تلك الغارات التي لم تؤد الى الخسائر الشخصيه فحسب ، وانما كانت تسبب
ركودا في النشاط التجاري ايضا ، حيث ان التجار كانوا يفضلون التريث اياما
حتى يجدوا قافله كبيره مستعده للسفر وذلك سعيا وراء الامن الذي يوفره

---

(١) نوير ، العراق في القرن السابع عشر ، ص ١٨٥ حيث يجعل اسواق الموصل
بيه وصغيره ويؤكد على وجود ميدانين للبيع والشراء .

(٢) نوار ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

(٣) كتب الرحالات وعلى سبيل المثال :

Fitch, op. cit., Vol. III., P. 283.

السفر الجماعي ومن العراقيل التجاريه الاخرى هي اهمال الولاه كرى الانهار او رفع الترسبات التي كانت تتراكم في مراسي السفن في المدن المهمه مما ادى الى بطء الحركه وربما الحاق الاضرار الكثيره ببعض السلع المعرضه للتلف . وهذه الظاهره كانت اشد خطرا على التجاره من الرسوم الثقيله التي فرضها الولاة على عملية البيع والشراء .

وعلى كل حال ليست لدينا اشارات صريحه عن حجم التجاره الداخليه في العراق في العهد العثماني الاول الا اننا نستطيع القول بان (الخانات) الكبيره في المدن كانت تتاجر بما ينتجه البدو في الصحراء والفلاحون في المزارع والحرفيون في المدن [(١)]، من منتوجات حيوانيه وزراعيه وحرفيه ، كالصوف والوبر والجلود ومنتجات الالبان والحنطه والشعير وسائر انواع الحبوب الاخرى والتمور والمعدات الزراعيه والمنسوجات وربما كانت عمليه المقايضه هي السائده في تلك الاسواق بشكل مباشر او بالواسطه .

ومن الجدير بالاشاره هنا ان كل مدينه كانت لها تقاليدها الخاصه في ممارسة العمليات التجاريه فلها رسومها وموازينها ومقاييسها ومكاييلها الخاصه بها [(٢)]. وتشير حركة السوق الى ان المنتجات الزراعيه والحيوانيه كانت احيانا تسد حاجه السوق المحليه بل كان هناك فيض منها بدليل ما يشير اليه بعض السواح عن وفرة المنتجات

---

(١) يذكر تاكسيرا في عام ١٦٠٤ م ، ان بغداد كان فيها ما يزيد على اربعة آلاف نول لحياكه الاقمشه الصوفيه والقطنيه والحريريه ومنسوجات الكتان . انظر : جعفر الخياط ، مشاهدات تاكسيرا ، ص ١٤٥ .

(٢) انظر بحث الموازين والمقاييس ، ص ٤٣٤ في هذا البحث .

الغذائيه المطروحه في اسواق المدن الكبيره (١)، وهو دليل ايضا على ضعف التجاره الخارجيه وخمول الفعاليات والنشاطات في هذا المجال ، واحيانا اخرى كانت المنتجات تقل الى درجه تسبب المجاعه والقحط بسبب الكوارث الطبيعيه المتكرره (٢).

---

(١) ذكر نيوبري عام ١٥٨٣م ، ان في البصره مخازن كبيره للقمح والرز والتمور وهي تمون بغداد وكل الاقطار الاخرى مثل هرمز ، بل وكل اجزاء الهند .

Beazley, op. cit., Vol. I., P. 311.

ويذكر انتوني جنكسون ١٥٩٩م ، ان مخازن بغداد الكبيره مليئه بالتمور الذى يباع بالامنان .

Anthony Jenkinson and Other Englishmen, Early Voyages and Travels to Russia and Persia , Edited by E. Delma Morgan and C.H Coote, Vol. II., London, 1886, P. 411.

وذكر Manrique ان جميع مشتقات الحليب من زبد وجبن وقشطه وكل انواع الفاكهه والرطب الطازج متوفر بكميات كبيره على طول الطريق بين مندلي وبغداد . انظر :

Fray Sebastien Manrique, Travels of Fray Sebastien Manrique, (1629-1643) Vol. II, Edited by C. Eckford Luard and H. Hosten, Oxford, 1927. PP. 367-370.

(٢) انظر : ص ٣٦١ هامش ٢ ، ٣ .

## الطرق التجارية الداخلية :

### ١- الطـرق البريـــة :

كانت الطرق التجاريه الداخليه في العراق تنقسم الى بريّه ونهريه .فالبريه منها لم تكن واضحة المعالم في القرن السادس عشر ولم يرد ذكرها على لسان السواح والتجار ولم تستخدم من قبلهم بشكل منتظم وانما كانوا يفضلون الطرق النهريه عليها دائما في حالة توافرها ،وهناك اشارات الى بعض الطرق البريه التي كانت تربط اجزاء العراق المختلفه بعضها بالبعض الاخر ،الا انها كانت محفوفه بالاخطار(١) ،منها طريق بغداد - البصره(٢) ،وطريق بغداد - الموصل الذي كان يمر بسامراء وتكريت(٣) ،

(١) انظر : ص٣٧٨ من هذا البحث .

(٢) سلكه الشاه اسماعيل عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م في طريقه للقضاء على المشعشعين في اعقاب احتلاله للعراق ،كما طرقه محمد خان تكلو عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م عند مغادرته بغداد هربا من وجه السلطان سليمان القانوني ،كما زحفت عبره قوات بغداد اثناء غاراتها على آل عليان . انظر الفصل الاول ، ص ٥٤ والفصل الثاني ، ص ١٠٢ والفصل الرابع ، ص ٢٩٠ . ومما لا شك فيه ان هذا الطريق كان يستخدم لتبادل السلع المحليه في المدن المجاوره بعضها للبعض الاخر . اما التجاره الرئيسيه بين بغداد - البصره فكانت تتم عن طريق نهر دجله .

(٣) ان هذا الطريق كان يسلكه السواح والزوار بشكل خاص ذهابا وايابا ،اما التجار فكانوا يسلكون الطريق النهري عند ذهابهم الى بغداد والطريق البري عند عودتهم منها ،ان لم تكن معهم سلع تجاريه ،وقد سلكه زين الدين الجبعي الملقب بالشهيد الثاني عندما غادر اسكدار في ٢ شعبان من عام ٩٥٢هـ/١٥٤٥ واستغرقت رحلته الى بغداد ٦٦ يوما بما فيها توقفات الطريق .
الخونساري ، المصدر السابق ، ص٢٩٣ . الشيخ يوسف بن احمد البحراني ، لؤلؤة البحرين ، في الاجازات وتراجم رجال الحديث ، حققه وعلق عليه السيد محمد صادق بحر العلوم ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ، ص٣١ . الشوشستري ، مجالس المؤمنين ، ج ٢ ، ص٥٢٥ .

والطريق بغداد ـ حلوان حيث كان يستخدم لنقل المنتجات الزراعيه للسناجق الشرقيه من ولاية بغداد اليها في الوقت الذى كانت التجاره مع اقليم شهرزور تتم عن طريق بغداد ـ كركوك ـ آلتون كوبرى (١) .

٢ـ الطرق النهريـة :

اما الطرق النهريه فكانت لها اهميه كبيره في التجاره الداخليه اضافة الى انها كانت تساهم في تسهيل التجاره الخارجيه ، واهم هذه الطرق :ـ

الطريق النهرى بين الموصل وبغداد :

يعتبر هذا الطريق من الطرق الرئيسه للتجاره الداخليه مثلما كان هاما في التجاره الخارجيه ايضا حيث كانت تنقل عبره المنتجات الغذائيه من ولاية الموصل وارمنيا بواسطة (الاكلاك)(٢) المصنوعه من الجلود المدبوغه والمنفوخه(٣) حيث يذكر السائح فردريك Fredericke ان القرب كانت تشد بعضها الى بعض باتقان وتطرح عليها الالواح الخشبيه ثم تشحن بالبضائع لتنساب في نهر دجله في طريقها الى بغداد حيث يتم في مراسيها تفريغ السلع التجاريه وتفك عندها الالواح الخشبيه وتعرض للبيع ، اما القرب فانها كانت تفرّغ من الهواء وتنقل على ظهور الجمال الى الموصل ثانيه لتهيئتها لرحله اخرى(٤) وكان على هذه السفن وهي في طريقها الى بغداد ان تجتاز عدة عقبات منها سدّ ضخم في وسط نهر دجله بالقرب من (حمام العليل )(٥)

---

(١) انظر ص ١٢٤ من الفصل الثاني .

(٢) لقد اسماها السواح تسميات غريبه منها : Zattare, Raffes

انظر : Fitch, op. cit., Vol. III. P. 282

(٣) كانت عاده من جلود الماعز .

(٤) Fredericke, op. cit., Vol. iii., PP. 200-201.

(٥) يقال ان الاسكندر المقدوني شيده اثناء حربه مع دارا ملك الفرس .

كان بمثابة شلال كبير يكمن عنده اللصوص للاستحواذ على اموال التجار وسلعهم ، وان استطاعت هذه الاكلاك اجتياز هذه المنطقه بامان فانها كانت تنساب الى تكريت ثم الى الدور فسامراء ثم مرقد الامام موسى الكاظم حيث يقوم بعض التجار بتهريب سلعهم واموالهم عن طريق وسطاء مستعدين لاداء تلك المهام لقاء عموله وذلك تخلصا من الرسوم القادحه التي كان عليهم دفعها في دار الكمرك الى العثمانيين . وهكذا لا يصل من كامل السلع التجاريه الى بغداد الا جزء يسير منها حيث يقوم رجال الكمرك بتفتيشها ومن ثم السماح للتجار بدخول المدينه . اما البضائع التجاريه فكانت تسودع في مخازن الكمرك ريثما يدفع اصحابها الرسوم المترتبه عليها ليتمكنوا بعد ذلك من عرضها للبيع (١) .

طريق بغداد — البصره النهري

كان هذا الطريق يعتبر الشريان النابض للتجاره الداخليه في العراق وما يترتب على ذلك من علاقه بالعالم الخارجي لا سيما اقطار الخليج العربي والهند . اما السفن التي كانت تمخر عباب نهر دجله بين بغداد والبصره فكانت معظمها شراعيه مصنوعه (٢)

---

(١) تافرنيه ، العراق في القرن السابع عشر ، ص ٧٧ .

(٢) اهم هذه السفن التي كانت تعمل في نهر دجله بين بغداد والبصره وبالعكس فهي

(١) الغاليوت Galliote وهي سفن مؤخرتها مغطاة ولا تحتاج الى منضخه لسحب المياه منها بسبب طلائها بمقادير كبيره من الزفت .

(٢) الدانق : وهي سفن مصنوعه من الواح جوز الهند مشدوده بعضها الى بعض بالحبال ومطليه بسمك ثلاث بوصات بالقار .

ومن السفن الاخرى التي كانت شائعه الاستعمال في نهر دجله وشط العرب والمحيط الهندي ، والبلم والدنبك والشختور والكعد والمشحوف ، التي كانت تمخر عباب الخليج العربي البركش : وهي سفن كبيره ، والمغيله : (= =)

بطريقة بدائية ومطلية بمقادير كبيرة من القار(١) تقطع المسافه في حالة ارتفاع مناسيب المياه في تسعة ايام ، اما في حالة الصيهود فتزداد المده لتصل الى حوالي ثمانية عشر يوما(٢) وعند عودتها وهي محمله بالسلع التجارية من البصره الى بغداد كانت تستغرق رحلتها اكثر من اربعين يوما ، وعلى سبيل المثال فان رحلة السائح فردريك Fredericke في عام ١٥٧٩م استغرقت خمسين يوما(٣) ، في حين قطعت قافلة السائح جون الدرد J.Eldred النهريه التي كانت تضم سبعين سفينه شراعيه يسحب كل واحدة منها اربعة عشر رجلا(٤) المسافة في اربعه واربعين يوما(٥) ، وكان لا بد للقافلة

(=) انظر :

Fredericke, op.cit., Vol. III., P. 202.

Fitch, op. cit., Vol. III., P. 283.

كاظم الدجيلي ، مجله لغه العرب ، السنه الثانية ، ج ٣ ، ايلول ١٩١٢ ، ص ص ٩٧ ــ ١٠٢ .

(١) حيث يتوفر القار بكميات كبيره في هيت وعيونها كانت تسمى (ابواب جهنم)

Fredericke, op. cit., Vol. III., P. 203.

Fitch, op. cit., Vol. III., P. 283.

The voyage of M. John Eldred to Trypolis in Syria by Sea and from thence by Land and river to Babylon and Balsara(1583) in the Richard Hakluyt voyages, Vol.III., Last reprinted, London, 1962. P. 327.

(٢) في حين استغرقت رحلة تافرنيه عام ١٦٣٨ بين بغداد والبصره عشره ايام .

تافرنيه ، سفرنامه تاورنيه ، ص ٢٢٦ .

Fredericke, op. cit., Vol. III., P. 265.

Eldred, op. cit., Vol. III., P. 327.

يذكر Ralph Fitch في هذا الصدد ان رجالا اشداء كانوا يجرون السفن بين البصره وبغداد بواسطة حبال غليظة ضد التيار وكان السفر لا يتم الا عندما تنتهي حوالي ثلاثين سفينه مستعدة للاقلاع .

Fitch, op. cit., Vol. III., P. 315.

Eldred , op. cit., Vol. III., P. 327.



النهريه من ان تتوقف عده مرات على طول شاطئ نهر دجله في مراكز معينه لدفع الرسوم على البالات التجاريه[1] وكانت القرنه المركز الرئيسي لها جميعا حيث تقيم فيها حامية تركيه لاستلام الرسوم والضرائب .

ومن بين من سلك هذا الطريق في وقت مبكر من القرن السادس عشر هو الرئيس التركي سيدي علي حيث انحدر من بغداد عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م فوصل سلمان الفارسي ثم فوهه العماره[2] فواسط وزكيه ومنها الى البصره[3]. وكذلك كاسبارو بالبي الذي قصد البصره عام ١٥٨٠م والذي يذكر ان نهر دجله عند العماره كان ينقسم الى قسمين احد هما يجري نحو الفرات والآخر نحو البصره[4]، واكد تافرنيه في رحلته بين بغداد والبصره في عام ١٦٥٢م قوله ان نهر دجله ينقسم جنوب بغداد الى قسمين احد هما يجري باتجاه كلده (وهو الشرقي) والثاني باتجاه ما بين النهرين (القسم الغربي) وقد سلك السائح الفرع الشرقي الذي يمر بكوت العماره والمجر والعزير والقرنه ثم البصره[5].

---

(١) Fredericke, op. cit., Vol. III., P. 203.
Eldred, op. cit., Vol. III., P. 326.

(٢) فوهه العماره اصطلاح كان يطلق على نهر دجله ابتداء من جنوب الكوت الخاليه حتى التقائه بنهر الفرات في القرنه .

(٣) يعقوب سركيس، مباحث عراقيه، ق١، ص ٢٩٦ نقلا عن مرآت الممالك، وهي رحلة السيد علي بالتركيه .

(٤) نفس المصدر، ص ٢٦٥ نقلا من رحله كاسبارو بالبي .

(٥) تافرنيه، العراق في القرن السابع عشر، ص ٩١ ، تاورنيه، سفرنامه تاورنيه، ص ٢٢٦ وعلى ما يبدو ان الفرعين كانا صالحين للملاحه وقد فضل السائح الفرع الشرقي منهما لاجتناب القتال الذي كان سائدا بين العشائر العربيه ووالي بغداد في الفرع الغربي على حد قول السائح نفسه .

اما السلع التي كانت تنقل عبر هذا الطريق النهري فكانت معظمها من منتجات الهند ، وكان قسم منها من السلع الاوربيه التي ياتي بها السواح عبر الطريق الصحراوي من حلب لبيعها في البصره او نقلها الى الهند لمقايضتها بالسلع الشرقيه .

التجاره الخارجيه

يتضح لنا من الدراسات التاريخيه الدقيقه عن التجاره في العهد الايلخاني في العراق (( انها لم تكن كبيره وان بغداد كانت مركزها الرئيسي وكانت المدن الاخرى تبدو ذات مركز ثانوي تجاهها )) [1] . وافادتنا تلك الدراسه بان العلاقات التجاريه مع ايران وتركستان والصين توثقت في ذلك العهد وكان ازدهارها على حساب تدهورها مع سوريا ومصر وبلاد العرب الاخرى بسبب تبعيه هذه الاقطار الاخيره لدولة المماليك التي كانت تكن لها الدوله الالخانيسة العداء [2] . واستمرت العلاقات التجاريه على هذا النمط طيلة العهود التي اعقبت الفترة الايلخانيه [3] .

وباستيلاء الصفويين على العراق عام ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م تحول هذا القطر من اقليم تابع لدولة الآق قوينلو الى مقاطعه خاضعه للصفويين [4] ، وفي عهدهم ازدهرت التجاره نسبيا بين العراق وايران ونشطت القوافل التجاريه في التوجه الى بلاد الشام بسبب حسن العلاقات بين الصفويين والمماليك الذين تحالفوا ضد الدوله العثمانيه عدوة

---

(١) خصباك ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٣ .

(٣) العهد الجلائري ، وعهدي القره قوينلو والآق قوينلو .

(٤) انظر الفصل الاول ، ص ٤١ من هذه الرساله .

الصفويين[1]، كما تميزت العلاقات الصفويه البرتغاليه بالصداقه والود طيلة القرن السادس عشر[2] وهذا يعني ان السنوات التي اعقبت عام ٩٢١هـ/ ١٥١٥م[3] ولغاية عام ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م[4] تميزت باستمرار النشاط التجارى المألوف في البصره وذلك من خلال العلاقات الحسنه التي سادت بين الصفويين المهيمنين على العراق وبين البرتغاليين المسيطرين على مياه الخليج العربي .

---

(١) انظر الفصل الاول ، ص ٧٤ من هذه الرساله .

(٢) لوريمر ، المصدر السابق ، (القسم التاريخي) ، ج ١ ، ص ص ٦ — ٧ .

(٣) في عام ١٥٠٩ اصبح الفونسو دى البوكرك نائبا لملك البرتغال في الهند ولكي يحافظ على صداقته مع ايران ارسل بعثه برئاسة Miguel Ferreir عام ١٥١٣ الى بلاط الشاه اسماعيل استقبلت بالحفاوه والترحاب الا ان الصفويين بعد نجاحهم في توحيد ايران فرضوا سيطرتهم على جزيرة هرمز بعد قتلهم شيخها الموالي للبرتغاليين الا ان البوكرك سارع لاحباط تلك المحاوله بالتوجه على رأس اسطول في عام ١٥١٥ واستطاع احتلال الجزيره من جديد ولكي لا تتجدد الاطماع الايرانيه في الجزيره مره اخرى ارسل للشاه اسماعيل بعثه اخرى برئاسه Fernao Gemesd Lemos لمصالحته ونجحت الدبلوماسية مقابل تقديم البرتغال بعض سفنها لايران كي يمكنها ذلك من غزو البحرين والقطيف وأن تساعدها في قمع الثورات الداخليه في مكران وان يقوم بينهما تحالف متين ضد الدوله العثمانيه .

Poies Penrose, Travel and Discovery in the Renaissance (1420-1620), fifth Printing, Cambridge, Massochusetts U.S.A., 1967. P. 66.

لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج ١ ، ص ص ٦ — ٧ .

(٤) تاريخ احتلال البصره من قبل العثمانيين ، انظر الفصل الرابع ، ص ٢٧٧ من هذه الرساله .

ولكن يجب أن لا ننسى تناقص التجاره اصلا في منطقة الخليج العربي بسبب توجه معظم الصفقات التجاريه الكبيره وبخاصه التوابل منها الى اوربا مباشرة عن طريق رأس الرجاء الصالح (١) وتعذر وصول القوافل الى بلاد الشام بسبب العداء المستحكم

(١) لقد حاولت البرتغال الوصول الى الهند منذ وقت مبكر من القرن الخامس عشر حيث ارسلت أولى بعثاتها الاستكشافيه في عام ١٤١٦م بقيادة دون بيدرو واعقبتها عده محاولات حتى جاءت محاوله بارثلميو دياز عام ١٤٨٦م الذى وصل الى (رأس الزوابع) في اقصى جنوب أفريقيا الامر الذى شجع الملك يوحنا ملك البرتغال على ارسال شخصين في عام ١٤٨٧م هما الفونسو دو بايفا Alphonso de Paiva وبطرس كوفيلهم Pedro Covlham عن طريق البر لاكتشاف طريق للبرتغاليين الى الهند الا ان الاول لاقى حتفه في الحبشه اما الثاني فانه انحدر الى اليمن ومنها قصد الهند ونزل على ساحل المليبار واطلع عن كثب على تجارة (كوا) Goa و (كاليكوت) وغيرهما من موانئ سواحل الهند . وعند عودته لاقى مصرعه بشكل يكتنفه الغموض في الحبشه الا ان تقاريره ومذكراته وصلت الى يد الملك يوحنا فكانت مكمله لما توصل اليها دياز عام ١٤٨٦م ولما توفي الملك يوحنا توقفت المغامرات البحريه بعض الوقت ولكنها استؤنفت من جديد في عهد خلفه عمانوئيل حيث ارسل في اواخر صيف عام ١٤٩٧م (فاسكو دى كاما) الى بلاد الهند، حيث نجح في اجتياز (رأس الرجاء الصالح) والتقى كما يقول النهروالي بشخص ماهر في شؤون الملاحه والبحر اسمه احمد بن ماجد الذى صاحبه الى الهند .ولم يكن غرض البعثه التجاره وانما الاستكشاف ولكن رغم ذلك عاد (فاسكو دى كاما) بعينات من الفلفل والبهار والاحجار الكريمه ثم توالت الاساطيل التجاريه الى الهند وانهالت على اوربا عبر هذا الطريق الجديد كميات هائله من الفلفل والتوابل وصل ربح بعضها الى ٤٠٠٪ في الوقت الذى انخفضت اسعارها في الدول الاوربيه من ٤٠ بندقيا الى عشرين فقط للقنطار الواحد .كان كل ذلك على حساب خساره الوسطاء العرب في هذه التجاره . هذه التجاره الرابحه شجعت البرتغاليين على فرض هيمنتهم على ساحل المليبار (= =)

بين الصفويين المسيطرين على العراق وبين العثمانيين المستولين على بلاد الشام[١].
مما ادى الى تمركز البرتغاليين تجاريا في المنطقه ونجاحهم في ايصال السلع
الهنديه الى اوربا مباشرة وكسبهم لاسواقها[٢]. لذا فقد الحكام في البصره خاصة

(-) ليس هذا فحسب وانما احتلوا مسقط وواصلوا زحفهم الى صحار عام ١٥٠٧م،
وفرضوا سيطرتهم على جزيره هرمز عام ١٥٠٨م حيث غدا البوكرك عام ١٥٠٩ نائبا
لملك البرتغال في الهند واصبحت السياده للبرتغاليين في الخليج العربي
طيلة القرن السادس عشر. للاستزاده عن هذا الموضوع يراجع:

Laurence Lockhart, The Navey of Nadir Shah, London, 1936, P. 4.

Penrose, op. cit., P. 48.

لوريمر، المصدر السابق، القسم التاريخي، ج ١، ص ٤.

احمد زكي باشا، التنازع والتخاصم بين مصر والبرتغال على احتكار تجارة الهند
مجلة المقتطف، السنه ١٥، ج ٣ وج ٤، ص ص ٣٤٣، ٣٤٨.

الدكتور احمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، بيروت،
١٩٧٠، ص ٢٢.

قطب الدين محمد بن احمد النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني،
الرياض، ١٩٦٧م، ص ص ١٨ - ١٩.

جورج فاضلو حوراني، العرب والملاحه في المحيط الهندي، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٢٣٧.

Arnold T. Wilson, The Persian Gulf, London, third impression, 1959, P. 117.

(١) لقد احتلت الدوله العثمانيه سوريا عام ١٥١٦م.

(٢) الدكتور ابراهيم احمد العدوى، الصراع بين الامه العربيه والاستعمار الجديد،
القاهره، ١٩٦٩، ص ١٣.

وسائر انحاء العراق عامة مدخولاتهم المتأتيه من الرسوم التجاريه . ليس هـــذا
نحسب وانما فقد المواطنون فيها مدخولات كانت تدّر عليهم من جراء ممارستهم
لفعاليات لها علاقه بالشوؤن التجاريه (١)، حيث ان التجار وكتبتهم والبحاره وبناه
السفن والسماسره (( والكروانيه )) ومتعهدى الشحن والتفريغ كل هوءلاء اخـــذوا
يقاسون بشكل متفاوت من قله المدخولات اضف الى ذلك ما اخذ يعانيه اصحاب
الحوانيت في الاسواق من بائعي الاقمشه والمواد الغذائيه والتوابل ، وكذلـــك
الوسطاء لانهم كانوا بشكل او بآخر مرتبطين بالتجاره الهنديه الاوربيه (٢). ولكـــي
يتلافى الحكام المحليون نقص الرسوم بادروا الى زياده الضرائب التقليديه وتفننوا في
فرض ضرائب جديده لم يسلم منها حتى جامعوا فضلات الحيوانات (٣) لذا تدهورت
اقتصاديات المنطقه وشاع امر تزييف العمله وهبط سعر البعض منها الى ٧٠ ٪ مــن
قيمته الاصليه . ولا بدّ لنا من الاشاره هنا الى ان قلة المدخولات وما ترتب عليهــا
من تدهور في الحياه الاقتصاديه في العراق حدث في الفتره التي سبقت استحواذ
العثمانيين عليه (٤) .

ومن الجدير بالذكر ان البرتغاليين حاولوا منذ ان كان العراق تابعـــا
للصفويين الاستفاده مره اخرى من الطرق البريه وبخاصه طريق البصره ـ حلـــب
بعد ان ادركوا اهميتها لقصره من جهه وللعمل على احتكار كل الطرق التجاريه المؤديـه
الى الهند وتمثلت تلك الرغبه في محاوله Antonio Tenreiro البرتغالي

---

(١) J.H. Parry, The Age of Reconnaissance London, 1963. PP. 42-43.

(٢) Stripling, op. cit., P. 15.

(٣) Ibid, P. 15.

(٤) Ibid, P. 16.

اليهودي عبور الصحراء السوريه من حلب الى البصره عام ١٥٢٣م ومنها باشر بدراسة الطرق البريه بين هرمز وتبريز ثم عاد الى البصره وسلك طريق وادي الفرات الى البحر المتوسط عام ١٥٢٨ وهو اول برتغالي يفعل ذلك[١] وكان يحمل رساله مستعجله من حاكم هرمز الى ملك البرتغال بخصوص ذلك[٢] ولكن ظهر له رغم قصر الطريق انه محفوف بالاخطار الطبيعيه والبشريه[٣].

(١) Penrose, op. cit., P. 67.

(٢) Christina Phelps Grant, The Syrian Desert Caravans, Travel and Exploration, London, 1937. P. 83.

(٣) آ - تحمل سفن التجار في البحر المتوسط صنوف الاهانات من كلا الاسطولين الاسباني والعثماني قبل وصولهم الى الساحل العربي .

ب - تعرض القوافل التجاريه التي تعبر الصحراء السوريه الى العراق الى اخطار البدو وما يعانونه من مشقه في الطريق بسبب قساوة الطقس وشحة المياه

حـ - بدائية السفن الصحابيه التي كانت تمخر عباب نهر دجله بين بغداد والبصره او التي تمخر من البصره الى الهند والتي كانت تثبط همة حتى اصلب الرجال بأسا .

انظر :

Penrose, op. cit., PP. 196-197.

Fredericke, op. cit., Vol. III., P. 203.

وعندما فتح العثمانيون بغداد عام ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م والبصره عام ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م دخلوا في صراع مباشر مع البرتغاليين لطردهم من منطقه الخليج العربي وذلك لإعادة الحياة الى الطريق التجاري المؤدي الى الهند عبر البلاد العربيه التي اصبحت في حوزتهم [١]. الا ان محاولاتهم تلك لم تثمر بسبب هيمنة البرتغاليين [٢] على منافذ وسواحل الخليج العربي من جهة ومحاولات الصفويين الاستفزازيه في خلق المتاعب للعثمانيين في منطقه البصره بل وعلى طول الحدود العثمانيه الايرانيه طيله النصف الاول من القرن السادس عشر من جهه اخرى [٣] اضافه الى مشاكل الدوله العثمانيه في اوربا والبحر المتوسط [٤]، كل ذلك ثبط عمتهم من الاستمرار في ملاحقه البرتغاليين في مياه الخليج العربي ٠

ولكن رغم كل ذلك بدأ في الافق ما يشير الى بعث الحياة في الطريق البرى عبر العراق في النصف الثاني من القرن السادس عشر عندما تحسنت العلاقات

---

(١) Cengiz Orhonlu, XVI asrin iik yarisnda Kizildeniz Sahulerinde Osmanlilar, Tarih Dergisi, Istanbul-Universitesi, Edebiyat Falkultesi Sayi 16 ( Istanbul, 1962), P. 23.

(٢) انظر بحث الصراع العثماني البرتغالي في الفصل الرابع ، ص ٢٨٤ من هذه الرساله

(٣) انظر بحث مشاكل الحدود الايرانيه العثمانيه ، الفصل الرابع من هذه الرساله ٠

(٤) الحروب الكثيره التي انشغلت بها الدوله العثمانيه والتي انتهت بمعركة ليبانتو البحريه الشهيره عام ١٥٧١م وسببت اندحار العثمانيين ٠

الايرانيه العثمانيه بموجب المعاهده المعقوده بين الدولتين عام ١٥٥٥م[1] . وعندما توقفت الحروب مع اوربا عامه وجمهورية البندقيه خاصة بموجب المعاهده التي عقدت بينهما في عام ١٥٧٣م[2] ، اضف الى ذلك محاولات التجار الانكليز للحصول على امتيازات تجاريه لهم في الدوله العثمانيه[3] ، تلك التي اثمرت في عام ١٥٨٠م عندما حصلت شركة الشرق الادنى Levant Company على امتياز من السلطان العثماني للمتاجره مع البلاد العثمانيه ، ذلك الامتياز الذى ثبّت عام ١٥٨٣م واصبح نموذجا لما اخذت تطالب به انكلترا خلال قرنين من الزمن بعد ذلك من امتيازات واصبحت فاتحه

---

(١) لقد تم الصلح بين الدولتين في اعقاب حرب بينهما في عام ٩٦١هـ/ ١٥٥٣م واستمرت المساعي حتى عقدت معاهده عام ١٥٥٥م في اماسيا .

(٢) صلح ليبانتو الذى اعقب معركة ليبانتو عام ١٥٧١م حيث قبلت البندقيه صلحا مهينا مع العثمانيين رغم انتصارها في المعركه وذلك لايجاد الجو الصالح المباشر لنشاطها التجارى في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وجهات الامبراطوريه العثمانيه الاخرى .

A.J. Grant, A History of Europe from (1494-1610)
London, 9th Edition, 1961. P. 223.
Creasy, op. cit., P. 222.

(٣) كان منها تلك المحاوله المبكره في عام ١٥٥٣م عندما حصل جنكسون على امتياز من السلطان سليمان القانوني بالتجاره مع الدوله العثمانيه على قدم المساواة مع التجار الفرنسيين والبنادقه . الدكتور زكي صالح ، بريطانيا والعراق ، حتى عام ١٩١٤ ، الطبعه الاولى ، (بغداد ، ١٩٦٨) ، ص ٣٥ .

(٤) للاستزاده يراجع البحث القيّم الذى كتبه :
الدكتور عبد الامير محمد امين ، المنافسه بين الشركات الانكليزيه ، مجلة كلية الاداب ، العدد السادس ، (بغداد ، نيسان) ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠٧ .

Alfred C. Wood, A History of the Levant Company, London,
Second Impression, 1964. PP. 14, 76.

لوضع اللبنة الاولى للتجاره الانكليزيه في جميع انحاء الامبراطوريه العثمانيه والعراق جزء منها[١]. وفي خضم هذه التطورات التي شهدتها المنطقه أفلح افراسياب[٢] في شراء منصب حاكمية البصره من واليها العثماني الذي عجز عن ادارتها بسبب شحة موارده وبذلك تهيأ للبصره رجل دؤوب، ومثابر نشيط، وتاجر لا يكل، عمل بعزم ورغبه في بناء المدينه من جديد واعاد الحياة الى مينائها الذي تدهور بسبب تحول التجاره الشرقيه عنها مقدما الخدمات النافعه للتجار المحليين والامتيازات للاجانب الذين سمح لهم بتشييد مراكز وكنائس في المدينه[٣]، لذا غدت البصره تستقبل سيلا من التجار ومن السلع الشرقيه والغربيه، فتحسنت تجارتها وقصدها التجار من سائر انحاء العراق ومن حلب لشراء ما يحتاجون اليه من سلع شرقيه وكان لهذا التطور في البصره تأثيره على تجارة بغداد حيث شهدت اسواقها نشاطا ملموسا وان لم يكن يضاهي الحركه التجاريه في البصره . كما يجب ان لا ننسى في هذه الفتره تأسيس شركة الهند الشرقيه[٤] الانكليزيه والتي اخذت تتاجر مع الهند والاقطار المجاوره لها وبخاصه اذا

---

(١) صالح، المصدر السابق، ص٣٦ .

(٢) انظر بحث افراسياب في البصرة، الفصل الرابع، ص ٢٩٦ من هذه الرساله .

(٣) Hermann Gollancz, Chronicle of Events between the years (1623-1733) Relating to the Settlement of the order of Carmelites in Mesopotamia (Bassora), (London, 1927), P. 329.

(٤) تأسست شركه الهند الشرقيه الانكليزيه رسميا في ١٦٠٠/١٢/٣١، اي في آخر يوم من آخر شهر من القرن السادس عشر، انظر:
دكتور غانبابا بياني، تاريخ عمومي ودور تفوق وبرترى اسبانيا (- -)

اخذنا بنظر الاعتبار ما كانت ترسله هذه الشركه من كميات كبيره من الذهب والفضه الى الشرق سنويا لدفع قيمة مشترياتها من السلع الشرقيه التي كانت تفوق كثيرا صادراتها اليها[1]. لذا ادى ذلك الى انتعاش التجاره في هذه الفتره في منطقتي المحيط الهندي والخليج العربي وما يجاورهما[2]. وبعد سقوط هرمز عام[3] ١٦٢٢م على ايدي

(= =) (١٥٥٩ - ١٦٠٠) جلد اول ، تهران ، ١٣٣٩ شمسي .

صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي ، رسالة ماجستير ، بغداد ١٩٧٤، ص ٢١ نقلا من :

India office Records, List of Marine Records of the Late East India Company, and of Subsequent Date, Reserved in the Record Department of the India office London, 1896, P. IV,

(١) محمد امين ، المنافسه بين الشركات الاجنبيه ، ص ٢٠٧ .

(٢) للاستزاده عن اهتمام بريطانيا التجاري بمنطقه الخليج العربي يراجع :

Abdul Amir Amin, British Interests in the Persian Gulf, Leiden, 1967.

(٣) كانت جزيرة هرمز منذ احتلالها من قبل البرتغاليين في عام ١٥٠٨م ولمدة قرن تقريبا سوقا تجاريه زاخره بالثروه والمال فكانت البضائع تتوارد عليها من الصين وجزائر الهند الشرقيه وسيام والهند وتستبدل تلك البضائع بالحرير الايراني والخيول العربيه ولآلئ البحرين .

ريدر بولارد ، بريطانيا والشرق الاوسط من اقدم العصور حتى عام ١٩٥٢ ، ترجمه حسن احمد السلمان ، مطبعه الرابطه ، بغداد ، ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ، ص ١٢ .

الايرانيين واسطول شركه الهند الشرقيه الانكليزيه (١) ، سارع البرتغاليون الى تأسيس مركز لهم في البصره ونقلوا اليها كثيرا من السلع الهنديه مما سبب انتعاشا واضحا في تجارتها الامر الذى ادى بموظفي شركة الهند الشرقيه في بندر عباس الى التعاون مع الايرانيين مره اخرى للضغط على حكومة البصره وذلك لطرد البرتغاليين من مياهها الا ان علي باشا افراسياب ارسل كتابا شديد اللهجه الى رؤساء شركه الهند في سورات (٢) يعلمهم عن مشاركه موظفيها واسطولها في المياه القريبه من البصره مع الايرانيين في فرض الحصار على المدينه وذكرهم بصداقة حكومتهم مع السلطان العثماني وهددهم بوخامة النتائج المترتبه على تعاونهم ذلك (٣) ، واثمرت رسالته حيث طلبت الشركه من

---

(١) A very, op. cit., P. 16.

انظر بنود الاتفاقيه التي وقعت بين ممثلي شركة الهند الشرقيه وبين الدوله الصفويه بشأن اقتسام غنائم جزيرة هرمز في :

Arnold Wright, Early English Adventures in the East, London, 1914, P. 250.

وذكر الدكتور عبد العزيز سليمان نوار بان جزيره هرمز سقطت على يد الشاه عباس الثاني وهو خطأ واضح لان شاه ايران عام ١٦٢٢ كان عباس الاول الملقب بالكبير ه انظر كتابه : المصالح البريطانيه في انهار العراق ١٦٠٠ ـ ١٩١٤م ، القاهره ، ١٩٦٨ ، ص ١٢ .

(٢) المقر الرئيس لشركة الهند الشرقيه في الهند .

(٣) William Foster, The English Factories In India (1624-1629), A Calender of Documents in the India office and British Museum, Oxford, 1909, P. 32.

وقد ذكر علي باشا في رسالته بانكم ستساعمون في احتلال البصره ومن ثم تقدمونها لقمه سائغه للايرانيين كما فعلتم في السابق مع هرمز ، (( وتخرجون من المعمعه بخفي حنين )) .

وكلاهما سحب الاسطول وبذلك ضاعت من الايرانيين فرصه كانوا تواقين اليها منذ حين (١). ومن جهه اخرى استغلت الشركه تلك المراسله وحاولت التقرب من حكام البصره مباشرة لا سيما بعد ان وجدت تجاراً ايرانيين وارمن يحققون ارباحا طائله من جراء اشتغالهم في التجاره بين الهند والبصره وكانوا في تجارتهم يستخدمون سفن شركه الهند الشرقيه (٢)، لذا ارتأت الشركه ان تستفيد بشكل مباشر من تلك التجاره الرابحه فأرسلت أول سفينه لها الى البصره عام ١٦٣٥م ورغم أنها لم تستطع تحقيق ارباح مضريه بسبب المنافسه البرتغاليه التي اتسمت بروح العداء حيث بادر البرتغاليون الى ارسال اسطولهم التجاري من مسقط الى البصره واغرقوا سوقها بمختلف السلع الشرقيه وذلك قبل وصول السفينه الانكليزيه اليها ، ورغم ذلك أصر تجار الشركه على الاستمرار في التجاره مع البصره وحاولوا (٣) الحصول على امتيازات

---

(١) لقد اضطرت القوات الايرانيه الى الانسحاب من منطقه البصره لعدة اسباب منها :

١- انسحاب الاسطول الانكليزي وتلكوءه في تقديم العون لها .
٢- وصول خبر وفاة الشاه عباس اثناء الحصار عام ١٦٢٩م .
للاستزاده انظر بحث أفراسياب في الفصل الرابع ، ص ٢٩٦ .

(٢) William Foster, The English Factories, In India (1630-1633), A calender of Documents in the India office , etc. Oxford, 1910, P. 125.

William Foster, The English Factories. In India (1634-1636), A calender of Document, etc. Oxford, 1911, P. 130.

(٣) نجد ان فرع الشركه في ( سورات ) يكتب الى فرع ( ثانا ) بتاريخ ٣ شباط ١٦٣٦ من جوده التجاره في البصره ويشير الى مبادرته في توظيف الاموال في احمد آباد لهذا الغرض واخبار بان الفرع سيرسل السفينه ( فرنسيس ) ( = )

تجاريه مباشرة من علي باشا افراسياب حاكم المدينه (١) وبعد هذا التاريخ تدفق سيل السلع الشرقيه والغربيه على البصره من مختلف الهيئات التجاريه الا ان سوقها كانت محدوده نظرا لعدم توافد التجار عليها بشكل يتناسب مع كثرة معروضاتها، مما سبب كسادا كبيرا فيها واضطرت رئاسة شركه الهند في سورات أن تكتب الى مركزها في لندن في كانون الثاني ١٦٣٧ لتخبرها بان تجارة البصره غدت كاسده في الموسم السابق حيث خسر التجار حوالي ٢٠٪ من رأسمالهم (٢)، الا انه رغم ذلك صدرت الاوامر بالاستمرار في المتاجره معها ذلك الاصرار الذى حقق ارباحا عاليه في عام ١٦٣٩م (٣)

---

(= =) الى البصره وهي محمله بالاقمشه الهنديه على أمل ان تعود وعلى متنها الجياد والتمور او اللؤلؤ . انظر نص الرساله :

Foster, The English Factories(1634-1636), PP. 174,178.

كانت احمد آباد عاصمة كجرات آنئذ . انظر :

James, Fraser, The History of Nadir Shah London, Second Edition, 1742, P. 34.

(١) لقد أرسلت الشركه السفينه (ميشيل) وعليها بعض موظفي الشركه وهم يحملون رساله وهديه ثمينه الى علي باشا افراسياب حاكمها . انظر ذلك :

Foster, The English Factories, (1634-1636), P. 185.

(٢)

William Foster, The English Factories(1634-1641) A calender of Documents in the India office etc., Oxford, 1912, P.1.

(٣)

Ibid., PP. 135 , 137, 232, 241.

وبانتعاش التجاره في البصره ثانيه نكون قد اتينا الى نهايه بحثنا وهو عام ١٦٣٨ وبين ثنايا مجلدات English Factories بعد هذا التاريخ الكثير المفيد عن نشاط الحركه التجاريه في البصره وهو خارج بحثنا .

بسبب توافد التجار من كل صوب عليها .

## الطرق التجاريه الخارجيه

### ١ - طريق القسطنطينيه - الموصل :

يبدأ هذا الطريق من اسكدار[(١)] وكانت تنقل عبره منتجات الاناضول وبعض السلع الاوربيه لبيعها في بغداد او مقايضتها في البصره بالمنتجات الشرقيه ويصف السائح تافرنيه لنا الطريقه عام ١٦٣٨ قائلا : تمر القافله التجاريه بسيواس وملطيه ومنها تتجه الى اورفا[(٢)] حيث تكثر فيها (الخانات) الخاصه بتأجير حيوانات النقل وبخاصه البغال ، وعلى بعد خمس عشرة ساعه من هذه المدينه تتوقف القافله عند مغاره لاراحة دوابها ثم تواصل السير مدة احدى عشرة ساعه لتصل كهفا يطل على رافد ماء تأخذ فيه القافله قسطا من الراحه وتمكث عدة ايام ريثما تدفع الرسوم المترتبه على السلع التجاريه الى رجال الكمارك العثمانيين ثم تستأنف القافله سيرها لتصل موضع يقال له (كارا) يكثر في السمن وجميع منتجات الالبان وسائر المأكولات والحنطه الاخرى بعدها حي (كوسه سر) التي تخلو من خانات المسافرين رغم اقامة حاميه عثمانيه فيها مكلفه باستيفاء الرسوم الكمركيه الخاصه بمنطقة ديار بكر ، وتواصل القافله سيرها بعد دفع الرسوم الى ماردين ومنها الى (قرا سرا) حيث كانت ملجأ اللصوص[(٣)] والدوحاله التي

---

(١) اسكدار ، الجهه المواجهه للقسطنطينيه في البر الآسيوى .

(٢) الرها أو اديسا .

(٣) استطاع السلطان مراد الرابع بعد عودته من فتح بغداد عام ١٦٣٨م هدم تلك القلاع المنزويه التي كان يلجأ اليها قطاع الطرق ، وعرض الطريق وشيد القناطر واقام فيها حاميه عسكريه لتسهيل مهام سفر التجار ولحمايتهم من قطاع الطرق الذين كانوا يلجأون اليها لسلب السواح والتجار .
انظر : تاورنيه ، سفرنامه تاورنيه ص ١٨٣ .

تليها في نصيبين ومنها تأخذ القافله طريقها الى الموصل ،ويجعل السائح
تمام سكان المناطق الآنفه الذكر من المسيحيين الارمن الذين يقدمون الخدمات
للقوافل التجاريه بالاضافه الى ممارستهم التجاره ايضا ،اما عن الموصل فقال: انها
تبدو جميله للرائي من بعيد ،ولكنها خربه في الواقع ولا اهميه لها سوى كونها
محطه للقوافل التجاريه المارة بها . واكد وجود خانين كبيرين فيها[1] وجاء وصفه
مطابقا تقريبا لما قاله السائح Rauwolff عنها في عام ١٥٧٣م[2] ومن
الموصل تتجه القافله التجاريه الى بغداد عن طريقين برى ونهرى[3].

١- طريق البصره ـ حلب :

وهو طريق صحراوى قصير كان يسلكه معظم التجار القادمين من الهند
وبلاد فارس والذين كانوا يقصدون بلاد الشام والبحر المتوسط دون المرور ببغداد
ومن بين السواح الاوربيين الذين سلكوا هذا الطريق في القرن السادس عشر هو
Antonio Tenreiro وهو برتغالي يهودى عبر الصحراء السوريه من حلب الى
البصره عام ١٥٢٣ وعاد عبر نفس الطريق الى بلاده عام ١٥٢٨[4] وفي عام ١٥٧٣م ،

---

(١) تاورنيه ، سفرنامه تاورنيه ، ص ص ١٨٠ ـ ١٨٣ .
(٢) قال عنها انها مدينه صغيره واسوارها خربه وخنادقها مهجوره واشار الى جسرها المعد لعبور القوافل التجاريه التي تقصد بغداد . انظر كوركيس عواد وفرنسيس بشير ، ملاحق العراق في القرن السابع عشر ، نقلا من رحلة Rauwolff ملحق رقم ٨ ، ص ١٤٢ .
(٣) انظر الطرق التجاريه الداخليه ، ص ٣٨٢ من هذا البحث .
(٤) Grant, Syrian Desert, P. 83.
انظر ملحق رقم ٣ .

سلك هذا الطريق الدكتور راولوف Leon Kart Rauwolff كما سلكه عام ١٥٧٩ بالبي Caspuro Balbi واجتازه في عام ١٥٩٩ انتوني شيرلي Anthony Shirley وجماعته.[١] وفي عام ١٦٠٥ اجتازه تاكسيرا[٢] Teixeira الذي ترك لنا وصفا دقيقا للصحراء وما تعانيه القافله التجاريه من مشاق[٣]. وبعد عام استطاع Casparde Bernardino عبور هذا الطريق عندما بدأ من البصره مارا بالنجف للوصول الى حلب .

ونظرا لتحسن تجاره البصره في عهد اسره افراسياب تزايد عدد الاوربيين الذين اجتازوا هذا الطريق وبات مطروقا من قبل البرتغاليين والبنادقه والفرنسيين ومن اشهرهم في هذه الفتره السائح ديلا فال[٤] Della Valle ١٦٢٥ الذي وصف لنا الطريق بدقه متناهيه واشار الى مروره باعراب آل مهنا قرب قصر الاخيضر وشيخهم ناصر مهنا وابنه ابي طالب اللذين قال عنهما بانهما يستوفيان الرسوم من التجار لمرور القوافل التجاريه باراضيهما لقاء تقديم الحمايه للقافله[٥]، ويشير هذا السائح

---

(١) Grant, Syrian Desert, P. 84.

(٢) وهو برتغالي يهودي ، وكان يتظاهر بانه مسيحي ، كان طبيبا ومضاربا وتاجرا للجواهر . ويمكن اعتباره ايضا مؤرخا ، حيث انه دوّن يومياته بشكل جيد ومفصّل .

(٣) Grant, Syrian Desert, PP. 84-85. انظر كذلك رحلة Teixeira, op. cit.,

(٤) وهو سائح ايطالي اتخذ السفر وسيله من وسائل المغامره في حياته ، وقد عبر الصحراء من البصره الى حلب عام ١٦٢٥ - ١٦٢٦م .
انظر : Grant, Syrian Desert, P. 85.

(٥) يبدو ان هذه القبائل كانت مستقله في مناطقها وكانت لا تخش السلطه العثمانيه ولا تعير لها اهميه ، حيث يقول تاكسيرا انه شاهدهم وهم يقتلون اربعه وثلاثين جنديا عثمانيا ويبادرون الى بيع ملابسهم واسلحتهم جهارا .
سفر الغياط ، مشاهدات تاكسيرا ، ص ١٤٠ .

الى قبائل عربيه أخرى كانت تقيم في صحراء بادية الشام وتستوفي الرسوم من التجار وكان يتزعمهم ابو ريشه [(١)].

وفي عهد الاحتلال الصفوي الثاني للعراق [(٢)] ظهرت بعض المشاكل في وجه القوافل المتجهه من البصره الى حلب او بالعكس، حيث حاول الشاه عباس منعها وذلك لملاحقه البرتغاليين وتدمير تجارتهم من جهة وللاضرار بحكم آل افراسياب في البصره بسبب عدم رضوخهم لتهديداته من جهه اخرى [(٣)]، ويشير السائح (ديلا فال) في هذا الخصوص الى أن خبرا شاع في صفوف القافله عام ١٦٢٥م في البصره، مفاده ان الامير ناصر مهنا سيياد ر الى منع مرور القافله عبر اراضيه بتحريض من الشاه عباس وبمساعدة صفي قلي خان حاكم بغداد [(٤)] الا ان القافله استطاعت المرور بسلام عبر اراضي آل مهنا في ذلك العام [(٥)]، ويترك لنا تافرنيه الفرنسي وصفا دقيقا لهذا الطريق عام ١٦٣٨م حيث يشير الى ان حركه القافله تبدأ في كانون الاول من كل عام من حلب بعد ان تزود بكل ما تحتاج اليه من طعام وماء وكانت القافله التي اشترك فيها تافرنيه تتكون من ٦٠٠ بعير و ٤٠٠ شخص [(٦)]. ويقول هذا السائح أن بين الـ ٦٠٠ بعير فقط كان

---

(١) Della Valle, op. cit., P. 271.
كان زعيمهم في عهد تاكسيرا عام (١٦٠٤م) احمد ابو ريشه وابن عمه دندل، انظر: جعفر الخياط، مشاهدات تاكسيرا، ص ١٤٨.

(٢) (١٦٢٢ ــ ١٦٣٨)، انظر الفصل الثالث، ص ٢٠٤ من هذه الرساله.

(٣) انظر بحث آل أفراسياب في الفصل الرابع، ص ٢٩٦ من هذه الرساله.

(٤) Della Valle, op. cit., PP. 258-266.

(٥) لم يكن في صالح آل مهنا منع القوافل التجاريه لانها كانت تتعاطى منها الاتاوات الاميره.

(٦) تاورنيه، سفرنامه، ص ١٥٧.

خمسون بعيرا محملا بالبضائع التجارية (١)، اما البقية الباقية فانها تحمل لوازم السفر من ماء وطعام وخيام (٢). ونفهم من وصفه للرحله ان القافله تسير قرابة عشرين يوما دون المرور ببئر ماء وربما تضل بعض الاحيان طريق الآبار او تتجاوزها لكون ماء بعضها غير صالح للشرب وهكذا تعاني القافله من العطش . ويشير تافرنيه الى انه صادف قرب بئر ماء بعض الرسل الذين كانوا في طريقهم الى حلب لنقل بشرى فتح بغداد من قبل السلطان مراد الرابع ، وهذا مما جعل قائد القافله يتوغل في قلب الصحراء ويبتعد عن طريق الجيش العثماني المنهوك الذي ربما كان يستولي على الابل والاموال التجاريه (٣)، وعلى بعد ثمانيه ايام من هذه البئر تصل القافله بئرا اخرى يتم عندها جباية الضرائب لصالح شيخ الصحراء (٤)، وبعد معاوده السفر لمده تسعه ايام تصل القافله الى موضع بئر تتوقف عندها القافله بضعه ايام للتزود بالماء لتعاود بعدها السير خمسه أيام لتصل الى قصر الاخيضر (٥) حيث تقيم عشائر آل مهنا (٦)، وبعد مسيره اربعة ايام من هذا القصر باتجاه الشمال الشرقي تصل القافله الى النجف (٧)، وبعد

---

(١) كانت البضائع عبارة عن أقمشه الماهوت الداكنة والمطرزة .

(٢) تاورنيه ، سفرنامه ، ص ١٥٩ .

(٣) لقد علم الكروان باشي ( رئيس القافله ) ذلك من الرسل بعد أن اطعمهم وقدّم لهم الهدايا .

(٤) تاورنيه ، سفرنامه ، ص ١٦٠ .

(٥) يقول تافرنيه : انه حاول الاستفسار من العرب المجاورين عن اصل هذا القصر وتاريخه ولكنه لم يفلح في الحصول على جواب مقنع ، وقد شاهد آثار نهر مرصوف بالطابوق قيل له انه آثار قناة كانت تأتي بالماء من الفرات .

(٦) تاورنيه ، سفرنامه ، ص ١٦١ .

(٧) يصف السائح مرقد الامام علي بقوله : انه كان بسيطا ولا يتعدى ان يكون بناء مربعا يقيم فيه شيخان يتلوان آيات من القرآن الكريم . وهذا يدحض مبالغه المؤرخين الفرس في الاشاده بكثرة التعميرات التي قام بها الشاه عباس والشاه صفي في المرقد ومن المعروف ان رحله تافرنيه جاءت مباشره بعد العهد الصفوي ، ويقول ( = )

مسيرة يومين منها تصل موضعا تدفع القافله فيه اتاوه الى اعراب الصحراء وتدفع اتاوه اخرى بعد مسيره اربعه ايام وهكذا يستمر الدفع كلما صادفت القافله جماعه من البدو عبر الطريق . وقد استغرقت رحله تافرنيه وقافلته ٦٥ يوما (١).

ومن الجدير بالذكر واستنادا الى تقارير الوكلاء الانكليز في البصره في الفتره الواقعه بين ١٦٣٧ — ١٦٤١م ان السلع التجاريه التي كانت تأخذ طريقها من حلب (٢)

(= =) السائح أن في المدينه اربعه آبار مجة المياه وفيها آثار نهر جاف .
تاورنيه ، سفرنامه ، ص ١٦٣ .

(١) تاورنيه ، سفرنامه ، ص ١٦٧ . ان رحله تافرنيه شاذه بسبب الاخطار التي ظهرت في الطريق من جراء فتح السلطان مراد الرابع للعراق عام ١٦٣٨م واضطرار القافله الى تغيير مسارها عبر الصحراء والتوغل الى الجنوب بعيدا عن طريق الجيش العثماني ، أما ما يستغرقه الطريق من وقت في الظروف الاعتياديه فهو ٢٤ يوما . انظر :

Douglas Carrathens, (ed) the Desert Route to India Being the Journals of Four Travellers by Great Desert Caravan Route between Aleppo and Basra, 1745-1751, London, 1929, P. 102.

(٢) تذكر الدكتوره ليلى الصباغ استنادا الى رحله السائح (داربون) الذى زار حلب في القرن السادس عشر بان حلب كانت مخزنا لجميع البهارات والادويه والحرير وغير ذلك من بضائع الهند الآتيه اليها عن طريق الخليج العربي والبصره وهي سوق للبضائع الغربيه الآتيه اليها بوساطة البنادقه والفرنسيين . انظر :
الدكتوره ليلى الصباغ ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني ، منشورات وزاره الثقافه ، دمشق — ١٩٧٣ ، ص ٩٤ .

الى البصره عبر هذا الطريق هي الاقمشه السميكه ذات اللون الاخضر وكذلك الجوخ الاحمر ،وكان سعر القطعه الواحده منها ١١ باونا او ٢٠ ـ ٢١ ليره للذراع المحلي الواحد[1] وكذلك الرصاص الذي كان يباع ب ١٠ ليرات للمن الواحد والزئبق ب ٧٥ ليره للمن الواحد والسليكون ١٣٠ ليره للمن الواحد والقصدير ٥٠ ليره للمن الواحد . اما الاقمشه الثمينه الاخرى والسرج فكانت اسعارها غير محدوده لانها تباع عند توافر الراغبين فقط . اما الزنك والمرجان فاثمانها بخسه ولا رواج لها .

ومما تشير اليه التقارير عن السلع الداخله في التجاره والتي كان لها رواج في البصره ويقدم التجار على شرائها لنقلها عبر هذا الطريق الى حلب هي : الفلفل والكركم ،وصمغ الك ،والنيله ،والسكر ،والاعشاب الطبيه ،والقهوه ،واللبان ،والصبار والمر المكاوي ،ونترات البوتاسيوم واقمشه لاهور ذات الاشكال المربعه والخزف الصيني والشاش .

وكان المفرد ل[2] الواحد من النيله يباع ب ٥٦ ريالا ومن الحرير[3] ب ٢٨ ريالا.[4] اما البضائع الاخرى التي كانت تتوافر في اسواق البصره والتي كان التجار يتهافتون على

---

(١) انظر بحث المقاييس ، ص ٤٢٧ من هذا الفصل .

(٢) انظر بحث الموازين ، ص ٤٢٥ من هذا الفصل .

( ٣ ) انظر بحث الموازين ، ص ٤٣٥ من هذا الفصل

( ٤ )

Foster, The English Factories, (1637-1641), P. 250.

ومن الجدير بالذكر بان شركه الهند الشرقيه الانكليزيه كانت تحمل سلعها من والى اوربا بطريق البحر الا ان التجار المحليين والسواح كانوا يتاجرون بنفس السلع بين حلب والبصره وبالعكس .

بـرائـها شي :

١ـ اللؤلؤ ، وهو يأتي من الخليج العربي وبخاصه البحرين وكونج ومسقط بوساطه المراكب الشراعيه في اواخر شهر تموز او بدايه آب وكانت اسعارها مرتفعه .

٢ـ العمله باشكالها المختلفه وبخاصه الدوكات الذهبيه والريال من فئة الثمانيه و Rex dollars ويتوافر مقدار من هذه العمله الاخيره عند وصول القافله من حلب وتتوافر كذلك السبائك الفضيه والعباسيات او الليرات .[1]

٣ـ الجياد العربيه ، وهي نفيسه وباهضه الثمن ولها انواع بعضها للجرى السريع وبعضها للحموله .

٤ـ التمور ، الطازجه والجافه وتكون جاهزه في نهايه آب .[2]

٢ـ طريق بغداد ـ دمشق

يعتبر هذا الطريق قصيرا قياسا الى طريق بغداد ـ حلب ، الا انه كان محفوفا بالاخطار ، خاصه بسبب محاولات البدو في الصحراء ابتزاز الاموال من التجار ليس هذا فحسب ، وانما ما كانت تعانيه القافله من ندره في المياه وشده في الحراره .
ولكن رغم كل ذلك كانت بعض القوافل الصغيره تأخذ طريقها مباشرة الى دمشق تخلصا من موظفي الكمارك اليهود في حلب ، حيث يذكر السائح التاجر مانريكو Manrique ( ١٦٤٢م ) انه غادر بغداد بصحبه قافله قوامها ٣٠٠ بعير وكان معظم تجارها من الهنود . ويقول هذا السائح ان الهنود اشاروا عليه بان اليهود في حلب لا يتركون شيئا في الانسان لا يفتشونه عدى احشائه حيث يعتقدون بان القادمين

---

(١) انظر بحث النقود ، ص ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ .
(٢) Foster, The English Factories, (1637-1641), P. 251.

من الهند يحملون معهم الاحجار الثمينه والماس واللؤلؤ ، لذا وتجنبا لمضايقاتهم يسلك بعض التجار طريق بغداد دمشق رأسا . وكانت القافله تنتظر عده ايام لتجد الوقت المناسب للشروع بالحركه من بغداد . وبعد مسيره يوم تحط رحالها في الفلوجه حيث تعبر نهر الفرات ثم تتوقف عده ايام ريثما يحضر نواب ابي ريشه لجبايه الرسوم واخذ الاتاوات(١) ثم يتم تعيين الادلاء الذين يبادرون الى قياده الاسطول البرى عبر المحيط الرملي وكانت القافله تحمل ما تستطيع حمله من قرب الماء من نهر الفرات وتترك الفلوجه عاده في الليل ، وفي بعض الاحيان كان الدليل يبتعد عن القافله للبحث عن الآبار ، مما كان يولد التذمر بين افراد القافله وصادف في رحله ( مانريكو ) ان شح الماء عند القافله في اليوم التاسع من السفر وابتعد الادلاء عن القافله للبحث عن الماء ولم يعثروا عليه الا في اليوم الحادى عشر ووصلت حالة اليأس بافراد القافله حدا قرروا معه قتل الكروان باشي ( رئيس القافله ) . ومن الجدير بالذكر أن الطريق الصحراوى بين بغداد ودمشق كان يستغرق اسبوعين(٢) ، وغالبا ما كان يستخدمه العراقيون لنقل التمر الى دمشق(٣) وفي حالات استثنائيه كان التجار يسلكونه ايضا .

٤ـ طريق بغداد ـ حلب

أن معظم التجار كانوا يسلكون طريق البصره ـ حلب مباشره لقصره ، اما البعض الذى كان يقصد بغداد لتجاره له فيها كان عليه الانتظار قرابه اربعه شهور

---

(١) Manrique, op. cit., Vol. 11., 373.

(٢) Ibid, P. 373.

(٣) ابن طولون ، المصدر السابق ، القسم الاول ، ص ٣٨٢ . حيث يقول : وصلت القافله الى دمشق وهي تحمل التمر العراقي في ٢١ صفر / ٩٢١هـ / ١٥١٥م .

او اكثر حتى تتهيأ قافله مناسبه تأخذ طريقها من بغداد الى حلب ، ويوضح لنا السائح فردريك Fredericke الذى سلك الطريق عام ١٥٧٩ م بقوله : انه وجماعته غادروا بغداد بعد ان موّنوا انفسهم بمختلف المأكولات اللازمه (١) وكميات كافيه من العلف للجياد تكفي لرحله لا تقل عن اربعين يوماً (٢) ، ويشير الى انه وجماعته قاموا بشراء الجياد والبغال في بغداد باثمان زهيده للغايه (٣) واستأجروا ٣٢ جملا حملوها بالسلع التجاريه المختلفه كما اصطحبوا معهم ثلاثه رجال لخدمتهم عبر الطريق ، ومما لا شك فيه أن هؤلاء التجار هم جزء من تجار قافله كبيره يترأسها ( الكروان باشي ) الذى يسير بمعدل ٢٠ ميلا في اليوم الواحد ، وتبدأ الرحله عاده قبل بزوغ الشمس بساعتين وتتوقف للراحه والنوم قبل حلول الظلام بساعتين ايضا (٤) . والطريق بناء على وصف السائح كان موحشا للغايه لا يرى الانسان عبره سوى السماء والرمال (٥) وتتخلله

---

(١) يشير السائح الى انه وجماعته اشتروا في بغداد عددا كافيا من الاغنام وختموها باختامهم الخاصه واستأجروا من يعتني بها عبر الطريق لقاء مبلغ ( مدين ) واحد عن كل رأس يعمونه أخرى لقاء ذبحها بالاضافه الى احتفاظه برؤوسها وجلودها واحشائها ، كما اشتروا الرز والتمور والدبس والبصل ويذكر السائح انه وجماعته البالغ عددهم سته اشخاص استهلكوا في الطريق ثلاثه عشر رأسا من الاغنام في رحله استغرقت ٣٦ يوما . انظر : Fredericke, op. cit., Vol. 111., P. 266.

عن المدين : انظر بحث النقود

(٢) من الجدير بالذكر ان رحلة قيصر فردريك استغرقت ٣٦ يوما . Grant, Syrian Desert, P. 84.

(٣) Fredericke, op. cit., Vol. III., P. 266.

(٤) Ibid, P. 266.

(٥) Ibid, P. 266.

مشاكل بشريه وطبيعيه ، فالمشكله الاولى تتعلق بالبدو الذين كثيرا ما يبتزون اموالا فادحه من التجار والمشكله الثانيه هي ابتعاد القافله عن مواضع الابار في الصحراء مما كانت تسبب الكوارث ، وربما تعمد الادلاء بعض الاحيان في الابتعاد عن تلك الابار لقاء ابتزاز مبالغ اضافيه من المال من التجار .

ويبدأ الطريق من بغداد باتجاه نهر الفرات ويكون اجتيازه اما في الفلوجه او قرب هيت او عند عانه حسب رأى الادلاء ووفق مواسم السفر .

ويحدد لنا ( جون الدرد ) حجم القافله التي صاحبها عام ١٥٨٣م بـ ( اربعة الاف ) بعير محمل بانواع التوابل والسلع الشرقيه الاخرى وقد استغرقت رحلته بين بغداد وحلب اربعين يوما كانت القافله فيها تسير بمعدل بين ٢٠ ـ ٢٤ ميلا في اليوم الواحد (١) ومده السفر بين بغداد وهيت ثمانيه ايام تتجه القافله بعدها الى عانه ثم منها الى الرحبه لتباشر بقطع الصحراء حيث لا ماء ولا زرع حتى قرية العقلاء (٢) في الاراضي السوريه ثم الى الملوحه حيث يجبي فياض ابو ريشه الضرائب من التجار ، (٣)

---

(١) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 327.

(٢) Ibid, P. 327.

(٣) يصف لنا السائح ديلا فال Della Valle الذى قطع طريق حلب ـ بغداد عام ١٦١٦ مدينه عانه بقوله : انها مدينه تصل طولها الى خمسة اميال ، ويقول ان ابا ريشه امير الصحراء يملك فيها دارا كبيره الا انه لا يقيم فيها وانما يتجول في الصحراء لجبايه الرسوم من التجار .
انظر : رحله ديلا فال من حلب الى بغداد ، نشرة الاحد ص ص ٣٨٤،٣٥١ .

تتجه القافله الى جبرين ومنها الى حلب(١)

ومن جهة اخرى فان القوافل القادمه من حلب الى بغداد كانت تسلك في بعض الاحيان طريق نهر الفرات ابتداء من مدينة برجك التي يصفها لنا السائح البندقي فردريك في عام ١٥٦٣م بقوله : انها مدينه صغيره تقع على نهر الفرات يتوزع فيها التجار الى مجموعات كل حسب تجارته ويبادرون بشراء او صنع القوارب لنقل سلعهم الى الفلوجه عبر نهر الفرات ، وهذه السفن مستويه القعر تستخدم لرحله واحد فقط(٢)

(١) رحلة ديلافال من حلب الى بغداد ، نشرة الاحد ص ص ٣٠٣ـ٣٠٥ .
وهناك طريق برى آخر الى حلب يبدأ من بغداد باتجاه كركوك ويستغرق ثمانيه ايام ومن كركوك الى الموصل اربعه ايام ومن الموصل الى ماردين ثمانيه ايام ومن ماردين الى اورفا (الرها) سبعه ايام ومن الرها الى حلب خمسه ايام اى يستغرق وقتا امده ٣٢ يوما . انظر :
Carrulhens, op. cit., P. 102.
(٢) لانه من الصعب جدا اعاده هذه القوارب ثانيه الى برجك بسبب طبيعه المجرى المنحدر ، بل يقوم التجار في مدينه الفلوجه بفك اجزاء السفن وتحويلها الى الواح من الخشب يجرى بيعها باسعار زهيده حيث ان الالواح كانت تكلفهم في برجك بين ٤٠ ــ ٥٠ Chickens بينما يبيعونها بمبلغ ٧ ــ ٨ Chickens فقط وذلك لان التجار بعد عودتهم من العراق كانوا يسلكون طريق الصحراء الى حلب ان كانوا محملين بالسلع التجاريه ويسلكون طريق الموصل ان كانوا مجردين منها .
Fredericke, op. cit., Vol. III., P. 199.
Fitch, op. cit., Vol. III., P. 282.
عن العجكن Chickens انظر بحث النقود ، ص ٤٣٢ .

وهي تلائم ضحالة الماء وكثرة الصخور وتعرجات النهر وكان الطريق بين بيرجك والفلوجه يستغرق حوالي ثمانيه عشر يوما (١) في حاله ارتفاع مناسيب المياه ، وحوالي من ٤٠ – ٥٠ يوما في موسم الصيهود (٢). وفي هذا الموسم كان التجار يتعرضون الى مشاكل كثيره منها ارتطام سفنهم بالصخور المبعثره في مجرى النهر . لذا كان عليهم اصطحاب سفن احتياط لتحويل البضائع اليها في حالة تحطمها او ارتكازها في الاوحال ، لانه من الصعب جدا سحب السفن الى الشاطئ لاصلاحها بسبب كثرة اللصوص المنتشرين هناك والمستعدين لسرقة اموال التجار في الليل (٣). ويذكر السائح ( Eldred ) أن الاعراب المنتشرين على طول الشاطئ يقومون ببيع الحليب ومشتقاته وهم لا يقبلون النقود وانما يطلبون السلع بدلها وكانت تستهويهم الاقداح والامشاط

---

(١) Fredericke, op. cit., Vol. III., P. 199.
فيما يجعل رالف فتش Ralph Fitch امد الرحله سته عشر يوما . والواقع انها تتراوح بين ١٥ – ١٨ يوما .
Fitch, op. cit., Vol. III., P. 282.

(٢) يجعل جون الدرد J.Eldred رحلته بين بيرجك والفلوجه ٢٨ يوما
Eldred, op. cit., Vol. III. P. 323.

(٣) Fredericke, op. cit., Vol. III., PP. 199-200.
يبدو أن السلطه العثمانيه لم تكن لها الهيمنه الكامله على كل ارجاء العراق وانما كانت سيطرتها تقتصر تقريبا على بغداد ومراكز المدن الاخرى ، لذا لم تستطع طيلة القرن السادس عشر من وضع نقاط حراسة على طول الصحراء الغربيه بل فسحت المجال امام بدو الصحراء لاخذ الاتاوات من التجار المارين بالصحراء تلك الجبايه التي اضرت بالحركة التجاريه في العراق . وكان قصد السلطه العثمانيه من وراء ذلك كسب البدو الى جانبها لاخماد بعض الحركات المضاده لها في العراق . انظر : بحث محمود باشا جغاله زاده .. في عهد آل الطويل ، الفصل الثاني ، ص ١٧٤ .

والمرجان والكهرب . ويقول عنهم انهم سباحون ماهرون كثيرا ما اتجهوا الى السفن سباحة وهم يحملون الحليب على رؤوسهم ويضيف قائلا كما انهم يقومون بالسرقه اذا تسنى لهم ذلك[1] ويؤكد تاكسيرا في رحلته عام ١٦٠٤م توافد الاعراب الى سفن التجار لبيع منتجاتهم ويقول عنها انها رخيصه للغايه[2].

ومن جهه اخرى كان على القافله النهريه ان تتوقف عده مرات في الطريق بين هيت والفلوجه لدفع الاتاوه لبدو الصحراء حيث يتزعمهم ابو ريشه الذي يعتبر السيد المطلق لكل الصحراء الغربيه ويسيطر على عدة مدن وقرى على طول نهر الفرات[3].

وفي الفلوجه تسعى القافله للحصول على الابل لحمل سلعهم الى بغداد حيث تستغرق المسافه ثماني عشره ساعه[4].

طريق بغداد ـ اصفهان

يبدأ هذا الطريق من بغداد ويمر ببعقوبه ثم مندلي فحلوان ومن هناك عبر جبال زاكروس الى همدان ومنها الى اصفهان عاصمة الدوله الصفويه[5]. وطول هذا الطريق يقدر بمسيرة خمسه عشر يوما[6] وكانت القوافل التي تسلكه تتفاوت في ضخامتها حسب

---

(1) Eldred, op. cit., Vol. III. , P. 323.

(2) Teixeira, op. cit., P. 14.

(3) Fredericke, op. cit., Vol. III., P. 200.

(4) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 324.

(5) لقد غيرت الدوله الصفويه عاصمتها مرتين ، الاولى من تبريز الى قزوين في عهد الشاه طهماسب . والثانيه من قزوين الى اصفهان في عهد الشاه عباس الاول .

Jenkinson, op. cit., Vol. II., P. 411.

(6) في حين نجد ان رحله Manrique استغرقت ٢٧ يوما من اصفهان الى بغداد بما في ذلك توقفات الطريق .

Manrique, op. cit., Vol. II., 368.

العلاقات العثمانيه الصفويه ولكنها لم تكن تنقطع حتى في احرج الظروف فهناك اشاره الى ان قافله كانت تضم سبعمائه من الجياد والبغال كانت محملة بالحرير الفارسي والاقمشه البنغاليه اخذت طريقها من اصفهان الى بغداد عام ١٦٤٢م[1]، اى بعيد احتلال مراد الرابع لبغداد ، وهذا يعني ان حجم هذه القوافل كان يتضاعف في فترات الاحتلال الصفوى للعراق ( ١٥٠٨ ـ ١٥٢٤م ) و( ١٦٢٣ ـ ١٦٣٨م ) الامر الذى دعا بعض الرحاله لا سيما تافرنيه الى القول بان التجاره في بغداد كانت اكثر رواجا في العهد الصفوى منها في العهد العثماني وبخاصة انه زار العراق في العهدين[2]. ومن مشاكل هذا الطريق كثرة اللصوص وقطاع الطرق من الاكراد المنتشرين في الممرات الجبليه ، حيث لم يكونوا يكتفون بالهبات التي تقدم الى رؤسائهم وانما كانوا يحاولون بشتى السبل سرقه الاموال التجاريه ايضا[3]. وتشير رحلة Manrique عام ١٦٤٢م الى ان حدود العراق كانت تمتد الى قمة جبال زاكروس حيث تشير الى نقاط تفتيش مقامه عند الممرات الجبليه لكلا الدولتين

---

(١) Manrique, op. cit., Vol. II. P. 364.

(٢) تاورنيه ، سفرنامه تاورنيه ، ص ٢٢٢ . زار العراق عام ١٦٣٢م اى خلال فترة الاحتلال الصفوى الثاني للعراق وعام ١٦٣٨ و ١٦٥٢م اى بعيد الاحتلال العثماني الثاني ويعزو سبب تدهور التجاره في بغداد الى قتل العثمانيين لعدد كبير من التجار الفرس فيها ابان فتح بغداد عام ١٦٣٨م .

(٣) Manrique, op. cit., Vol. II., P. 366.
يبدو انها نفس المشاكل التي كانت تعانيها تجارة العراق في العهد الايلخاني كما تشير الى ان العثمانيين لم تكن لهم السيطره التامه على منطقه كردستان بحيث تستطيع وضع حد لتجاوزات اللصوص الاكراد . انظر : خصباك ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ . وبحث الامارات الكرديه في الفصل الرابع ، ص ٣٢٠ من هذه الرساله .

الصفويه والعثمانيه تقوم بالاستفسار عن وجهه القافله ، ويصف لنا السائح الخانات (١)
الكبيره (كارمسرا ) في بعض المدن التي تقع على الطريق والتي يؤمها التجار للراحه (٢)
والمتاجره معا .

---

(١) لقد عقدت الدولتان العثمانيه والصفويه معاهده في عام ١٦٣٩م في أعقاب فتح السلطان مراد الرابع لبغداد عام ١٦٣٨م تم بموجبها الاتفاق على نقاط معينه تصبح حدودا لكلا الدولتين منها جصان وبدره وقصبه مندلجين و درتنك ودرنه وجاف وضياء الدين وهاروني تعود كلها للدوله العثمانيه وقلعه زنجير التي تقع في قمة الجبل تهدم والقرى الواقعه الى غربها تصبح للدوله العثمانيه . وكل المصادر الاوليه تشير الى ان حدود العراق كانت تمتد الى شرق الحدود العراقيه الايرانيه الحاليه بمسافه كبيره الا ان الايرانيين تجاوزوا كثيرا على الحدود وتوغلوا في الاراضي العثمانيه المتفق عليها بموجب المعاهده المعقوده بين الدولتين عام ١٦٣٩م والتي ورد في خاتمه النص الفارسي ما يأتي : فمن نكث فانما ينكث على نفسه والسلام على من اتبع الهدى . وورد في خاتمه النص التركي : فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه .
انظر : نص المعاهده باللغه الفارسيه والتركيه في : اسكندر تركمان ومحمد يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، النص الفارسيه ص ص ٢٢٠ _ ٢٢٣ . النص التركيه ص ٢٢٣ _ ٢٢٧ .

(٢) الكارمسرا : عباره عن بناء مربع ذي طابقين ويقسم الى قسمين احدهما خاص للنساء والآخر للرجال وكانت غرفه مجرده من الاثاث لان على التاجر او المسافر توفير كافه ما يحتاج اليه من مستلزمات .
والخان بعض المكلفين بالاشراف على نظافته وتقديم الخدمات للتجار والاهتمام بالحيوانات وتوفير العلف لها .
انظر هامش : Manrique, op. cit., Vol. II., P. 101.

وان اهم السلع التي كانت تجد طريقها الى العراق من ايران او الهند عبر هذا الطريق هي الكشمش والزبيب ( والآلو بخارى ) والكمثرى والمشمش والاجاص واللوز والفستق والنحاس والزرنيخ والكمون والكحل والعصفر والفوة والفولاذ والحناء وبذور البطيخ[1].

## ثالثا ـ الضرائب

آ ـ الضرائب العامه :

اذا ما رجعنا الى الضرائب في العهد الالخاني في العراق لوجدناها امتدادا للضرائب العباسيه وهي ضريبه الارض والخراج وضريبه الرأس وضريبة البيوت والعقارات وضرائب الاسواق والتمغات والقبجور ( ضريبه المراعي ) وحصه الديوان من الاوقاف وما كانت تحصل عليه السلطه من غش النقود ومصادره اموال الموظفين[2]. اما اسلوب جبايتها فكان على ثلاثه انواع : الالتزام ، والجباية المباشرة ، والاقطاع[3].

وفي الوقت الذى لا نملك من النصوص الواضحه التي تشير الى انواع الضرائب في العهد الجلائرى او التركماني في العراق الا اننا نستطيع القول بانها كانت استمرارا لما كان معروفا في العهد الالخاني[4]. ولقصر فترة حكم الصفويين للعراق في فترة احتلالهم الاول له لا نجد من الاشارات الصريحه لنوعية الضرائب التي فرضها هؤلاء على سكان العراق غير انهم لم يغيروا الضرائب التجاريه السائده[5].

---

(١) مستر كرجنسن ، مباحث عراقيه ، ق٢ ، ص ٢٤٥ .
(٢) خصباك ، المصدر السابق ، ص ١١١ .
(٣) نفس المصدر ، ص ١١٤ .
(٤) عباس العزاوى ، تاريخ الضرائب العراقيه ، بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٣٦ .
(٥) نفس المصدر ، ص ٦٣ .

وفي العهد العثماني الاول ، لم تتغير الضرائب كثيرا [1] ، فكانت معظمها شرعيه من الناحيه النظريه ، تقترن بموافقة رجال الدين والمشرعين ، الا ان الولاة توسعوا كثيرا واجتهدوا في جبايتها بحيث اخرجوها عن طابعها الشرعي . فالدولة العثمانيه كانت تعتمد على نظام معقد للغايه للضرائب يحوي مجموعه كبيره من الضرائب المتنوعه التي تفرض على الاشخاص والاراضي والتجاره والحيوانات والمنتجات المختلفة غير ان هذا النظام كان يختلف من ولاية الى اخرى ، بل ومن سنجق الى آخر وكانت تجبى بطرق متعدده [2] . ففي العراق استمرت الجبايه بالاساليب المعروفه وهي الالتزام والجبايه المباشره والاقطاع ، ويبدو ان اكثر الانواع الثلاثه عبء على دافع الضريبه هو الالتزام ، لان الملتزمين موقتون ولسنه واحده [3] ولا هم لهم سوى جباية الضرائب الموكله لهم ، دون ما النظر الى حالة الفرد ووضعه العام . وهم لكونهم موقتين لا يفكرون بمستقبله وامكانية دفعه وكان الملتزمون اما من الحكام العثمانيين انفسهم أو من اصحاب الجاه والثروه المحليين . ومن جهة أخرى ساد النظام الاقطاعي معظم اراضي العراق [4] بالاضافه الى استمرار نظام الجبايه المباشره من بعض الاراضي في مناطق متعدده من العراق وبخاصه اراضي البصره العشريه [5] .

(١) العزاوي ، تأريخ الضرائب العراقية ، ص ٥٠ .

(٢)

Lybyer, op. cit., P. 176.

(٣) لهب ورون ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(٤) انظر موضوع الاقطاع في بحث الاراضي وملكيات الارض الزراعيه .

(٥) ان الاراضي العشريه كانت تعهد عادة الى المسلمين بالتمليك في حالة الفتح لقاء دفع حصه سواء كان غله او مال لا يتجاوز العشره بالمائه الى الدولة .

انظر :

Lybyer, op. cit., P. 31.

وتشير السجلات العثمانيه الخاصه بولايات بغداد والبصره والموصل في مواضع متفرقه الى انواع كثيره من الضرائب شاعت في العراق في عهد احتلالهم الاول لـه الا ان بعض تلك الاشارات مبهمه وعامه ومن دراستها نستطيع القول بان الضرائب كانت تفرض على المزروعات[١] والبساتين والمفروسات المثمره[٢] وعلى دور الضرب والعقارات والبيوت[٣] والمراعي والاغنام والمواشي[٤] وعلى منتجات الباديه وعلى عمليات البيع والشراء وعلى الحرفيين[٥] ورسوم التمغات[٦] والاسكلات[٧] والمعادن والضرائب التي كانت تفرض على الزواج ودفن الموتى وعلى الاشخاص[٨] يضاف الى ذلك ضرائب اخرى كان يتم اقرارها محليا محاولـة

(١) وهذه اما ان تكون خراجيه او عشريه . فالخراجيه منها تتراوح بين ١/١ – ١/٢ من الغلة ، وعن العشرية أنظر الهامش السابق . ويذكر يونس بيك المترجم في البلاط العثمانـي ان واردات الدوله العثمانيه من خراج العراق بلغ ١٥٠,٠٠٠ دوكات سنويا فـي الفتره الواقعه بين ١٥٣٤ – ١٥٣٧م انظر: Lybyer, op. cit., PP.131,179

(٢) وضريبتها كانت تختلف ولكنها كانت الخمس في الغالب .

(٣) ورد بشأنها في السجلات العثمانيه (رسم خانه) .

(٤) الكوده : وهي ضريبه الاغنام وسائر الحيوانات من ابل وبقر وتسمى عند المغـول القبجور . انظر العزاوي ، الضرائب ، ص ١١٤ .

خصباك ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٥) انظر : ص ٤١٩ ، ٤٢٥ .

(٦) ولغتها مغولي ، وهي ضريبه تؤخذ على الاموال التجاريه التي تباع في الاسـواق وتشمل المفروشات والاواني النحاسيه والفضيه والذهبيه .

انظر : العزاوي ، الضرائب ، ص ص ٤٨ ، ١١٤ .

(٧) محطات رسو السفن .

(٨) ضريبة الجزيه . ورد في رساله وجي بك ان الجزيه الشرعيه كانت خمسين اقجـه من الفرد الواحد ، الا انه في ام ٩٩٠هـ/١٥٨٢م صارت ٢٤٠ اقجه .

انظر : العزاوي ، الضرائب ، ص ص ١١٦ – ١١٧ .

بن الولاة والجباة استحدثتها للاثراء السريع على حساب السكان[١].

ومن نماذج الضرائب التي اقرها العثمانيون في العراق تلك الرسوم التي كانت تفرض على النخيل وكانت جبايتها تتم في البصره بطريقة الذرعه على الجريب الواحد[٢] وتلحق بها تثقيلات اخرى : حيث ورد في فرمان مؤرخ في ٢٠ شعبان ١٠٢٧هـ/١٦١٧ خاص بآل باش اعيان في البصره فيما يخص باخذ العشر المجرد من قبل صاحب المقاطعه من محصول املاكهم حيث تقرر في هذا الفرمان اعفاء آل باش اعيان واولادهم نسلا بعد آخر من السخر ( التثقيلات ) التي كانت تؤخذ من ضريبه النخيل[٣]. ويذكر تافرنيه ان ضريبه مقدارها ¾ اللارين[٤] كانت تفرض على كل نخله في سائر انحاء العراق[٥] عدا البصره ، كما ان البساتين كان يؤخذ منها العشر بالاضافه الى السالاريه[٦]. اما

---

(١) Lybyer, op. cit., P. 176.

(٢) انظر بحث المقاييس ، ص ٤٣٨ من هذا الفصل .

(٣) العزاوي ، النخل في تاريخ العراق ، ص ص ٨١ ـ ٨٢ .
نص الفرمان وترجمته العربيه يوجد في كتاب الشيخ صالح باش اعيان العباسي للاستاذ حسون كاظم البصري ( بيروت ، ١٩٤٩ ) .

(٤) انظر بحث النقود ، ص ٤٣٢ .

(٥) تافرنيه ، سفرنامه تاورنيه ، ص ٢٢١ . ويؤخذ قرش على كل ٢ قرشا من بساتين النخيل حينما تضمن . يعقوب سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ٢٥١ .

(٦) السالاريه : او السالبانه : هي متممه لضريبه العشر وتؤخذ مقابل التبن او انها تضع الى الانواع في الوقت الذي تستثنى الحاصلات من ضريبه السالاريه وهي : الحمص والعدس والباقلاء والسمسم والكتان والذره . انظر : العزاوي ، النخل في تاريخ العراق ، ص ٨١ . نقلا عن المجموعه القانونيه التركيه المخطوطه .

اشجار الفاكهه فهناك نصوص تشير الى ان ضريبتها كانت الخمس[(١)] . كما ان هنـــاك ضرائب كانت تفرض على عمليات البيع والشراء للحاصلات الزراعيه مقدارها قرش علــى ما قيمته ٢٥ قرشا[(٢)] .

ومن اشكال الضرائب الاخرى تلك التي كانت تفرض على الاسواق وعلى أصحـاب الحرف فيها . فكان البقالون يدفعون ½ ٦ قرش شهريا كضريبه مهنه والقصابون خمسة قروش والعطارون ½ ٥ والخبازون ثلاثه قروش والطباخون قرشين وثلاثه بغداديـات[(٣)] وبائعوا الخضر قرشا ونصف[(٤)] .

كما ان الضرائب كانت تفرض على المراعي[(٥)] والاغنام[(٦)] والجاموس[(٧)] وحيوانات النقــل

---

(١) السجلات العثمانيه لولايه بغداد ، دفتر رقم ١٠٤٩ ، لوحه ١٢٠ .

(٢) سـركيـس ، مباحث عراقيه ، ق٢ ، ص ٢٥١ .

(٣) انظر بحث النقود ، ص ٤٢٩ من هذا الفصل .

(٤) ورد ذلك في وثيقه مؤرخه في غره ربيع الاول من عام ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م وفي الوثيقه نص يشير الى استمرار الضرائب على ما كانت عليه في السابق .
انظـــر : سركيس ، ق٢ ، ص ص ٢٤٣ - ٢٥٢ .

(٥) انظر السجلات العثمانيه لولايه بغداد ، دفتر رقم ١٠٤٩ ، لوحات ١١٤ - ١٢٠ .

(٦) نفس المصدر ، لوحه ١٢٠ ، ورد بان ضريبه الرأس الواحد ثماني اقجات . بينمـا جاء في رساله (قوجي بك) التي كتبها الى السلطان مراد الرابع عام ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م يتذمر فيها من زياده الضرائب قائلا : ان اقجه واحده عن كل رأسين من الاغنام هي الضريبه الشرعيه ، بينما تمادى الولاه واستوفوا مبلغا يتراوح بين ٧-٨ اقجات في عام ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م . انظر العزاوي ، الضرائب ، ص ص ١١ ، ١١٧ وقدر تافرنيه ضريبه الاغنام في الثلث الاول من القرن السابع عشر بـ ١٠ ســوات فرنسيه . تاورنيه ، سفرنامه تاورنيه ، ص ٢٢٧ .
عن السو : انظر بحث النقود ، هامش رقم ٧ ص ٤٣٠ .

(٧) بلغ وارد البصره من رسوم الجاموس عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م حوالي ٣٢٨٠ اقجـه . انظر : السجلات العثمانيه لولايه البصره ، ٣٤٦ ، لوحه ٨٨

(= =)

السجلات العثمانيه الخاصه بالعراق تشير الى اجماليه رسوم المراعي والمواشي
البهائم المستوفاة من الاملاك الخاصه دون ان تحددها (١).
وهناك ضرائب كثيره اخرى كانت تفرض على المواطنين منها ضريبه الزواج ودفن
الموتى وغيرها من الضرائب التي تجدها مبينه في قائمة في نهاية هذا البحث (٢).

ب ـ الرسوم التجاريه :

كان حكام العراق وشيوخ العشائر يستفيدون كثيرا من الرسوم التجاريه في
العهود التي سبقت الاحتلال العثماني، لان هذا الاحتلال جاء بعيد اكتشاف الطريق
الجديد الى اوربا عبر رأس الرجاء الصالح حيث فقد حكام المنطقه عامه والعراق خاصه
كثيرا من مدخولاتهم المتأتيه من الضرائب التجاريه واقتصرت تلك الضرائب على ما كان
يدفعه فريق من التجار والسواح الذين استمروا يسلكون هذا الطريق مفضلين قصره على
اخطاره.

(=) بينما يقول تافرنيه : انه صادف دفتردارا عثمانيا كان قد قدم العراق لاستيفاء
رسوم الجاموس من المنطقه الجنوبيه وعلم عن طريقه بان رسم الرأس الواحد من
الجاموس هو ١ ½ قرش. وقال الدفتردار ان مجموع الايرادات من ضريبة
الجاموس تقدر بـ ١٨٠,٠٠٠ قرش سنويا في المنطقه الممتده من بغداد
والبصره.

تاورنيه، سفرنامه تاورنيه، ص ٢٢٧.

(١) السجلات العثمانيه لولايه بغداد، دفتر رقم ١٠٤٩، لوحات ١١٤ ـ ١٢٠.
(٢) انظر الملحق رقم ١ من هذا البحث.

ويذكر لنا سيزر فردريك ، ان القافله التجاريه التي تقصد بغداد من حلب عليها ان تدفع الاتاوه الى ابي ريشه[١] على طول الطريق بين برجك والفلوجه[٢] دون ان يحدد تلك الاتـــــاوة[٣]. وذكر رالف فش Ralph Titch ان عدة مدينات[٤] كانت تجبي من كل حمل بعير لصالح ابي ريشه في الصحراء الغربيـــة[٥] وورد ان مبلغ الاتاوه التي كان يتقاضاها هذا الشيخ عن كل حمل بعير في مناطـــق متعدده على طول الصحراء الغربيه يساوى ما قيمته ٤٠ شلنا انكليزيا[٦]. وذكر السائح مانريكو Manrique بان القافله تتوقف في الفلوجه عده ايام ريثما يتم جبايـــة الرسوم لصالح ابي ريشه[٧]. كما ان الضرائب كانت تدفع الى عشائر آل مهنا التي كانت تقطن الى جوار قصر الاخيضر وتتجول في الصحراء الغربيه بين كربلاء والكوفه وتفـرض

---

(١) يسميه ديلا فال Della Valle في رحلته مدلج أبا ريشه .
Della Valle, op. cit., P. 7,6

(٢) المراكز التي كان يجبي فيها أبو ريشه الضرائب هي عانه وهيت والفلوجه ، وكـــان يتقاضى ٨٠٠ ( مايدين ) عن البضاعه التي قيمتها ٢٠ دوكات . انظر :
Eldred, op. cit., Vol. III., P. 340.

(٣) Fredericke, op. cit., Vol. III., PP. 199-200.

(٤) عن المايدين أو المعدن ، انظر بحث النقود في هذا الفصل ص ٤٢٨ .

(٥) Fitch, op. cit., Vol. III., P. 282

(٦) Beazley, op. cit., Vol.I., P. 302.

(٧) Manrique, op. cit., Vol. II., P. 3'3.

ويذكر السائح تاكسيرا في رحلته عام ١٦٠٤م ان ابا ريشه كان يتقاضى ٢٠ دوكـات عن كل ١٠٠٠ رأس من الاغنام الماره باراضيه ، كما يتقاضى خمسه دوكات عن حمل البعير من السلع السامه مثل المنسوجات والتوابل ، ودوكات واحدة عن كل حمل بعير من التمور والعفص . انظر جمال الخياط ، مشاهدات تاكسيرا ص ١٤٢ .

الرسوم على القوافل التجاريه الماره بأراضيها في عده نقاط (١). وقد ذكر الرحاله تافرنيه ان القوافل التجاريه تقدم الهدايا الى زعماء هذه القبيله على طول منطقة سكناهم واشار الى انهم لا يكتفون بذلك بل يلجأون الى ابتزاز الاموال من التجار بشتى السبل ويشير الى ان القافله التجاريه التي كان يصطحبها قدم بعض الهدايا الى زعيم آل مهنا كان بينها سيف ودرع وقطعه من القماش الماهون واقمشه مطعمه بالخيوط الذهبيه واخرى حريريه ، الا ان الشيخ امتنع عن قبول تلك الهدايا وطلب بدلها استبدال مجموعه من اللارينات كان يحتفظ بها بمبلغ ٢٠٠٠٠ قرش ورغم فداحه المبلغ الذى طلبه اضطر تجار القافله بعد مساومات طويله الى دفع نصفه وكل الهدايا السابقه (٢). ويشير السائح ديلا فال Della Valle الى ان اعراب آل مهنا الذى يقطنون قرب قصر الاخيضر وقال ان زعيمهم هو ابو طالب بن الشيخ ناصر مهنا الذى يتقاضى الرسوم من التجار مقابل مرور القافله عبر اراضيه ولقاء تقديم الحمايه لها (٣) ويؤكد السائح ان الاعراب لا يكتفون بما يفرضون من رسوم وانما يصادرون السلع التي تستهويهم (٤).

---

(١) كان ناصر بن مهنا يجبي الرسوم في جهات قصر الاخيضر وعلى مسافه منه يقوم بالجبايه ابنه ابو طالب ، وفي منطقه اخرى كان يستوفي الرسوم ابنه الاخر كنعان .
Della Valle, op. cit., P. 266:

انظر :
Grant, Syrian Desert, P. 83.

يوسف ، ذيل تاريخ عالم آراى عباسي ، ص١٥٦ .

(٢) تاورنيه ، سفر نامه تاورنيه ، ص ص ١٦٠ - ١٦٦ .
(٣) Della Valle, op. cit., P. 263.
(٤) حيث صادر الاعراب كميات من حرير فارس وبعض الصحون والحلى الذهبيه والمجوهرات العائده لزوجه السائح المتوفاة التي كان يعتبرها من بقايا ذكراها ، واضطر على اثر ذلك الى تقابله الشيخ الذى يصفه بانه كان يقيم في بيوت من الشعر ( - - )

هذه نماذج من الاتاوات التي كان يفرضها شيوخ القبائل في الصحراء اما الحكومه العثمانيه فهي الاخرى كانت تفرض الضرائب على السلع التجاريه في نقـــاط محدده منها عده مراكز على طول نهر دجله بين بغداد والبصره ومركز رئيس في القرنه[1] حيث تقيم فيها حاميه تركيه تقوم باستلام الرسوم[2]. وكانت الرسوم الكمركيه في البصـــره تتراوح بين ٣ ـ ٦ ٪ في حالتي التصدير والاستيراد . اما اذا رغب التاجر المـــرور بسلعه عبر الاراضي العراقيه دون بيعها فيه فبامكانه تركها في دار الكمرك دون ان يدفع عليها رسم الدخول انما يدفع فقط رسم المرور[3] البالغ ٣٪ ، وفي بعض الحـــالات كانت السلطات تصادر بعض السلع لقاء الضرائب[4] كما كانت تتفنن في فرض ضرائب متنوعـــه ملحقه بالضريبه الاصليه والتي كانت اكثر اجحافا منها[5] .

ويذكر لنا السائح جون الدرد عام ١٥٨٣م[6] عن وجود دار للمكوس في بغداد ، يتم بوساطتها جبايه الضرائب من القوافل التجاريه ويتعهد احد التجار بجمع المبلغ

---

(= = ) قرب قصر الاخيضر ، ويضيف قائلا ان نسوه الشيخ رفضن اعاده المجوهرات لذا عوضه الشيخ ب ٢٩ قرش فقط بدلا عنها .

(١) Della Valle, op. cit., P. 271.

(٢) Fredericke, op. cit., Vol.III., P. 203.

(٣) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 326.

او ما يسمى بالرفتيه ويضاف اليه حق البواب او الغلمانيه .

انظر : العزاوي ، الضرائب ، ص٦٧ .

(٤) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 331.

(٥) العزاوي ، الضرائب ، ص٦٧ .

(٦) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 327.

ويجعلها تاكسيرا في عام ١٦٠٤م ثلاث دور واحده خاصه بالذاهبين الى ســـوريا والداران الاخريان مختصه بشؤون المدينه وللقادمين والمسافرين من والى جهـــات اخرى . انظر :

Teixeira, op. cit., P. 40.

وتسليمه الى المسؤول العثماني في الدار. وورد (١) ان المسؤلين العثمانيين كانوا يتقاضون مبلغا قدره ٦٪ من قيمه السلع الصغيره التي تدخل في التجاره ويحدد لنا جون الدرد J.Eldred ان ٥ ½٪ كان يجبى من الكهرب والمرجان و ٥٪ من الاقمشه البندقيه والانكليزيه سواء كانت صوفيه او حريريه (٢). كما كان يتم جبايه مبلغ اقجتين عن البطمان (٣) من العسل والجبن والسمن والزيت و ٤ بغداديات عن حمل البرذون (٤) وبغداديين عن حمل الحمار من الفواكه المجففه التي ترد من ايران والاناضول (٥) وهي الكشمش وحب الرقي والزبيب (والالو بخارى) والكمثرى والمشمش والاجاص، كما يجبى قرش واحد عن كل حمل بغل واربع بغداديات عن كل حمل حمار مما يرد من ايران والاناضول من اللوز بقشره والمقشر والفستق والنحاس والزرنيخ (٦).

---

(١) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 327.

(٢) Ibid . P. 329.

(٣) انظر بحث الموازين في ص ٤٣٥.

(٤) البرذون : الدابه وجمعه براذين، والبراذين من الخيل ماكان من غير نتاج العراب، ... وهو الجلد على السير في الشعاب والوعر واكثر ما كان يجلب من الروم. يراجع : ابي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث عشر، دار صادر للطباعه والنشر، (بيروت، ١٩٥٦)، ص ٥١ (باب برذن)؛ محب الدين محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد التاسع، دار مكتبه الحياة، (بيروت ـ ؟)، ص ١٣٨.

(٥) يعقوب سركيس، مباحث عراقيه، ق ٢، ص ٢٤٥.

(٦) نفس المصدر، ص ٢٤٥.

ويذكر العزاوي نقلا من نصوص عثمانيه ان الاتراك في العراق كانوا يتقاضون مبلغا قدره اقجه واحده عما قيمته اربعون اقجه من الدهن والعسل واقجتان عن حمل القماش من الصوف والوبر والخيوط والجوخ والكتان والقطن والقصدير ، واقجه واحده عن حمل الاثمار ويوءخذ عما يوزن بالقنطار(١) اقجتان عن كل قنطار اقجه من البائع واقجه اخرى من المشترى (٢) .

وبين ايدينا وثيقه موءرخه في عام ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٦م عن الضرائب التجاريه في العراق . وفي متنها نص يشير الى استمرارها على غرار ما كان سائدا في العهود السابقه وهذا يدفعنا الى الاعتقاد بان الضرائب التجاريه لم تتغير كثيرا في القرن السابع عشر عنها في القرن الذى سبقه ، وورد في هذه الوثيقه ان اربعه بغداديات توءخذ عن كل فرده(٣) من السلع التاليه وهي السكر والقهوه والفلفل والزئبق والبخور واللبان والدارجيني والحناء والقرفه والفولاذ الهندى والفوة والعسل والهيل والكركم والجوز الهندى وبعض العطريات الاخرى(٤) .

ومن جهه اخرى ليست لدينا معلومات عن حاله الكمرك في العهد الصفوى الثاني ( ١٦٢٣ – ١٦٣٨م ) في بغداد، بل تتوافر المعلومات بعد فتح بغداد من قبل السلطان مراد الرابع عام ١٦٣٨م حيث اوكل كمركها التزاما الى رجل ارمني يدعى سفر لمده ثلاث سنوات على ان يدفع في السنه الاولى ٣٥ الف قرش والثانيه ٤٠ الف

---

(١) انظر بحث الموازين ، ص ٤٢٦ من هذا الفصل .

(٢) العزاوى ، الضرائب ، ص ٥٥ .

(٣) يقصد به الحمل .

(٤) ـــــركيـــــ ، مباحث عراقيه ، ج٢ ، ص٢٤٩ .

قرش والثالثه ٤٥ الف قرش، ويجبي رجاله لقاء ذلك ـ كما ورد في وثيقة البراءه ـ رسوم[1] كمرك بغداد بما في ذلك الاشراف على ميزان الحرير وهو ملحق بخان جغاله زاده[2]، وخان بكر صوباشي، ورسم تحميص القهوه والبنجيك[3] واليوه[4] والبويه خانه[5] والاحتساب[6]. وهناك تسع وثائق مترجمه عن التركيه تخص كمرك بغداد[7] فيها معلومات عامه تتعلق بالالتزام وتنص على منع تدخل الوالي ورجاله في شؤون الملتزم واعطائه مطلق الحريه في تعيين رجاله في نقاط الحدود لولاية بغداد وذلك لجباية الرسوم الكمركيه وهناك تأكيد على حريه الملتزمين في الجبايه.

ومن بين هذه الوثائق واحده مؤرخه في عام ١٠٩٤هـ/١٦٨٦م[8] تشير الى استمرار الرسوم كما كانت في عهد السلطان سليمان القانوني، اي ان تغييرا جوهريا لم يطرأ على رسوم كمارك بغداد وكل ما حدث هو ان الملتزمين تعسفوا في جبايه الرسوم وتجاوزوا تلك المنصوص عليها في القانونامه، لذا صدر (فرمان) الى والي بغداد

---

(١) سركيس، مباحث عراقيه، ق٢، ص٢٣٧.

(٢) انظر عن هذا الخان في الفصل الرابع، ص ١٥٨ من هذه الرساله.

(٣) الخمس: وكان يجبى من الفواكه. انظر: السجلات العثمانيه، دفتر رقم ١٠٤٩ لوحه ١٢٠.

(٤) الاستحواذ على الحيوانات الضاله.

(٥) المصبغه.

(٦) تعني هنا نوع من الرسوم والاشراف على دار الضرب، وجباية رسوم السمه واستيفاء رسوم المجزره والمدبغه وسوق الخيل ومعمل الدبس والشمع.

(٧) انظر نصوص الوثائق: يعقوب سركيس، مباحث عراقيه، ق٢، ص ص ٢٣٢ ـ ٢٤٢.

(٨) نفس المصدر، ص ٢٤٣.

يتضمن ( شرطنامه ) أن لا يجبي ملتزم الكمرك اكثر مما هو مدون في القانونامه ، وانني اشك ان يكون الملتزمون قد تقيدوا بالتعليمات الجديده وانما استمروا بمساعدة اجهزتهم القمعيه في ابتزاز الرسوم الكيفيه من الباعه والتجار على حد سواء ولم تردعهم كل التوصيات والاوامر التي كانت تدعو الى الرفق بالرعيه .

ومن خلال التمعن في الضرائب السائدة آنئذ يتضح لنا ان الشرطنامه ظلت كسابقتها القانونامه حبراً على ورق بدليل تخبط مشرّعيها في الخلط بين سلع تجاريه متباينة الاهميه وفرض ضريبه واحده عليها جميعا .

فضريبه الفولاذ وبزر البطيخ ؟ كانت واحده ، وكذلك اللوز والزرنيخ . وساوت الشرطنامه بين القصدير والقنب وبين المرجان والكحل !! كما يدعونا ذلك الى الاعتقاد بان الدوله لم تكن تملك جهازا مدربا باستطاعته احصاء تلك السلع المتنوعه ومن ثم تقدير ضرائبها وانما كانت تترك الامر للملتزمين وموظفيهم الذين كانوا يتصرفون وفق اهوائهم في تحديد السلع وتقدير ضريبتها . كل ذلك اثر بشكل او بآخر على تدهور الحياة التجاريه في القطر .

## رابعا : النقود والمكاييل والموازين والمقاييس

### آ ـ النقود :

لم يكن للعراق اسلوب ثابت للتعامل بالنقود ، فكانت جميع انواع العمله متداوله فيه ، ويجرى تداولها من قبل التجار والاهليين سواء كانت عثمانيه ام صفويه أم اوربيه ، وهو ما يشير اليه السواح عادة ويقابلونها بنقودهم والسبب . ان معظم انواع النقود كانت من المعادن الثمينه مثل الذهب والفضه .

وسنحاول في هذا البحث بيان انواع العمله التي شاعت في العراق خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ومحاولة معادلتها بالعملات المعروفه الاخرى في حينه ٠

الاقجه : وهي عمله عثمانيه فضيه شاعت في القرن السادس عشر وقيل انها كانت معروفه منذ ايام المغول[1] وسماها الاوربيون أسبر Asper وهي كلمه يونانيه مشتقه من اسبروس ومعناها ابيض[2] وكان وزنها ٤ قمحات من الفضه او ما يساوي ¼ غرام[3] ٠

البارة : وهي عمله عثمانيه كانت أول الامر عباره عن قطعه من الفضه تساوي ( اربع اقجات ) صدرت لاول مره في أوائل القرن السابع عشر وسرعان ما حلّت محل الاقجه باعتبارها الوحده النقديه وكان وزنها اول الامر ١٦ قمحه او ما يعادل ١/١ غرام، وكانت في تغير مستمر انخفض وزنها الى ربع ذلك في اوائل القرن التاسع عشر[4] ٠

المايدين : اعتقد ان الاوربيين اطلقوا لفظه مايدين على البارة او انها عمله اوربيه تعادل البارة ، وسبب اعتقادي هذا هو أن يعقوب سركيس جعل الشاهي يساوي خمس بارات[5] ، ومن جهه اخرى جعل السائح الدرد Eldred الشاهي يساوي خمسة مايدينات[6] ، وعليه يكون قيمه البارة تساوي المايدين وكل مايدين كان يساوي

---

(١) العزاوي ، الضرائب ، ص ص ١٤١ ، ١٤٣ ٠

(٢) سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ٤٦٥ ٠
انستاس ماري الكرملي ، النقود العربيه وعلم النميّات ، المطبعه المصريه ، القاهره ١٩٣٩ ، ص ١٦٥ ٠

(٣) دائرة المعارف الاسلاميه ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ ( الطبعه العربيه ) ٠

(٤) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ ٠

(٥) يعقوب سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ١٧٢ ٠

(٦) Eldred, op. cit., Vol. III. P. 329.

١١ مارميدى او ما يعادل ٣٫٥ بنس[1]، كما ان كل ٣٣ مايدين كان يساوى دولارا[2].

القرش: وهو عمله عثمانيه سماها الاوربيون (بياستر) وهو يساوى ٤٠ باره او ثمانيه شاهيات[3][4].

الشاهي: عمله عثمانيه مستديره[5] وهي مختصر باد شاهي، نسبة الى سلطان الدوله العثمانيه الذى يطلق عليه باد شاه لا الى لفظه الشاه الفارسيه، وتسمى بغدادى ايضا[6] وهي تساوى خمس بارات او ٣٢ عثمي[7] او خمسه مايدينات[8]، وكل ثمانيه منها كانت تساوى دوكات ذهبي واحد[9].

الدوكات الذهبي: كان يساوى ٢٠٠ اقجه في عام ١٥٨٤م الا انه تغير كثيرا وتحول في وقت آخر بقرش واحد الذى قيمته ١٦٠ اقجه بينما كان سعر الدوكات العادى ٥٠ اقجه[10].

---

(١) Teixeira, op. cit., P. 37.
الباون الانكليزى = ٢٠ شلنا، والشلن = ١٢ بنسا.

(٢) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 329.

(٣) دائرة المعارف الاسلاميه، ج ٣، ص ٢٧٢ (الطبعه العربيه).

(٤) سركيس، مباحث عراقيه، ق ٢، ص ١٧٢.

(٥) Teixeira, op. cit., P. 17.
وجعلها تساوى سته بنسات.

(٦) وجعلها الكرملي عملة ايرانيه تشبه الباره التركيه وقال انها نقد نحاسي، ولا اعتقد ان ذلك صحيح لان الشاهي كان يساوى خمس بارات.
الكرملي، النقود، ص ١٦٦.

(٧) Foster, The English Factories (1637-1641), P. 249.
ورد انها تساوى في القرن السابع عشر ١/٣ ٥ باره.

(٨) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 329.

(٩) Ibid, P. 329.

(١٠) Lybyer, op. cit., P. 102.

العباسي : عمله فارسيه نسبه الى الشاه عباس الاول وكان يعادل ثلاثه شاهيات ، أو اربع بارات (١) ، والعباسي ١/٥٠ من التومان (٢) .

التومان : ونطقه التركي ( تمن ) اسم عدد بمعنى عشره آلاف وكان التومان في حساب المال عشره آلاف دينار في عهد المغول والدينار كان يستبدل بمثقال من الفضه زنته ٤,٣ غرام ، وقدّر التومان عام ١٦٦٠م بـ ٤٠ فرنكا فرنسيا وقدّره كل من السير توماس هربرت عام ١٦٣٠م وفريرعام ١٦٧٧م بثلاثه جنيهات وسته شلنات وثمانيه بنسات انكليزيه (٣) وكان التومان يساوى ١٤ كراون أو ١٠٠٠ بستي (٤) .

البيستي : عمله ايرانيه شاعت في القرن السادس عشر وهي تعني ( عشرين ) وكانت تساوى خمسه محمديات (٥) .

المحمدى : نقود عثمانيه منسوبه الى محمد الفاتح وكانت قيمتها نصف فرنك ذهب (٦) . والفرنك يساوى ٢٠ سو فرنسي (٧) .

---

(١) Foster, The English Factories, (1637-1641) P. 249.

(٢) Tadhkirat Al-Muluk Amanuel of Safavid Administration Circa 1137/1755, Translated and Explained by V. Minorsky, London, 1943, P. 179.

(٣) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٦ ، ص ٢٩ ( الطبعة العربية ) .

(٤) Tadhkirat Al.Muluk, P. 179.

(٥) دائرة المعارف الاسلاميه ، ج ٦ ، ص ٢٩ ( الطبعة العربية )

(٦) علي الشرقي ، مجلة لغة العرب ، السنة ٤ ، العدد ١٠ ، بغداد ـ نيسان ١٩٢٧ ، ص ٧٦ .

(٧) السو الفرنسي عمله قديمه كانت تضرب من النحاس او النيكل اوردها تافرنيه في رحلته .

وهناك محمدى سورات الذى كان يعادل ليره واحده وثلاثين هشتي[(١)] والمحمودى كان يساوى شلن تقريبا في عام ١٦٣٥م[(٢)].

الهشتي : واللفظه ايرانيه معناها ( ثمانيه ) وهنا يقصد بها ١/٨ الاقجه[(٣)]، وكل عشرة منها كانت تساوى ( سيدى ) واحداً[(٤)].

السيدى : عمله فضيه ذكرها Herbert عام ١٦٣٨م بانها تساوى نصف شاهي او ما يساوى بنسين انكليزى وجعلها تاكسيرا تساوى ١/١٦ من الريال من فئة الثمانيه[(٥)].

الريال : اسم شائع اختلف سعره من مكان الى آخر ومن زمان الى آخر وكان على انواع منها ريال نمساوى وعثماني وبندقي ... الخ[(٦)].

Estive : عمله نقديه صغيره كانت متداوله في البصره في القرن السادس عشر أورد ذكرها السائح Eldred في رحلته عام ١٥٨٣م وجعل كل ١٢ منها تساوى مايدين واحد او ( معدن ) واحد الذى يساوى بنس ونصف[(٨)].

---

(١) Foster, The English Factories(1637-1641), P. 249.

(٢) Sainsbury, A calender of the Court Minutes, P.115 .

حيث ورد لقد استبدلت كل خمس محموديات بخمسه شلنات ، كما ورد في هامش ص ٣١ ــ ٣٢ ان المحمودى الواحد يساوى شلن واحد وهذه العمله جرى استعمالها في البصره ايضا .

٣) العزاوى ، الضرائب ، هامش ص ٦٢ .

(٤) Foster, The English Factories, (1637-1641), P. 249.

(٥) Ibid., P. 249.

(٦) الكرملي ، النقود العربيه ، ص ١٧٤ .

(٧) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 329.

(٨) الخياط ، مشاهدات تاكسيرا في العراق ، سنه ١٦٠٤م ، ملخصه عن الترجمه الانكليزيه ، ص ١٤١ ــ ١٤٢ .

الدانق : وهي قطعه فضيه على وجهيها الختم العثماني وقيمتها بارتان وان كل ٢ ½
دانق يساوي شاهي واحدا وان كل شاهي وعشرين Estive يساوي لـيره
واحده[(١)]

الجكن أو السكن : Chequine وهذه العمله تساوي ١٢٠ اقجه ،وقابلهـا
تاكسيرا ( ١٦٠٤م ) بـ تسعه شلنات ،حيث ورد[(٣)] ان سعر الاخشاب التي تصنع منهـا
سفينه واحده في برجك يساوي ٤٠ ــ ٥٠ جكن[(٤)].

الطويلة او اللارين : وهي عمله مصنوعه من الفضه وشكلها يختلف عن سائر انـــواع
العملات حيث أنها بطول قلم الكتابه وفي نهايتها ختم الدوله العثمانيه[(٥)] وشاعت ايضا
في انحاء مختلفه من شرق الجزيره العربيه مثل الاحساء والقطيف[(٦)] وأصبحت لها شهره
في الهند[(٧)] وسماها الاوربيون ( باللارين ) وجعل السائح الدرد في عام ١٥٨٣م كـل
سته منها تساوي دوكات واحد[(٨)]. بينما ذكر تاكسيرا في عام ١٦٠٤م انها تساوي
٦٥ مارفيدي Maravedies او ما يعادل ثمانيه بنسات انكليزيه[(٩)]. فيما
ذكر السائح ديلا فال في عام ١٦٢٥م ان كل خمسه لارينات تساوي قرشا واحـدا

(١) Eldred, op. cit., III., P. 329.

(٢) William Foster,(Editor) The Travels of John Sanderson in the levant(1584-1602),(London,1931), P. 202.

(٣) الخياط ، مشاهدات تاكسيرا ، ص ١٤٥.

(٤) Fredericke, op. cit., Vol. III., P. 199.

(٥) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 330.

(٦) كوركيس عواد وبشير فرنسيس ، العراق في القرن السابع عشر ( الملاحق ) ص ١٣٤.

(٧) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 330.

(٨) Ibid, P. 330.

(٩) Teixeira, op. cit., P. 17.

وشاهي(١). وورد أن كل سبعه لارينات ودانق واحد في البصره كان يساوي (دوكات) ذهبيا واحدا .

ومن الاصطلاحات التي شاعت في البصره في القرن السادس عشر (الكيس) ، كيس النقود وهو على نوعين كيس رومي وكيس مصري ، ويسمى الكيس الرومي بالكيس الديواني وكان مبلغ كل واحد من هذين الكيسين يختلف باختلاف سعر القرش والبلاد والزمان الا ان الغالب كان مبلغ الكيس الرومي يساوي ٥٠٠ قرش(٢).

ومن الجدير بالذكر في ختام هذا البحث ان الدوله العثمانيه كانت لها دور لضرب النقود في مختلف ارجاء الامبراطوريه الا ان ضربها اقتصر على مدن دون اخرى حيث ضربت النقود في بغداد في فتره بحثنا مرتين فقط ، الاولى عام ٩٧٤هـ/١٥٦٦م عند تبوء السلطان سليم الثاني العرش وكانت عمله فضيه كتب في وسطها ضرب بغداد(٣) والثانيه في عام ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م عند تبوء السلطان مراد الثالث العرش وكانت عمله ذهبيه كتب على وجهها سلطان مراد ضرب بغداد(٤).

---

(١) Della Valle, op. cit., P. 258.

(٢) علي الشرقي ، مجله لغة العرب ، العدد العاشر ، السنه الرابعه ، بغداد نيسان ١٩٢٧ ، ص٥٧٦ .

(٣) Stanley Lane-Poole, The Coins of the Turks in the British Museum-Class XXVI ( London, 1883), Vol. VIII., P. 88.

انظر كذلك : احمد ضيا ، مسكوكات اسلاميه ، خلافت وسلطنت سنيه عثمانيه (جزء) اول قسم رابع استانبول ١٣٢٨هـ ، ص٥٠ ، مسلسل ٨٣٢ .

موضحا بانها عمله من الفضه قطرها ١٨ م.

(٤) Lane-Poole, The Coins of the Turks, P. 95.

وبعد هذا التاريخ ينقطع الضرب في بغداد حتى عهد محمد الرابع وهي فتره خارجه عن بحثنا في الوقت الذى يستمر الضرب في عواصم ومدن عربيه اخرى مثل دمشق والقاهره وحلب والجزائر وتونس وطرابلس الغرب كلما استجد سلطان ، في الوقت الذى لا نجد فيه اى ذكر عن العراق[(١)] وهذا يدعونا الى الاعتقاد بان العراق اهمل في هذه الفتره .

ب ـ المكاييل والموازين :

لم تكن الاوزان واحده في جميع ارجاء العراق ، فأوزان بغداد كانت تختلف عن اوزان البصره ، كما ان نفس الاوزان كانت تختلف من حين الى آخر زياده او نقصانا في كل منهما .

فالمن البغدادى شاع في العراق منذ العصور الوسطى وكان يساوى رطلين بغداديين . وكان الرطل يزن آنئذ ١٣٠ درهما اى حوالي ٤٠٦ر٢٥ غرام[(٢)] .

الا ان وزن المن تغير في القرن السادس عشر وزاد بحيث اصبح كل مائه من في بغداد يساوى ٧٢٢ باونا انكليزيا اى ان المن البغدادى الواحد صار يزن حوالي سبعه باونات وخمسه اونسات انكليزيه[(٣)] وما يعادل ٣٫٢٧٥ كغم[(٤)] . وكان الوحده

---

(١) Lane-Poole, The coins of the Turks, P. 95.

(٢) فالتر هنتس ، المكاييل والاوزان الاسلاميه وما يعادلها في النظام المترى ، ترجمه عن الالمانيه الدكتور كامل العسلي ، عمان ، ١٩٧٠ ، ص ٤٦ .

(٣) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 331.

الباوند الانكليزى ويسمى ليره ايضا وهو يساوى ١٦ اونسا وكل ٢ ½ باوند يساوى كيلوغرام واحد .

(٤) هنتس ، المصدر السابق ، ص ٤٦ . وجعل السائح Eldred المن البغدادى يساوى واحدا و ½ ٥ اونس ، كما جعل كل Roue ٦٨ ٣/٧ (= =) المن يساوى قنطارا حلبيا او ما يعادل ٤٩٤ ليره و ٨ اونسات .

القياسيه للوزن في بغداد[1] وسمي البطمان ايضا[2] وكان له انواع فمن الحبوب كان يختلف عن من الحرير مثلا ، ومن البصره كان يزن حوالي ١١ كغم[3]. وظل هذا المن في تغير بمرور الزمن وورد أن من الحبوب صار يزن ٢٥ كغم الى جانب من آخر كان يزن ست حقق استانه وحقه الاستانه تساوى ١٫٢٨٣ كغم[4] بينما قيل عن من البصره انه صار يزن ٦٠ حقه استانه أى حوالي ٧٧ كغم[5].

وورد في تقارير الوكلاء الانكليز لشركه الهند الشرقيه عن موازين البصره في القرن السابع عشر ما يلي :

ان ٢٤ ½ قطعه سورانيه تساوى وقيه واحده[6] .

وان كل ٢٤ وقيه تساوى منا بصريا واحدا[7] ، ويسمى احيانا ( من عطرى ) .

وأن منّ الحرير في البصره كان يساوى نصف المن البصري الاعتيادى .

وذكرت التقارير أن معظم المنسوجات المحليه في البصره كانت تباع بالمن مثل السمن والحبوب والقطن والصوف ، اما النيله فانها كانت تباع بالفرده التي كانت تزن

---

( = = ) اى أن وزن المن الواحد يساوى ٢٫٧ ليبره ، وهو يساوى ما توصل اليه هنتس . انظر أيضا :
Eldred, op. cit., Vol.III., P. 328.

(١) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 329.

(٢) سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٣) هنتس ، المصدر السابق ، ص ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٤) سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ٢٤٥ .
وورد في مكان آخر بأن حقه الاستانه تساوى ليبرتان . انظر :
م. ك. ام الدجيلي ، جريده العراق ، بغداد _ ٢٩ آب ١٩٢٢ .

(٥) سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٦) الوقيه = ⅚ ١ درهم وهذا يساوى ٥٫٨٥ ٣٣ غرام . انظر :
هنتس ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(٧) Foster, The English Factories(16 7- 641), P. 249.

١١٧ اوقيه[(١)] وجعل السائح الدرد النيله تباع بوحده وزن سماها Churle وقابلها بـ ½ ٢٧ رطل حلبي[(٢)] ومن جهه أخرى فان من البصره كان يساوى ½ ٢ ـ ½ ٢ من امنان سورات[(٣)] ٠ كما ان عشرين منا بصريا كان يساوى قنطارا بصريا ، وكان وزن القنطار البصرى في عام ١٥٨٤م يساوى ٢٣٣٫٣٧٦ كغم[(٤)] وهذا يعني ان المن البصرى كان يزن حوالي ١١٫٥ كغم وهو يقرب من وزنه الاسلامي القديم[(٥)].

أما القنطار البغدادى فانه كان يساوى ١٠٠ من بغدادى[(٦)]، وشاع في بغداد وزن آخر سمي بالتغار وكان يتكون من ٢٠٠ رطل[(٧)].

ويذكر يعقوب سركيس عن وزن التغار الحديث بانه يزن ٢٠٠٠ كيلوغرام وعلى هذا الاساس فان الرطل يزن في تقديره عشره كيلوغرامات الا ان الباحث نفسه يشير

---

(١) Foster, The English Factories(1637-1641), P. 249.

(٢) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 274.

(٣) Foster, The English Factories(1637-1641), P. 249.

(٤) لنتمجى ، المصدر السابق ، ص٤٣ ٠

(٥) ورد ان كل ثلاثه او اربعه قناطير تساوى بهارا من الوزن ، ولا اعتقد ان هذا صحيح لانه لا يمكن ان نجعل التراوح في قنطار واحد الذى وزنه حوالي ٢٣٣٫٣٧٦ كغم ٠ انظر :
احمد زكي ، مجله المقتطف ، السنه ٥١ ، ج ٥ ، ص ٤٥٢ ٠

(٦) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 275.

(٧) ان الرطل البغدادى القديم كان يساوى ١٣٠ درهما الذى يزن ٤٠٦٫٢٥ غرام الا ان هذا الرطل قد تغير كثيرا بمرور الزمن وتوبل بالاوقيه تاره وزاد على ذلك في احيان اخرى ٠ وقولي ان التغار يتكون من ٢٠٠ رطل هو انني لم اعثر في كل لوحات السجلات العثمانيه على ما يشير الى رقم ٢٠٠ رطل ككسر للتغار وانما هذا الكسر يتراوح بين ١ ـ ١٩٩ وهذا يدل على انه يتحول بعد ذلك الى تغار ٠ انظر : السجلات العثمانيه لولايه بغداد ، ١٠٤٩ ، لوحات متعدده ٠

الى ان ثقل الطفار قد تغير كثيرا ويقول صراحة ان وزنه في السابق كان اقل بكثير من وزنه الان (١)

ومن بين الاوزان التي شاعت في البصره الكاره وهي وحده وزن للسفن التجاريه وهي تنقسم الى قسمين : كاره كبيره واخرى صغيره . فالاولى وزنها ٤٠ منا والثانيه ٢٠ منا (٢) . بينما يجعل السائح Eldred وزن الكاره اربعه قناطير بصريه وهذا (٣) يعني انها تساوي ثمانين منا .

وبالنسبه للعطاريات الثمينه والادويه يرد اصطلاح المثقال والدرهم ، فالاول قدره السائح فرير عام ١٦٧٥ ب ٥ر١٢ وال عندي وان كل ٨٥ وال عندي يساوي اونس (٤) تروي واحد وهذا يساوي ١٠٤ر٣١ غم . وعليه يكون وزن المثقال البصري يعادل ٤٥٢ر٤ غرام (٥) . اما الدرهم العراقي فكان وزنه ١٢٥ر٣ غرام (٦) .

ت ـ المقاييس :

كان الذراع الذي يساوي ½ ٣٢ عقده ( انج ) هو المقياس الشائع في بغداد والبصره وكان اطول من ذراع حلب حيث ان مائه ذراع بغداد كانت تساوي ١٢١ ذراع (٧)

---

(١) سركيس ، مباحث عراقيه ، ق ١ ، ص ص ٢٤٩ ، ٣٧٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٤٩ .

(٣) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 331.

(٤) John Fryer, A New Account of East India and Persia being Nine year's Travels (1672-1681), Vol.II., (London, 1912). P. 138.

(٥) هنتس ، المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١٤ .

(٧) Foster, The English Factories( 1637-1641), P. 250.

حلب[1]. وأكد فالترهنش شيوع هذا الذراع في بغداد في القرن السادس عشر بقوله : كان ذراع البزيساوى ٩ر٨٢ سم[2].

ومن مقاييس المسافات الفرسخ[3] وكان يتكون من ثلاثه اميال عربيه[4]، وكل ميل عربي كان يساوى ١٠٠٠ باع وكل باع اربعه اذرع شرعيه، والذراع الشرعي يساوى ٨٧٥ر٤٩ سم[5]. أى أن طول الفرسخ كان يقارب السته كيلو مترات .

ومن مقاييس المساحات الجريب ويساوى ٣٦٠٠ ذراع مربع[6].

---

(1) Eldred, op. cit., Vol. III., P. 329.

(٢) هنتس، المصدر السابق، ص٨٦ حيث ان ٩ر٨٢ سم = ½ ٣٢ انج .

(٣) عبارة عن مقياس فارسي مشتق من كلمه (باره سنك) ويعني قطعه حجراى شاخص المسافه كانت توضع في الطريق كدليل لمسافه محدده وبهذا المقياس نوع من المطاطيه فقيل عنه ان المسافه التي يستطيع فيها الناظر التمييز بين الجمل الاسود والابيض وقيل أنها المسافه التي يسمع فيها الانسان صوت دق الطبل وورد انه يساوى ٠٠٠ر١٥ خطوه في خوارزم و ٠٠٠ر١٠ خطوه في آذربايجان وارمنيا و ٠٠٠ر٦ خطوه في العراقين وكردستان ولرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والمناطق المجاوره .

انظر : هامش رحله Manrique, op. cit., Vol. II., P. 365.

انظر كذلك : Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 160.

(٤) Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 160.

(٥) هنتس، المصدر السابق، ص ٩٤ .

٣ × ١٠٠٠ × ٤ × ½م = ٦٠٠٠ م = ٦كم تقريبا

(٦) Mustawfi of Qazwin, op. cit., P. 35 .

٦٠ ذراع× ٦٠ ذراع

# الخاتمة

لقد توصلت هذه الدراسة الى ان الصفويين بعد احتلالهم الاول للعراق عام ١٥٠٨م حاولوا بسط نفوذهم على الاناضول عن طريق مريديهم فيها وولد ذلك رد فعل عنيف لدى الدولة العثمانية التي أمرت جيوشها بالزحف صوب الاراضي الايرانية ، فوقعت بين الدولتين معركة چالديران عام ١٥١٤م ووفق السلطان سليم الاول لافي كبح جماح الشاه اسماعيل الصفوي وضم شمال العراق الى املاكه فحسب ، وانما في الزحف لقتال قانصو الغوري حليف الشاه اسماعيل ، كما أنه افلح في الحاق سوريا ومصر بأملاكه ، في الوقت الذي باشر بالاستعداد لغزو العراق وعندما اضطر الى تأجيل حملة استعد لها في حلب عام ١٥١٩م لهذا الغرض فان المنية عاجلته عام ١٥٢٠م وبموته اهمل المشروع .

ولما تبوأ السلطان سليمان القانوني عرش الدولة العثمانية وجه جهوده العسكرية صوب أوربا رغم انه لم ينس ان يحقق حلم والده للوصول الى العراق لكنه كان يفضل ان يتم ذلك بصورة سلمية ، فسعى الى استمالة حكامه واستغل قيام حركة ذي الفقار عام ١٥٢٧م في بغداد وباركها وكان على وشك ان يستفيد من ثمارها لولا مسارعة الشاه طهماسب الى اخماد الثورة وتعيين محمد خان تكلو حاكما لبغداد وبذلك ضيع فرصة نادرة على الدولة العثمانية ، وفي عام ٩٤٠هـ/١٥٣٣م حاول السلطان سليمان استغلال قرابة أولامه تكلو ـ أحد امراء الحدود الايرانيين اللاجئين الى الدولة العثمانية ـ لحاكم بغداد محمد خان تكلو وطلب منه مراسلته لكسب وده وولاء عشيرته الى جانب الدولة العثمانية ولما باءت محاولات أولامه تكلو المتعددة بالفشل لذا اخذ يحرض السلطان على توجيه حملة الى ايران مستغلا انشغال الشاه طهماسب في محاربة الاوزبك في شرق بلاده فتوجه السلطان على رأس حملة

الى بلاد فارس لقهر طهماسب في عاصمته قزوين(١) ولما تورط جيشه في متاهات جبال زاكروس وقساوة طقسها فكر بالتوجه الى الموصل التي كانت جزءاً من املاكه انئذ لقضاء فصل الشتاء فيها ليعود مع حلول الربيع لقتال الشاه طهماسب ثانية ، الا ان محاولة جديدة لاستمالة التكلويين في بغداد افلحت ، الامر الذى دفع السلطان الى تغيير مسار الحملة وتوجيهها من السلطانية الى بغداد ، وعندما وصلها لم يسمح لجنده بدخول المدينة خوفاً من عدم استطاعته كبح جماحهم ولرغبته في عدم الاساءة لسكانها لذا لم يصاحب عملية الاحتلال التخريب والقتل كما كان يحدث عادة في ذلك الزمان ، ووضح البحث جهود الدولة العثمانية ومحاولاتها في انعاش تجارة العراق بعد مالحقها من اضرار نتيجة احتكار البرتغاليين للتجارة الشرقية ، الا ان تلك المحاولات اصطدمت بمقاومة القبائل العربية في البطائح واطراف البصرة التي فضلت التعاون مع البرتغاليين والصفويين على الرضوخ للدولة العثمانية .

وفي الحقل الزراعي كشف البحث عن الاهمال المستمر الذى لحق بمشاريع الري والسدود الذى سبب خراب الاراضي الزراعية ، وفي ميدان التجارة بين مدى تأثير اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح على تجارة المنطقة العربية عامة والعراق خاصة .

واخيراً ساهم هذا البحث في القاء الضوء على احداث الحدود الشرقية للعراق والصراع على كردستان بين الدولتين العثمانية والصفوية طيلة القرنين السادس عشر والسابع عشر وما رافق ذلكم الصراع من حروب مريرة وبذلك كشف عن الارهاصات المبكرة لمشاكل الحدود العراقية الايرانية التي نعاني منها اليوم .

(١) عن خط السلطان سليمان للشاه ... ، راجع ص٩٨ ، الهامش .

## ملحق رقم (١)

صورة من أجمالية ضرائب ولاية البصرة لعام ٩٨٢هـ / ١٥٧٤م كما دونتها السجلات العثمانية للولاية [(١)] يظهر فيها تنوع الضرائب آنذاك .

| نوع الرسوم | مقدارها |
| --- | --- |
| دار الضروب | ٩٠ر٠٠٠ أقجة |
| بيع العبيد | ١١ر١٣١ = |
| الدلالية | ٦٠ر٠٠٠ = |
| البويه خانه | ١٢٩ر٤٠٠ = |
| ابريشم خانه (دار الحرير) | ٩٢ر٠٠٠ = |
| الاسواق والحوانيت | ٨٨ر٥٠٣ = |
| رسم الاحتساب | ١٤ر٠٠٠ = |
| العطاريات | ٣٨ر٠٠٠ = |
| دلالية الجبان والحبير | ٤ر ٥٠ = |
| مقالع القمار | ١٠ر٠٠٠ = |
| أرث من يموت بدون وارث | ٢٨ر٣٢٨ = |
| معجون خانه (المعصرة) | ١١ر٧٥٠ = |
| الاغنام | ٣٧ر٩٩٤ = |
| الجاموس | ٣ر٢٨٠ = |
| النقابة | ٣ر٠٠٠ = |
| أسكلة شط العرب (محطة رسو السفن) | ٨ر٥٨٣ = |
| دار الختم | ٨٧ر٠٠٠ = |
| بنبه خانه (محلج القطن) | ١٦ر٩٨٣ = |
| الملح | ٢ر١٥٠ = |
| ميناء البصرة | ١ر٣٩٤ر٧٩٩ = |
| بيع وشراء الجمال | ٤٤ر٥٠٠ = |
| رسوم أخرى غير واضحة | ٢٣٣ر٠٣٢ = |
| مجموع الايراد الكلي | ٢ر٩٣٥ر٥٥١ أقجه |

(١) السجلات العثمانية لولاية البصرة المرقم ١٠٢٢ لوحة رقم ٢ .

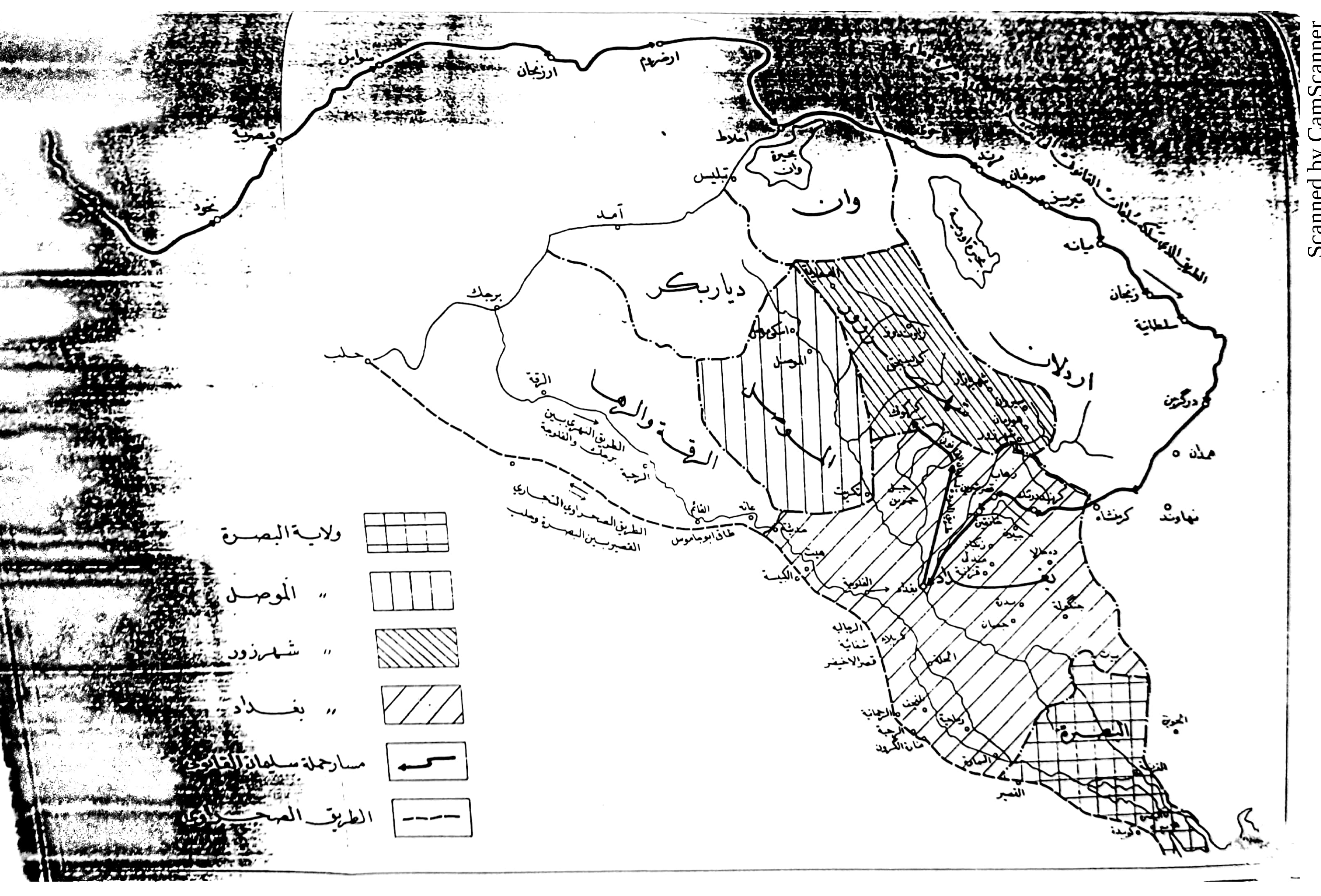
## ملحق رقم (٢)

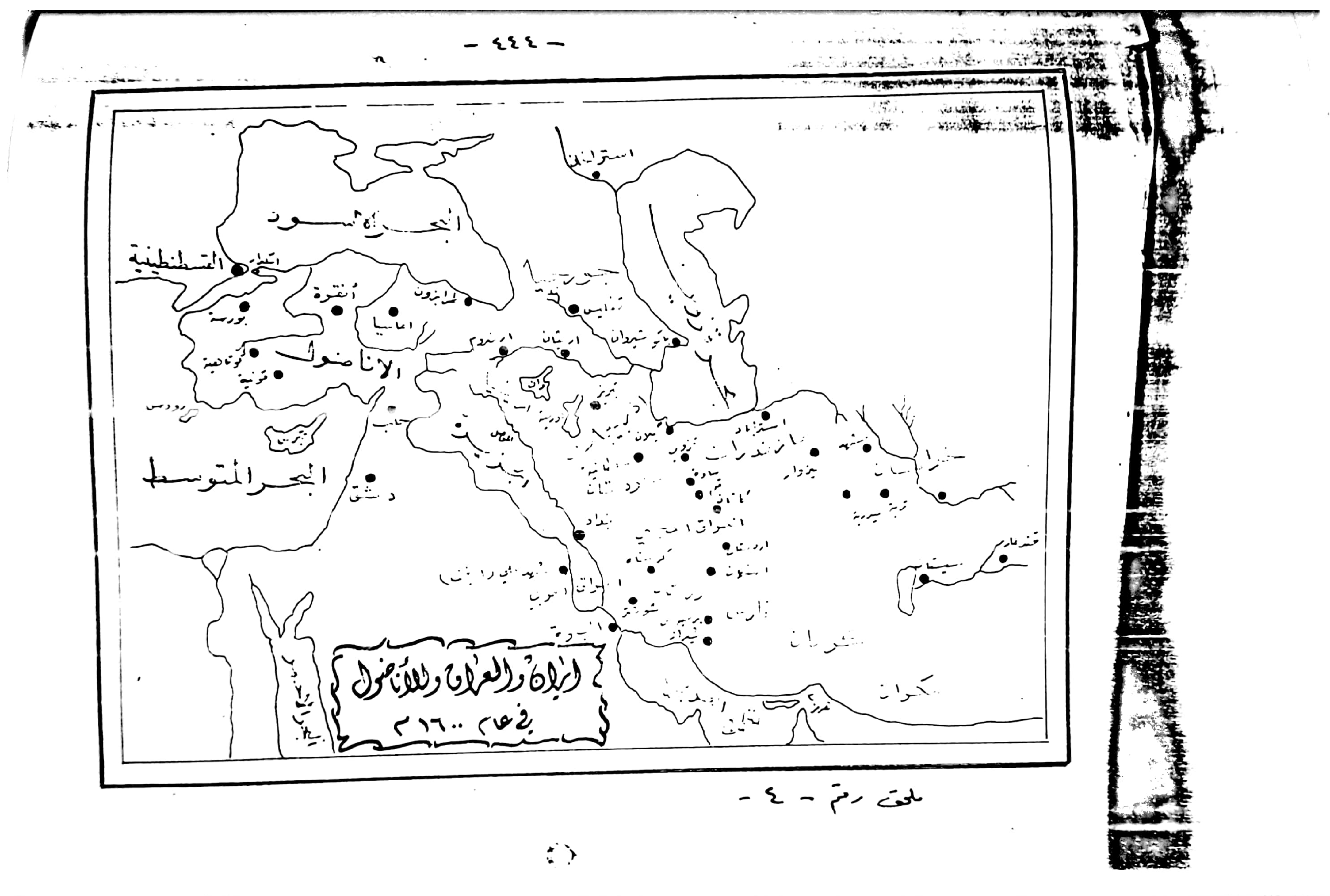
### السلاطين العثمانيون (١٤٨١ـ١٦٤٠م)

| | | |
|---|---|---|
| بايزيد الثاني | ٨٨٦ـ٩١٨هـ | ١٤٨١ـ١٥١٢م |
| سليم الاول بن بايزيد | ٩١٨ـ٩٢٦هـ | ١٥١٢ـ١٥٢٠م |
| سليمان القانوني بن سليم | ٩٢٦ـ٩٧٤هـ | ١٥٢٠ـ١٥٦٦م |
| سليم الثاني بن سليمان | ٩٧٤ـ٩٨٢هـ | ١٥٦٦ـ١٥٧٤م |
| مراد الثالث بن سليم الثاني | ٩٨٢ـ١٠٠٣هـ | ١٥٧٤ـ١٥٩٥م |
| محمد الثالث بن مراد الثالث | ١٠٠٣ـ١٠١٢هـ | ١٥٩٥ـ١٦٠٣م |
| أحمد الاول بن محمد الثالث | ١٠١٢ـ١٠٢٦هـ | ١٦٠٣ـ١٦١٧م |
| مصطفى الاول بن محمد الثالث | ١٠٢٦ـ١٠٢٧هـ | ١٦١٧ـ١٦١٨م |
| عثمان الثاني بن أحمد الاول | ١٠٢٧ـ١٠٣١هـ | ١٦١٨ـ١٦٢٢م |
| مصطفى الاول (ثانية) | ١٠٣١ـ١٠٣٢هـ | ١٦٢٢ـ١٦٢٣م |
| مراد الرابع بن احمد الاول | ١٠٣٢ـ١٠٤٩هـ | ١٦٢٣ـ١٦٤٠م |

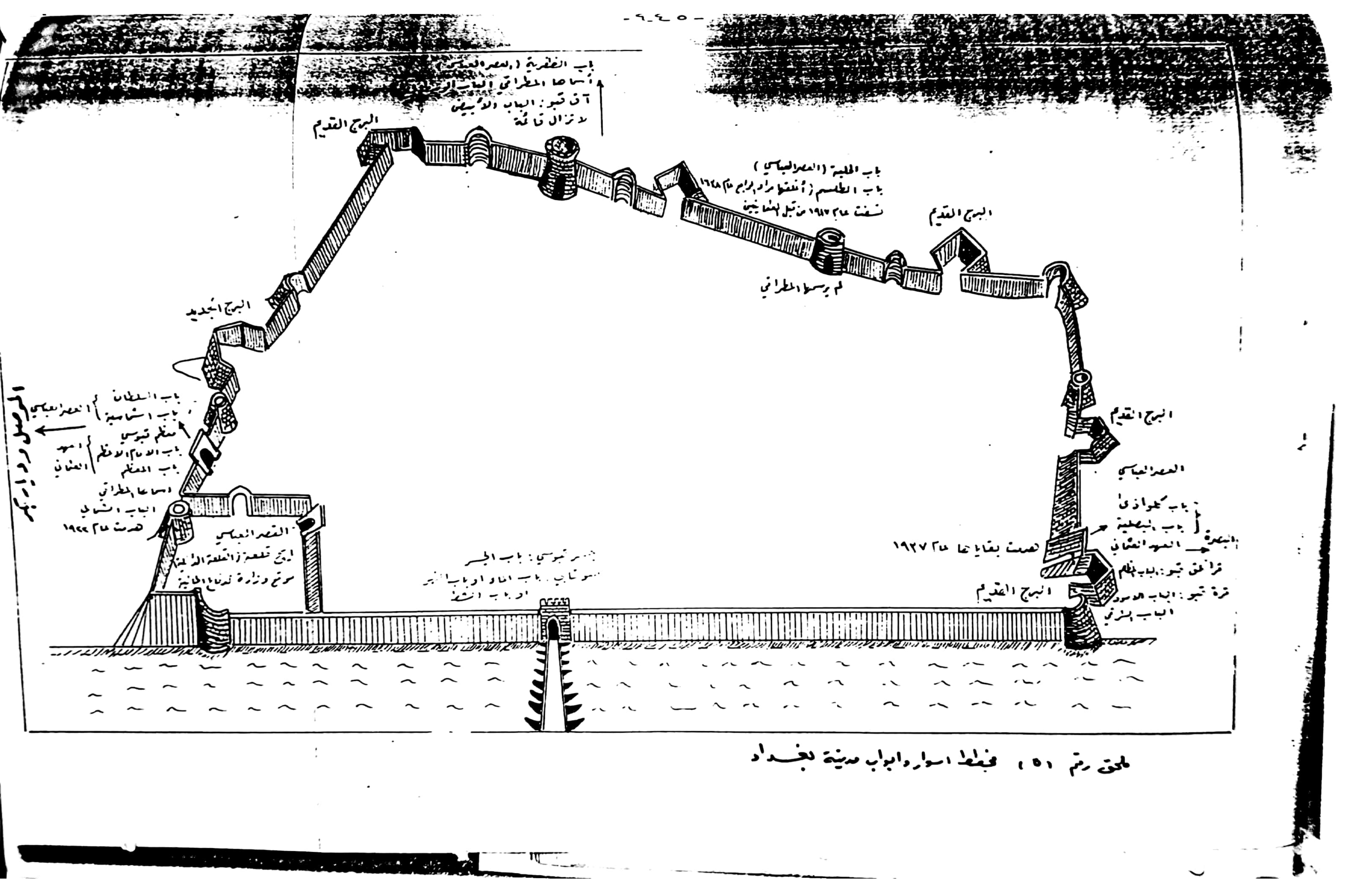
### الشاهات الصفويين (١٥٠١ـ١٦٤٢م)

| | | |
|---|---|---|
| أسماعيل بن حيدر | ٩٠٧ـ٩٣٠هـ | ١٥٠١ـ١٥٢٤م |
| طهماسب بن أسماعيل | ٩٣٠ـ٩٨٤هـ | ١٥٢٤ـ١٥٧٦م |
| أسماعيل الثاني بن طهماسب | ٩٨٤ـ٩٨٥هـ | ١٥٧٦ـ١٥٧٨م |
| محمد خدابنده بن طهماسب | ٩٨٥ـ٩٩٦هـ | ١٥٧٨ـ١٥٨٧م |
| حمزه بن محمد خدابنده | بضعة شهور | |
| عباس الاول المشهور (بالكبير) ابن محمد خدابنده | ٩٩٦ـ١٠٣٨هـ | ١٥٨٧ـ١٦٢٩م |
| صفي الاول حفيد عباس الاول | ١٠٣٨ـ١٠٥٢هـ | ١٦٢٩ـ١٦٤٢م |


ولاية البصرة
" الموصل
" شهرزور
" بغداد
مسار حملة سليمان القانوني
الطريق الصحراوي
وان
ديار بكر
الرقة والرها
اردلان
بغداد
البصرة
بحيرة وان
بحيرة اورمية
ارضروم
ارزنجان
قيصرية
آمد
بيرجك
حلب
تبريز
ميانه
زنجان
سلطانية
همدان
كرمنشاه
نهاوند
الموصل
كركوك
تكريت
عانة
القائم
كربلاء
الحلة
الكوفة
النجف
الكبيسة
الطريق النهري بين بيرجك والفلوجة
الطريق الصحراوي التجاري القصير بين البصرة وحلب
طريق السلطان سليمان القانوني


ايران والعراق والاناضول
في عام ١٦٠٠م
البحر الاسود
القسطنطينية
بورسة
انقرة
اماسيا
طرابزون
الاناضول
قونية
البحر المتوسط
دمشق
بغداد
استراخان
تفليس
تبريز
استراباد
سبزوار
مشهد
سيستان
قندهار
مكران
البصرة
هرمز

ملحق رقم - ٤ -




ملحق رقم (٥١) مخطط اسوار وابواب مدينة بغداد

# IRAQ BETWEEN THE FIRST AND SECOND OTTOMAN OCCUPATIONS

## 1534 - 1638

A THESIS

SUBMITTED TO THE COUNCIL OF THE COLLEGE OF ARTS , UNIVERSITY OF BAGHDAD IN PARTIAL FULFILLIMENT OF THE REQUIREMENTS FOR THE DEGREE OF MASTER OF ARTS IN MODERN HISTORY

by

Hussain M.Al-Khawati

January 1975